الفيحى

كتاب ~~الفتح~~ القسى فى الفتح القدسى عرب ١٧

كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي في التواريخ

الفتح القسي في الفتح القدسي

الفتح القسي في الفتح القدسي

تاليف عماد الدين محمد بن محمد بن حامد

الاصفهاني الكاتب

[illegible]



بالله اقسم لا بالعاديات ولا بالجاريات ولا بالليل اذا عسعس

اني احبك لا ارجو [illegible] ولا اخشى اذا ذكرته [illegible]

في نوبة الفقير الى رحمة الله تعالى وعفوه

وغفرانه احمد بن علي بن المظفر الحنبلي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

صار هذا الكتاب بملك العبد الفقير الى الله [illegible]

[illegible]



بسم الله الرحمن الرحيم ‌‌ رب يسر اتمامه بعونك

نسال الله من الحمد ما يبلغ قضا حقه وان حقه لعظيم ومن الرشد ما يثبت
سلامة نياتنا في الطريق الى كرمه وانه لكريم ونشكر يسرا القلب وجهر
اللسان احسانه الينا بما حادث وقديم ونشتزيده ونستديم نعمه
ولن يخيب على الشكر والرضا مستزيد ومستديم وقد فعل فاذا ‌ وهو
الذي بيننا وبينه عداوه كانه ولي حميم ٥ والحمد لله الذي
بدا بنعمه متطولا وبمزيده متفضلا وعلمنا شكر فضله الموفور وقبل
منا عفو خاطرنا المنزور فلا يكلفنا من الشكر فوق الطاقه ولا
يطلع من النعم الطليعه الا وورا ها من المزيد الساقه وقد وصف المشكور
منه نفسه بانه شاكر عليم ورب غافل عن الشكر ما غفل عنه فضله العظيم
فلا عدمنا ما ينتاب متتابعه راجيا وداعيا ومستيقظا وساهيا
وضامنا ومتقاضيا لنا منه على كل حال من مواهب ربما عطل عنها
لسان شكرنا وضمير ذكرنا وبات ساريه الينا لا طيفا بل حقيقه على نوم
فكرنا ثم ان الله سامحنا في حقه من الشكر فقبله من عيينا وبليغنا
ومعرعنا ومسيغنا فتاره يقبله ضميرا مجمجما وتاره يحيط به قولا
مترجما ومره يعمله نظرا من قلب يفقد نور الذكر من ظلمات ضلوعه
ومره يسمعه همسا من لسان يناجي ملله بنغمات مسموعه وكيف لا يعلم

السر واخفى من يعنيه مسارحه وكيف لا يعلم الغيب من عنده مفاتحه
ونرغب اليه ان يحمل عنا حق نبيه صلى الله عليه وسلم فانا لا نرى
لعفوا استحقاقه من الوصف جهدنا فنصل اليه صلاتنا وتودي
اليه ودنا وبعظم موقعه حين كان منه كقاب قوسين او ادنى
ونشكره على ان فتح علينا الدار التي كانت الى الله ليلة اسرى به فانبعث
صلى الله عليه سهما فكان قاب قوسين في اقترابه ما كذب الفواد
ولا خاب المراد ولا صدق المراد وابن من اخبر انه راه بالافق
الاعلى ممن امتن عليه بانك بالواد فمن كان في روض القران يسرح
فرق بين منزلتين رب اشرح والم نشرح ‌ وصلى الله على اله واصحابه
ولاه الحق وقضاه الخلق ورتقه الفتق وغرر السبق والسنه الفرق
وفتحه الغرب والشرق منهم من رد رده العرب عن اسلامها ومنهم من
استنزل ارحل العجم عن اسرتها وتيجانها عن هامها واحمد عبده برابه
ان يطعمها حطبا ولو وصلت اليهم لا كلتهم واحمل عبده او نابه
عن ان يغعوا سجدا ولو وقعت عليهم لقتلتهم ومنهم من انفق في سبيل
الله وجهز ومنهم من قتل اعدا الله فاجهز ومنهم الاشدا على الكفار
ومنهم الاسد اذا زاغت الابصار ومنهم الساجدون الراكعون ومنهم
السابقون ومنهم التابعون ومنهم نحن اهل الزمن الاخير وقد سلم

علينا سلام الله عليه في الزمن الحاضر وسمانا اخوانا واشتاق الى ان يلقانا
نحن الان انما نرد تحيته والبادي اكرم وانما نرجو اشفاعته بالمودة
التي قدمها والفضل للاقدم ٥

هذا كتاب اسهمت فيه بين الادباء الذين يتطلعون الى الغرر
المتجلية وبين المستخبرين الذين يستشرفون الى السير المتجلية باحد الفريقين
منه على قدر القرائح والعقول ويكون حظ المستخبر ان يسمع والاديب
ان يقول فان فيه من الالفاظ ما صار به معدنا من معادن الجواهر
التي تولدها ومن غرايب الوقايع ما صار به لسانا من السنة العجايب التي
نوردها وانما بدانا بالتاريخ به لاستقبال سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة
لان التواريخ معتادها اما ان تكون مستفتحة من بدو نشاة البشر الاولى
واما مستفتحة بعقب من الدول الاخرى بلا امة من الامم من ذوات
الملك وذوات الدول الاولى لهم تاريخ يرجعون اليه ويعولون عليه بنقله
خلفها عن سلفها وحاضرها عن غابرها تقيد به شوارد الايام وينصب به
معالم الاعلام ولولا ذلك لانقطعت الوصل وجهلت الدول وكانت
في ايام الاخر ذكر الاول ولم يعلم الناس انهم لعرق الثرى وانهم نطف
في ظلمات الاصلاب طويلة السرى وان اعمارهم مبتداه من العهد
الذي تقادم لادم وقد اخذ ربك من ظهورهم ذرياتهم لما اراده من

ظهورهم فليعلم المرء انه قبل انقضاء عمره وقبل نزول قبره ما استبعده
اهل الطي من حقيقة النشر ولتفصل في واحد الاطوار شهادة عشر
فقد قطع عمرا بعد عمر وسار دهرا بعد دهر وانتشر في الف قبر وانما
كان من الظهور في تنقل الى ان وصل من العبور الى الحجر ولولا التاريخ
لضاعت مساعي اهل السياسات الفاضلة ولم المدائح بينهم ديس
المدام هي الفاضلة ولقل الاعتبار بمسالمة العواقب وعقوبتها
وجهل ما وراء صعوبة الايام من سهولتها وما وراء سهولتها من صعوبتها
فارخ بنو ادم بتوبته وكان اول من اشترى الموت نفسه وقام النوح
مقام سومه ثم ارخ الاولون بالطوفان الذي بلبل الارض واغرقها
ثم بالعام الذي بلبل الالسن وفرقها وارخت الفرس اربعة تواريخ
لاربع طبقات ملوكها اولهم كلشاه ومعنى هذا الاسم ملك الطين
فاليه ترجع الفرس بانسابها وعليه يتسق عقد حسابها وهي الان تورخ
بيزدجرد اخرهم ملوكها وهو الذي بز الاسلام تاج ايوانه واطفا
نور الله بيت نيرانه ٥ وارخ اليونانيون من فيلفس ابي الاسكندر
والى فلو نطره اخرهم وهاولاء المسلمون الحنفاء هم الصابئون ٥
وارخ الروم بالاسكندر لعظم خطره وشهرة اثره وارخ النبط
بالعراق والقبط بمصر بتواريخ موجوده في الكتب التي خلدوها

والازياج التي رصدوها ه وارخ اليهود بانبيايهم وخلفايهم وبعمارة
البيت المقدس وخرابه على ما اقتضاه نقلوا بلهم وابايهم وكانت العرب
قبل ظهور الاسلام تورخ بتواريخ كثيره وكانت حمير تورخ
بالتبابعه ممن يلقب بذو وتسمى بقيل وكان غسان تورخ
بعام السد حين ارسل الله عرم السيل وارخت العرب
اليمانيه بظهور الحبشه على اليمن ثم بغلبه الفرس عليه وارخت
معد بغلبه جرهم العماليق واخراجهم عن الحرم ثم ارخوا بعام
الفساد وهو عام وقع فيه بين قبايل العرب تنازع في الديار فنقلوا
منها وافترقوا عنها ثم ارخوا لحرب بكر وتغلب ابني وايل وهي
حرب البسوس ثم ارخوا بحرب عبس وذبيان ابني بغيض
وهي حرب داحس والغبرا وكانت قبل المبعث بستين سنه
ثم ارخوا بعام الخنان قال النابغه الذبياني

فمن يك سايلا عني فاني من الفتيان في عام الخنان

وارخوا بعده من مشاهير ايامهم واعوامهم بعام الخانق وعام
الزنايب ويوم ذي قار وبحرب الفجار وهي اربع حروب ذكرها
المورخون واسندها الراوون وادنى ما ارخوا قبل الاسلام بحلف
الفضول منصرف قريش من حرب الفجار الرابع وبحلف المطيبين

وهو قبل حلف الفضول ثم بعام الفيل الجارد والفرني لتاريخ الاسلام
وبعده خرج امام الجمعه فطويت الصحف وجفت الاقلام واظهر
الله على الاديان الدين القيم ونسخ تاريخ الهجره كل تاريخ متقدم
فامن وقوع الخلف الواقع في تواريخ الامم وجبت الهجره ما وقع
قبلها جب الانوار الظلم ودفع الله الناس بعضهم ببعض واستدار
الزمان كهيئته يوم خلق السموات والارض وسال الله عباده
على يد وكيل حقه من الاموال والانفس ما يعيده اليهم مضاعفا
من القرض ووقت هذه الهجرة الوقت الذي امر به امر
الاسلام ويومها الذي ما ولدت الليالي مثله من بينها الايام
وعامها العام الخاص بالفضل وكلما بعده بعد من عوام الاعوام
وانا ارخت بهجره ثانيه تشهد للهجره الاولى بان امدها
بالقيامه معدوق وبان موعدها الموعد الصحيح غير المدفوع
والصرح غير المنذرق وهذه الهجره هي هجره الاسلام الى البيت
المقدس وقايمها السلطان صلاح الدين ابو المظفر يوسف بن ايوب
وعلى عاملها يحسن ان يبني التاريخ ويتسق ويسفر عن اهلتها دراري
المراد ويشرق وهي وان كانت الى القدس ثانيه فقد كان اثني عن
وطنه لما سنه يد الكفر ثانيه وهذه الهجره التي الهجرتين وهذه

الكرة بقوة الله اقوى الكرتين فان العرب كانت اذا انبا هت
في وصف الرجل بالقوة قالت كانه يستر تم جبر والجو يقول ان
اطول الجبانين حياة المرء اذا مات ثم ينشر والعيان يشهدان
انحر السورين ما عمر بعد ان تعمر والبرق من دوح الشام
في هذا العصر وس فتوحه في اول الامر تبين نبين الخيط الابيض
من الخيط الاسود من الفجر فان الشام فتح اول والعهد بالرسول
صلى الله عليه وسلم بعيد والوحي ما كاد يتعطل في طريقه من السما
الى الارض بريد والعيون التي شاهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم
تسل سيوفها من اجفانها والقلوب التي شهدت مواقف معجزاته
او تو بخبره في الفتح منها بعيانها فرسل عالم الغيب الى عالم الشهادة
بالايات المونقة مختلفة وبجرات السما الى الارض متصلة بالملايكة
منزلة ومسومة ومردفة وقد اخبرهم سيدنا وسيدهم ان الارض زويت
له مشارقها ومغاربها وانه سيبلغ ملك امته المنوبة المرحومة ما
ضمت عليه حوانيها والروم حينئذ بغاث ما استنسر والفرس
يومئذ رخم ما استنسر والحديد ما تنوعت اشكاله الرابعة
ولا طبعت سيوفه هذه القاطعة ولا نسجت ثيابه هذه المانعة
والبروج لا تعرف الامشيدة لا مخلدة والمجنيقات لا تو ثب ما

يتوثب اليوم من حشيها المسندة والاقران لا تتراجم شيان المدكاة والاسوار
لا تناطح بالكباش المشلاة وتصابر السلف الصالح رضوان الله عليهم يقابل
بها لو كانوا عزلا والواحد منهم بشوق العشرة كما تساقون الى المواقف
عراة عزلا وكانوا احرص على الموت منا على البقا وكان شوقهم الى
لقا الله باعثهم على لقاء الاعداء بذلك اللقا والشام الان قد فتح حيث
الاسلام قد وهن العظم منه واشتعل الراس شيبا وهو في شبابه واستشزر
اديمه وقد عاد غريبا كما بدا غريبا وقد اطلع شرف الست المايه وهي الملك
المعتزل وكثرت معايرته بما نصب الشرك من الشرك واخلق الجديدان
ثوبه وكان المنشئ وذوي غصنه وكان الرطيب ونصلت له وكان
الخصيب وطال الامد على القلوب فقست ورانت الفتن على البصائر
فطمست ٥ وعرض هذا الادنى زاغ عنه واصبح حبه ومتاع
هذه الحياة القليل قد شغل عن الحظ الجزيل في الاخرة نسيئة والكفار
قد حشدت عرابكهم واتسعت ممالكهم واستمروا في الضلال
واستنبعوا للقتال وخرجوا من ديارهم يخطبون داعية الموت
ونفروا من ورا البحر يطلبون امامهم من البر ما يشبه الصوت وقاتلوا
حمدا ورغبة واستباحوا الانفس الابية ما عادوا له عدة
والعدد على كل لسان لكل قوم مدة ٥ ٥

اذا عجزت ايامه مقادير قدرت وما العجز الا ما تجر المقادر
واني الله من يقبل عذرا صحيحا دنى بلفظه النبوه لو ما صرحا فلما اراد الله
الساعه التي جلاها لوقتها واظهر الايه التي لا خفا لها فقول هي الكبر
من اختها افضت الليله الماطله الى فجرها ووصلت الدنيا الحامل الى تمام
شهرها وجات بواحدها الذي يضاف اليه الاعداد وما لها الا الذي
له السما خيمه والحبك اطناب والارض بساط والجبال اوتاد والشمس
دينار والقمر درهم والافلاك خدم والنجوم اهلا لصلاح الدنيا والدين
ومهما دعونا فان الله قد سبق اليه كوننا ورانا من منا نا وبن كرمه
نونا فهو سبحانه اكرم منا لحا النوال والكرم بكرم الله مجري والسائلت
عن الدعا له ملغي فان فيما احسن الله اليه فقد قال ان الله لا يضيع اجر
من احسن عملا وان علمنا جزاه الله بالاحسان فقد قال هل جزا الاحسان
الا الاحسان وان قلنا هداه الله سبيله فقد قال والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا وان قلنا لا اضيع الله له عمله فقد قال فاستجاب لهم ربهم
اني لا اضيع عمل عامل منكم وان قلنا لا جعل الله عليه لدهر سبيلا
فقد قال ما على المحسنين من سبيل وان قلنا زاده الله هدى فقد قال
والذين اهتدوا زادهم هدى ٥
كل سول سايل في معاليه قد كمل

لا يسل منه سايل سبق الجود ما سال
ولنصح باملا نجد الله قد فعل
ونعود الى ذكره اعز الله ذكره فنجاد الى ان لم يبق مال ولا امل ولا نايل
الى ان لم يبق سيف ولا فتل ولا كف فتح على يديه فتح وما هو فتح واحد
ما هو الا افتتاح فتح والدر ذايب دفع والذهب جامد فما البلاد التي
جمعها فانجا باعرب من البلاد التي فرقها ما نجا فقد استوعب باسه
الترمما ولذته المعادن حديدا وزاد لانه ضرب بالسيوف التي كسرها
ثم ضربها واستوعب جوده الترمما ولذته المعادن ذهبا وزاد لانه نقل
الى الاعدا ثمن سلع ثم بها فوهبها فكل معاد في معادا الا هذا المعاد
وكل مداد يكتب به اسود الا هذا المداد افسحر هذا ام انتم لا
تبصرون اما يرى الناس ما على وجه الصدق من قبول الفراح وما
على يد الجود من قبل المداح ٥
الناس اكيس من ان يمدحوا ملكا ولم يروا عنده اثار احسان
وانا لنرجوا ان يكون قد لبسنا بمدحه مع الصادقين الذين امر الذين
امنوا ان يكونوا معهم وان يكون قد كتبنا مع المحسنين لانا احسنا
وصف احسان الله الى عباده ولم يقطع بنا ما قطعهم وانا وان كنا عباه
ليرى انفسنا ملوكا ويرى الملوك له سوقه وان القلم في ايدينا ليقهر

طربًا لذكره دابه جان وكان السيف يشنع بانه فوقه ولسنا نسميه
قصرًا وان جدع انفه ولذا نزلبه كما ركبت قيصر العصا الى ان وصف
هذا السلطان ليدرك وصفه ونقول للقلم اذا فاخره السيف ان
شانيك هو الابتر ونزيد اذا اوردناه وصف مولانا انا اعطيناك
الكوثر على ان هذا القلم يلزم لذكره اعلاه الله فيبشر راسه
ويقبل بين يديه كما يقبل حامله قرطاسه ولست سعيد في تفنيد هذه
المفاخر وتشييد هذه المآثر من رجال الطعن والضرب الذين فتحوا بين
يديه دارجبوا الخوف عليه بل خفي من خوفهم ادجه داوجب وقلمي من
سيوفهم اضرى واضرب ومن رماحهم اخطى واخطب ومن سهامهم
انجى وانجب ومن قسيهم انسى وانسب ومن جيادهم اسرى واسرب
ومدادي من نقعهم اعلى واغلب وقرطاسي من راياتهم اجلى واجلب
وسيوفهم قد اغمدت وجردت منه ما لا يغمد ولا يغمد واثار
السيف من الجراح قد رقا دمها واثاري من الذكر لا تمحل ولا تمحي

وما السيف اسوى ضربة من لسانيا

فكل اثر خبر به غيري يموت الخبر بموته وينقطع صيت الاثر
بانقطاع صوته والذي اخبر به انا عنه روض يزهو اذا اقلعت الايام
سحبًا ونجم يبدو اذا افاض المشفق على فضة النجوم ذهبًا فهو فوق

يذكر ويثني كل فعل وفاعله لا اقول يوثر مما عاش اليوم عامله ثم لا ياتي
في غد الا حامله فهذه الكتب تهب الاعمار الثانيه وتفاخر الالسن القا بله
بها الايدي الفانيه الثانيه فانظروا الى ايوان كسرى وسينيه البحتري
في وصفه تجدوا الايوان قد خربت شعفاته وعفت شرفاته وتجدوا
سينيه البحتري قد بقي فيها رسم لكسرى في ديوانه اضعاف ما بقي شخصه في
ايوانه وانما نراوح بين الاوصاف العادية ونتاوب بين السمات السا ميه
للاشاره الى من ينبه على مسماه وينوه لسماه فاما من نقول الله
لاسمه انت من معقبات حمدي ونقول الدهر لذكره انت البا قي
من بعدي فانا نلتزم الادب بوصف فضله العظيم ونرفع قدر
القول بفضل وصفه الكريم ٥ وليسر الله بيده الفتو ح
وانزل بها الملايكه والروح في ايام سيدنا ومولانا الامام الناصر
لدين الله امير المومنين ابي العباس احمد بن الامام المستضي بالله ابي
محمد الحسن بن الامام المستنجد بالله ابي المظفر يوسف بن الامام المقتفي
لامر الله ابي عبد الله محمد بن الامام المستظهر بالله ابي العباس احمد
بن الامام المقتدي بالله عبد الله بن الذخيره محمد بن الامام القايم بامر
الله عبد الله بن الامام القادر بالله ابي العباس احمد بن الامام الامير
اسحق بن الامام المقتدر بالله ابي الفضل جعفر بن الامام المعتضد بالله

ابي العباس احمد بن الموفق ابي احمد طلحه بن الامام المتوكل على الله ابي الفضل
جعفر بن الامام المعتصم بالله ابي اسحق محمد بن الامام المهدي بالله ابي عبد
الله محمد بن الامام المنصور ابي جعفر عبد الله بن العباس صلوات الله عليه
وعلى ابايه الطاهرين والخلفا الراشدين ومنى الايام التي زواهر ايامنا
زواهٍ ومضا مضاربها القضا مضاءٍ فما اجلها فضلا وافضلها اجلالا
واقلها جدا واجدها اقبالا واقربها ندى ونوالا وابعدها مدى
ومنالا وما اعلى سنا مجدها واحلى جنا رفدها وانعم ربا رياض فضايلها
وانقع حيا حياض فواضلها واسمح سما سماحها امطارا واصبح جناح
نجاحها مطارا والسلطان صلاح الدنيا والدين ابو المظفر يوسف بن ايوب
ناصر دعوته وداعي نصرته ووليه الطايع وسيفه القاطع والمجلي
بامره والمومن بحكمه فرايت ابدا ميامن هذه الايام الغر على
الاباد بغرر الاداب وقيدت شوارد معانيها وسيرت محامد
معاليها بيد الكتاب واودعته من فوايد الكلام والفرايد الفرادى
والتوام در السحاب ودر السخاب وسميته الفتح القدسي
تنبيها على جلالة قدره وتنويها بدلالة فخره وعرضته على القاضي
الاجل الفاضل وهو الذي في سوق فضله يعرض بضايع الفضايل
فقال لي سمه الفتح القسي في الفتح القدسي فقد فتح الله

عليك فيه بفصاحة قس وبلاغته وصاغت صيغة بيانك فيه
ما يعجز ذوو القدرة في البيان عن صياغته ولما كان هذا
الفتح في سنة ثلث وثمانين وخمس مايه بدات بها وابنت بواضي
سنيها ولا شهدت الايام شاهدته وشهدته ولا استمطرت
الاعماد العهد الذي عهدته وما عنيت الا بايراد ما عاينته
ولا بنيت القاعدة الاعلى اس ما بينته فبنيته وما توخيت الا
الصدق وما انهيت الا الحق ولا ذكرت كلمة تسقط ولا
اعتمدت الاعلى ما يرضي الله ويسخط وبالله التوفيق والعصمة
ولله الحمد والمنه

دخلت سنة ثلث وثمانين وخمسمايه

كتب السلطان الملك الناصر صلاح الدنيا والدين يوسف بن ايوب
الى الاقطار والبلاد يستدعي من جميع الجهات جموع الجهاد واهل الاستعداد
اهل الاستعداد واستحضر للغزو من البدو والبدو وبرز من دمشق
يوم السبت مستهل المحرم قبل استنجاد الجنود واحتشاد الحشود
واصحاب الاسود واحضار البيض والسود مضي العزم ماضي العزم
صايب السهم ثابت الفهم ثابت السعود كابت الحسود وخيم على

قصر سلامه من نصري ولف يده الطولى من الفرنج اليد القصرى فاقام على
ارتقاب اقتراب الحجاج وقد رتب الفرنج من الارصاد افواجا على مالك
الفجاج لاسيما ابرنس الكرك فانه كان حريصا على الدرك ناصبا شرك
الشرك نصب الشرك فلما شم ذلك الذيب رايحة الاسد عاد ودخل
حصنه حذار خروج زوجه الجد   ووصل الحاج في اول صفر
وقد قضوا حاجهم ورضوا مناهجهم وخرجوا عن فرضهم ودخلوا الى ارضهم
وفرغ القلب من شغلهم وخف ما لزم من ثقلهم وانتظر السلطان وصول
العسكر المصري المستدعى ورعى منه حصول العدد المسترعى فابطا عليه
وروده واختلفت في الاسراع وعوده فامر ولده الملك الافضل نور الدين
عليا ولم يزل مكانه عنده عليا ان يقيم على راس الامرا براس الماء ويجمع
العساكر الواصله منه تحت اللواء وتقدم السلطان في اتباعه واشياعه
الى الكرك وضياعه فاقام عليها يرهق ويزهق ويخرب ويحرق ويرعد
بصاعقه باسه ويبرق حتى الحق الموجود بالمعدوم واتى بالقطع على
البساتين والكروم ورعى الزروع وعرى الفروع واستاصل الاصول
والفروع حتى اقوت من الاقوات بيوتا واستعرت الغله بغلا سعر الغلات
وحلت اجال الارزاق واخلت عرى الارماق واقفر بلد الكرك
وامتلى من الكرد والترك وسار الى الشوبك فاسار به شوبا

والجفة من عراه ثوبا واخلاه من زرع ونبات واقوات وقوات واذهب
ضيا تلك الضياع وازال بقا تلك البقاع وجاس الخلال وداس الغلال
وقشر الثرى وبشره وجشر الردى ونشره وسلب قرار القرى وسكون
مسكونها ونجع الفرنج بكرمها وزيتونها فقد علم ليلها الاصباح وصباحها
الاصطباح ٥   ووصل عسكر مصر فتلقاه بالقريتين وفرقه
على اعمال الفليتين واقام على هذه الحاله في ذلك الجانب شهرين والملك الافضل
ولده مقيم براس الماء في جمع عظيم من العظماء وعنده الجحافل الحافله
والحواصل الواصله والعساكر الكاسره والقساور القاسره والبواتر
الواتره والخضرم الصرم والعرمرم العرم واللهام الملتهم والجيش
الجايش والترك والاكراد والجنود والبنود والاسود السود والفيالق
والفوالق والبيارق البوارق وبنات الاغماد قد برزت من خدورها
حبا لمعانقة العدى ظاميات الى ورد الوريد وما احسن حلي
الكفر على عرايس الهدى والعزم يستنهضه والعز يحرضه والدين يستبطيه
والنصر يستعطيه والقدر يحركه والظفر يدركه والكفر قد مات
من ذعره والاسلام قد منت بعذره وهو ينتظر امر امرايه بماياتيه
ويكتب اليه يقتضيه برايه بما رايه يقتضيه ولما استتم تاخر الامرا استشم
التاخير وقدم في الاقدام التبكير وانتهز الفرصه واحرز الحصه وانحى

وانتخب الانجاد الانجاد وجرد الجرد واستجاد الجياد وسرى السرية
السرية وامرها بالغارة على الغزة باعمال طبرية ومظفر الدين بن زين الدين
على كوجك المقدم المقدام والهمام الهمام والاسد الاسد والارشد
الاسد وعلى عسكر دمشق قايماز النجمي وعلى عسكر حلب بدلدرم اليا
روقي فساروا مدججين وسروا مدلجين وصبحوا اصفورية وساء صباح
المنذرين فخرج اليهم الفرنج في جمع شاك وجمر ذاك وقطاريات
طايرات وشابريات سابغات وللرادي دوي وللاسبتاري هوي
وللباروني تقدم على البوار والتركبولي يلقي نفسه على النار وقد ثاروا
والثار قد وقد والجو بالغبار قد عقد وقد انصدع زجاج الزجاج وانجر
عجاج العجاج وانفض الفضا وانقض القضا وكادوا يفلون الجمع ويجمعون
الفل ويحلون العقد ويعقدون ما انحل فثبت قايماز النجمي في صدورهم
واشرع الاسنة الى نحورهم وردى اللهاذم من تامورهم وعطف مظفر
الدين يثلمهم ويفلهم ولا يكترث بكثرتهم ولقيهم واستقبلهم بالوجه
الابيض والعزم الانهض والجد الاجد والحد الاحد والجلي الغبار
وقد عم الفرنج القتل والاسار وفجع بقتل مقدمهم الاسبتار
وافلت مقدم الداوية وله خصاص ووقع الباقون ولم يكن لهم من القتل
محاص واخلفت رنة السرى انة الاسرى وكانت هذه النوبة

بلا نبوه والهيبة بلا هبوه وسكنت القلوب بهذه الحركة وركنت
النفوس الى هذه البركة وسارت البشارة وسرت ودارت النعمى ودرت
وعد ذلك من اقبال الملك الافضل وفضل الملك المقبل وحسنت السنة
بالنصر واحسنت الالسنة في الشكر هذا والعساكر في يوم تفرون
ويعيدون فيما يجدون الطريق اليه من النكاية في العدو ويجدون وجا
البشارة ونحن بالكرك وايقنت الامال بالنجح والدرك وسار سلطاننا
الملك الناصر صلاح الدين ووصل السير بالسرى وختم بعشترا فعمت
بشمول الخيول الوهاد والذرى واجتمع به ولده وقر عينا بشبل العرين
اسده وما رايت عسكرا ابرك منه ولا اكبر ولا اكثف للغزو ولا
اكثر وكان يوم عرضه مذكرا بيوم العرض وما شاهده الا من تلى
ولله جنود السموات والارض في الوية كانما عقدتها حور الجنان بخمرها
وبيارق كانما حبتها انف الرياض بزهرها ويوم كالليل عجاجا وكاليوم
ابتلاجا ومناصل بالمنى صلت وقساطل بالقسي طلت وفيلق لهام اللهام
يفلق وقلوب بما نيه رقاق في صدور الاعاد تعلق وطيور سهام
من اوكار الحنايا الى اوكار المنايا تمرق وسوابغ مفاضة وسوابق مرتاضة
وهضاب راسيات وهواضب ساريات ولما تم العرض حم الفرض
وتعين الجهاد وتبين الاجتهاد واضطربت السهول والوعوث

تنا

وانبعثت الهمم وهمت البعوث وسمع الفرنج بكثرة الجمع الجم وزخره اليم
الخضم وبروز التوحيد الى التثليث واستهاض الطيب لادحاض الخبيث
فخافوا وخابوا وهبوا وهابوا وعرفوا ان حزبهم مخذول وان غربهم مفلول
وان جندهم مهزوم وانه قد جاءهم ما لا عهد لهم بمثله وان الايمان
كله برز الى الشرك كله وقد كان بينهم حينئذ خلف منبعث وخلف
منبث ووقوع نفار بين الانفار ووفود شرار بين الاشرار ولما
استدنوا حين حينهم سعوا في اصلاح ذات بينهم ودخل الملك على
القومص لينهض له بالود الاخلص ورمى عليه بنفسه واستبدل وحشته
بانسه واصطحبا بعد ما اصطلحا واصحبا بعد ما جمحا وتزاوروا الفرنج
وتوازروا وتوامروا ما بينهم وتشاوروا وقالوا هذا دين منى دامنه
الوها هوى وعود اذا عاده الاذى ذوى فالمسيح لنا والصليب معنا
والمعمودية صفاجنا دي لوآبنا اللاوا ومعاودتنا الداوية الادوا
وطوارقنا الطوارق وبيارقنا البوارق وسيف الاسبتار بتار ولقرن
البارونية من مقارنته بوار ومعنا الدلاص والصلاد والصعاب
والصعاد وفي كل قطار قنطار ولكل بابري من اسنتنا مسمار
وقد عم بحرنا الساحل وسددنا المعاقد والمعاقل فهذه الارض
تسعنا بتسعين سنة وما تضيق بنا في هذه السنة وان ما جئنا

الى هذه الغاية من الاسوار اسوار هذه البقاع والامكنة وسلاطين
الاسلام ما صدقوا ان يسلموا الينا ويسالمونا ويبذلوا لنا القطايع
ويقاطعونا وطالما صفونا وما صافونا وهادونا وها دونا وفي
جمعنا تفريقهم وفي وقتنا تغويقهم فقال القومص وداريح با
مجربا متدبرا متدربا هذا صلاح الدين لا يقاس باحد من السلاطين
لتسلطه واقدامه على المخاوف وتورطه وان كسرتم فلا تبح لام الخبر
وليس الا المراوغة والمغاورة والصبر والصواب ان لا تخالطه ولا
تباسطه ولا تخالفه وتقبل شرايطه فقال له الملك انت قد
قلبك الافة دفي قلبك المخافة وانت للخور رخو وللخشية حشو
وانا لا بد ان اصده واصدمه واكدمه واكده وازايده حتى ارده
واقيم صليب الصلبوت فلا يقعد له من اهل الالحاد احد وامد يد
الايد لجمعي فلا تمتد لاهل الجمعة يد فقبل القومص قوله على مضض
وصحح ظاهره معه على ما كان في الباطن من مرض فلما احس الملك
بالوفا والوفاق وعدم اهل السفا ما وجدوه بينهما من الشقاق والنفاق
اشتغلوا بالحشد والحشر والطي والنشر

ذكر ما كان بين الملك والقومص من تكلف

لما هلك الملك اماري بن فلك في اخر سنة تسع وستين وخمس مائة خلف

ولد أمجد وما وكان مع الوجود معدوما وقد أعضل داؤه وأيس
شفاؤه وسقطت أعضاؤه وطال بلاؤه فوضع الفرنج التاج على رأسه
وتمسكوا مع أمراضه بأمراسه وتحوا في ضرمه وسئموا أبو زمه وصحوا
بسقمه ورقوا في سلمه ورضوا بتقدمه وأبرزوه واركبوه وأقدموا
به وقدموه وهم يكثرون بحدي ملكهم هذا ولا يكثرون بجذامه
ويحمون حماه إلى أن حم حلول حمامه وبقي بينهم زهاء عشر سنين ملكا مطاعا
معانا من إشفاقهم وإنفاقهم مراعا فلما أحس بهلاكه وسكون حراكه
أحضر البطرك والقسوس والمقدمين والروس وكان له ابن أخت صغير
وعن التطاول إلى الملك قصير وقال لهم الملك في هذا ولكن القومص
يكفله مدة سني صغره وهو يستقل به بعد كبره فهو الآن لا
يستبد ومن أمر القومص يستمد فقبل القومص الوصية وجمع إليه
الأطراف الدانية والقصية وسكن بطبرية فإن صاحبتها تزوجت به
وطمعت في قوته وقربه وهلك الملك المجذوم وظهر السر المكتوم
وطمع القومص في الملك استقلالا لا بعدم موافقة الداوية وقالوا
بل نرى العمل بشروط الوصية فتمهل بالأمر وهو مغلوب وتفقد
اختياره فإذا هو مسلوب ورغب في مقاربة السلطان صلاح الدين
ليقوى بجانبه ويحظى من مواهبه فاشتد أزره واشتد أمره واستقل

بنفسه واستولى على جلسه حتى مات الملك الصغير فانتقل الملك
منه إلى أمه وبطل ما كان في زعم القومص ابن عمه وانتقل الملك إليها
واجتمع الفرنج عليها فقالت لهم زوجي أقدر وهو أحق بالملك وأجدر
وأخذت التاج من رأسها فوضعته على رأسه وعاش رجاؤه بعد
يأسه وراش غناؤه بعد إفلاسه وانتاش إبليسه بعد إبلاسه
وقامت قيامة القومص بإجلاسه وطالبه الملك الجديد بحساب
ما تولاه فما أجاب دعوته ولا لباه واستنصر عليه بسلطاننا الملك
الناصر وأقام بطبرية في زي المتطاول المتقاصر وضم إليه من الفرنجية
من استرغبه بما استماحه من سلطاننا واستوهبه وحث السلطان
على قصدهم ليرد إليه الملك ويجد له في نظم أمره السلك فلما اجتمعت
العساكر الإسلامية وتألفت منها الجزرية والديار بكرية والمصرية
والشامية جاء الملك حينئذ إلى القومص بنفسه وفتح له ما وجده
من وحشته وعدمه من أنسه وقال أصحاب القومص
له إن لم تنصره فنحن ما نخذل الدين ولا نكون بأيدينا مسلمين إلى المسلمين
وتمت بينهم ليوم المصاف المصافاة وزالت المنافرة والمنافاة

ذكر دخول السلطان صلاح الدين بالعسكر إلى بلاد الفرنج

اصبح بالمخيم عارضًا من العسكر بعارضٍ تجلجل وبحر بالعجاج عجاج
وخضم بالصواهل السوابح والمناصل الصفاح ذي امواج وقد رتب
ابطاله واطلابه وسحب على وجه الارض سحابه ونقل من الثرى
الى الثريا ترابه واطار من النسر الواقع من الغبار غرابه وقد نفر
حمام القتام وشدت للشدايد كتب الكتب على حمام الحمام
وحب ضلوع الخبايا على اجنحة السهام وتكفلت العوجا بالمعتدله
وضمت المنفلته الى المتفلته ووقفت الاوتار بالاوتار وثار كل
طلب لطلب الثار ۝ ووقف السلطان يوم العرض يرتب
العسكر ترتيبًا ويبوبه تبويبًا ويعبيه تعبيةً بعيدًا وقريبًا وقرر
لكل امير امرًا ولكل مقدام مقامًا ولكل موفق موقفًا ولكل امير مكانًا
ولكل قرن قرانًا ولكل جمر مطفيًا ولكل جمع مفنيًا ولكل زند موريًا
ولكل حد ممضيًا ولكل قضية حكمًا ولكل جنبة سهمًا ولكل يمين
مقبضًا ولكل بنان مقبضًا ولكل ضامر مضمارًا ولكل مغوار مغارًا
ولكل رام مرمًا ولكل نام منمى ولكل سام مسمى وعين لكل امير
موقفًا في الميمنة والميسرة لا ينتقل عنه ولا يغيب جمعه ولا
يغيب احد منه واخرج الجاليشية الرماة الكماة من كل طلب
ووصى كل حزب بما يقربه من حرب وقال اذا دخلنا بلد العدو

فهذه هيئة عساكرنا وصورة مواردنا ومصادرنا ومواقع اطلابنا
ومطالع ابطالنا ومشارع اسنتنا وشوارع اعنتنا وميادين جردنا
وبساتين وردنا ومواقف صفوفنا ومصارف وقوفنا ومرامي مرامينا
ومجالي مجالنا وقوى الامال بما بذله من الاموال وحقق في انجاز
المواعد وانجاح المقاصد رجا الرجال وجمع العدد وفرق العدد
ووهب الجياد واجاد المواهب ورغب في العطايا واعطى الرغايب
ونثر الخزاين ونثل الكناين وانفق الذخاير واستنفد كرايمها
والاخاير وقسم اجمال النشاب فعرف الناس منه باكثر من ملى
الجعاب واجرى الجرد واحمى الاجياد واذكى المذاكي واشهد الاشهاد
واداء المناقب المقانب واستمال معاطف المعاطب وقوى القواطع
وروى الروايع وعاد الى المخيم مسرورًا مجبورًا مقبولًا مبرورًا مؤزرًا
مشكورًا وقد رتب ورتب وقبت وكتب وثبت وبيت وقد
بر عمله وابر امله وفاح نشره ولاح بشره وبارح رتباه وتبلج
محياه وايقن بالظفر وظفر باليقين وامن الى الدعوة المستدعية
للتامين وتيمن بافضاح عرايه المايمين وايضاح اعرابه في افضا
دين الدين وانس بهجة الخيل ولهجة الخير وسر سره بما يسوى له
من وجه التيسير وشد حزم الحزم وجد في العزم الجزم وقدم الاسراج

للاسراء والجم الغراب للعراء ورحل يوم الجمعه سابع عشر شهر
ربيع الاخر والتوفيق مسايره والتاييد موازره والتمكين مضافره
والسعد مظاهره والجد مكاثره واليمن محاضره والعز مسامره
والظفر مجاوره والاسلام شاكره والله عز وجل ناصره وسار على
الهيه التي قدمنا ذكرها من المقانب المقنبه والكتايب المكتبه
والمراتب المرتبه والمذاهب المهذبه والسلاهب المجنبه والصوا
المجعبه والقواضب المقربه والثعالب المدربه والهاذم الهادمه
والصلادم اللادمه والضراغم الضاغمه وخيم على خسفين
وقد اذن الله الخسف بالعدو وخسوفه وكسف الكفر وكسوفه
وبات والوجوه سافره والعيون في سبيل الله ساهره والايدي لسيوف
الابد شاهره والالسن لنعم الله شاكره والقلوب بالاخلاص عامره
والانفس للانس مسامره والاقدام بالاقدام متضافره متظاهره
ثم اصبح سايرا ونزل على الاردن بثغر الاقحوانه بعزم الصيال وعز
الصيانه واحاط بحيره طبريه بحرة المحيط وضاق ببساط خيامه
ذلك البسيط وبرزت الارض بقشيب اثوابها وتفتحت السما لنزول
الملايكه من ابوابها ورست سفن المضارب على تلك الاثباج وطمت
الاطلاب امواجا على امواج وانعقدت سما العجاج وطلعت فيها

انجم الخرصان والزجاج واعاد الاقحوانه رياضا نضره وحدايق مزهره
من فرس ورد وفارس كالاسد الورد ومشرفيات كطاقات الرياحين
وزنبيات كاشجار البساتين ورايات صفر تحفق كعذبات الياسمين
والويه حمر كشقايق النعمان وموصوفه زعف كالغدران ومصقوله
بيض كالحجال ومرشقه زرق كالاطيار ومحنيه عوج كالاقواس وبيض
تلمع كثغور الاقحوان وحبب تريك على نحور الدارعين وعقبان صوا هل
تروق وتروع الناظرين والسامعين والفرنج قد صفوا باتهم بصفور به
ولووا الالويه ومدوا على مدود الضوامر الزواجر قناطر القنطار بات
واوقدوا في ظلام القتام الثاير سرج السريكات وصوبوا الى
صوب قرى الاقران نبات الزنبيات واحاطوا من ازرهم بدوا برهم
وجمعوا الاسباب والاوباش ورتبوا الجيش وثبتوا الحاش وحشد وا
الفارس والراحل والرامح والنابل ونشروا ذوايب الذوابل وجبروا دا
ابطال الباطل ورفعوا صليب الصلبوت فاجتمع اليه عباد الطاغوت
وضلال الناسوت واللاهوت ونادوا في نوادي اقاليم اهل الاقانيم
وضلوا بالصليب الاعظم بالعظيم وما عصاهم من له عصى وخرجوا
عن الحد والاحصا وكانوا عدد الاحصى وصاروا في زها خمسين
الفا وبزيدون ويكيدون ما يكيدون فدنوا فوافوا على صعيد ووافوا

من قريب وبعيد وهم هنالك مقيمون لا يرمون حركة ولا يرتمون
والسلطان صلاح الدين في كل صباح يسير اليهم ويشرف عليهم
ويراميهم ويلح فيهم ويتعرض لهم ليتعرضوا له ويردوا سيوفه
عن رقابهم ويسلبوه عن شعابهم فربضوا وما نهضوا وقعدوا وما
نهضوا فلو برزوا لبرز اليهم القتل في مضاجعهم وعاينوا
مقام صارعهم في سوقهم الى مصارعهم وفرغوا مما فيه وقعوا
وجبنوا عما لله تشجعوا فراى السلطان ان يطيب ربه من طبرية
ويشرف على خطبها بالخطبة والمشرفية ويحوز حوزتها ويملك
مملكتها فجر على الاردن اردان الردينيات واطلع النقع المثار
من البحر بحوافر الاعوجيات واستسهل عليها ولم يستوعر سبات
العربات فامر عساكره وامرا جيشه واكابره ان يقيموا قبالة
الافرنج ويضيقوا عليهم واسع النهج فان خرجوا الى المصاف
بادروا الى الانتقام منهم والانتصاف وان تحركوا الى بعض
الجوانب وثبوا وثب الاسود بالارانب وان قصدوا طبرية لصو بما
وان يكونوا في عونها عجلوا الاعلام لتعجل اليهم الاقدام

ذكر فتح طبرية

ونزل على طبرية في خواصه وتدبر استخلاصه واحضر الجاندارية

والنقابين والخراسانية والحجارين واطاف بسورها وشرع في هد م
معمورها وصدقها القتال وما صدف عنها النزال وكان ذلك
يوم الخميس وهو بأم الخميس واخذ النقابون النقب فهدوه وهدموه
وتسلقوا فيه وتسلموه ودخل الليل وصباح الفتح مسفر وليل
الويل على العدو معتكر وامتنعت القلعة بمن فيها من القو مصيبة
لست طبرية وبيتها ولما سمع القومص بفتح طبرية واخذ
بلدة سقط في يده وخرج عن جلده وسمح الفرج بسبده
ولبده وقال لهم لا قعود بعد اليوم ولا بد لنا من وقم القوم
واذا اخذت طبرية اخذت البلاد وذهبت الطراف والتلا د
وما بقي لي صبر وما بعد هذا الكسر لي جبر وكان الملك فرحا لفه
فما خالفه ورافقه فما نافقه وما حضه فما ماذقه ووادده
فما رادده وواعده فما عاوده ورجل جمعه ونفره وشمعه وتعا لله
وشياطينه وسراحينه واتباع غيه واشياع بغيه فمادت
الارض لحركته وغامت السما من غبرته ووصل الخبر بان الفرنج
ركبوا ونابوا عن ثباتهم ووثبوا وعبوا ودبوا حتى
بذبوا وشبوا النار النار وقدموا للنزول بالدار البد ار
وذلك في يوم الجمعة رابع عشر ربيع الاخر فما لبث السلطان ان

حتى صدق عزمه بما سبق به حكمه وسر حين احاط بسرهم علمه
وقال قد حصل المطلوب وهل المخطوب وجانا ما نريد ولنا الحمد الله
الجد الجديد والجد الجديد والباس الشديد والنصر العتيد واذا
صحت كسرتهم وقلت واسرت اسرتهم فطبرية وجميع الساحل ما
دونها مانع ولا عن فتحها وازع واستخار الله وسار وعزم القرار
وجا يوم الجمعه رابع وعشرين ربيع الاخر والفرنج سائرين
الى طبرية بقضهم وقضيضهم ودنا بهم على البقاع في حضيضهم
وقد ماجت خضارمهم وهاجت ضراغمهم وطارت قشاعمهم
وثارت غماغمهم وسدت الافاق غمايمهم وساقت ضوارسها
جماجمهم وهم كالجبال السايره وكالبحار الزاخره امواجها ملتطمه
وافواجها مزدحمه وفجاجها محتدمه واعلامها مصطلمه وقد
حوى الجو وضوى الضو ودوى الدو والفضا منفض والقضا منقض
والثريا قد استرار الثرى وحرد بل الخيل قد برى البرى والحوافر
الحوافر للارض حوافر والفوارس اللوابس في البيض سوافر وديا
الزباد واجلاد الجلاد قد حموا كل عزة واحملوا كل عدة فرتب
السلطان في مقابلتهم اطلابه وقصر على مقابلتهم اربابه وحصل
بعسكره قدامهم وترتب على الحمله اقدامهم وحجز بينهم وبين الما

ومنع ذمامهم من الما وحلاهم عن الورد وصدعهم بالصد ذلك
اليوم قبط وللقوم عبط وتقد وقدت الهاجره فوقدتها غير هاجره
وشربت ما كان في اداواتها فهي على الظما غير صابره وحجز الليل
بين الفريقين وبات الاسلام للكفر مقابلا والتوحيد للتثليث
مقابلا والهدى للضلال مراقبا والايمان للشرك محاربا وهيات
دركات النيران وهيبت درجات الجنان وانتظر مالك
واستبشر رضوان حتى اذا اسفر الصباح وسفر الصباح وفجر
الفجر انهار النهار ونفر النفير غراب الغبار وانبهت في الجفون
الصوارم والتهبت الضوامر والضوارم وتيقظت الاوتار
ونعظ النار وسل الغرار وسلب القرار وخرجت الجنا لبنيه
تحرق بنيران النصال اهل النار ورنت القسي وغنت الاوتار
ورقصت مران المراد بجلا عرايس الجلاد وبرزت البيض من مكا بها
في الملا عاريه ورتعت السمر لكلا بها من الكلا راعيه فرجا
الفرنج فرجا وطلب طلبهم من الحرج مخرجا فلما خرجوا حرجوا
وبرح بهم حر الحرب فما برحوا وحملوا وهم ظما وما لهم سوى ما
بايديهم من ما الفرند ما فشوتهم نار السهام واشوتهم
وصممت عليهم قلوب القسي القاسيه واصمتهم واعجزوا وارعجوا

واحوجوا واحرجوا وكلما حملوا ردوا واردوا وكلما ساروا اوشدوا
اسروا وشدوا وما دبت عليهم نملة وما ذبت عنهم حملة واضطر
واضطربوا والتهفوا والتهبوا وناشبهم النشاب فعاد اسودهم
قنافذ وصافتهم السهام فوسعت فيهم الخرق النافذ فاووا الى
جبل خطير يعصمهم من طوفان الدمار فاحاطت بخطير بوارق
البوار ورشقتهم الحنايا وفشرتهم المنايا وفرستهم البلايا وقنصتهم
الرزايا وصاروا للردى دريا وللقضا رمايا ولما احس
القومص بالكسرة حسر عن ذراع الحسرة واقبل من العزيمة
واحتال في الهزيمة وكان ذلك قبل اضطراب الجمع واضطرام الجمر
واحتداد الحرب واحتدام الحرب فخرج بطلبه بطلب الخروج واعوج
الى الوادي وما ردان يعوج ومضى كومض البرق ووسع خطى حرقه
قبل اتساع الخرق وافلت في عدة معدودة ولم يلتفت الى رده مردوده
وغاب حاله حضور الوغى ونابه الرعب الذي نوى به الهزيمة
وما وني بل استعرت الحرب واستحر الطعن والضرب واحيط بالفرنج
من حواليهم من حووا اليهم ودارت دائرة الدوائر عليهم وشرعوا
في ضرب خيامهم وضم نظامهم فحطوا على حطين مضاربهم وفلت
حدود الرماة الكماة مضاربهم واعجلوا عن نصب الخيم ورفعها

وشغلوا عن اصل الجبال وفرعها وترجوا اخيرا فترجلوا عن الخيل
وتجلدوا وتجالدوا فخرقهم السيف خرق السيل واحاط بهم العسكر
احاطة النار باهلها ولجاوا الى حزم الارض فبلغ جرائمهم الطيش
من سهلها واسر الشيطان وجنوده وملك الملك وجنوده
وجلس السلطان لعرض اكابر الاسارى وهم يتهادون في
القيود تهادي السكارى فقدم بدايه مقدم الداوية وعدة
كبيرة منهم ومن الاسبتارية واحضر الملك كي واخوه جفري
واولك صاحب جبيل وهنفري والابرنس ارناط صاحب
الكرك وهو اول من وقع في الشرك وكان السلطان قد نذر
دمه وقال لا عاد عند وجدانه عدمه فلما حضر بين يديه
اجلسه الى جنب الملك والملك بجنبه وقرعه على غدره وذكره
بذنبه وقال له كم تحلف وتحنث وتعهد وتنكث وتبرم الميثاق
وتنقض وتقبل على الوفاق ثم تعرض فقال الترجمان عنه انه يقول
قد جرت بذلك عادة الملوك وما سلكت غير السنن المسلوك
وكان الملك يلهث ظمأ ويميل من سكرة الرعب منتشيا فآنسه
السلطان وحاوره وفثا سورة الوجل الذي ساوره وسكن رعبه
وامن قلبه واتى بماء مثلوج ازال لهفته واراح من العطش ما ارته

وناوله الابرنس ليحمد ايضا لهبه فاخذه من يده وشربه فقال السلطان
للملك لم تاخذ مني في سقيه اذنا فلا توجب له مني امانا ثم ركب
وخلاها ونار الوهل اصلاها ولم ينزل الى ان ضرب سرادقه وركزت
اعلامه وبيارقه وعاد عن الحومه الى الحمى فبانقه فلما دخل سرادقه
استحضر الابرنس فقام وتلقاه بالسيف فحل عاتقه وحين صرع
امر براسه فقطع وجر برجله قدام الملك حين اخرج فارتاع وانزعج
فعرف السلطان انه خامره الفزع وساوره الجزع وسامره الجزع
فاستدعاه واستدناه وامنه وطمنه ومكنه من قربه وسكنه وقال
له ردانه اردته وغدرته كما تراه عادته وقد هلك ببغيه وبغيه
وبادر بذحياته ووردها عن ورده وريه وصحت هذه الشره
هذه النصره يوم السبت وضربت ذله اهل السبت على اهل الاحد
وكانوا اسودا فعادوا من النقد فما افلت من تلك الالاف الا احاد
ولا نجا من تلك الاعداد الا اعداد وامتلا الملا بالاسرى والقتلى
وانجلى الغبار عنهم بالنصر الذي تجلى وقيدت الاسارى في الحبال واجبه
القلوب وفرشت القتلى في الوهاد والجبال واجمه الجنوب حطت
حطين تلك الجيف عن متنها وطال نشر النصر بنتنها وعرفت بها
فلقيت اشلا المسلولين في الملتقى ملقاه بالعرا عراه ممزقه

بالمارق مفصله المفاصيل مفرقه المرافق مفلقه المفارق مجذوفه الرقاب
مقصوفه الاصلاب مجدوعه الاناف منزوعه الاطراف معصاه
الاعضا مجزاه الاجزا مقطعه الهام موزعه الاقدام مفقوفه
العيون مبعوجه البطون مخضوبه الضغاير معصوبه المرابر مبريه
البنان مفريه اللبان مقصومه الاضالع مفصومه الاشاجع مرضوضه
الصدور مفضوضه النحور منصفه الاجساد مقصفه الاعضاد
مفلصه الشفاه مخلصه الجباه قانيه الذوايب داميه الترايب
مشكوكه الاضلع مفكوكه الاذرع مكسوره العظام محسوره
اللثام باديه الوجوه بادبه المكروه منشوره الابشار معشوره
الاعشار منشوره الشعور مقشوره الظهور مهدومه البنيان
مهتومه الاسنان مهرقه الدما مرهقه الذما هاويه الذرى
واهيه العرى سايله الاحداق مايله الاعناق مفتونه الافلاذ
مبتوته الافخاذ مشدوخه الهامات مسلوخه اللبات عديمه
الارواح هشيمه الاشباح كالاحجار بين الاحجار عبره لاولي الابصار
وصارت تلك المعركه بالدما داما وعادت الغبرا حمرا وجرت انهار
الدم المنهمر وسفر تلك الخبايث المظلمه وجه الدين المطهر فما اطيب
نفحات الظفر من ذلك الخبث وما اهب عذبات العذاب في تلك الجثث

وما أحسن عمارات القلوب بقبح ذلك الشعث وما أحرى أسلوب
البشاير بوقوع ذلك   هذا حساب من قتل وقد خلت
البتة الأيام عن حصره وعده   وأما من أسر فلم تكف أطناب الخيم
لقيده وشده ولقد رأيت في حبل واحد ثلثين وأربعين يقودهم فارس
وفي بقعة واحدة مايه وماتين يحميهم حارس وهنالك العتاة
عناة والعداة عراة وذوو الأسرة أسرى وأولوا الأثرة عثرى
والقوامص قنايص والفوارس فرايس وعوالي الأرماح رخايص
ووجوه الداوية الذاوية عوابس والرؤوس تحت الأخامص ومطالع
الأجسام ذوات المقاطع والمخالص فكم أصيد صيد وقايد قيد
ومشرك منتشر وكافر مفتكر وشلو منصف ومدنف ملتف
وجارح مجروح وقارح مقروح ومالك مملوك وهالك مهتوك
ومتبر مثبور ومحسر محسور وكاب في الكبول ومغال في
الغلول وجرح في الرق ومنطرح في أيدي الحق

ذكر الصليب الأعظم والاستيلا عليه يوم المصاف

ولم يوسر الملك حتى أخذ صليب الصلبوت وهلك دونه أوليا
الطاغوت وهو الذي إذا قيم ونصب ورفع سجد له كل نصراني وركع

وهم يقولون إنه من الخشبة التي يزعمون أنه صلب عليها معبودهم فهو
معبودهم ومسجودهم وقد غلفوه بالذهب الأحمر وكللوه بالدر والجوهر
وأعدوه ليوم الروع المشهود ولموسم عيدهم الموعود وإذا أخرجه
القسوس وحملته الرؤوس تبادروا إليه وانثالوا عليه ولا يسع
لأحد منهم عنه التخلف ولا يسوغ للمتخلف من أتباعه في نفسه التصرف
وأخذه عندهم أعظم من أخذ الملك وهو أشد مصاب لهم في ذلك
المعترك فإن الصليب السليب ما له عوض ولا لهم في سواه غرض
والتأله لهم عليه مفترض فهو إلههم وتعفر له جباههم وتسبح له
أفواههم يتغاشون عند إحضاره ويتعاشون لإبصاره ويتلاشون
لإظهاره ويتعاصون إذا شاهدوه ويتواجدون إذا وجدوه ويبذلون
دونه المهج ويطلبون به الفرج بل صاغوا على مثاله صلبانا يعبدونها
ويخشعون لها في بيوتهم ويشهدونها فلما أخذ هذا الصليب الأعظم
عظم مصابهم ووهت أصلابهم وكان الجمع المكسور عظيما والموقف
المنصور كريما وكأنهم لما عرفوا إخراج هذا الصليب لم يتخلف
أحد من يومهم العصيب فهلكوا قتلا وأسرا وملكوا قهرا وقسرا
ونزل السلطان على صحرا طبرية كالأسد المصحر والقمر المبدر

ذكر تسليم طبرية

وندبت الى حصنها من تسلمه امانا واستلته بعد الكفر ايمانا وكانت
الست صاحبة طبرية قد حملته ونقلت اليه كل ما ملكته وحوته
فامنها على اصحابها واموالها وخرجت بنسائها ورجالها وسارت الى
طرابلس بلد زوجها القومص بمالها وحالها وعادت طبرية اهله
امنة باهل الايمان وعين لولايتها صارم الدين قايماز النجمي وهو من
الاكابر الاعيان هذا والملك الناصر نازل ظاهر طبرية وقد طبق
البرية وعسكره قد طبق البرية ٥

ذكر ما اعتمده في الاسارى الداوية والاسبتارية ٥

فلما اصبح يوم الاثنين
من ضرب رقابهم واعطا بشر الوجوه ما اعطاهم
سابع عشرين شهر ربيع الاخر بعد الفتح بيومين طلب الاسارى من
الداوية والاسبتارية وقال انا اطهر الارض من الجنسين
النجسين وجعل لكل من يحضر منهما اسيرا خمسين دينارا فاحضر العسكر في
الحال مائتين وامر بضرب اعناقهم واختار قتلهم على الاسر وكان
عنده جماعة من اهل العلم والتصوف وعدة من ذوي التعفف
والتقشف فسال كل واحد في قتل واحد وسل سيفه وحسر
عن ساعده والسلطان جالس ووجهه باشر والكفر عابس والعساكر

صفوف والامرا في السماطين وقوف فمنهم من فرى وبرى
فشكر ومنهم من ابى ونبا فعذر ومنهم من يضحك منه وينوب
سواه عنه وشاهدت هناك الضحوك القتال ورايت منه القوال
الفعال فكم وعد انجزه وحمد احرزه واجر استدامه بدم اجراه
وبر اعتق اليه بعنق براه ونصل خضبه لنصر خطبه واسل
اعتقله لاسد عقله وداء ادواه بدواء اذواه وقوة لهداه
قواها ولوا نشره للا ولو اطواها وكفر اماته لاسلام احياه
وشرك هدمه لتوحيد بناه وعزمة امضاها لامة ارضاها
وعدو قصمه لولي عصمه وسير ملك الفرنج واخاه
وهنفري وصاحب جبيل ومقدم الداوية وجميع اكابرهم
المأسورين الى دمشق ليودعوا السجون ويستبدل حركاتهم
السكون وتفرقت العساكر بما حوت ايديهم من السبي ايدي
سبا وخمد جمر جمع الكفر وخبا والله الموفق ٥

ذكر فتح مدينة عكا

ورحل السلطان ظهر يوم الثلثا ظاهرا على اهل التثليث
مديلا للطيب من الخبيث وسار عسكره وثار عثيره وظهرت
راياته وبهرت اياته ونعرت كوساته وصاحت بوقاته وجالت

خيوله وسالت سيوله وطلعت في سماء العجاج نجوم خرصانه وقلعت
قلايع تلك الجبال فرسانه وحفرت حوافر الصلادم اصلاب
الصلاد الصلاب وفتحت باعراب الجماح صواهل الجياد العراب
والاسنه مشرعه والاعنه مشرعه وبحور السوابح متموجه
وغدران السوابغ مترجرجه واوضاح الجرد وغررها باوضاح
النصر وغرره متبلجه ونزل عشيته بارض لوبيا لداعي الفتح ملبيا
ولجيش النصر معبيا ولمولود الملك العقيم بتلقيح الحرب العوان
مترتبا وبات بها معرسا بانيا على عروس الظفر جانيا لثمار
الاماني من غروس البيض والسمر واصبح وقد اصحب جماح الدهر وسمح
نجاح الامر وحص جناح الكفر واسفر فجر الفرج وسفر صبح البهج
وسار سارا سيره بارا بارباب الدين بره اسوده طايره بنوده
ظاهره وجنوده زاهره حدوده سامية اضواوه هامية انواره
رايعه مواكبه رايقه مراكبه محنيه عتاقه مدربه وكان امير
المدينه النبويه صلوات الله على ساكنها في موكبه وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم سير الفقيه الى نصرته من يشري به بتربه وهذا الامير عز الدين ابو
فليته القاسم بن المهنى الحسيني وقد وفد في تلك السنه اوان عود الحاج
وهو ذو شيبه تقد كالسراج وما برح مع الملك الناصر ميمون الصحبه مامون

المحبه مبارك الطلعه مشاركا في الوقعه فما تم فتح في تلك السنين
الا بحضوره ولا اشرق مطلع من النصر الا بنوره ورايته ذلك اليوم
للسلطان مسايرا ورايت السلطان له مشاورا مجاورا وانا اسير
معهما وقد دنوت منهما لسماعي واسمعهما ولاحت اعلام
عكا وكان بارق الفرج عليها السنه بنشى وكان غربان
النيران نضا عدت لعذاب اهلها وقد توافرت عساكر الاسلام
اليها من وعرها وسهلها فلما قرب منها خيم وراينا وادنت
عروش معاشر الشرك ثلمها وعقود معاقد شرك الكفر
حلها واصبح يوم الخميس وقد زلت في خميسه ووقف ذا الاسد
في عرينه فخرج اهل البلد يطلبون الامان ويبذلون الاذعان
فامنهم وخيرهم بين المقام والانتقال ووهب لهم عصمه
الانفس والاموال وكان في ظنهم انه يستبيح دماهم ويسبي
ذريتهم ونساهم وامهلهم اياما حتى ينتقل من يختار النقله
واغتنموا تلك المهله وفتح الباب للخاصه واستغنى بالدخول
الى البلد جماعه من اهل الخصاصه فان القوم ما صدقوا من
الخوف والفزع المزعج والفرق المحرج كيف يتركون دورهم
بما فيها ويسلمون وعندهم انهم اذا نجوا بانفسهم فانهم يغنمون

تترك معظمهم المدينه وعندهم انه ما كسب السكينه الا من ركب
السفينه وذلك ان الجند لما دخلوها استولوا على الدور ونزلوها
وركز كل منهم برقه على دار فكان صاحبها يخف المقام مع الا
شد في غابه ولا مقام على زاره وكان السلطان جعل
للفقيه عيسى الهكاري كلما يتعلق بالداويه من منازل وضياع
ومواضع ورباع فاخذها بما فيها من غلال ومتاع ووهب
عكا لولده الافضل فاجراها من نظره على الاحسن والاجمل
ودخلنا يوم الجمعه مستهل جمادى الاولى فاقمنا بها الجمعه ووصلنا
فريضتها المنقطعه واعدنا الكنيسه العظمى مسجدا جامعا وعاد نور
الهدى الخافي بالضلاله لامعا وحضر القاضي الاجل الفاضل
وامر بترتيب القبله والمنبر وتبسم بما منه الاسلام بعد الاظلام
سنا الصباح المسفر وخطب جمال الدين عبد اللطيف ابن الشيخ
ابي النجيب السهروردي فانه تولى بها القضا والخطابه وملانا
بعد الذباب بالاساد الساده تلك الغابه وخلى سكان البلد
دورهم ومخزونهم ومدخورهم وتركوها لمن اخذها ونبذوا ما
حووه لمن حواها وافتقر من الفرنج اغنيا واستغنى من اجنادنا
فقرا ولو ذخرت تلك الحواصل وحصلت تلك الذخاير وجمع

لبيت المال ذلك المال المجموع الوافر لكان عدة ليوم الشدايد
وعمدة لنجح المقاصد فرتعت في خضرايها بل صفرايها وبيضايها سوارح
الاطماع وطال لمستحليها ومستحليها الامتاع بذلك المتاع واقام
السلطان بباب عكا على التل مخيما وعلى فتح ساير بلاد الساحل
مصمما ولمملكتها متمما وكان قد كتب الى اخيه الملك العا دل
سيف الدين ابي بكر وهو بمصر بما اتاح الله له من النصر وقضه له
من اقتضاض الفتح البكر فوصلت البشرى بوصوله باشرا وللوا
الحمد ناشرا ولاستفتاح ما طريقه من الحصون مباشرا وانه فتح
حصن مجدل يابا ومدينه يافا عنوة واغتنمها غزوة وتسلمها
حظوة فقصده من عسكرنا القصاد ووفد اليه من عندنا الوفا د
فحباهم بما حباهم من السبايا واتاهم بالمرتاع والصفايا وخصهم
من الحاصل بالنقود ووعدهم بما يستحصل بالسبايا وشرع
يستضيف حصنا فحصنا ويستقيض حسنى وحسنا ويسترد
بلدا ويسترد مددا ويستزيل من المهرب بدا ويستميل الى الهدى
هدى والدين بسيف سيفه منصور والاسلام بنصر ناصره
منصور مسرور والملك العادل مالك بعدله سالك في النجح
بفضله فايز العزمه حايز الغنيمه ماضي الضريبه قاضي

الكتيبه ميمون النقيبه مامول الرغيبه ٥

ذكر فتح عدة من البلاد ع

واقام السلطان ظافرا بنجحه ظافرا بمغنمه ظاهرا بكرمه
ساكرا عرام عرمرمه ملهبا ضرام مخذمه مرويا اوام لهذميه وامر
امراوه بقصد البلاد المجاوره وامدهم بالضراغم المراوغه
المغاوره ٥

فتح الناصرة وصفورية

فسار مظفر الدين كوكبوري الى الناصره ومعه حسام الدين
لمان فاستباح حماها واستبى دماها وحلها واستحلها وازالها
وازلها وخف اليها واستخفها واستنسفها ونسفها وشافهها بشفا
البواتر وسقى منها موارد الذخاير واجتلى عرايسها واجتنى
مغارسها وجمع نفايسها ونزع ملابسها واستنزل طيبها واستزد
سبيها واستقل منها بما استقل به من كل غانيه ورفيقه
رفيقه ومصابه مصبيه ومجلوه مجلوبه وسالبه
مسلوبه ودميه داميه وجاريه لطيفه بالعنف جاريه
واسيره من اسره وحاسره عن حسره وثاكله لواجدها
واكله لساعدها وعاضه على يديها وفاضه ختم الدمع على

خديها وناهده متنهده وفريده منفرده وناعمه شقيه
وقنيه نقيه وعذرا مفترعه وحسنا منتزعه ومختطفه
مختطفه وقويه مستضعفه وعزيزه ذليله وصحيحه عليله
وساجيه عبري وضاحيه سكري وعزيزه غرا وطيبه طميا
وغضيضه غضه وبضه منفضه وخماره مخموره وسحاره
مسحوره ومخدره ممتوكه وموقره منهوكه وجاوا الاسارى
بين يديه مقرنين في الاصفاد مقودين في الاقياد مسوقين
الى السوق والحديد منهم في الاعناق والسوق وصفرت صفوريه
من سكانها فلم يوجد بها صافر وكان بها من الذخاير مبلغ
وافر ٥

فتح قيسارية ع

وتوجه بدر الدين دلدرم الياروقي وغرس الدين
قلج وجماعه من الامرا الى قيساريه فافتتحوها بالسيف
وسلطوا على الانفس والنفايس ما حالهم الحتف والحيف وجبوا
وجبوا وسلبوا وجلبوا وجالوا ونالوا ووقذوا واخذوا
واجتنوا وارتووا وربطوا وضبطوا واستفادوا واستقادوا
وفرسوا الفوارس وكنسوا الكنايس واستبوا الابكار

العرائس والعون العوانس وتسلمت بعدها حيفا وارسوف
واستولى على تلك الاقمار والشموس الخسوف والكسوف

فتح نابلس

وسار حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين على سمت نابلس
جاسما بحسامه داء الشرك ماليا بسهام الفتك جعاب الترك
تاليا اى الفتح جاليا راى النجح ووصل الى سبسطية فتسلمها
وتعجل مغنمها ووجد مشهد زكريا عليه السلم وقد اتخذه
القسوس كنيسة واعادوها بالصور والالات النفيسة
انيسة واستخرج المصونات والمصوغات واستوعب
العدد والالات واعاده مشهدا ورده مسجدا ووضع فيه
من بره بالاسلام منبرا واصبح الدين مثريا والكفر مقترا ثم
اناخ على نابلس ونابت حده غير ناب وطرف جده غير كاب
وحد باسه طرير وناظر الدوله به قرير وكان من قبل سلب
ساكنوها من الفرنج والنصارى السكون وايقنوا انهم ان اقاموا
لا يامنون المومنون فان المسلمين بها وباعمالها نهضوا اليهم
في مواطنهم فاجفلوا من مساكنهم وانتقلوا من اماكنهم وخلوا
دورهم واخلوها وتسللوا منها وسلوها وتحول الاقويا

الى قلعتها وتحصنوا بقلعتها ونازلهم حسام الدين وحاصرها وطال عليه حصرها
وصابرها ولم يزل عليها مقيما ولقتالها مديما الى ان وثقوا بامانه
وعلقوا باحسانه وسلموا وسلموا واستامنوا وامنوا وحصلت لهم
نابلس واعمالها وجليت بما حوالها وللمومن معظم اهلها وجميع
سكان نواحيها مسلمين لم يسع الفرنج المتحصنين عند مضايقتهم الا
ان يكونوا لحصنهم مسلمين فانمحى بالسعود رسم النحوس ونزع عنها
لبوس البوس واستبشرت وجوه اهلها بعد العبوس وقام جاه
الاذان وانكسر ناموس الناقوس

ذكر فتح الفولة وغيرها

وكانت الفولة احسن قلعة واحصنها واملاها بالرجال
والعدد واشحنها وهي للداوية حصن حصين ومكان مكين وركن ركين
ولهم بها منبع منيع ومربع مريع ومسند مشيد ومهاد ممهد وفيها
مشتاهم ومصيفهم ومقراهم ومضيفهم ومربط خيولهم ومجر ذيولهم
ومجرى سيولهم ومجمع اخوانهم ومشرع شيطانهم وموضع صلبانهم ومورد
جمعهم ومرقد جمرتهم فلما التقى يوم المصاف خرجوا باجمعهم الى
مصرعهم وايقنوا بان الكرة لا تمكن من صفو مشرعهم فلما كسروا
واسروا وخسروا وحسروا خلت طلول الفولة بحدود اهلها المفلولة

ودماء اوتيتها المطلوله ولم تجمع شمل عمودها بالسيوف المسلوله ولم
يبق بها الا رعايا رعاع وغلمان واتباع واشياع شعاع فعدموا امكان
حمايه المكان ووجدوا امنهم في الاستيمان فسلموا الحصن بما فيه
الى السلطان وكانت فيه اخاير الذخاير ونفايس الاعلاق فوثقوا
بما احكموه من الميثاق وخرجوا ناجين ودخلوا في الزمام لاجين
وللسلامه راجين وتسلم جميع ما كان في تلك الناحيه من البلاد
مثل دبوريه وجنين وزرعين والطور والجون وبيسان والقيمون
وجميع ما للطبريه وعكا من الولايات والربض ومعليا والبعنه
واسكندرونه ومنوا ـــــــــــ ه

فتح تبنين

ولما خلصت الممالك والاعمال وقلصت من الضلال تلك الظلال
وصفت الممالك ووفت المدارك اوعز السلطان الى ابن اخيه الملك المظفر
عمر شاهنشاه تقي الدين بقصد حصن تبنين وان يتوكل على الله ويستعين به
فالقى عليه جرانه باسه ولقي بالتذليل جران باسه واخذ في مضايقته
بانفاسه ولمح ما لمع من قبس فتحه فسعف باقتباسه وسنح له فتحه
فاشراب بافتاصه وافراسه وكتب الى السلطان يبعثه على الوصول
اليه بعسكره والنهوض نحوه بابيضه واسمره فضرب اللوس وسمت

النفوس فانارت في ظلام القتام من الترك والتراك الاقمار والشموس
واشتعلت من شيب البيارق في شعاع تلك البوارق الروس وحرك ل
السواد تهميل النقا واشتبك على الاساد غيل القنا وسالت
الاوديه بالسابحات العتاق وطالت على السير اعناق الاعناق
ومالت الى الرقاب الغلاظ من اهل الكفر رقاب الرقاق وجرت
الفجاج وجرت الزجاج وتمرجت الامواج وتفوجت الافواج
وتحركت غدران السوابغ من رياح السوابق وتدركت ضوامر
الضوامر بالارفاد في ارداف الحق اللاحق واسفر من بريق البيض
والبيض فلق الفيالق وترنمت الصواهل وترنحت الذوابل وساح
الساحل وراح الراحل ووصلنا الى تبنين في ثلث مراحل فرمينا
التثليث بثالثه الاثافي واوطاناهم بشفاه الشفار على حدود الاسافي
ونزلنا عليها بالنوايب والنوازل وبسطنا من المجانيق عليها ايدي
الغوايل فتبلدوا من الرعب وتجلدوا على الحرب ثم خاروا وجاروا
وكاروا وحاروا ورغبوا ورهبوا واصحوا من سكر الجماح واصحبوا
وعجزوا وانجزعوا وفزعهم الحصر وفرغوا وشكوا الذنوب وندبوا
فدانوا ودنوا واذعنوا اذعنوا واعتذروا بما جنوا وراسلوا
السلطان وسالوا الامان واستمهلها خمسه ايام لينزلوا باموالهم

فامهلوا وبذلوا رهاين من مقدميهم ووفوا بما بذلوا واقلع من القلعه
عن الجمله وتعلق لبث الغلق بالمهله وتقربوا باطلاق الاسارى
المسلمين وترقبوا انقضا المدة لسلامة المسلمين فخرج الماسورون
مسرورين واصحب الصحب المكسورون مجبورون وسرتهم السلطان
وسرهم واورهم وقربهم وكساهم وحباهم واتاهم بعد ردهم الى مغانيهم
غنايم وهذا دابه في كل بلد يفتحه وملك يزحه انه يبدا
بالاسارى فيفك قيودها ويعيدها بعد عدمها الى وجوهها وكى
بعد الناس اما لها وتوسع ارزاقها بعد ما جال عليها ضيق الاسر
اجالها فخلص تلك السنه من الاسرا اكثر من عشرين اسير القيود
الف ووقع في اسرنا من الكفار مايه الف ولما خلوا القلعه واخلوا
البقعه سيرهم مع من العسكر المنصور من اوصلهم الى صور
ورتب في الموضع مملوكه سنقر الدوادى فارشد به ذلك الصقع
الغوى فان جبل عامله كانت محموله على الشر واهلها وان
وان كانوا مسلمين كانوا اعوانا لاهل الكفر فوصى سنقر بتانيس
النافر وتعكيس الكافر وتاليف الجافل وتعريف الجاهل وقال له
تبني تبنين ما هدم بالمنجنيق ونجد لسورها وخندقها كل ما
يمكن من التوثيق والتعميق ورحل ومعه رفيق التوفيق وكان

النزول على تبنين يوم الاحد حادي عشر جمدى الاولى وتسلمها يوم الاحد
الثامن عشر منه

فتح صيدا

يوم الاربعا الحادي والعشرين من جمدى الاولى يوم النزول
وسنحت له صيدا فتصدى لصيدها وكانت همته في قيدها وبادر
بها اشفاقا من مكر العداه وكيدها وسرنا وسرنا مرياح ونصرنا
متاح والجد جديد والمراح مزاح والعزم جزم والحكم حتم ونجاح
الفتوح لمناشق اهل الهدى تفوح ولمحات الردى لاعين العدى
تلوح ونص النصر قد نزل وقصد الصدق قد يعزل في قلب الكفر
قد نوزع وشرك الشرك قد تقطع وتعلع وظل الظفر ضاف وسر
السرور غير خاف والقدر عون والمعين قادر والنظر سعيد
والسعد ناظر واوجهنا بوجوه البشاير باشره ونوب النوايب
في اوجه المشركين كاشره والالسن بحديث الفتح الجديث ناشره
وقد جفت اجفانها البواتر الواتره وجلت ديباجه التقعر
لمعان الحديد السوافر الوافره واتصلت الممالك من الملايك
امداد النصر المتوالية المتواتره ووصلنا في يومين الى صيدا
ونحن الى منهل فتحها صادين وعن حمى الجحود وتبا لاهل الباطل

صادين ولما نزلنا من الوعر الى السهل سهل ما توعر وصفا من الامر
ما ظن انه تكدر فصرفنا الاعنه الى صرفند واسمنا في مسارحها
الجند وهي مدينه لطيفه على الساحل موروده المناهل ذات
بساتين واثمار ورياحين وازهار واشجار النارنج والاترج تعرب
ميلتها لجناتها عن احسان الفرج فجسنا خلالها ودل قلب
مشغول خلالها وراقتنا وشاقتنا تلك الحاله والحليه وقرتنا
بما استمينا من فواكهها تلك القريه ولم نعرج عليها حتى خيمنا
على صيدا وقد حصلنا على صيدها وخلصنا من كيدها وانطلقت
همنا من قيدها وقد جاءت رسل صاحبها بمفاتيحها واذهبنا
ظلماتها من الغرام الغر بمصابيحها وطلعت الرايه باليد البيضا
على سورها وجلت غياهب تلك المذاهب نورها وفتحت
ابوابها وعز مسلموها وذل مشركوها وسكن شانيوها وهلك
اهلوها وعادت معالمها ما هوله بعد ان كانت مقفرة مجهوله
وصح منبرها وصدق مخبرها وربح متجرها ووضح منظرها واقيمت
بها الجمعه والجماعه واستديمت بها بعد العصيان لله تعالى
الطاعه ٥

فتح بيروت

وكان النزول عليها يوم الخميس ثاني عشرين جمادى الاولى
وتسلمها يوم الخميس التاسع والعشرين منه ولما فرغ من شغل
صيدا وتبنين وجمع لهما التحصين والتحسين وكل لعصمه الله
شيدي ما بصيدا وتبنين تبنين والحقهما ردا الحمايه فما تضع
ما تحفظين ولا يطرق ما يحمين ثم صرف عنانه وارهف سنانه
ورحل على سمت بيروت ماليا بعسكره الاكام والمروت وسار
على الساحل بتلك الجحافل تنجر على البحر مايج وبحر على الهياج هايج
ونقل من عقد الجد رايج وعزم على صدق القصد عايج ووصل
اليها ونزل عليها وشنت النياب وطفا على خضم المعسكر من
الحباب وزحف الى الاعدا الاجاب وضويق البلد وفرق الجلد
واحاط الرجال بارجايه ورجمت بشهب النضال شياطين الضلال
في سمايه وانقضت نجوم السهام من ابراجه وتلاطم عباب
ذلك الجمع الجم بامواج افواجه وقد حل دونه الباس وتجلى
الباس واصطفت الزراس واشتد المراس واحتد القتال
واحتدم النزال وامتد المصارع واتصل الخروج الجروح ودام
احتراق الدوح على اقتراح القروح ومدت الحفاتي كانها اعناق
التجاني واني العاني وعني الابي واحمد النصر الموافي الموافي
ودارت كووس المنايا للارواح تحتذي وهاتي وطارت الفو اربر

وثارت المساعير واشتعل النفط واستعمل الرهط والنهم الرزاق
والنهب الحراق ومرق السهم الكمي مروق السهم من الرمي واى الوادى
قطم على القرى ودبت الدبابه بليوث الرجال وصبت الصبابه
غيوث النبال وارتجت رواعد الابطال وانتجزت مواعد الاجال
وجالت في الضماير صوامر الاوجال وهالت بالنوازل نوازى الاهوال
ورعدت بوارق البوار واسعدت الاقدار بالاقدار وشغلت
الرقاب قواضى القواضب وحملت العدد النواكب على المناكب
وخفت للاثقال اكتاف الفتاك وهتكت ستاير السور فوهت
اسوار الاسوار ودام القتال اياما يتضاعف اصطلا واصطلاما
ويتظاهر اضطرابا واضطراما وبنات الحنايا هايجة وامهات
المنايا نايجة ورجمت بشهب النفاطات شياطين الداوية
المردة وتعادت الاسود العادية على تلك الفريسة حتى خرق
الخندق وطرق وعلق النقاب بالسور فنقب وعلق وكان
النقب يتسع والبروج تقع والجدار ينقض والحجار يتفض
وترفض وسوار السور ينكسر وقناع النقع يحسر وخرج من البلد
رجال الى الموت عجال وقفوا دون الباشورة مباشرين ولمعاشر
اصحابنا معاطاة كؤوس المنايا معاشرين فتلاقوا بسلام السلام وكلام

الكلام وتصافحوا بالصفاح وتحاوروا بالجراح وتواصلوا بالقواطع
وتعانقوا بالمعانق وتصارعوا على المصارع وتجالدوا وتخالدوا وتوا نحوا
وتواقعوا وتعاقروا وتقارعوا والبيض تقد والبيض تقد والباسل
يرد والباس يرد والصقيل الصادى يصدى بالدم ويروى وحزب
الكفر يضعف وحزب الايمان يقوى وانحصروا في البلد وانحشروا
على اللدد وضاقهم الرعب وضاق بهم الرحب وذلوا وخاروا وضلوا
وحاروا ولما خام المقاتله وخذلوا ظن اهل بيروت ان المسلمين
دخلوا فاجفلوا الى البحر اذ عدموا سكينتهم ليركبوا سفينتهم وخلوا
مدينتهم فخرج احد المقدمين يستدعى الامان ويستعدى الايمان
ويطلب منا ان لا نعصمهم دما ما يحرمهم وعهدا يسلمون به ويسلمهم
وعقدا في عقد الامن ينظمهم وكنت يومئذ في مرض
قد ازعجني واعجزني ومضض احماني ولعيون العواد ابرزني وانقطعت
عن الحضور عند السلطان وضعفت عن تحرير كتاب الامان فطلب
السلطان كل كاتب في ديوانه وكل من يمسك قلما من افاضل
الملك واعيانه فلم يرضه ما كتبوه ولم يفقه ما رتبوه فجاءني في
تلك الحاله من استملاه منى ومرضت اذهان الاصحا ولم يمرض
ذهني فتسلم بيروت بخطى واصبحوا وانا الاخذ والمعطى وكان

الناس قد انسوا بما اسطره وازبره وانسوا سوى ما اذكره واخبره
والقوا الصحة فيه فالقوه ولقوا السقم في غيره فالقوه ولم يجز في
ذلك التوقيع تعويق بل كله بتوفيق من الله وتوثيق فما فتح فتح
الا بمفتاحه ولا رتق فتق الا باصلاحه ولا جلى ظلام الا اصباحه
ولا ورى زند الا باقداحه وكانت يومئذ جمرة الحر متوهجة
ووقدة القيظ متاججة وضرم مرضي ملهبا وروح روحي منتهبا
وبقيت مضطرا مضطربا ولقيت من ذلك الوصب نصبا وحملت
من الاقامة والسفر على الخطر والحذر وتعذر المقام بعذر السقام
واستعفيت عن الاشتغال بالالام وحملني احتيالي بنفسي على اخلائي
منصبي وعزمت على مفارقة السلطان وهو باعزازي على مواصلة
الاحسان فمضيت على مضض وانصرفت بمضرة ومرض وحملت
الى المنزل في محارة وحصلت بفضل الله من طيب هوائها بعد الثقل
خفة فتفضل الله بالشفا وبدل الكدر بالصفا وعدت الى
السلطان يوم فتح القدس وانست الوحشة الى الانس وتسلم
السلطان بيروت يوم الخميس التاسع والعشرين مطاع الامر مشاع
النصر مذاع السر في صوع النشر وتوضح البشر مستفيض السيادة
مستضيف الزيادة ناجح الارادة رابح العبادة راجح المجد واضح المفخر

قد شب غرب الهدى غارب العدى واستجدى من من الله منجا
واستعجل باستفتاحه فتحا واستفاد ملكا وببيروت اذ برت وابرى
لبري قوسها فابرت وقرر مصالحها ومناجحها فاستقرت وحصلت
اخلاف الفتوحات فدرت واستمرى صوب الصواب من غمايمه
وصرايمه فاستمرت ٥

فتح جبيل

يوم الثلثا السابع والعشرين من جمدى الاولى ووصل كتاب الصفي
بن القابض وهو يومئذ قد فوضت منه دمشق الى الكافي الناهض بمهمن
ان اوك صاحب جبيل اسير لديه في اسره واستشاره في امره وقال
له ان قنع مني بتسليم جبيل سلمت وسلمت والحمها اللهم وحرمت واخرجتها
من عصمتي وخرجت واعتصمت فانا اطلقها اذا اطلقت وازيلها
من وثاقي اذا وثقت فاجيب باحترازه مركبة فاحضر في صفده
وسمح ببلده فخلص ناجيا وملص راجيا وملكت مدينة جبيل وجرت
عليها الفتوح الذيل ونحن يومئذ على بيروت حاضرون حاصرون
ولاعدا الله مصابرون مثابرون وكان معظم اهل صيدا وبيروت
وجبيل مسلمين مسالين لمسالمة الفرنج مستسلمين فذاقوا العزة
بعد الذلة وفاقوا الكثرة بعد القلة وصدقت البشاير وصدقت

المنابر وترنمت المحاريب وتركت المطارب وتليت الآيات وجليت
العبادات وخربت الكنايس وعمرت المدارس وظهر عيب البيع وسمع جمع
الجمع وقرئ القرآن واستشاط الشيطان ونطقت الأعواد وحقت
الأعياد وخرست النواقيس وبطلت النواميس ورفع المسلمون رؤوسهم
وعرفوا نفوسهم وانتعشوا من شدة عثارهم واستشفوا من شوكة
عارهم وقروا في ديارهم وقروا أبصارا بأبصارهم وكان كل من استأمن
من الكفار مضى إلى صور محمي الذمار وصارت صور عش عشهم ووكر
مكرهم وملجأ طريدهم ومنجا شريدهم ومأمن جاشيهم ومكمن غاشيهم
وهي التي فر القومص إليها يوم كسرهم بل يوم حشرهم ۝

ذكر هلاك القومص
ودخول المركيس إلى صور ۝

ولما عرف القومص قرب السلطان منها أخلاها وخلاها وأوى إلى
طرابلس وثواها فما منع بما ملك وكان كما قبل ۝

راح يبغي نجوة من هلاك فهلك

فما النجاة الفرار من القضا وفر من البلاء إلى بلاده فوقع في البلاء
وظن أن صور قد خلت وأن مجانيقها جليت وأن حماتها دعت وأن
فاتحها أمكن وأن فرصتها انتهزت وأن حصتها أحرزت وأن قيادها
أطاع وأن مرتادها استطاع لكنها تعوضت عن القومص بالمركيس
كما تعوض عن الشيطان بإبليس فأدرك ذما الكفر بعد ما أشفى وأيقظ
روع الروع بعد ما أغفى وضبط صور بمن فيها من مفروري الفرنج
ومنفيها وكان المركيس من أكبر طواغيت الكفر وشياطينه وأضرى
سراحينه وأخبث ذيابه وأجشر كلابه وأمهر صلابه وأعوى عرانه
وأخون خوانه وأبغى بغاته وأجفى جفاته وأرعى حماته وأحمى رعاته
وأشر شراره وأنكر نكاره وأفجر فجاره وأروغ ثعالبه وألسب
عقاربه وأخبث معاهديه وأنكث معاقديه وهو الطاغية الداهية
الذي خلقت له ولأمثاله الهاوية ولم يكن وصل إلى بلاد الساحل
قبل هذا العام ولا حل بمقدمه الكفر غيره في الإقدام على خلاف
الإسلام واتفق وصوله إلى مينا عكا وهو لفتحها جاهل وعمن فيها من
المسلمين ذاهل فعزم على إرساء السفينة بالمينا ثم تعجب وقال ما أرى
أحدا من أهلها يلقينا ورأى زي الناس غير الذي يعرفه فارتاب
وارتاع وحدث عن الدخول توقفه وبان بدهمه وتأخر تقدمه
وسأل عن الحال فأخبر بها فتفكر في النجاة وكيف يعلو بسببها ثم رد
بالقرب فلبث على الرعب والهوا راكد والقضا عنه راقد فإنه
لو خرج إليه مركب لأخذه ولو وقف له قاصد لوقذه فاحتال

كيف يخرج بسفينته مع فقد سكينته وانتظر هبوب الريح
الموافقه فلم تهب ولا تم له الاقلاع على ما احب فسال عن البلد
ومن اليه امره ومن بيده نفعه وضره فقيل هو الملك الافضل
والملك الاكمل فقال خذوا لي منه امانا حتى ادخل وارفع اليكم
ما معي من المتاع وانقل حجي اليه بالامان وقيل هذا بعلامه السلطان
فقال ما اثق الا بخط يده ولا انزل الا بعهده الى بلده فما زال يتردد
الرسل ويدبر الحيل حتى وافقته الريح فاقلع وافلت من الشرك
بعدما وقع وصار في صور ورم الامور واجم الجمهور وجر الكفر
بعد حوره وبصر الشيطان بعد عماه وعوره فاستعلى بالخزي واستولى
بالبغي والبغي وارسل رسله الى الجزائر وذوي الجرائر يستدعي ويستعدي
ويستودع ملة الصليب عبادة ويسترعي ويستشير ويستنفر و يستغيث
ويستنصر وثبت في صور ونبت وجمع اليه من الفرنج ما تشتت وما
فتح بلد الا سار اهله في حفظ السلطان حتى يصيروا الى صور ويامنوا اهل
المحذور فاجتمع اليها البلاد المفتوحه بالقلوب المقفله المفروحه
فامتلات وكانت خاليه وانتبهت وكانت باليه وتعلت وكانت
معتله وتعقدت وكانت محلله وتشددت وكانت مختله ولم
يحفل بها واخر فتحها وما ظن بها الظن حتى علم شحتها فاستجدت

رمقا بمدده المهله وتصعبت بعد مقاديتها السهله فقضى امها لها
باهمالها وعادت عيونها الى الاعضاء باعفالها والهى عن طلبها ما هو
اشرف والعزم بفتحه اشعف وهو البيت المقدس فان فتحه من
كل فتح انفس والمرتبس في اثناء ذلك يحفر الخندق ويحكمه
ويعقد المرتوق ويبرمه ويجمع المتفرق وينظمه وسنذكر ما
تجدد منه في اوقاته وما فات من فرصه الامكان في دفع افاته ه

ذكر فتح عسقلان والداروم والمعاقل التي بالي ذكرها

وكان النزول على عسقلان يوم الاحد السادس عشر من
جمادى الاخره ولما فرغ السلطان من فتح بيروت وجبيل اثنى عنانه بجر
وجرى من العسكر والعثير على السما والارض الذيل والسيل وعاد
عابرا على صيدا وصرفند وفرا ورى باقتداح افراخه الزند وجا
الى صور ناظرا اليها وعابرا عليها غير مكترث بامرها ولا محدث
في حصرها ولا معتقد في تعقدها ولا مستند في تورددها وعلم ايضا
انها ممتنعه وعن سومها من نفعه فعمل بالحزم وعمد الى العزم ودلته
الفراسه على ان مجاولتها تصعب ومزاولتها تتعب فلبس بالساحل

بلد منها الحصن فعطف الاعنه الى ما هو اهون وكان قد استحضر
ملك الفرنج ومقدم الداويه وشرط معهما واستوثق منهما انه
يطلقهما من الاسر والبليه باعانتهما من البلاد البقيه وعبروا
العيون الى صوب صور والمركيس ما شك انه بها محصور فلما ارى
من وثاقه واتسع ضيق خناقه حلق من مطار اوطاره وجر الغوايه
او ثار او ثاره واجتمع السلطان باخيه الملك العادل واتفقا
على طي المراحل ونشر القساطل وحل معاقد المعاقل وسل قواضب
العواصل ونزل على عسقلان وشدد بها قد لان وقد اتانا الله
الخذلان فخلد من بها على الحصار وخوفت اسودها الخادره من الاجحار
وتربصوا وتصبروا وتدرسوا وتستروا وحاصوا وصاحوا وجاروا
وناحوا وابلسوا وابسلوا واعولوا مما عليه وعولوا وشبوا وشابوا
وخبوا وخابوا فانهم استقبلوا الموت واستثقلوا وتعقدوا
على الفتح وما تحللوا واحرنوا في الاباء وما استهلوا وجهدوا وجهلوا
فاقام السلطان عليها مجانيق محت وفرجت بالحجار طرقها
وزحت بالتفريق فريقها ووسعت بالتضييق ضيقها واضعف
بالتوثق وثوقها وجمعت الحجاره بالنار التي وقودها الناس والحجاره
ولنجتهم بنيرانها وتوالت عليهم بعد الشراره وخربت

منهم العماره ووجبت بالخساره منها لهم الخساره وتهدمت الصخور
بالصخور ولزم غيث ثورهم بالثبور وحسر النقاب بحسر النقاب
وباشر الباشوره ورفع الحجاب واشتد القتال واحتد المصال
وراسلهم عند ذلك الملك الماسور وقال قد بان عذركم حين
نقب السور وتكررت جولات وجرت حالات وترددت
رسالات وقال لهم الملك الاسير لا تخالفوا ما به اشير واطيعوني
ما استطعتم واسمعوا مني اذا سمعتم واحفظوا راسي فهو راس
مالكم وحلبة حالكم فلا تخاطروا وغيري بالكم فاني اذا
تلفت تلفت واذا استنقذت استنقذت وخرج مقدمون
وشاوروا الملك ونحوا في التسليم نحوا قد سلك وسلموا عسقلان
على خروجهم باموالهم سالمين واستوثقوا بذلك الميثاق واليمين وذلك
يوم السبت لانسلاخ جمدى الاخره وتلالات السعود في او
بالاوجه السافره وممن استشهد على عسقلان من الامرا الكبار
ابرهيم بن حسين المهراني وهو اول امير افتتح بالشهاده وختم له
بالسعاده وكان السلطان قد اخذ في طريقه اليها الرمله وبيني
وبيت لحم والخليل واقام بها حتى تسلم حصون الداويه وغزه والنطرون
وبيت جبريل وكان قد استصحب معه مقدم الداويه وشرط انه

منى يسلم معا فلم اطلقه فسلم هذه المواضع الوثيقه لما اخذ موثقه
واجتمع بالسلطان ولده صاحب مصر الملك العزيز عثمان على
عسقلان ببشاره وبشاره ورايه وايه وهيبه وهيبه وثروه
وثروه وهزه وعزه وعده وعدّه وجدّه وجده وشدّه
وشدّه وجد وجدّه وضوعه وروعه وسطوه ونخوه
وصوت وصيت ومصاعب ومصالت ومساعير ومغاوير
ودهم ودهم وشهب وشهب وصلاب وصلاد وانجاب وانجاد
وجلب وجنب وبيض وبلب وسود واشاود واسود وجرد
ومرد وكهول وكهول ورقاق وعتاق وقود وفهود واطلاب
وابطال وفوارس ورجال وخفاف وثقال وعراب واعاريب
وسراحين وسراحيب وجد لا يكل وجد لا يمل وجمع يتقي وجمع لا
يلتقي ومعه رماة الاحداق كماة الاتراك وهداه التوحيد عداه
الاشراك فقرت عينه بولده واعتضد بعضده ووضع يده بتايد
الله في يده وكان قد استدعى الاساطيل المنصوره فوافت ذات الفتح
الكواسر بالفلك المواخر وجاءت كانها امواج تلاطم امواجا
وافواج تزاحم افواجا تدب على البحر عقاربها وتخب لقطع اللجج نجائبها
وتجر بالذوابل ذوائبها وتزاحم مناكب الاطواد مناكبها والحاجب

لولو مقدمها ومقدامها وضرغام غابتها وهمامها فطفق يكسر
ويكسب ويسبي ويسلب ويقطع الطريق على سفن العدو ومراكبه
ويقف له في جرائد البحر على مذاهبه وسيأتي ذكر ذلك ان
شاء الله في موضعه ويظهر في مواقعه حسن موقعه ۝

ذكر فتح بيت الله المقدس

ثم رحل من عسقلان للقدس طالبا وبالعز غالبا وللنصر مصاحبا ولذيل
العز ساحبا وقد اصحب رتب مناه واخصب روض غناه واضحى رائح
الرجا رابح الارجا صيت العرف طيب العرف ظاهر اليد قاهر الايد
سنا عسكره قد فاض بالفضاء فضا وملا الملا فافاض الالا وقد بسط
عثير قتامه ملاءه على الفلق وكانما عاد العجاج راد الضحى جنح الغسق
فالارض سائكة من اجحاف الجحافل والسماء حاطبه باقساط القساطل
وسار سائرا بالاحوال الحوالي مروية احاديث فتوحه العوالي من
العوالي مطوية مدارج مناهجه على ما تنشره الامال من الامالي وقد
حلت وعلت من معارس النصر ومطالعه المجاني والمجالي والاسلام
يخطب من القدس عروسا ويبذل لها من المهر نفوسا ويحمل اليها
نعمى ليحمل عنها بوسا ويهدي بشرى ليذهب عبوسا ويسمع صرخه

الصخرة المستدعية المستعدية لاعدايها على اعدايها واجابة دعايها
وتلبية ندايها واطلاع زهرة المصابيح في سمايها واعادة الايمان
الغريب منها الى وطنه ورده الى سكونه وسكنه واقصا الذين
اقصاهم الله تعالى بلعنته من الاقصى وجذب قياد فتحه الذي
استعصى واسكات الناقوس منه بانطاق الاذان وكف
الكفر عنه بالايمان وتطهيره من انجاس تلك الانجاس وادناس
ادنى الناس واخجام الافهام باخراس الاجراس وطار الخبر الى
القدس فطارت قلوب من به رعبا وطاشت وخفقت
افيدتهم خوفا من جيش الاسلام ونمت الفرنج لما شاعت الاخبار
انهما عاشت وكان بها من مقدمي الفرنج باليان بن بارزان
والبطرك الاعظم ومن كلتا الطايفتين الاستبارية والداوية
المقدم واشتغل بال باليان واشتعل بالنيران وخمدت نار
بطر البطرك وضاقت بالقوم منازلهم فكان كل دار منهما شرك
للمشرك وقاموا بالتدبير في مقام الادبار وتقسمت افكار
الكفار وايس الفرنج من الفرج واجمعوا على بذل المهج وقالوا
هاهنا نطوح الروس ونسبل النفوس ونسفك الدما ونملك
الدهما ونصبر على اقراح القروح واجتراح الجروح

ونسمح بالارواح شحا بمحل الروح

ذكر كنيسة قمامة

وقالوا هذه قمامتنا فيها مقامتنا ومنها تقوم قيامتنا ويصح بها امتنا
ويصح بدامتنا علامتنا وبسعة عمامتنا وبها غرامنا وعليها
غرامتنا وباكرامها كرامتنا وبسلامتها سلامتنا وباستقامتها استقامتنا
وفي استدامتها استدامتنا وان تخلينا عنها لزمت لامتنا ووجبت
ملامتنا ففيها المصلب والمطلب والمذبح والمقرب والمجمع والمتعبد
والمهبط والمصعد والمرقى والمرقب والمشرب والملعب والمموه والمذهب
والمطلع والمقطع والمرتع والمربع والمرخم والمخرم والمحلل والمحرم والصور
والاشكال والانظار والامثال والاشباه والاشبال والاشباح
والاعمدة والالواح والاجسام والارواح وفيها صور الحواريين في حوارهم
والاحبار في اخبارهم والرهبان في صوامعهم والاقسا في مجامعهم
والسحرة وحبالها والكهنة وخيالها وتمثال السيد والسيدة والهيكل
والمولد والمايدة والحوت والمنعوت والمبحوت والتلميذ والمعلم والمهد
والصبي المتكلم وصورة الكبش والجنة والنار والنواقيس والنواميس
وفيها صلب المسيح وقرب الذبيح وتجسد اللاهوت وتاله الناسوت
واستقام التركيب وقام الصليب ونزل النور وزال الديجور وازدوجت

الطبيعه بالا   وامتزج الموجود بالمعدوم وعمدت معمود به
المعبود ومحضت   بالمولود واضافوا الى متعبدهم من هذه
الضلالات ما ضلوا فيه بالشبه عن نهج الدلالات وقالوا دون
مقبره ربنا نموت وعلى خوف فوتها منا نفوت وعنها ندافع وعليها
نقارع وما لنا لا نقاتل وكيف لا نسارع ولاى معنى نتركهم حتى ياخذوا
وندعهم حتى يستخلصوا ما استخلصناه منهم ويستنقذوا ونا هبوا
ونباهوا وما انتهوا بل تناهوا ونصبوا المجانيق امام الاسوار على
الاسوار وستروا بظلمات الستاير وجوه الانوار واستشاطت
شياطينهم وسرحت سراحينهم وطغت طواغيتهم واصلت مصاليتهم
و   طواميرهم وسعرت مساعيرهم وهاج هايجهم وملج ملجهم
ودعت دواعيهم وعدت عواديهم وسعت افاعيهم وحضتهم
وسوسهم وحرضتهم روسهم وحركتهم نفوسهم وجاتهم نجوى الشوى
جواسيسهم واخبرتهم باقبال العساكر الناصره منصورة الجنود
مشهورة البنود موصوله القواطع بالاساجع محجوزه الغمود مشهوره
القواضب مشهوده الكتايب مفقوده الضوامر الى نار العدى
موقوده الضماير بنار الهدى مشبوبه العزايم محبوبه الصلادم
مسلوله الظبى مطوله القنى محبوبه احنه اعمادها مشنونه اسنه

صعادها مطلقه اعنه جيادها محققه مظنه طرادها قد
سالت الوهاد باكامها وجالت الاعلام في اعلامها وسدت
الفجاج افواجها ومدت العجاج امواجها وحجبت الغزاله عقبا   تها
والهبت الذباله خرصانها وجرت بالحال رياحها وجرت كالحبال
رماحها واستمل على الضراغم غيلها واقبل بالعظايم قبيلها ووافى
كل واف بعهد ربه كاف ولكف خطبه كاف لهم قلبه
صاف تقبض شره خاف في لبوسه ناف لبوسه باسل بباسه
عاسل بامراسه ناسل نبت الغمد من جفنه عاسل ست الحديد
بدم قرنه واصل سطر الهند بسواعده فاصل خطاب الخطوب
ببوارقه ورواعده جاد بجده جاد بجده وكل شاب لنار الحرب
شاب ورب دين الدين الرب راب وكل جيش كالبحر عباب
وكل ذي ذباب عن الهدى ذاب وكل قابل بالاخره للحياه
الدنيا قال سايل من الله تعالى الشهاده عن حب البقا سال مايل في
سبيل الله الى انفاق مال واقبل السلطان باقبال سلطانه وابطال
شجعانه واقبال اولاده واخوانه واشبال مماليكه وغلمانه وكرام
امرايه وعظام اوليايه ومقانب بالمقانب مقتنبه وهايب بالمواكب
مكتنبه وذوابل بالكواكب متصله وجحافل بمضاء المضارب محفله

والويه صفر اللاوابى الاصفر وبيض وسمر تروق زرق العدى من الموت
الاحمر وقباب وقبايل وصوافن وصواهل وعوامل وعواسل وفوارس
فوارس وكل من يبذل الشح بدينه النفوس والنفايس واوضح بسال
عن الاقصى وطريقه الادنى وفريقه الاسنى وبذكر ما تفتح
عليه بحسن فتحه من الحسنى ٥

وصف بيت المقدس ٥

وقال اذا سعدنا من الله على اخراج اعدايه من بيته المقدس فما اسعدنا
واي يد له عندنا اذ ابدنا وانه مكث في يد الكفر احدى وتسعين
سنة لم يتقبل الله فيه من عابد حسنة ودامت همم الملوك دونه
متوسنة وخلت القرون عنه متخلية وحلت الفرج به متوليه فما ادخر
فضيله فتحه الا لال ايوب ليجمع لهم بالقبول القلوب وخص به عصر
الامام الناصر لدين الله ليفضله به على الاعصار وليفخر به مصر وعسكرها
على ساير الامصار وكيف لا نهتم بافتتاح البيت المقدس والمسجد
الاقصى المؤسس على التقوى وهو مقام الانبيا وموقف الاوليا
ومعبد الاتقيا ومزار ابدال الارض وملايكة السما ومنه المحشر والمنشر
ويتوافد اليه من اوليا الله بعد المعشر المعشر وفيه الصخره التي صينت

جدده ايمانا حماها من الابتهاج ومنها منهاج المعراج ولها القبة الشما التي على
راسها كالتاج وفيه ومض البرق ومضى البراق واضات ليلة الاسرا
بحلول السراج المنير فيه الافاق ومن ابوابه باب الرحمه الذي
يستوجب داخله الى الجنه بالدخول الخلود وفيه كرسي سليمان
ومحراب داوود وله عين سلوان التي يمثل لواردها من الكوثر
الحوض المورود وهو اول القبلتين وثاني البيتين وثالث الحرمين
وهو احد المساجد الثلثه التي جا في الخبر النبوي انها تشد
اليها الرحال وتعقد الرجا بها الرجال ولعل الله يعيده بنا الى احسن
صوره كما شرفه بذكره مع اشرف خلقه في اول سوره فقال
عز من قايل سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى وله فضايل ومناقب لا تحصى واليه ومنه كان الاسرا والاز فيه
فتحت السما وعنه تواترا نبا الانبيا الا الا الاوليا ومشاهد الشهدا
وكرامات الكرما وعلامات العلما وفيه مبارك المبار ومسارح
المسار وصخرتها الطولى القبله الاولى ومنها تعالت القدم النبويه
وتوالت البركه العلويه وعندها صلى نبينا صلى الله عليه وسلم بالسس
وصحب الروح الامين وصعد الى عليين وفيه محراب مريم عليها السلم
الذي قال الله تعالى فيه كلما دخل عليها زكريا ولنهاره التعبد ولليله

المحيا وهو الذي اسسه داود واوصى ببنايه سليمان عليهما السلم ولاجل
اجلاله انزل الله سبحانه سبحان وهو الذي افتتحه الفاروق وافتتحت
به سوره الفرقان فما اجله واعظمه واشرفه وافخمه واعلاه واسماه
واسناه وايمن بركاته وابرك ميامنه واحسن حالاته واحلى محاسنه
وازين مباهجه وابهج مزاينه وقد اظهر الله طوله وطوله بقوله الذي
باركنا حوله وكم فيه من الايات التي اراها الله نبيه وجعل مسموعا
من فضايله مرئيه ووصف السلطان من خصايصه ومزاياه ما وثق
على اسعاده الابه مواثيقه والاياه واقسم لا يبرح حتى يبر قسمه
ويرفع باعلاه علمه ويخطو الى زياره موضع القدم النبويه قدمه
ويصغي الى صرخه الصخره ويسعى بالبشر لبشر اسره الاسره وسار
واثقا بكمال النصره وزوال العسره وجثم الافرنج فناع الحسره
ونزل على غربي القدس يوم الاحد خامس عشر رجب
وقلب الكفر قد وجب وحزب الكفر قد شارف الشجى والشجب والقدر
قد اظهر العجب وكان في القدس من الفرنج حينيذ ستون الف
مقاتل من سايف ونابل وبطل للباطل وعاسل بالعاسل قد وقفوا
دون البلد يبارزون ويحاجزون ويعاجزون ويناجزون ويرمون
ويدمون ويحمون ويحمون ويحتدون ويحتدمون ويضطربون ويضطرمون

ويذودون ويذبون ويشبون ويستبون ويصرخون ويحرضون ويلهون ويلهثون
ويتغوثون ويلوبون ويجولون ويجوبون ويقدمون ويحجمون
ويتململون ويالمون ويتعادون وساعون ويتعاوون ويحترقون
للبلايا ويقترحون المنايا وقاتلوا اشد قتال وناضلوا اجد نضال
ونازلوا اجد نزال وطافوا بصحاف الصفاح لارواء الظبى الظماء
من دما الارواح وجالوا بالاوجال واجالوا قداح الاجال وصالوا القطع
الاوصال والتهبوا والتهبوا وناشبوا ونشبوا واستهدفوا السهام
واستوقفوا الحمام وقالوا كل واحد منا بعشرين وكل عشره بمايتين
ودون القيامه تقوم القيامه وحبت سلا منها تعلى السلامه ودامت
الحرب واستمر الطعن والضرب فانتقل السلطان يوم الجمعه العشرين
من رجب الى الجانب الشمالي وخيم هنالك وضيق على الفرنج المسالك
ووسع عليهم المهالك ونصب المجانيق ومرى من افاويقها الافاويق
واضرع الصخره بالصخور وحشر وحشد السبو منهم ورا السور فما
عادوا يخرجون من السور الرووس الا ويلقون البوس واليوم العبوس
وللداويه دوي وللبارونيه من البوار في الهاويه هوي وللاستبار
تبار وما للقربانيه من الموت قرار وما بين الحجاز المحلقه وبين الزي
النعم حجاب وفي كل قلب من الفتنين من نار حرصه التهاب اذا

الوجوه لقبل النصال مكشوفه والقلوب للوجد بالقتال ملهوفه
وللايدي على قوايم السيوف المفتوحه مضمومه والقلوب لا ستنبطا
الهمم في الاهتمام مهمومه وقواعد السور ونواجد شواربفه
بالاحجار الخارجه من الكفات مهدومه مهتومه فكان المحاسن
محاسن يرامون ومناجيد لا يرامون وحبال يحد بها حبال ورجال
تنجدها رجال وامهات الدواهي المنايا حوامل تلد البلايا بالاحجر
عليها في حجر ولا امن عندها من حذر ولا تخطي سهامها الا بالخطر
ولا يفطر مرورها الا امرارات ذوي الفطر فتحخ من شنها بما ينقض
وصخر من ارضها برفض وحجر من شرارها ينقض وما شي كافات
كفاتها وايات نكاياتها ودركات ادراكاتها ولفتات فلتاتها
وجذبات عذباتها فما زالت تقلع بمقالعها وتقرع بمقارعها وتنبح
باسطاتها وتمرح في ارسانها وتصدم وتهدم وتضرع وتصدع
وتشهر بدلايها وتجهر بلايها وتحل تركيب الجلامد بافراد
جلاميدها وتفل شمل المباني بتفريقها وتبديدها وتقوض
القواعد بضربها من اساسها وتنقض المعاقد بجذبها في امراسها
وتنسف الموارد لبشربها من راسها حتى تركت الصور
سورا وجعلت الذات عنه محسورا وعاد العدو من نظمه

المنثور مسورا وخرق الخندق وحفر الزحف وظهر للاسلام
الفتح وللكفر الحتف واخذ النقب وسهل الصعب وبذل المجهو د
وحصل المقصود وكمل المراد وكلم المراد وتعذر التعذر وامر
الامر وازدرى الارب واستتب السبب وخاف القوم من الوهم
واستعاضوا من الصحة السقم واسلم البلد وقطع زنار خندقه
وبرز ابن بارزان ليامن من السلطان بموثقه وطلب الامن والا مان
لقومه وتمنع السلطان وتمادى في سومه وقال لا امن لكم
ولا امان وما هو انا الا ان نديم لكم الهوان وغدا نملككم قسرا
ونوسعكم قتلا واسرا ونسفك من الرجال الدما ونسلط على
الذريه والنسا السبا واي في بابهم الا الابا فتعرضوا للتضرع وتحو نوا
وخوفوا عاقبه التسرع وقالوا ان يئسنا من امانكم وخفنا
من سلطانكم وخبنا من احسانكم وايقنا انه لا نجاة ولا نجاح
ولا صلح ولا اصلاح ولا سلم ولا سلامه ولا نعمه ولا كرامه فانا
نستقتل ونقاتل قتال الدم ونقابل الوجود بالعدم ونقدم اقدام
المستشري بالشر ونقتحم اقتحام المستضري بالضر ونلقي انفسنا
على النار ولا نلقي بايدينا الى التهلكه والعار ولا يجرح واحد
منا حتى يجرح عشره ولا تتمايد الفتك حتى نرى ايدينا بالفتك

فنشره وانا نحرق الدور ونخرب القبة وننزل عليكم في شبنينا الشبه
ونقلع الصخره وتوجد لكم عليها الحسره ونقتل كل من عندنا من
اسارى المسلمين وهم الوف وقد عرف ان كلامنا من الذل عروف
وللعز الوف واما الاموال نعطيها ولا نعطيها واما الذراري
فانا نسارع الى اعدامها ولا نستبطيها فاية فايده لكم في هذا
الشح وكل خير لكم في هذا الربح ورب خيبة جات من
رجا الربح ولا يصلح السوسوى الصلح ورب مدلج اضله ظلام
الليل قبل اسفار الصبح فعقد السلطان مجلس المشوره
واحضر كبرا عساكره المنصوره وشاورهم في الامر وحاورهم
في السر والجهر واستطلع خبايا ضمايرهم واستكشف خفايا
سرايرهم واستورى زندهم واستعلم ما عندهم وراوضهم في المصلحة
المترجحة وفاوضهم في المفاوضة المربحة وقال ان الفرصة قد امكنت
فنحرص في انتهازها وان الحصة قد حصلت فنستخير الله في احرازها
وان فاتت لا تستدرك وان افلتت لا تملك فقالوا قد خصك
الله بالسعاده واخلصك لهذه العباده ورايك راشد وعزمك
لضاله النصر ناشد وامرك لاشتات المناجح واسباب المناجح
حاشد وكلنا لك في اغتنام فتح هذا الموضع الشريف مناشد

واستقر بعد مراودات ومعاودات ومفاوضات وتفويضات
وضراعات من القوم وشفاعات على قطيعة تكمل بها الغبطة
وتحصل منها الحوطة واشتروا بها منا انفسهم واموالهم وخلصوا
بها رجالهم ونساهم واطفالهم على ان من عجز بعد اربعين يوما عما
لزمه وامتنع منه وما سلمه ضرب عليه الرق وثبت في تملكه
لنا الحق وهو عن كل رجل عشره دنانير وكل امراه خمسه دنانير
وكل صغير او صغيره ديناران ودخل ابن بارزان والبطرك
ومقدم الداويه والاسبتاريه في الضمان وبذل ابن بارزان
ثلثين الف دينار عن الفقرا وقام بالادا ولم ينكل عن الوفا
فمن سلم خرج من بيته امنا ولم يعد اليه ساكنا وسلموا البلد يوم
الجمعه السابع والعشرين من شهر رجب على هذه القطيعه
وردوه بالرغم رد الغصب لا الوديعه وكان فيه اكثر من
مايه الف انسان من رجال ونساء وصبيان فاغلقت دونهم
الابواب ورتب لعرضهم واستخراج ما يلزمهم النواب ووكل
بكل باب امير ومقدم كبير يحصر الخارجين ويحصي
فمن استخرج منه خرج ومن لم يقم بما عليه قعد في الحبس وعدم الفرج
ولو حفظ هذا المال حق حفظه لفاز منه بيت المال باوفر حظه

لكلمات التفريط وعم التخليط فكل من رشى مشى وتنكب الاشنا
نهج الرشد بالرشا فمنهم من ادلى من السور بالحبال ومنهم من حمل
مخفيا في الرحال ومنهم من غيرت لبسته فخرج بزي الجند ومنهم من
وقعت فيه شفاعة مطاعة لم تقابل بالرد وكانت ملكه
رومية مترهبة في عبادة الصليب متصلبة وعلى مصابها متلهبة
وفي التمسك بملتها متصعبة متعصبة انفاسها متصاعدة للحرب
وعبراتها متحدرة تحدر القطرات من المزن ولها حال ومال
واشياع واتباع ومتاع فمن عليها السلطان وعلى كل من معها بالافراج
واذن باخراج ما لها اجمع في الاكياس والاخراج فراحت فرحى
وان كانت من سحنها قرحى وكانت زوجة الملك الماسور
ابنة الملك اماري مقيمة في جوار القدس مع ما لها من الخدم والخول
والجواري فخلصت هي بمن معها ومن تبعها ومن ادعى انه ممن صحبها
وشيعها وكذلك الابرنسانية ابنة فليب ام هنفري اعفيت
من الوزن وتوفر ما لها عليها في الخزن واستطلق صاحب
البيرة زها خمس مائة ارمني ذكر انهم من بلده وان الواصل منهم
الى القدس لاجل متعبده وطلب مظفر الدين بن علي كوجك
الف ارمني ادعى انهم من الرها فاجراه السلطان من اطلاقهم

له على ما اشتهى وكان السلطان قد رتب عدة دواوين في كل
ديوان منها عدة من النواب المصريين ومنهم من الشاميين فمن
اخذ من احد الدواوين خطا بالادا انصرف مع الطلقا بعد عرض
خطه على من بالباب من الامنا والوكلا فذكر لي من لا اشك
في مقاله انه كان يحضر في الديوان ويطلع على حاله فربما كتبوا
خطا لمن نقده في كيسهم وتلبس امر تلبيسهم فكانوا اشركا
بيت المال لا امناه وخانوا على ما حصل لكل من الغنى والنفع وما
اضر غناه ومع ذلك حصل لبيت المال ما يقارب مائة الف دينار
وبقي من بقي تحت رق واسار ننتظره المدة المضروبة والعجز
عن الوفا بالقطيعة المطلوبة ٥

ذكر يوم الفتح وهو
سابع وعشرين شهر رجب

واتفق فتح بيت المقدس في يوم كان في مثل ليلته منه
المعراج وتم ما وضح من منهاج النصر الابتهاج وزاد من
الالسنة من الدعا والابتهال الالتهاج وجلس السلطان
للهنا للقا الاكابر والامرا والمتصوفة والعلما وهو جالس
على هيئة التواضع وهيبة الوقار بين الفقها واهل العلم

وجلسايه الابرار ووجهه بنور البشر سافر واملة بعز
النجح ظافر وبابه مفتوح ورفده ممنوح وحجابه مرفوع
وخطابه مسموع وبساطه مقبل وبساطه مقبل ومحياه
يلوح ورياه يفوح ومحبته تروق ومهابته تروع واقاقه تضي
واخلاقه تضوع ويده لنبض امواه السخا وفض افواه العطا ظاهره
قبلة القبل وباطنه كعبة الامل قد حلت له هالة الظفر وكان
دسته به هالة القمر والقرا جلوس يقراون ويرشدون
والشعرا وقوف ينشدون وينشدون والاعلام تبرز للتبشر والاقلام
تزيد للتبشر والعيون من فرط المسرة تدمع والقلوب للفرح بالنصرة
تخشع والالسنة للابتهال الى الله تضرع والكاتب ينشي ويوشي
ويوشع والبليغ يسهب ويوجز ويضيق ويوسع فما شمت قلمي
الابشار اري البشاير ولا وجهت كلمي الا لطايف رحى اللطايف
وما ارسلت يراعي الا براعي الرسايل وسبع الفضايل وشبع
الفواضل وشبع القول وسبغ الطول ويطول بالحجة وان
كان في حجمه قصر ويصول باللهجة وان كان في مجمه حصر
ويسمن الملك به وهو نحيف ويثقل الجيش به وهو خفيف ويبدي
بياض الغرة من سواد الدهمة ويجلو بحجة الضيا من مجة الظلمة

وتجري بالاجال والارزاق والمنع والاطلاق والخلف والوفاق والافتراق
والاعتاق والعدة والانجاز والجدة والاعواز والفتق والرتق والرفع
والخرق فهو الذي يجمع الجيوش ويرفع العروش ويوحش المستانس
ويونس المستوحش وينعش العاثر ويعثر المنتعش ويجري بالاعدا
على الاعدا وبالالا للاوليا فبشرت بما فلا في اقاليم البشر وعبرت
باعاجيبي عن اعاجيب العبر وملات البروج بالدراري والدرج
بالدرر وزينت تلك البشرى حتى طابت رياها الرقي وتسم سرها فقد
واطابت وحكت حتى فاقت والقند وعلقت لفتح القدس
بلاد الاسلام وزينت وشرحت فضليهما وبينت واديت فرضه
زيارتنا وتعينت ه

ذكر حالي في العود الى الخدمة

وكنت قد انقطعت عن الصحبة لما عرض لي في المرض من النوبة فاقمت
بدمشق اداوي مزاجي واداري منهاجي واعالج تدبيري وادبر علاجي
الى ان وصل الخبر ان السلطان نزل على القدس فوجدت خفة في
النفس (النفس) وانسيت بالبلالي بعض الانس وامنت لوثوقي بالصحة والاستقامة
من النكس فتوجهت الى تلك الجهة وسرت بطاعة النفس المنزهة

وعصيان الطبيعة المنكرهة واخترت تعب السفر على راحة
الاقامة ورايت في ركوب طريق العطب وجه السلامة ووصلت
بكرة السبت ثاني يوم الفتح بالسعد واليمن والنجح فوصلني السلطان
عند وصولي باجلى بشاشة واحلى هشاشة وسرى عنه وسرور
وابر وقال اين كنت ولم ابطات وحيث اصبت في المجي فما اخطات
وقد كنا في انتظارك والسوال عن اخبارك وهذا اوان احسانك
فاين احسان اوانك فاجرينا لك جراه بيانك واجري في ميدانك
وما للبشاير الا واصفها وللفصاحة الا فتيها وللحصافة الا فتيها وكان
قد جمع امس كتاب دواوينه على انشا كتب فما ارتضاها واقتضاب
معان اقتضاها وكانوا قد سالوه في مكاتبة الديوان العزيز فقال
لهذا من هو اقوم به وعناني لما راني ناداني واستدناني فصرفت
الى امتثال امره عناني وسلم الي الكتب التي كتبوها بالالفاظ التي
رتبوها فقال غيرها ولاي يسيرها وعرضه اني اعدل معوجها وابدل
مستهجنها وافترع المعنى البكر واوشح ذكر اياته بايات الذكر فاستجدتها
فما استجدتها واستلمحتها فما استملحتها فشمتها وبماشهك
وكشفتها وسترها هتك وكانوا قد تعبوا وتعبوا عليها ولهم فيما شرك
فشرعت في اقتصاص الابكار واقتضا الافكار وافتراح القريحة

واقرار رحاب الكلم الفصيحة الفسيحة وافتتحت في بشرى الفتح
العزيز بكتاب الديوان العزيز واوردت المعنى البليغ في اللفظ
الوجيز ورشحت ووشعت وشبعت واشبعت واطلت واطبت
وصبت واصبت ولحرت واعجبت واطربت واطربت وابعدت
وابدعت ورصعت وصرعت وطابقت وجانست ووافقت
وانست وبينت فضل عصر الامام الناصر على الاعصار السابقة بالآثار
الصادقة وان هذا الفتح ادخره الله لزمانه ومكن منه لمكانه وسلط
عليه لسلطانه وحسنه باحسانه فقد عبرت القرون الماضية
على حسرته وظفر هو واشياعه بمسرته وما حصل لنا الا بركات
ايامه وحركة اعتزامه وذكرت في هذا كل ما راق وشاق ونور
الافاق وان هذه الفتوح تفوح بارج نشره وتحيا بحياة بره فما اسرانا
بايامه وما اسعد امالنا بانعامه وكتبت الى اهل ذي طرف
بمعنى طريف ولفظ فصيح حصيف وسهرت تلك الليالي حتى نظمت
اللالي وجليت المعالي وفرحت الموالي وسارت
شواردي الى المشرق والمغرب معربة عن هذا الفتح المغرب عن العجب
المذهب وبشرت المسجد الحرام بخلاص المسجد الاقصى وتلوت قوله تعالى
شرع لكم من الدين ما وصى وهنات الحجر الاسود بالصخرة البيضا ونزل

الوحي ليلة الاسرا ومقر سيد المرسلين وخاتم النبيين بمقر الرسل والانبيا
ومقام ابرهيم وموضع قدم محمد المصطفى صلى الله عليه وعلى اله اجمعين
وادام اهل الاسلام بشرف بيته مستمتعين وتسامع الناس بهذا النصر
الكريم والفتح العظيم فوفدوا للزيارة من كل فج عميق وسلكوا اليه
في كل طريق واحرموا من البيت المقدس الى البيت العتيق وهو
من ازهار كراماته في الروض الانق ٥

ذكر ما جرت عليه حالة
الفرنج في خروجهم من القدس

وشرع الفرنج في بيع الامتعه واستخراج ذخايرهم المودعه وباعوها
بالمجان في سوق الهوان وتقاعد الناس عنهم فابتاعوها بارخص الاثمان
وباعوا باقل من دينار كل ما يساوي اكثر من عشره وجدوا في جمع
ما وجدوا من امور لهم منتشره وكنسوا كنايسهم واخذوا منها
نفايسهم ونقلوا منها الذهبيات والفضيات من الاواني والقناديل
والحريريات والمذهبات من الستور والمناديل ونفضوا من الكنايس
الكنايز واستخرجوا من الخزاين الدفاين وجمع البطرك الكبير
كل ما كان على القبر من صفايح التبر ومصوغات العسجد ومصوغات
اللجين وجميع ما في القمامه من الجنسين والسجين فقلت للسلطان

هذه اموال وافره واحوال ظاهره تبلغ مايتي الف دينار والامان على
اموالهم لا على اموال الكنايس والاديار فلا تتركها في ايدي هولاء
الفجار فقال اذا تاولنا عليهم نسبونا الى الغدر وهم جاهلون
سر هذا الامر فنحن نجريهم على ظاهر الامان ولا نتركهم يرمون اهل
الايمان بنكث الايمان بل يتحدثون بما افضناه من الاحسان
فتركوا ما ثقل وحملوا ما عز وخف ونفضوا من تراب تراثهم
وقمامه قمامتهم الكف واستقل معظمهم الصور وكمنوا بالدحور ر
الدجور وبقي منهم زها خمسه عشر الف امتنعوا عن شرع الحق
فاحتضنوا بشروط الرق فاما الرجال فكانوا في تقدير سبعه الاف
وابهم الفواد لا لم يكونوا له بالالاف فاقتسمتهم ايدي السبي ايدي
سبا وتفرق المغا ركضهم في الوهاد والربى واحصيت النسا
والصبيان ثمانيه الاف نسمه وعادت بيننا مقتسمه واضحت
بكاها وجوه الدوله مبتسمه فكم محجوبه هتكت ومالكه
ملكت وعزبا نكحت وعزيزه سمحت وبخيله سمحت وحييه تو تحت
ومجده مزحت ومصونه ابتذلت وفارغه شغلت وعقيله امتهنت
وجميله امتحنت وعذرا افترعت وشماء فرعت ولميا رشفت وطميا
فرشت وزبنه اصحبت ورضيه اصحب فكم تسرى منهم سرى

وجرى عليهم جرى وقضى وطره عزب وفنى نهمه شغب وفثا ثوره
شغب وكم غابية استخلصت وغالية استرخصت ووالية اعتزلت
وعالية استنزلت ووحشية صيدت وعرشية قيدت ولما تقدس
القدس من رجس الفرنج اهل الرجز وخلع لباس الذل ولبس خلع
العز ابى النصارى بعد اداء القطيعة ان يخرجوا وتضرعوا في ان
يسكنوا ولا يزعجوا وبذلوا خدما وخدموا ببذل وقابلوا كلما
الزموا به بالتزام وقبول واعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون
وشجيت افواههم بما شجاهم وزاد شجاهم وهم فاغرون ودخلوا في
الذمه وخرجوا عن العصمه وشغلوا بالخدمه واستعملوا في المهنه
وعدوا المنحه في تلك المحنه ۵

ذكر ما اظهره السلطان
في القدس من الحسنات ومحاه من السيئات

ولما تسلم السلطان القدس امر باظهار المحراب وحتم به امر
الايجاب وكانت الداويه قد بنوا في وجهه جدارا وتركوه
الغله هريا وقيل كانوا اتخذوه مستراحا عدوانا وبغيا وكانوا
قد بنوا غربي القبله دارا وسيعة وكنيسة رفيعة فاوعز برفع
ذلك الحجاب وكشف النقاب عن عروس المحراب وهدم ما قدامه

من الابنيه وتنظيف ما حوله من الافنيه بحيث يجتمع الناس في
الجمعه في العرصه المتسعه ونصب المنبر واظهر المحراب المطهر
ونقض ما احدثوه من السواري وفرشوا تلك البسيطه بالبسط
الرفيعه عوض الحصر والبواري وعلقت القناديل وتلي التنزيل
وحق الحق وبطلت الاباطيل وتولي الفرقان وعزل الانجيل
وصفت السجادات وصفت العبادات واقيمت الصلوات
واديمت الدعوات ونزلت البركات وانجلت الكرامات وانجابت
الغيابات واتابت الهدايات وتليت الايات واعليت الرايات
ونطق الاذان وخرس الناقوس وحضر المؤذنون وغاب القسوس
وزال العبوس والبوس وطابت الانفاس والنفوس واقبلت السعود
وادبرت النحوس وعاد الايمان الغريب منه الى وطن وطلب الفضل
من معدنه وورد القرا وقرى الاوراد واجتمع الزهاد والعباد
والابدال والاوتاد وعبد الواحد ووحد العابد وتوافد الراكع
والساجد والخاشع والواجد والزاهي والزاهد والحاكم والشاهد
والجاهد والمجاهد والقائم والقاعد والمتهجد الساهد والزائر
والوافد وصدح المنبر وصدع المذكر وانبعث المعشر وذكر
المبعث والمحشر واملى الحفاظ واسلى الوعاظ وتذاكر العلما وتناظر

الفقها وتحدث الرواه وروى المحدثون وتخنف الهداه وهدى المتخنون
واخلص الداعون ودعا المخلصون واخذ بالعزيمه المترخصون وتخشع
المفسرون ونشر الملخصون واسدى الفضلا وانتدب الخطبا
وكثر المترشحون للخطابه المتوشحون بالاصابه المعروفون بالفصاحه
الموصوفون بالحصافه فما منهم الا من خطب الرتبه ورتب الخطبه
وانشا معنى شايقا ووشى لفظا رايقا وسوى كلاما بالموضع لايقا
وروى مبتكرا من البلاغه فايقا وما منهم الا من عرض على خطبته
وطلب مني نصبته وتمنى ان ترجح فضيلته وتنجح وسيلته ولتسبق
امنيته فيها منيته فكلهم طال الا انما بها عنقه وسال من الالهاب
عليها عرقه وما منهم الا من يتاهب ويترقب ويتوسل ويتقرب
ومنهم من يتعرض ويتضرع ويتشفع وكل قد لبس وقاره ووقر
لباسه وضرب في احماسه اسداسه ورفع لهذه الرياسه راسه
والسلطان لا يعين ولا يبين ولا يخص ولا ينص ومنهم من يقول
ليتني خطبت في الجمعه الاولى وقرنت باليد الطولى واذا ظفرت
بطالع سعدي فما ابالي بمن خطب بعدي فلما دخل يوم الجمعه
رابع شعبان اصبح الناس يسلون في تعيين لخطيب السلطان
وامتلا الجامع واختلفت المجامع وتوحشت الابصار والمسامع

وفاضت لرقة القلوب المدامع وراعت الحليه تلك الحاله وتماثلت
البهجه الروايع وساعت من نشر السرور بلبس حبر الحبور الشرايع
وعصت بالسابقين اليها المواضع وتوسمت العيون وتقسمت الظنون
وقال الناس هذا يوم كريم وفضل عميم وموسم عظيم هذا يوم
تجاب فيه الدعوات وتصب البركات وتسال العبرات وتقال
العثرات ويتيقظ الغافلون ويتعظ العاملون فطوبى لمن عاش
حتى حضر هذا اليوم الذي فيه انتعش الاسلام وارتاش وما
افضل هذه الطايفه الحاضره والعصبه الطاهره والامه الظاهره
وما اكرم هذه النصره الناصريه والاسره الاماميه والدعوه
العباسيه والدوله الايوبيه والمملكه الصلاحيه وهل في
بلاد الاسلام اشرف من هذه الجماعه التي شرفها الله بالتوفيق
لهذه الطاعه وتكلموا فيمن خطب ولمن يكون المنصب
وتحدثوا بالتصريح والتعريض والتلويح والاعلام تعلى والمنبر
يكسى ويحلى والاصوات ترتفع والجماعات تجتمع والافواج تزدحم
والامواج تلتطم وللعارفين من الضجيج ما في عرفات للحجيج حتى
حان الزوال وزال الاعتدال وجعل الداعي واعجل الساعي نصب
السلطان الخطيب بنصه وابان عن اختياره بعد فحصه واوعز الى القاضي

محيي الدين ابي المعالي محمد بن زكي الدين القرشي بان يرقى ذلك المرقى
وترك حباه الباقين تتقدمه عرفي فاعرفه من عندي اهبة سودا
من تشريف الخلافه حتى تكمل له شرف الافاضه والاضافه فرقي
العود وتلقى السعود واهتزت اعطاف المنبر واعتزت اطراف
المعشر وخطب وانصتوا ونطق وسكتوا وافصح واعرب وابدع واغرب
واعجز واعجب واوجز واسهب ووعظ في خطبته وخطب في موعظته
وابان عن فضل بيت المقدس وتقديسه والمسجد الاقصى من اول
تاسيسه وتطهيره بعد تنجيسه واخراس ناقوسه واخراج قسيسه
ودعا للخليفه والسلطان وختم بقوله تعالى ان الله يامر بالعدل والا
حسان ونزل وصلى في المحراب وافتتح بسم الله من ام الكتاب فائتم
تلك الامه وتم نزول الرحمه وكمل وصول النعمه ولما قضيت
الصلوه وانتشر الناس واستمر الايناس وانعقد الاجماع واطرد
القياس وكان قد نصب للوعظ تجاه القبله سرير لفرعه كبير
فجلس عليه زين الدين ابو الحسن علي بن نجا فذكر من خافه ومن رجا
ومن سعد ومن شقي ومن هلك ومن نجا وخوف بالحجه ذوي الحجى
والتي بكل عظه للراقدين موقظه وللظالمين محفظه وللاوليا الله
تعالى مرققه وللاعدا الله تعالى مغلظه وضج المتباكون وعج

المتباكون ورقت القلوب وجفت الكروب وتصاعدت النعرات
وانحدرت العبرات وتاب المذنبون واناب المتحوبون وصاح التوابون
وناح الاوابون وحزت حالات وحليت وجلوات جليت ودعوات
علت وضراعات قبلت وفرص من الولايه الالهيه انتهزت وحصص
من العنايه الربانيه احرزت وصلى السلطان في قبه الصخره والصفوف
على سعه الصحن بها متصله والامه الى الله بدوام نصره مبتهله والوجوه
الموجهه الى القبله عليه مستقبله مقبله والايدي الى الله تعالى مرفو عه
والدعوات له مسموعه ثم رتب في المسجد الاقصى خطيبا استمرت
خطبته واستقرت نصبته واما الصخره فقد كان الفرنج بنوا عليها
كنيسه ومذبحا ولم يتركوا فيها للايدي المتبركه ولا للعيون المد ده
ملمسا ولا مطمحا وقد زينوها بالصور والتماثيل وعينوا مواضع الر هبان
ومحط الانجيل وكملوا بها اسباب التعظيم والتبجيل وافردوا فيها
لموضع القدم قبه صغيره مذهبه باعمده الرخام منصبه وقالوا
محل قدم المسيح وهو مقام التقديس والتسبيح وكانت فيها صور
الانعام مثبتة في الرخام ورايت في تلك الصور اشباه الخنازير
والصخره المقصوده المزوره بما عليها من الابنيه مستوره وبتلك
الكنيسه المعموره مغموره فامر السلطان بكشف نقابها ورفع

حجابها وحسر لثامها وفتق رخامها وكسر جامها ونقض بنائها وفض
غطائها وابرازها للزائرين واظهارها للناظرين ونزع لبوسها وزفاف
عروسها واخراج درها من الصدف واطلاع بدرها من السدف وهدم
سجنها وفك رهنها واراه حسنها واضاءه يمنها وابدا وجهها الصبيح
وجلا سرورها الفرح وردها الى الحالة الحاليه والقيمة الغاليه والرتبة
العاليه وهي التي حليها عطل وعطلها حلي وعريها كسوه وكسوتها
عرى فعادت كما كانت في الزمن القديم وشهدت حين شوهدت
بحسنها الكريم وسيم بما حسنها الوسيم وما كان يظهر منها
قبل الفتح الا قطعها من تحتها قد اسا الكفر من نحتها فظهرت الان
احسن ظهور وسفرت ايمن سفور واشرقت القناديل من فوقها
نورا على نور وعملت عليها حظيره من شباك حديد والاعتنا بها الى
الان كل يوم في مزيد ورتب السلطان اماما من احسن القرا تلاوة
وارسلهم طلاوة واندا هم صوتا واسماهم في الديانه صيتا واعرفهم
بالقراات السبع بل العشر والطبيع في العرف والنشر واغناه
وافناه واولاه لما ولاه ووقف عليه دارا وارضا وبستانا واسدى
اليه معروفا ادارا واحسانا وحمل اليها والى المسجد الاقصى مصاحف
وختمات وربعات معظمات لا تزال بين ايدي الزائرين على كراسيها

مرفوعة وعلى اسرتها موضوعة ورتب لهذه القبة خاصة وللبيت
المقدس عامة قومة لتشمل مصالحها ضامة فما ترتب الا العارفون
العاكفون القايمون بالعباده الواقفون فما ابهج لياليها وقد حضرت
الجموع وزهت الشموع وبان الخشوع وذان الخضوع ودرت من المقبلين الدموع
وافشعرت من الخاشعين الضلوع فهنالك كل ولي يعبد ربه ويامل
بره وكل اشعث اغبر لا يوبه له لو اقسم على الله لابره وهنالك
كل من يحيي الليل ويقومه ويسمو بالحق ويسومه وهنالك كل من يختم
القران ويرتله ويطرد الشيطان ويبطله ومن عرفته لمعرفته
الاسحار ومن الفته لتهجده الاوراد الاذكار وما اسعد عمارها
حين يستقبل الملايكه زوارها وتلحف الشمس انوارها وتحمل القلوب
اليها اسرارها وتضع الجباه عندها اوزارها وتستمد صحه كل يوم
منها اسفارها وما اطهر من تولى اطهارها واطهر من باشر اطهارها
وكان الفرنج قد قطعوا من الصخرة قطعا وحملوا اسها الى قسطنطينيه
ونقلوا منها الى صقليه وقيل باعوها بوزنها ذهبا واتخذوا ذلك
مكسبا ولما ظهرت ظهرت مواضعها وقطعت القلوب لما
بانت مقاطعها فهي الان مبرزة للعيون نحرها باقيه على الايام
ثغرها مصونة للاسلام في

وهذا كله تم بعد انفصال

السلطان والشروع في العمران وامر بترخيم محراب الاقصى وان يبالغ
فيه ويستقصى وتنافس ملوك بني ايوب فيما يؤثرونه من الآثار
الحسنه وفيما يجمع لهم ود القلوب وشكر الالسنه فما منهم الا من اجمل
واحسن وفعل ما امكن وجل وبين وحلى وزين واسعف واتفق ووفى
واغنى واعتنى واثنى وروى واوفى واصفى واضفى واتى الملك العادل
سيف الدين ابو بكر بكل صنع بكر موجب لكل شكر وكل فعل
جميل ورفد جزيل ومن جلي ومنح جليل ومكرمة حميدة ومحمدة
كريمة وفضيلة بها نرح وسبيله بها نهج واتى الملك المظفر تقي الدين عمر
بكل ما عمر من العرف وغمر ونهى وامر وبنى وعمر ومن جملة افعاله المشكوره
ومكرماته المشهوره انه حضر يوما في قبة الصخره مع جماعة من السراة
الاسره ومعه من ماء الورد احمال ولاجل الصدقه والرفد اموال وانتهز
فرصة هذه الفضيله التي ابتكرها بالاقراض وتولى بيده كنس تلك
الساحات والعراص ثم غسلها بالماء مرارا حتى تطهرت ثم اتبع الماء بماء الورد
صبا حتى تعطرت وكذلك طهر حيطانها وغسل جدرانها ثم اتى بالمجامر
الطيب وتضوعت وتعرفت ونعمت مناشق اهل الهدى وارغمت اناف
العدى وما زال مع قومه في تطهير البقعة المباركة طول يومه حتى
تيقنت طهارتها وتبينت عمارتها وراقت نضارتها ووقفت عليها

الاستحسان نظارتها ثم فرق ذلك المال فيما على ذوي الاستحقاق وافتخر
بان فاق الكرام بالانفاق ٥ وجا الملك الافضل نور الدين علي بكل
نور جلي وكرم ملي واحسان سني وانعام هني وعرف زكي وعرف
ذكي وعطاء مبتدع وسخاء مخترع وجود مبتكر ورفد معتبر واتى بكل
ما خلد الاثر الحسن وانطق بحمده الالسن وبسط بها الصنيعه
وفرش فيها البسط الرفيعه وهدى واهدى واعاد بعد ما ابدى واثار
واسدى وافاض الهدى وفض الجدى ونفض الاكياس حتى حلنا به الانفاض
والافلاس ٥ وسياتي ذكر ما اعتمده من بنا اسوار القدس
وحفر خنادقه واعجز بما اعجب من سوابق معروفه ولواحقه ما لم
يشق احد فيه عباره ولا ملك سابق مضماره ٥ واما الملك العزيز
عثمان فانه اتى بالاحسان الذي استظهر فيه على الايمان وذلك انه لما
عاد الى مصر وقد عاين الفتح والنصر ترك خزانة سلاحه بالقدس
لها ولم يعد حصوله به نقلها وكانت احمالا باموال واثقالا لاحبال
وذخاير وافيه وعددا واقيه ودروعا سوابغ ونصولا دوافع وخوذا
وترايك وزماجا وبارك وقنى وقنابل وصواقل وذوابل وجروخا
وقسيا وعمانيا وهنديا ويزنيا وردينيا ومشرفيا وحفاني وخوذات
ودبابات وزيارات حديد وزرادات والات وزيارات وزرادات

ونفاطات وقطاعات وعدد النقوب وجميع ادوات الحروب
فاستظهرت بها المدينه وتوثقت بها عراها المبينه وكان من جمله
ما شرط على الفرنج ان يتركوا الناجيلهم وعديهم ويخرجوا قبل ان
يستوفى الباقون في اداء القطيعة مدتهم فتوفرت بذلك عدد
البلد واستغنى بذلك عما يصل من المدد ٥

ذكر محراب داود

عليه السلم وغيره من المشاهد الكرام وتبطيل الكنايس وانشا المدارس ٥

واما محراب داود عليه السلم خارج المسجد الاقصى فانه حصن عند باب
المدينه منيع وموضع عال رفيع وهو الحصن الذي يقيم به الوالي فاعتنى
السلطان باحواله الحوالي ورتب له اماما ومودنين وقواما وهو مثابه
الصالحين ومزار الغادين والرايحين فاحياه وجدده ونهج لقاصده
جدده وامر بعماره جميع المساجد وصون المشاهد والكار المقاصد
واصفا الموارد للقاصد والوارد وكان موضع هذه القلعه دار
داود وسليمان عليهما السلم وكان يتبابهما فيها الانام وكان الملك
العادل نازلا في كنيسه صهيون واجناده على بابها مخيمون
وفاوض السلطان جلساوه في العلما الابرار والاتقيا الاخيار
في مدرسه للفقها الشافعيه ورباط للصلحا الصوفيه فعين للمدرسه
الكنيسه المعروفه بصندحنه عند باب اسباط وعين دار
البطرك بقرب كنيسه قمامه الرباط ووقف عليهما وقوفا واسدى
بذلك الى الطايفتين معروفا وارتاد ايضا مدارس للطوايف ليضيفها
الى ما اولاه من العوارف وامر باغلاق ابواب كنيسه قمامه وحرم
على النصارى زيارتها ولا الالمامه وتفاوض الناس عنده فيها
فمنهم من اشار بهدم مبانيها وتعفيه اثارها وتعميه نهج مزارها
وازاله تماثيلها وازاحه اباطيلها واطفا قناديلها واعفا
اناجيلها واذهاب تساويلها واكذاب اقاويلها وقالوا اذا
هدمت مبانيها والحقت باسافلها اعاليها ونبشت المقبره
وعفيت واخمدت نيرانها واطفيت ومحيت رسومها ونفيت
وحرثت ارضها ودمر طولها وعرضها انقطعت عنها امداد
الزوار وانحسمت عن قصدها مواد الطماع اهل النار ومهما
استمرت العماره استمرت الزياره وقال اكثر الناس لا فايده
في هدمها ولا هدها ولا يوذن بصد ابواب الزيارة عن الكفره
وسدها فان متعبدهم موضع الصليب والقبر لا ما يشاهد من
البناء ولا ينقطع عنها قصد اجناس النصرانيه ولو انسفت

ارضها في السماء ولما فتح امير المومنين عمر رضي الله عنه القدس في
صدر الاسلام اقرهم على هذا المكان ولم يامر بهدم البنيان

عاد الحديث الى ما جرى
بعد فتح البيت المقدس

واقام السلطان على القدس حتى تسلم ما بقربها من حصون واستباح
ما للكفر بها من مصون ورحل الملك الافضل ولده قبله الى عكا
عايدا عن حوزتها بباسه وجوده ذايدا ثم تبعه ابن اخيه الملك
المظفر فرحل وسار الى عكا ونزل ثم عمد السلطان الى ما جمع
فاخرجه وفرقه في ذوي الاستحقاق وانفقه وفرضه لعوارفه
وفضه في مصارفه فسد خلة المقل واسهم منه ابن السبيل
وحمل به عن الغارم واحيى به سنن المكارم ووضعه في اهله
واحله في محله وصرفه في حله وقدم التوسعة على ذوي الاضافة
والانفاق في اهل الفاقة واحى الاجناد منه مقاطف وجعل
للمجاهدين منه وظايف وانفاه باقيا به ذخرا للاخرة واكتسابا
للمحامد الفاخرة فاكثروا عذله على بذله واستكثروا ما فضه
بفضله فقال كيف امنع الحق مستحقيه وهذا الذي انفقه
هو الذي ابقيه واذا قبله مني المستحق فالمنة له فيه فانه خلصني

من الامانة ويطلقني من وثاقها فان الذي في يدي وديعة احفظها
لذوي استحقاقها فما عاد الوفد الا بوفر دين وبالافاضة في
نظم مدحه ونشره وحاز كل ذي فضيلة منه فضلا وتفيا
كل فئة من فيئه ظلا وكثر الوافدون بالفضايل والسايلون
بالوسايل والقاصدون بالقصايد والوافدون بالفوايد والواردون
بالفوارد والسابقون بالسوابغ والسافعون بالسوابق والسالكون
الطرق والمالكون للحقايق فما ترى الا قاريا باللسان الفصيح
وراويا بالكتاب الصحيح ومتكلما في مسئلة ومتفحصا عن مشكلة
ومورد الحديث نبوي وذاكر الحلم مذهبي وسايلا عن لفظ
لغوي ومعنى نحوي او مفترضا بفرض او معرضا بالتصريح مصرحا
بتعريض او جالبا لمدحه او طالبا لمنحة او مستضعفا بفاقة
او مستشفعا بفاقة او ناشدا بنشيد ومسمعا بتعريب
وتغريد وما فيهم الا من احظى بسهم وارضى بقسم واصيب بنصيب
واحيب واجيز بتقرير وتقريب فقيل له لو ادخرت هذا المال
للمال لتشبثت به ما يقع من الاعتلال وهنيت بتحقيقه ما
تخشى من الاختلال فقال املي قوي بالله الكافل بنجح الامال
وجمع الاسرا المطلقين فكانوا الوفا من المسلمين فكساهم

وداواهم واساهم واذهب اساهم فانطلق كل منهم الى وطنه
ووطره ناجيا من ضره وضرره ومكث السلطان عقيبه مقيما للنظر
في مصالحه مستديما فقيل ما قعودك عن صور انهض اليها
بعسكرك المنصور فانك تدخلها يوم وصولك وتحظى منها بمرادك
وسولك فانو السير واجو الخير واحزم الحزم واحذر التاخير
وفي تعجيل النهضة تحصيلها في القبضة وفي بدار الالمام بدارها
بشرى اهله الفتوح المقترنة بابدارها فاسر بالعسكر واسرع
واقطع عن الكفر تلك الاعمال واقطع واكثر من كان
يستحثه وعلى النهوض يبعثه الامير علي بن احمد المعروف بالمشطوب
وكان من اكابر الامرا الكافين للخطوب الكافين في الحروب
وكانت معه صيدا وبيروت وهما بقرب صور وقد اشفق
ان فتحها يفوت فراى الحظ في الحض وحرص على الفرض ولم يفكر
في قوتها بانتقال رجال الساحل اليها وانه يشق في هذا الوقت
النزول عليها وكان المركيس عند اشتغالنا بالقدس باحكام
صور مشتغلا وعلى الاستظهار بتحصينها مشتعلا وقد استجد
قدامها من البحر الى البحر خندقا وجعل الطريق اليها مضيقا
واحكم اسباب الاحكام واخذ بالحزم والاهتمام ه ه

ذكر رحيل السلطان
عن القدس على قصد حصار صور ه

ورحل السلطان عن القدس يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان
وقد عنا لامره كل قاص ودان وودعه ولده عزيز مصر
في اول منزله وسايره لكراهة فراقه مقدار مرحلة ثم وصاه
وشيعه واستصحب اخاه الملك العادل معه مستظهرا باخايه
مستبشرا بالايه مستبصرا باراه مستنصرا بمضايه مستغنيا
بغنايه موفيا بوفايه وهو بعقده يعقد وبحله يحل ولسده يسد
ومحاوله يحل والعساكر بالقضايا قابضة وللخطوب الربيضة رايضة
والى استنهاض النصر لانصارها ناهضة ومن هواها انها في دما الدما
من اهل الكفر خايضة فوصل الى عكا في اول شهر رمضان فخيم
بظاهرها ظاهر الخيمة باهرا بتاخيره وتقديمه ماهرا بشباه
المبير زاهرا بسناه المنير جاهرا ببشره ظاهرا في بحره واقام اياما
يفكر ويتدبر ويستشير ويستخير والمشطوب يستعجله ولا يمهله
ويحرضه بالبعث ويحذر من المكث ويقول الفرصة تدرك بالحث
وتفوت باللبث فسار لندايه ملبيا ولجيش النصر معبيا ولرايه
مقلدا وبالله عز وجل متاييدا فوصل الى صور تاسع شهر رمضان

يوم الجمعه بالجحافل المحلقه والجموع المجتمعه فنزل بعيدا من سورها
في ترتيب امورها مضروبه قبابه محجوبه عرابه محجوبه بالسود
والجنود ارضه وسماوه منشوره راياته منصوره اراوه خافقه
على الاعدا عذبات عذابه دافقه في ثدي البحر في الانجا ثرات
صوب صوابه وقد لبست جنابه عرى العرا وفضت اشعة بيضه
وسمره الفضه بالفضا واحتوت مضاربه المضيئه بالآيه وارائه
على مضارب المضاء وباحت استباحه حمى المشركين للموحدين
بسر السرا فمكث اياما حتى تواصل المدد وتكامل العدد
واستحضرت الات الحصار واستكثر من المجانيق الصغار والكبار
ثم تقدم اليها وخيم عليها الثاني والعشرين من الشهر يوم الخميس
في خميس يسير في الوشيج كالاسد في الخيس ونزلت النوازل المرسيه
من نزوله ونزاله بالمركس فوقع في الدرديس والعذاب البيس فكانما
نفخ في صور صور فحشر اهل جهنم وملاوا السور واتصلت زياره
الزيارات الجروخ وارسلت الحجارات حاجره حاجزه والسنه اهل
الرجس والرجز بالغحا زاجره وكانت صور على السور مستويه وعلى
كل من خرج من القدس وبلاد الساحل محتويه فضجوا وارتجوا وعجوا
وعجوا ولجوا ولجوا ونصبوا على كل برج منجنيقا وشدوا من كل

جانب ركنا وثيقا وشدوا في الحبال ومدوا في الحبال ورموا من الشر فات
بالشرور والافات وسلبت الحجارة حجاها وامتت الامه وجاها
فلم ترس الطارت ونفوس المارت وبر خسفت وبدر كسفت ونجر نب
وطود نسفت فحول السلطان الى قربها له خيمه صغيره وانهض
بنات الحنايا بالمنايا عليها مغيره وصف الجفاني فصدق ابيتها
الاتى وعارض بحرها بعرض بحره ورد كيد الكفر من المنجنيق بما نصبه
من المنجنيق في نحره فاحبط اعمالهم باعماله واهبط رجالهم برجاله وقابل
الابراج بالابراج وحاول بالردى علاج الاعلاج ووالى بها حجارات ها
وصخورا حتى جعلت سور صور سورا وجد في امرها واجاد في حصرها
ووصل اليه في تلك الايام من قوي به ظهر الاسلام ولده الملك
الظاهر غياث الدين غازي وهو الذي جل في سماحته وسماحه عن
الموازن والموازي فقدم مبارك القدم متدارك النعم عالي الهمم
عالي القيم ومعه عسكر مجر لجب جلبه من حلب فدا استصحب
البيض والسمر والبيض والبلب فظهر من الملك الظاهر ما ملك قبول
القلوب واعرى سيفه بسفك دم الكفر المطلول المطلوب وراى
نصب خيمته وراء خيمه ابيه المنصوبه وجد في استرجاع
الاسلام المغصوبه وقدم بين يديه كل جار زاحف وذل نقاب باح

لضم الصفاح مصافح وكل جاذب بارجان داب الى الكفار
وكل زراق زرق الحساره على اهل النار بالنار وكل منجنيقي من جنانه
سنن ذباله البساله وكل جرخي رخي البال بالهدى لاصما اهل الضلاله
وكل رام رام النجم في الافق فرماه وكل همام هم بالخطب النازل
فحاماه وكل مقدام قرنه دام وكل ضرغام صريعه في رغام
وكل فقام ضارب بصمصام وكل حسام شارب بكاس حمام وكل
ذمر مسيح لدماء الكفر مبيح ولروح الجد مريح وللدما المراح مريح
وكل قاتل لحبل الوريد باتك ولستر الحيوه هاتك ولدم العداه سافك
وكل شجاع الى الموت داع والى المسجد ساع وللاسلام راع وللاشراك
ناع وكل فارس للفوارس فارس وللذوابل في النحور غارس وفي العبوس
العابس غير عابس وكل راجل لقهر العدو راج ولسر الباس مناج
ومن شر الناس بشجاعته ناج وبباعث المنون لمن يلاقيه ساح وكل
غمال بعاتق ونجار ونشار ونحات وحداد وقين وكل زاير للغزي
حس فاجتمعوا وزحفوا وحفوا على القوم وزحفوا واضموا وضموا واوقدوا
نارا واضرموا واطاروا من عشاش الاقواس الى وكار الاحداق افراخا
استصرخوا الاقدار لاقرارهم بحتم من احتيتهم اصراخا وغلطوا
على الرقاب الغلاظ بالرقاق والوا الشفا لاولي الشقاق وتساعدوا

وتباصروا وتطاولوا وما تقاصروا وما فيهم الا من ابان عن حد
وابان بجد والان الشديد واعان الشديد وافلح ففلح بالحديد الحديد
وحد الحديد ومد المديد وصور من تحته ابوابها من تحته اربابها معتصه
جوانبها مرتصه عقابيها مشجونه ابراجها مسجونه اعلاجها محصوره
كلابها محسوره ذيابها محشوره ثعالبها محسوده ذيابها ومن ابليس
متحم دا اللبس عليه متحكم وقد سقط في يده وسخط لبلده وارتبط
بجلده واختلط بكمده وغلبت من اجل غلوايه وعلت غوايل
عدوانه وطاش وجاش واوحش الاوباش والاوحاش وتوشح بالشر
وتوحش وترشح للردى وتحرش واشتعل جمره وتعلل بامره وضرب لصره
وجال بوجله في مكر مكره وكر في وكره وعشا غشه وعشى
غشه وثبت على لجاجه ونبت في اجاجه وتسعر وتعسر وتربص
وتصبر والسلطان مصيب حلمه صايب سهمه ماض عزمه قاض
حزمه بار حده جار جده وار زنده سار وقده فاتك غربه باتك
ضربه قاطع شباباسه ساطع سنا ابناسه قد اتسقت اسبابه
واتسعت رحابه واجتمع اصحابه وازدحم على بابه وحول قبابه كل
مبارز بارز وكل ضارب ضار وكل جارح جار وكل رامح رام
وكل حامل سلاح حام وكل سايف حايف وكل عاصف قاصف

وكل ادل الحرب شارب وكل طالع بالحرب غارب وكل هاجم هاج
وكل راجم راج وكل معتقل متقلد وكل مجرب مجرد وكل ذكر
مذكور وكل غضنفر مشكور وكل ليث ملاث وكل غيث
غياث وكل سفاك لدم الكفر سفاح وكل جراد لسيف الفتك
جراح وكل ملتئم في درعه مكتمن في نقعه ملتثم برعفه متلحف
مقنع بلامه ملفع بقتامه سابح في بحر الموت بسابحه سامع في
الصباح صوت صائحه فجمع اليه امراءه واستحضر عظما ملكه
وكبراه وقالوا هذا بلد حصين ومكانه من الارض مكين في البحر ثلثه
ارباعه وفي السما ارتفاع يفاعه وطريقه الذي يسلك من البر اليه
قد احاط به البحر من جانبيه وقد قطعوه بخندق في عرضه وعمقوه
ونزلوا في ارضه وكان من احكام الحزم واتمام العزم تكميل الالات
وتتميمها وتحصيل المنجنيقات وتقديمها وتركيب الابراج والدبابات
وتاليفها وتقريب الجفاتي والجنويات وتصفيفها وتسوية مناصب
المجانيق وتسقيفها وتهيئة اثقال العسكر وتخفيفها وتخيّر نجب
الرجال وتصريفها وتسنية الاسباب وتهيئة الاخشاب واستحضار
كل ما يراد للحصار واستنفار كل ما يرام من الانصار فاذا حضرت
هذه الاشيا والاشياع وتيسرت وتوفرت الاصول والاتباع

ووجب الدرع في الحصر والمضايقه وطال الباع واذا حالت الاحوال
وضاعت الاوضاع اختل واعتل النزال والنزاع وامر السلطان
بازاحة العلل وازالة الخلل وشغل الصناع بالعمل ونقل الامل الى
طريق الاجل وتقدم بقطع اشجار الغياض وحمل ما يملك النواحي
من الانقاض فاجتمع هناك دا له واله وذباب وذباله ونصب
ومقضب ومجرب ومحرب وسهم وشهم وشهب ودهم واحمال واثقال
ونظمت الستاير من القضيب وصففت من سور صور بالمحال القريب
ومكنت من وراها الكماه واستترت بالجفاتي قدامها الرماه
واشتغل كل صانع بصنعه وكل جامع بجمعه وكل دافع مانع بدفعه
ومنعه فمن جار بمنجنيق ودار الى نيق وداب بدبابه وذاب بدبابه
ونازع في جنبه ونار بمنيته وقاذف بشرارة وحاذف بحجارة دهاتك
من ستارة وفاتك بجسارة وجاذب في حبال وجالب لوبال ومردي
ملح ومستوى لمقلاع ومدبر بالحاف ومدمر بالحاح ولم تزل المنجنيقات
ترمي والحجارات تدمر وتدمي والدبابات تطير من اوكارها عقبان
الجروح واطباق البروج تبني وتغطى بالسلوح حتى امتد الزمان واستد
الجران وضاق الحصر واعتاق النصر وكان العسكر قد الف تيسر الفتح
وتسرع النجح فصعب عليه حين صعب وتبع هواه لما تعب ولما الف

الناس الى رواظماهم بمهله والحصول على الاسباب سهله وفتح ما يقصدونه
من البلاد بغير مهله فلما توقف هذا الفتح توقفوا وملوا وضجروا
وما فعلوا ٥ والسلطان مع ذلك يزداد في جده جده وفي شده شده
وفي جده حده يشجعهم حثه وحثهم على الثبات ويقويهم بجوده
وجودهم الفوات ويقول ان الله امرنا بالمصابره ولا مصابره الا المثابره
فاصبروا تفلحوا وصابروا تفتحوا ٥

ذكر ما تم على الاسطول

وكان السلطان قد تقدم من صور واحضر اليها من عكا ما كان بها من
مراكب الاسطول المنصور فوصل منها عشر شواني على العدى جواني
وللردى لهم جوان يعمرها بالرجال وجهزها القتال واتصلت بها مراكب
لنا من بيروت وجبيل فاستشعر المرهس واشياعه منها الويل وعمروا
لهم مراكب وزفعوا بها مناكب وسفننا بالساحل عندنا مربوطه
وبحفظنا مضبوطه محوطه ودامت تدب عقاربها وتدب سواربها
وتجري سواريها وتسري جواريها وتطير القفص براتها وتعير الفرس
غراتها وتكسر بكواسرها وتدور بدوايرها وتلاطم الامواج بامواجها
وتراحم الاثباج باثباجها وتقيم شرع الهداه بشراعها وتقلع عرش
الغواه باقلاعها وتنقض على شياطين شهبها وترفض شاابيب

الذعر سحبها فكانها الاساود السود ركبتها الاسود من كل
افعوان يحمله افعوان وشجاع امتطيه شجعان وغراب بشتات
العدى ناعق وسحاب لوميض المدى بارق فيا لها من اغربه ذات رنت
بعقبان واجنحه طارت بطلبان ورواس سوار وعوار بعرار وقد
مليت برماه الحدق وحماه الحلق وطرافي النار وزراقي النار والخاطفين
بالخطاطيف والقاذفين بالمقاذيف والكاملين بالكلاليب والسالبين
بالاساليب والحاربين بالمحاريب والراجمين بالرجام والمعلمين على الاعلام
فانسقت مرابر الفرح وازاحت شقها عن البحر وقد نصت براه البرانيه
وتقلصت جناه الجنويه وكرت ادوا الداويه وكرت وابيسوا الا شبتاريه
وزادت الام الالمانيه وعادت اسقام الافرنسيسيه وصارت مراكبهم
في المينا لا يبين ويشدهم لشد شوانينا تكاد تلين وقد ربطوا عدهم
السفن فلو خرجت كانت حبالا لسفن وانس اصحابنا بخلو الامر وخلو
البحر وامنوا من الخوف وادمنوا على الطوف ودام تطوافهم واستقام
انجاوهم فاغتروا بالسلامه وسروا بالاستقامه وباتت ليله شوان
خمس لها بزوال الوحشه انس وربطت بقرب ميناء صور راصده ولاحد
ما يخرج من شوانيها قاصده والدياجي مدلهمه والدواهي ملمه وعيون
الدهر راقده وعيون الكفر ساهده وللمكايد مصايد وللعوادي عوايد

وللغوايل طوايل وللمسايل دلايل وللمقادير مقاد ولاوليك المراد
مراد فحفظ اصحابنا الى السحر الحرس وسهروا الى ان سارقوا الغلس وحل
منهم لما استانس نعس وغاص في النوم وما تنفس فما انتبهوا وسفن
الفرنج بهم محدقه ونيرانهم محرقه فوكلوا في البحر والجوا وتطافروا الى
الماء لينجوا وعدت العداه واخذت تلك الشواني الثناه واسروا
منها عده ولاقى الباقون شده فاغتم السلطان بسبب هذه النكبه
وفرح الكفار تلك الضربه وكانت تلك اولى حادثه كرثت وكارثه
حدثت ونابيه رابت ورابيه نابت فضاقت القلوب وصافت
الكروب وحصلت نحربه الغارتين واتصلت حركة القارتين واستيقظ
الناعس واستوحش الانس وهب الراقد ودب الراكد وذاب
الجامد وشب الخامد وهاج الزاير وماج الزاخر وتحرك الساكن
وتزلزل الراكن وعقل من عقل وذهل من ذهل وتيقظ من غفا وتحفظ
من هفا وتقبض من انبسط وتقيد من نشط ودهم من عف والمس
كف ورجفت الافاق بالمرجفين وطالت السنة المعيفين فمنهم من
يونب ويذنب ومنهم من يقول ويطنب والعاقل يجتنب ويقيم
العذر لمن يذنب ويقول هذه من الله موعظة وايه موقظه واشار
الناس بانفاذ الشواني البواقي وقطعوا بان هذه القطع لا تكفي

لملاقاه من بلا في مجهز وانهارا وسيروا سيرها جهارا وامروا بتسييرها
الى بيروت ورجوا ان يسبق وتفوت وركب العسكر في الساحل
يباريها وهي في القرب مجاريه في البحر وفي البر يحل بما قابلها ملاحوها
شواني الفرنج لمبارزتها مبرزه وللاجهاز وراها مجهزه وكانوا
رجالا من بحريه مصر مجمعه واصبحت قلوبهم مما جرى على انظارهم مروعه
فتواقعوا الى الماء وخافوا على دمائهم في الدما وخرجوا الى البر
على وجوههم وخافوا مكرهم في مكروههم وفروا وفارقوا وطاروا
وثاروا ولم يلتفت احد منهم لبنا ولم يردهم دعاهم الى التجمع الاستينا
فظهر هذه النوبه الواقعه والنوبه الرابعه ان نواب مصر لم يحتر
منهم بالاسطول احتفال ولم يرتب فيه على ما يراد رجال وانما حشدوا
اليها بجمعه مجهوله غير عارفه ولا معروفه ومتضعفه غير الفه
ولا مالوفه فلا جرم لما شاهدوا الروع ارتاعوا ولما الزموا بالطاعه
ما استطاعوا وكان في شوانينا قطعه يتولاها ريس جبلي كانها جبل
وفيها بحريه من ذوي التجربه ما لها حيز ولا ميل وطار باجنحه المجداف
وطار باجنحه الشراع وفاز بالسبق وفات وهيهات ان يدرك هيهات
فنجى النجبا واصيب الا با فبقيت المراكب الباقيه وقد اخلاها حماتها
الواقيه فرفضاها الى البر ورابنا الصحه منها في الكسر وفرغنا من

شغل المراكب في البحر والمجنيقات ترميهم والمقوفات تعميهم وتصميهم والقتال قائم والنزال دائم والصخور تفلق والصدور تقلق والاحجار تعلقل والاسوار تخلخل والاطواد تصعصع والابراج القيام تسجد وتركع والاصلاد تقدح والاجلاد تقرح والالواح تصدع والارواح تودع والحدود تسفاه السفار ملثومه والجدود بضراب الاضراب مثلومه والجروح بين اكفاء الكفاح مقسومه والقروح بها قوارح القوارع مرسومه والخنايا واتره موتره والمنايا ماثوره موثره وطعاين الضغاين تحدى بصليل البواتر وصهيل الضوامر وخفوق الخفوق بعصي الاسنه الاسنه وعنت الاعنه من الغريم الكافر والاوداج شاخبه كالعيون البواكي والاشنار دامية من الزروكات والباوكات النواكي وهناك العقل معزول بالتهور والراي مشغول عن التدبير والعلم والحلم خالطهم الجهل والسفاه والحرخي بيندي بشيم الله والمنجنيقي يختم بلا اله الا الله والزراق بالنار يطيب القارورة ويحرق الساتوره والسباق الى المضمار يساوره السور وتباشره الباشوره ۝

خروج الفرنج للقتال

ولما عثر الفرنج على العثره وظنوا فينا الفتره لاجل تلك الفتره وقالوا من لكبهم الخلل تركيبها وكذا بهم اختل ترتيبها وسيجري بما عنا الندامه التي يحدثها حربها وهم الان على صورهم مخيف ووثبهم مطيف فلا معنى لتقاعدنا عنهم ولا وجه لتباعدنا عنهم فلو خرجنا صدمناهم واقدمنا عليهم وهزمناهم وخرجوا يوما قبل العصر في عدة كالليل خارجة عن الحصر قد التاموا واستلاموا وانتظموا وانتظموا وتقدموا واقدموا للطوارقين حاملين وللجلاف مطرقين وعلى الفرق مجتمعين وللجماعات مفرقين وبالزهو جاذبين وللجد مرهفين وللعقود حالين ومن العمود سالين وللمناصل منتضين وللطوابل مقتضين وللسيوف مجردين وللسيول مجرين وبالزغف ملتمين وفي الحمف مقحمين وبالقنطاريات طاعنين وبالزيارات رامين من كل مغوار وار ومضار ضار ونجار جار وجبار بار وعدو عنود وكنود كنود وداو ذي دوي وباوي غوي ومن كل مصمم اذا ونى مصمم اذا اوتر مصم اذا نعر مصر اذا ذعر هائج اذا اشعر مائج اذا ازخر مثمر اذا ازمر مدمر اذا زخر فسا ونوا ونواوتوا ونجا ولوا ونجا ونوا ودنوا من متارس المجنيقات وجنوا من مغارس الجنويات وبنوا امرهم على ان الناس ياسون غارون اهل الباس في جميع هاجمون فارون فلقاهم منا كل ضارب الهام صار بالحمام جار الى

الاقدام ملب الصوت مجيب الموت مشتمر بالعنا مشتته للقـا
مستهتر بالبلا ماض بالمواضي مفاض بالقواضب القواضي وكل ابيض
بالبيض ضراب وللبيض رضاض واغلب للغلب فغفاض والى الحرب
نماض وكل معقل رماحه معتقد مراجه مهتز لطرب
الشهاده معتز بارب السعاده متمنى للمنون مبحر على الحنون
مضرم نار الحديد في ما الوريد مغرم في تقريب العدى بجمع العديد
مغرى ما الظبى على نار النجيع مبلغ بلبه المدى الى المرح الشريع
قد تلثم باللام وتلفع باللثام وتدرع بالجلد وتقنع بالزرد وتجوشن
بالصبر اوتحش بالبر وصال بالقضيب وجال بالهضب وطال
بالهندي على الفرحي وخاض من دم الشرك في البحر اللجي فلم تسمع الا
ابن الحنيه ورنين الاوتار من كبس الاوتار دهفيف السهام لدفف
اللهام وصليل بنات الغمود من غليل ابناء الحقود وهمهمة الابطال
وغمغمة الفصال وزئير الضرغام وزفير الصرام وقرع الظبى بالظبى ووقع
الشبا على الشبا وصخ الحديد من الحديد وعجه الشديد من الشديد
وجعجعة رحى الحرب ونعمعة اداه الطعن والضرب وجرجرة العجول
وزمجرة الرحول وهديل حمام الحمام وهدير قروم الاقدام ووعوعة
ذباب الوغى ومعمعة النشاب اللظى ودعدعة صاع المصاع

وجلجلة سباع القراع وصلصلة الزبر وولولة الزمر وجلجلة دعاة
النصر وهيضلة رعاة الكفر وقرقفة المريشات الراسقة
الطعنات الفاهقة وهزهزة اصوات الشجعان وتعبير العالين
وصحت السالبين ولجب الجالبين وزجر الطالبين ونعيب الاسود
وقصيف الرعود وهده الاركان ودهدهة الرعان وصفقه الاوان
وقرقرة حوم الكماة وضرضه براه العراه وتسشخلال الظلال
وتشبثن من اجل الرجال وهرير ريح الباس وهدير رعد المراس وارنان
المعاحش وارزام الفناعس وهيعه الصارخ وصيحه النافخ ورعقه
المستفرح ونعقه المتبرع وشعشعة الخرصان وزمزمه النيران
وهيمه الاجل وحمحمة الرجل وتكبير المومن وتهليل المومنين وصرير
ابواب الجنان للشهدا وصريف انياب الحنان للاعدا والدعا الى
اللقا والندا الى الاردا وارتفعت الاصوات واشتبهت الاحيا
والاموات ووقع اصحابنا فيهم وقوع النار في الحطب واروهم في
مرايا البيض وجوه العطب وولوا مدبرين وجنودنا تسلبهم وحدود نا
تقلهم ولنوشا برهم وليوثنا تقنصهم وعادوا الى البلد عادين الجلد
وفيهم ندوب وعليهم نوادب وايدي الردى بهم لواعب ومنهم
لواغب ودخل الليل وعم الويل واسرنا منهم مقدمين يتبوا على

الموت مقدمين ومن استر تحسر فو مصر عظيم بل شيطان رجيم فترك
في قيد الاسار ليكشف عن حاله بالنهار وكان الملك الظاهر
غازي لم يحضر فيما تقدم من المغازي فراى ان يحقق اسمه بقتله
فضرب عنقه بحد نصله وكان للمرقيس شبيها وفي الفرنج وجيها
فظنوا انه هو الشبه وبات اهل الكفر بالعمى والعمه ثم عرف
ان المرقيس في نفسه لم ينكا ولم ينكب ولما عطب اشياعه لم
يعطب وندم على ما قدم ومن تقدم ۞

ذكر ما دبروه من الراي والتدبير وراوه من الحزم ۞

ولما امتنع البلد وارتدع الجزع وارتبح العدو ووجه ضجر العسكر
واجتمع امرا يحبون الافلات ولا يكرهون الفوات وقالوا
مطاولة ما يقصر عنه يتعب ومزاولة ما لا يزول يصعب ومحاولة
الممتنع محال ومطال عزم هذا الفتح مطال وما يتسع لنا في هذه
الحلبة الضيقة مجال وهذا السلطان جلد على المصابرة
مجد في المكابرة لا يكترث بالكارث ولا يدخل سمعه حديث
الحادث ولا يبالي بمن بلي ولا يفكر فيمن ولى او ولي ولا راحة له
الا في التعب ولا يعلم له نصيب سلامة الامر النصب وكلما جرى

الى اليوم منا ومن القوم لم يرعه ولم يردعه وقد قيل اذا لم تستطع
شيا فدعه فكيف السبيل الى استعطافه وما التدبير في استسعافه فه
ومن نتوسل ومن نتوصل واذا عرفناه ان الدا يعضل والخطب
يشكل لعله يطوي الاقامة ويرحل فاطلع على ما اسروه ومن به
ما امروه وهمه ما به اهتموا والمه ما به الموا فراسلهم بالهبات
وواصلهم بالصلات ورغبهم فيما عند الله من الزلفى ووعدهم بكل
عنا ما علا املهم واوفى وقال لهم كيف نخلي هذا المكان وما استقر
في شغله الامكان وما استفدنا في مضايقة الوسع ولا احسنا
بعد في محاصرته الصنع ولا زحف اليه الجمع ولا اخفر منه المنع
ولا اصابنا من منكر اهله مكروه ولا اورد الضر بشفاه شفاهه
مشفوه وكيف يجري بنا الخبر عنه قبل التجريب وهذا الارب ما
يخطر بخاطر الاريب وما عذرنا الى المسلمين اذا تركناه وكيف
نقول فاتنا هذا القنص وما ادركناه والفرصة اذا فاتت لا
تدرك والبغية اذا وانت فحقها تملك ونواظر الناس ما يسكنون
منا في سور صور وهذه الظلمة المدلهمة لا يجلوها الا نور ومن لا
يتعب لا يستريح ومن لم يحترق من الوجد لا يفترح وان يجدوا
تجدوا وان يرتدوا عن المنهل تردوا وان تصبروا وتصيبوا فارجعوا

الى الله وانيبوا فهذا الراجل سنواصل والغرض به حاصل ونحن نقسمه
على المجانيق ونوبها ونلزم كلا منهم بملازمة البقعة التي هو بها
وهذا البرج قد ارتفع والوسع قد اتسع وقد امتلات بالرجال
طبقاته وتوالت منها في الكفر شقاته والنصر قد آن تطيب شقاته
والمركيس ابعده الله قد قرب ان تخونه ثقاته وراينا طول الارواح
لا التطاول الى الرواح وفي التثبت على المقام التوثب على المرام ثم اخرج
المال وصبه من اكياسه وفرقه على ناسه وانفق في اهل باسه
وواصل البذل وهجر العذل وملا الايدي بالغنا وروح للرجا
نجح المنى وامر فامتثل وقال فقبل ونادى فسمع وحشر فجمع وعادت
عادة الحصار واسعفت سعادة الانصار ٥

ذكر حصن هونين ٥

وورد الخبر عن هونين بانها هانت ودنا امرها ودانت وان طريق
فتحها بانت وانها عنت وان الطاف الله اعانت وانها بذلت ما صانت
ولم تسق للكفر على ما كانت وان شدتها لانت وكان السلطان قد وكل
بها بعض امرائه وامده بمددي جنده وعطايه فلبث الى هذه
الغاية يصميها بسهام النكاية حتى طلب اهلها الامان على الوفا
بما يشترطون ولا يشتطون فاول ما قالوا امهلونا حتى نعلم ما يكون

من صور ونكشف هذه الامور فان اخذتموها اخذتم هذه وسعنا
امر السلطان بنفاده وان خليتموها فيا هوان هونين ونحن نجعل على
هذا عدة من الاصحاب من هونين فندب السلطان الامير بدر الدين
دلدرم الياروقي وهو من اكابر عظمائه واكارم امرائه وامره
باستنزالهم واستنزالهم والامان لنسائهم ورجالهم فمضى ورغبهم في الامن
والسلامه وخوفهم عقبى الحسره والندامه وقال لهم انتم من حصنين
هاتين وبين باس وماذا تصنعون اذا خاب رجاكم وبان الياس واذا
ابيتم التسليم عدمتم سلامتكم واقمتم قيامتكم واستباحكم السلطان
واستباح ذكركم واباكم وحل بالقتل حماكم وقل سباكم فما زال يرغب
ويرهب حتى رغبوا ورهبوا واخذوا الامان على ان يذهبوا ووصل
الخبر الى السلطان وهو على محاصرة صور مقيم ولمقابلة اهلها مستديم م
والى ما عند الله من نصره مستقيم وتسلمت هونين بما فيها من عدده وذخيره
وقوته وميرته والالات والادوات لشره وتسلمها بيوم اخو صاحب
بانياس واستشعر الفرج منها الياس وكانت قد بقيت من الحصون
التي بعد فتحها وبرح بالقلوب برحها من عمل صيدا قلعه ابي الحسن
وشقيف ارنون ومن عمل طبرية والغور صفد وكوكب وهما من
اجل الحصون وقد وكل بهما اميرين من خواصه كبيرين وقد ضيقا

على بريما من العلوج ومنعا من الدخول والخروج واقام السلطان على صور
محاصرا وللدين الحنيف ناصرا وليد الشرك بمطاولتها قاصرا يقابلها
بكل سلاح ويقاتلها بكل كفاح حتى كادت تستكين وشدتها تلين
وابيتها تدين وشرتها تبين وكان قد ظهر كانون وظهر من الشتاء
المكنون وقبض البرد الايدي عن الانبساط واعدم الهمم دواعي
النشاط وعادت العزايم المتوهجة تبردوا والصرايم المتاججة تخمد
والنخوات المحركة تخمد والحميات المتيقظة ترقد والضرام المحتدم
تخبوا والحسام المخذم تنبوا والطباع تتكره والسباع تتأوه ومنابه
القتال تختل ومعاقده النزال تحل فلحاهم السلطان على ما لاح
وعرفهم ان في الصبر الفلاح وامرهم بالمقام والاستقامه على الامر
وانه لا ظفر الا مع الصبر وان الظلم تنجلي عند تجلي الفجر وكان في
الامرا جماعه منتخون منخون ابت اماناتهم في حميه الدين ان
تخون مقيمون على الكريهه ولا كراهه بهم على المقام ويحبون
ان يقام وظيفه الانتقام ويوثرون بانفسهم في طاعه الله تعالى
وموافقه السلطان وعصيان الشيطان في مفارقه المكان فاذا
رجف بالرحيل رجفوا وسخفوا راي المشير به وضعفوا واضطربوا
واضطرموا وتلوموا وقالوا كيف نترك ما حويناه ونعوج ما سويناه

ونبشر كفرا ماطويناه ونهجر خيرا انويناه ونبدي توحيدا
شفيناه ونسعى اشرا كادويناه وما للراحه اليوم طالب الا وهو
غدا بالتعب مطلوب ومن امسى الان وهو غالب يوشك اذا ولى
ان يصبح وهو مغلوب وهذه صوره صور قد تشوهت وموارد
قوتها قد سفهت فاذا كلينا عنها وخلينا ها ترفهت واستفرهت
واذا حكمنا عنها سفهت وهبت من نومها وتنبهت وتارك
المصابره مصاب والاخذ بالمثابره مثاب فمنهم الامير طمان
غازي ما اطمان يوما في الغزو ولا سكن وعز الدين جرديك النوري
كم جرد على اعناق المشركين سيفه الذي مكن وهما همامان مقدامان
متقدمان من عادتهما المواثبه على ثبات العداه يرومان الثبات
ولا يريمان وجماعه اخرى بهما يتشبهون وبالكريهه لا يتكرهون
واما الباقون فانهم احبوا البقا وابغضوا اللقا واتقوا الاتقا
وابوا الاباء وقالوا قد تعبنا وما بلغنا وجرحنا وبرحنا فلو ريحنا
استرحنا ثم عجنا ورجعنا وما نحن باول واضع للاصر راجع عن
الحصر معتف للعقل مستعف من الثقل عامل بمحض الحزم عالم
بوقت العزم هذا وقد علم ما عرا من ضروب الكروب وتلم ما يرى
من غروب الحروب وبقدر ما هدم من مباني البلد هدم الكثير منه من

سما الى الجد فقال السلطان بل نجد في القتال ايا ما ونقدم باسا واقداما
ونزحف بجميع رجالنا ونصدقهم في نزالنا ونقاتلهم من جميع النواحي
فان نقدر لاح الفتح اللايح واصبح العسكر قد استعد وامتد
قبالة البلد من البحر الى البحر والنصر استمد وركب الامرا باجنادهم
ووقفوا امام اسوارهم وورق الحديد الاحمر فقطفوا ونشبوا في الزحف
وتعاقبوا على الحيف وكلما ترجلت طايفة قابلت ثم رجعت
وجات الطايفة الاخرى فصدقت وضرعت وقارعت وقرعت
وتنازعت وضرعت فلم نر اشد من ذلك اليوم في وقع القوم
واجترا اصحابنا وراض جامحهم اصحابنا وخاضت خيلنا في البحر
خلف منهم مبهم واقدم من اقحم منا الاقحام مقدمتهم محمد
طارت الحين من السهام زنابيرها واستعرت الحرب بضرام
الضراب مساعيرها وامتلات السعير بقتلاهم وقالت هل
من مزيد ونحت الجنة لمن باع نفسه بها فقالت هل من شهيد
وانقضى ذلك اليوم وقد كلت الاسلحة وفلت الاجنحة وانهاضت
قوادم الانهاض وانفضت الجموع من اقوى القوى والانقاض
وبات الناس على ضجر وضجاج وحب وحاج فلو عاودنا البلد مثل
ذلك اليوم ايا ما لنلنا من فتحه مراما لكنهم اصبحوا على سام

والموا باشد الم وقالوا قلت حيلتنا فلو اقبلت عثرتنا لانجبرت كسرتنا
وفينا الجرح والطلح وحتى متى لا نستريح وقد توالت الامطار والامطا
وعلينا هذا الحصار مضار وكانت الجراحات كثيرة والاجتياحات
بها متيسرة ومنع البرد من العمل وامتنع شد الخلة وسد الخلل
وما زالوا يسالون السلطان ويشيرون بالرحيل ويقولون لا يتعب
على تحصيل المستحيل ولا نذهب الايام في ابرام السحيل ودعنا نستجد
دعة ونسترد قوى عند لطف الله مودعة ونشتغل بفتح الايسر
فقوا كثير وتوخر التشاغل بما العلة بتعسر وكان السلطان في تلك
المدة انفق اموالا كثيرة على تلك الالات والعدد ولا امكن نقلها الا
بمن من يقلها نقلها ولو نقاها لقوى بها الكفر واشتغل بسببها
الفكر فراى نقضها وفك بعضها واحرق منها ما تعذر حملها وبيت
بعد الجمع شملها وحمل بعضها الى صيدا وبعضها الى عكا وجرت
اعاجيب ما تكاد تنجلي وسير ذلك الرحيل قوما وساق قوما واصحاب
قوما وانثني قوما وتاخر السلطان وتباعد عن قرب صور الى المنزلة
الاولى وبدا يده على جمع الاحوال الطولى فشرع العسكر في الانصراف
ونزوله للانكفا والانكفاف واخذ الجمع في الافتراق وانتشروا
في الافاق وذهب من ذهب على مواعده في المعاوده ومسارعه

في الرجوع الى المساعدة وودع الملك المظفر تقي الدين من هناك
واذن بعد عوده الى الاشراك وسار على طريق هونين الى دمشق
مغذا وفارق الغزو وبان له المغزى مغذا وسارت معه
عساكر الموصل وسنجار وديار بكر وكل طير منهم استاف
الى وكره وما عرفوا ان هذه الراحة القليلة تعقبهم تعبا كثيرا
وان هذا الهدو الذي مالوا اليه يصير بحيث حركتهم سيرا وبقي
السلطان على ما تركه يتاسف على الفتح الذي ما ادركه والذين
اشاروا بهذا الراي يسهلون الصعب ويهونون الخطب ويقولون نمضي
ونعود ويساعدنا السعود ويجددنا الجنود ويتجدد الجدود ويورق
العود ويصدق الموعود واذا اقبل الربيع اقبل الجميع وطاب الزمان
ودنى الضمان وامكن الاسعاد وساعد الامكان وما زال الواحتي يحملنا
وعلى الراي الصايب منهم لو اقمنا استقمنا وقمعنا العدو ووقمنا لكن الله
قدر وقدره محتوم وسر غيبه المكتوب في اللوح المحفوظ مكتوم
واراد ولا مرد لمراده وقضى ولا محيد لما قضاه في عباده وان سيصور
في تلك الحالة للكفر ذكرا وللمملك مكرا وللشرك شركا ولنار
جهنم دركا وقدمنا عن صور الا رحال اخر شوال غره كانون الثاني
وعم البرد في القاصي والداني وتوحمت السما من حوامل السحاب

وتوحلت الارض من شوابل المذانب و للرياح عواصف عواسف
قواصم قواصف والسحب الدلاج هوامل هوامر رواعد رواعف
والبرد قارص قارس والماء جامد جاسد والسنا شاتن سات وما
مع مقامه وثباته مقام وثبات وسرنا عبابيد في لبابيد ومن
جليد وجلاميد على الناقورة وطريقها والاثقال قد ازدحمت
في مضيقها والاحمال تتوافع والاجمال تتقاطع والسبل تتسد
والسابلة تريد وسلكت الخيل الجبل وقطع العسكر طريقه
الى المخيم ووصل وتاخر الثقل الى ان تكامل وتقدم من سبق وتملص
ووصلنا الى عكا في ثلث مراحل وقد غطى بحر عسكر الساحل
وخيم السلطان على باب البلد تحت التل سامي المحل نامي الفضل
دايم الفكر في تدبير الامر وتدمير الكفر واثقا من الله سبحانه
بانجاز وعده من النصر ٥

ذكر الحادثة التي تمت على
محمود اخي الجاولي حتى استشهد هو واصحابه

ويوم رحيلنا من صور بقي محمود اخو جاولي وكان من جملة الامراء
اعف ولي وعاش مجاهدا زاهدا وعيشه زهيد وقضى صابرا
مصابرا وهو سعيد شهيد وسبب ذلك ان السلطان لعلمه بديانته

وامانته وباسه وبسالته وفطنته ونهضته وحزامته وكله
بحصن كوكب الذي على الغور وكانت فيها جمرة الاسبتارية القرنية
الجور البعيدة الغور وقد سعوا اشدتهم واشتدوا لمنعتهم
وهو حصن لا يرام وركن لا يضام ومعقل لا يسامى ولا يسام
وذروة لا تفرع ومروة لا تقرع وعقيلة لا تفترع وبكر لا
تخطب وقلعة لا تطلب ولما ملك الساحل وهلك الباطل وتمت
الحصون في سلك الحصول وظفر الاسلام بالفتح المامون المامول
وافتتحت طبرية واعمالها وتملكت اغوار تلك البلاد وجبالها
وتمنعت قلعتا صفد وكوكب بالاسبتارية والداوية وتعذر
فتحهما وتوقف امرهما واعدى البلاد ضرهما فرتب على صفد
جماعه يعرفون بالناصرية من اهل الابه والحمية ومقدمهم مسعود
الصلتي اصلت سعادته منه سيفا اصليتا لا يلفت على لقا العدو
لينا ورتب على كوكب هذا محمودا وكان بما من الحفظ محمودا
وذلك بعد الكسرة وصحة النصرة فاحاطا بالحصنين واحتاطا
وظهرت هابه فيهما بما تعاطى وكان الحفظ مستمرا والاحتياط
مستقرا حتى انس محمود بضعف اهل الحصن وظن انهم في غاية الوهن
وسكن الى سكونهم واغمضت عينه لنوم اغماض عيونهم

واسترسل فيما جرب واستسهل ما صعب واخل بالحزم وخلا عن
العزم واحتقر عدوه وحسب من العجز هدوه وكان مقامه
قريب من كوكب يقال له عفربلا فقد اقام به جامعا حاما ما امر
وحلا وكان ذا دين متين ومكان من التشدد مكين وهو يسهر الليل
ليله متهجدا وقد جعل منزله مسجدا واصحابه من حوله يحفظونه
بقوة الله وحوله فلما كان اخر ليلة من شوال وهي ليلة ذات اهوال
مظلمة مدلهمة كافرة مكفهرة ليلاتها باردة مقشعرة انوارها
بايدة وانواها جايدة وهزيع جنحها دجوجي وهزيم ودقها لجي
وسحبها سحم واقطارها هادم وصبيرها صبيب وصنبرها مشيب
لا يعرف فيها السما من الارض ظلمات بعضها فوق بعض خرج اهل
كوكب وقت السحر ومضوا اليه وقد رقد بعد طول السهر والناس
رقود والحراس هجود والجنود جمود والانفاس خمود والهمم ركود
والسيوف اضمرتها الغمود والعدم قد دنى منه الوجود فما
احس محمود الجحود واصحابه الهمود الا بالفرنج وقد سلكوا
اليهم وبركوا عليهم فقصروا عن الامتناع ولم يقدروا على الدفاع
فختم السعادة وفاجتمع الشهادة وبقي الامير حتى استشهد
محصورا وكان امر الله قدرا مقدورا ونقلوا الى القلعة ما وجدوه

من سلاح وسناع وخيل وكراع فلما عرف السلطان ما اصابهم احتسب
عند الله مصابهم واحمد الى الجنة مابهم فندب الى كوكب صارم الدين
قايماز النجمي الصارم المحدم والخادم المقدم والعضب الباتر والند
المغوار والاسد الاشد والاحمى الاحمد في خمس مايه فارس من
ذوي النجده والباس والشده فسدوا الطريق بمضايقها عنها
ومنع من الدخول اليها والخروج منها ولم يزل عليها مقيما وبحصرها
مستبدا الى ان يسر الله فتحها وسهل للامال فيها نجحها وسنذكر
ذلك في موضعه وكيف اشرق صبح النصر من مطلعه ٥

ذكر ما جرى بعد نزول السلطان على عكا بعد عوده منصور

استاذن الملك الظاهر والده في العود الى حلب فاذن له وودعه
بعد ما امره بكل ما يجب تقديمه من الاستعداد فامتثله وودع
الملك العادل وتوجه الى مستقبل الظفر والنصر واقام الملك
الافضل بعكا مستقلا بالارا مستهلا بالالا مستبدا بتدبير
اسباب الهدى مستعدا بتدميرا حزاب العدى واقمنا بالمخيم
لخدمة السلطان ملازمين ولاقامه شرايطها مداومين وكل
يطلب اذنا في الانصراف ويستقيم على نمج الاعراف حتى خف

من عندنا من الجند وثقل علينا عيب البرد وتماوجت المموج
وتراوجت الثلوج ودرجت الدروج ونجت المروح وارتجز عجاج
الودق وارتجس نجاج البرق وحفت الرجف وطح الاوطف
وتقطعت الخيام وتقلعت الاوتاد وتخللت بابراد الجليد من
البرد الاكام والوهاد وقال بل وقع عمود السرادق ودام
تواصل البوارح والبوارق ودخل السلطان الى المدينه وسكن
بها في سكن كيف السكينه مستقيما على المحجه المستبينه
مقيما للحجه المتينه وشرع في اعداد العدد واستمداد المدد
وابرام معاقد الحل والعقد واحكام قواعد الدين والمجد
واحيا سنه السماح والفضل واعلا سنا الاحسان والعدل
وافاده الكرام واكرام الوفود واعاده ما بدا به من افاضه
الجود واجازه الراجين واجاره اللاجين واسعاف العافين وابعاد
العادين وادنا اهل العلم واغنا ذوي العدم وانجاح
المقاصد وانجاز المواعد ٥

ذكر رسل وردوا في هذا التاريخ ٥

وكانت رسل الافاق من الروم وخراسان والعراق عاكفين على بابه

فاستقرت بولايته الولاية واستمرت لرعيته الرعاية ودرت
أفاويق الآفاق ودارت أسواق الأرزاق ٥

ذكر وصول أخي تاج الدين
أبي بكر حامد من دار الخلافة ه

بالرسالة في العتب على أحداث نقلت وأحاديث نقلت ووشايات
أثرت وأرثت وسعايات في السلطان عنت في الأحوال
وشعثت وذلك في شوال ونحن على حصار صور ونزاع ونزال

ذكر السبب في ذلك

لما تم الفتح الأكبر وحصل وعم النجح الأظهر وقطع دابر
المشركين وحط أثقال الإسلام وأزال أدبار الكفر بحطين أمرني
السلطان بإنشاء كتب البشائر إلى الآفاق وتقديم البشرى به إلى العراق
فقلت له هذا فتح كريم ومنح عظيم وملك عقيم وسمو وتسنيم
فلا يجب أن يكون مبشر دار الخلافة بما أنزله الله من الرحمة
والرأفة إلا من هو عندنا أجل وأجلى وأعلم وأعلى وأجمع لفنون
الفضائل وأعرف بأداء الرسائل فلا توجه بهذه الكرامة إلا الأكرم
الوجيه ولا ينبه لهذه المقامة إلا القويم النبيه ولا يرفع العظيم
إلا بالعظيم الرفيع فإن الشريف يتضع شرفه لمقارنة الوضيع فقال

هذه ثمرة مبتكرة بكرت وموهبة مبشرة بدرت وندرت
فنحن نعجل به بشيرا ونؤخر للإجلال كما ذكرت سفيرا وكان
في الخدمة شاب بغدادي من الأجناد قد هاجر للاسترفاد فتوجه
بعد وصوله ونبه بعد خموله فسأل في البشارة إلى بغداد وزعم
أنه يداوم إليها الإغذاذ وشفع له جماعة من الأكابر حتى خص
بأشرف البشائر فقلت هذا لا يحصل له وقع ولا يصل إليه نفع
والواجب أن يسير في هذا الأمر الخطير خطير وفي هذه
النصرة الكبرى كبير فإن الرسول من يندب له والتفخيم
ويرتب في الأمر العظيم للتعظيم ثم سار المندوب وشغلت عن
إرسال سواه الفتوح والحروب ولما فتح البيت المقدس أرسل
ببشارته نجاب ونفذ بها كتاب ووصل البشير الجندي فلم
تحفل به على كفو الجلالة الهدى وحقروه وما وقروه فإنه كان
عندهم بعين فنظروه بتلك العين وحبوه بما يليق به من الزينة والزين
ونقم على السلطان إرسال مثله وأنه لم يعصب المنصب في تلك
الرسالة بأهله ونسج المندوب بكلام أخذ عليه وبدرت منه
أحاديث نسبت إليه وقال في سكره وحال بكره ما نعرض عن
ذكره فحمل ومؤه وتنكر وتنكره وظن أن لكلامه أصلا

وان لقطعه منا وصلا وانهيت الى العرض الاشرف مقالا انه
وعلمت جهالاته وتجني على السلطان بارساله وطرق الى هداه
ما انكروه من مقال المذكور وضلاله ووجد الاعدا حينئذ
الى السعايه طريقا وطلبوا الشمل استسعاده بالخدمه تفريقا
واختلقوا اضاليل ولفقوا اباطيل وقالوا هذا يزعم انه يقلب
الدوله ويغلب الصوله وانه يبعث بالملك الناصر بعث الامام
الناصر ويدل بماله من القوه والعساكر فاشفق الديوان العزيز على
السلطان من هذه وبرز الامر المطاع بارسال اخي وانفاذه وقالوا
هذا تاج الدين اخو العماد يتكفل لنا في كشف سر الامر بالمراد
وان اخاه هناك مطلع على الاسرار وهو منتظم في سلك الاوليا
الابرار وعول عليه الديوان العزيز في السفاره وورد معه جواب
البشاره وكتب له تذكره بموجبات مقاصد العتب ومدار
موارد القرب والمخاطبات فيها وان كانت حسنه خشنه
والمعاتبه مع شدتها العواطف الاماميه لينه ونشر الاعتنا
في طي العتاب وروح الارضا في شخص الاغضاب وبرد الموهبه
في برد المهابه برد طرف الخطا الى يقين الاصابه وشرف من الديوان
الاخ فسار وهو سمح وقد اصحب خيلا واسحب من التشريف

والانعام ذيلا والحف من بون الاهبه العباسيه شعارا وليلا وواصل
السير بالسرى وقطع الوهاد والذرى وجا الى دمشق بشاره رايقه
وبشاره رايعه وبشاره رادعه وشعار مبيد شرع مصيب
وهيبه روعه اماميه وهيبه عصمه عصاميه وفرند نبوي
لا ينبوا فرنده وري لا تخبوا ولسان في الصرامه جري وجنان
بالشهامه جري وبلاغه بابلاغ ما لبس بلاغ وفيه وافيه وصبغه
بصباغه كل غريبه قول ورغبته طول دافله خافيه وسنا
نور وقار يستعير منه شبير وثبات خلق يتخلق به ثبير وكان قد
عاد المندوب نادبا عاديا جاحدا للنعمه شانيا ذاكرا انه عدم
الحفاظ ووجد الاحفاظ واكثر الكلام فما حرك شمام وقال اخو
العماد تدرع بكل عتب ممض وخطب منقض وغضب مفض ولفظ
نعم نجم على غير حظ ومعه الملامات المولمات والظلامات
المظلمات فقلت له اسكت واصمت وبما بك من وسم الوصم مت
ولا تدخل في هذا الباب واخرج وليس هذا بعشك فادرج وقلت
للسلطان سمعا وطاعه لامر الديوان فان اظهار سر العتب للاسر
غايه الاحسان فقال نعم ما قلت وقد طلبت بارسال اخيك وطلبت
ربما اسعدني اذ اشرفت بالعتاب واسعفت بالخطاب والملوك

بنفعه النادبب وبرعه المهذب على اننا لما نات الا بكل ما قوى
الهدى واضعف العدى وكف الكفر واذلّ الدين ومازلنا
في طاعة امير المومنين محدين اما فتحنا مصر وقد باضت بها دعوه
الدعي وفرخت اما اسقطنا تاريخ الدوله العباسيه بعد
ان كانت سنين يسوّاها ارخت اما استخلصت اليمن والدعي
بها داع والهدى فيها ناع وللضلال منها راع اما ارحت من رق
الشرك الساحل اما ازحت عن حق الملك الباطل اما فتحت البيت
المقدس والحقته بالبيت الحرام والحفته رداء الاكرام واعدت
الى الوطن منه غريب الاسلام اما اعدت الغرب يغرب عزمي
ودعت المشرق يشرع حكمي وما تعبدت الا بالعبوديه للدار
العزيزه وهذه الفطرة متمكنه مني في الغريزه فاهلا وسهلا
بالرسول والسول وحبا ومرحبا بالاقبال والقبول وما اتى الا
بالحب والحبور والامرار والامور لاظهار سر السرور والبارق
بشام اذا رعد والصادق يرام اذا وعد وما اسرنا بالواصل
واوصلنا بالمسره وابرنا بالجد واجدنا بالمبره وسمعت منه
كلما هدى سمعي وابدى لمعي وجمع شملي وشمل بالعز جمعي ولما رأى
اني اصحت لقدومه انتحى فامر السلطان الامرا على مراتبهم

باستقباله وتقدم لجلاله قدومه باجلاله ثم ركب وتلقاه بنفسه
وخصه من تقريبه بانسه ولم يزل حتى اراه موضع الحصار ومصارع
الكفار ومواطي اقدام ذوي الاقدام ومواطن بيسا له اهل الاسلام
ثم نزل وانزله بالقرب وعقد له حبي الحب وسفر وجهه لوجاهه
السفير واحله محله التوقير والتوفير وتبلج له صبح التبجيل
وتامل منه نجح التاميل ثم حضر عنده واخلى مجلسه لي وله
وحده فادى الامانه في مشافهته ونجح مقاصده في مواجهته
واحضر التذكره وقد جمعت المعرفه والنكره فقرانها عليه بفصولها
ونصوصها والزمته حكمي عمومها وخصوصها ووقفته على
ظواهرها ونصوصها وكانت في الكتب غليظه عدت من الكاتب
غلطه وجلبت سقطه وقال الامام اجل من ان يامر بهذه
الالفاظ والاسجاع الغلاظ فقد امكن ابداع هذه الالفاظ في ارق
منها لفظا وارق واوفى منها فضلا واوفق ومعاذ الله ان يحبط
على بسيط املي واتغض وارمض ثم اعرض عما عرض ورجع
الى الاستعطاف وانجع بارق الاستسعاف وقال اما
تحمله الاعدا وعدا به المتحملون وتنفق به المتقولون ولسوف
المبطلون فما عرف مني الا الاعتراف بالعارفه وما هززت منذ اعتززت اعطافـ

ف

العز الا لما يعزلي من العاطفه وان سرني بالنعمه السالفه موجب الانفه من هذه
الانفه واما النعت الذي انكر ونبه على موضع المخالفه وذكر فهذا من عهد
الامام المستنصر رضوان الله عليه وجرى على الالسنه ومتى غيرت سنه ما عدت
الحسنه والان كلما تشرفني به امير المومنين من السمه فانه اسمي الذي هو اسمى
واشرف واطرى واطرف وارفع واعرف ومازاده ذلك النعت الا خلوص
ولاء وخصوص اعتزاز واعتزا ثم قال كلما اعتمد من نصره الدين وقهر اعدا
امير المومنين فانما طلبت به وجه الله تعالى ورضاه وما تعدت سواه فاني
افرض الطاعة الامامية للدين لا للدنيا وما اتقوى فيها الا بالتقوى وما اعزي
الا استكمال الفتوح لامير المومنين وقطع دابر المنافقين والمشركين واذا عادت
عواطفه عطفت علي في الحسنى العوايد وقطفت الفوايد وصفت الموارد
ووفت المقاصد وبعد الاباعد وابعد الحاسد الحاشد وهجر هجر الساعي
واجرى اجر الراعي وعلم جهل الواشي وغدر ذرع الكاشح وخرب عش الغاشي
وذوت هموم ذوي الهمم واولبت كرامه ذوي الكرم ومازال السلطان مده مقام
اخي عنده يوري في اعظامه زنده ويامر باكرامه جنده فلست اسقو من تكدر
ذات البين وان يعود الانس والوصله الى الوحشه والبين فان جماعه من الاكابر
اجتمعوا بالسلطان وقالوا انه نسب حقك الى البطلان ورميت بالبهتان
ومحت طاعتك بعين العصيان فكيف خفت وما عفت والتت وما التفت

٦٨

وزغت وما زغت وصرت وما صبرت واغضبت لما اغضبت واعتبت لما
عوتبت وروقبت وما روقبت فقال تذللي للديوان العزيز تعزز به ادين واتوصل
الى مرضاته توصل بالله فيه وبه استعين فتواضعي ترفع وتخشعي تورع وحبل
حبي متين ومكاني قربي مكين ومما قلت له واوضحت له سبيله انا بطاعة امير المومنين
نطول ونصول ونزاول بها الملوك ونعتمد الا نزول وهذه فضيلتنا التي رجحت ووسيلتنا
التي نجحت وكنا بها مسعودين وعليها محسودين وقد شملت بركاتها وكملت حسناتها
وصفت مشارع يمنها وضفت مدارع حسنها فلا التفت الى تلفتك ولا انثنت
لمن لا ينثني واعرض عمن تعرض لمذهب الخلاف وانهض لمن ينهض للايتلاف
فقال هذا ديني وديدني وبه اعني واعتني ولنوره ونوره اجتلي واجتني
ثم ندب مع اخي من سار في خدمته لزيارة القدس وامر بان يقف به على مواقف
الطهر التي طهرت من اهل الرجز والرجس ثم ودعه واودعه من سفاهه كل ما
في النفس وبالغ في ابداء التضرع والتذرع واظهار التخشي والتخشع وانثنى عنه
الى الديوان كتبا معه وبعده ضمنها كل ما حلي وحلا اجره وجره وكل ما يبطل
سوق المنفقين ويعطل نفاق المتسوقين ويمحو حلو الملقين ويزيل تلفيق الساعين
ويزيح سعايه الملفقين ويتعرف الى العوارف الغر بالشكر ويستعطف العواطف
الغر بالعذر ويجتهد في استفراغ المجهود للاستغفار ويستعفي عن وجه التنمر مما
عليه من الغبار وظهرت بعد ذلك بالقبول اثار الرضى ومضى ما مضى وقضي القدر من

من اعراض الديوان العزيز قرر السلطان بما قضى وفي هذه السنة استشهد الامير
شمس الدين بن المقدم بالموقف في عرفة لابداعه رسما ما عرفه فذهب غلطا
وعطب فرطا وذلك ان امير الحاج طاشتكين انكر عليه ضرب الطبل فامتنع
فدب اليه من به وباصحابه اوقع فتمت من هذه الفتنة فرة ونمت نفرة ولما نمى
الخبر الى السلطان لم يبد منه سوى الاذعان وقال لا شك ان طاشتكين
طاش وقد بعد الايناس الحاش وعد الديوان العزيز هذا من ذنوب طاشتكين حتى
عزله واعتقله بجرايمه بعد سنين ٥

نسخة كتاب جامع للفتح القدسي

الابن انشانها الى سيف الاسلام اخي السلطان باليمن رحمه الله عليهما

صورة هذه المكاتبة الى المجلس السامي ضاعف الله علاه وظاهر الاه وظافر واظفر
بالنجح رجاه واظهر اولياه واضعف حساده واعداه ولا زالت ايامه بالايامن
مسفرة ولياليه بالمحاسن مقمرة ومكارمه بالمحامد مثمرة وعمود مواليه
بشكر النعم محكمه ومعاهد معاديه بقهر النقم مقفره دالة على البشرى
بالفتح الاكبر والنجح الازهر والنصر الاشهر والعصر الابهر والفضل الادر
والافضال الاوفر واليوم الاغر واليمن الانضر والفخر الاسفر والفخر الاطهر
والحمد الاسم الاشمخ والمجد الابلج الابلخ والعز الاسمى الاسمق والنور الاتم الابهى
والظفر الاجل الاجلى والوطر الاحلى الاحلى والشرف الاسم الاسمى

والعز الاعم الاغنى والسعد الاجد الاجدى والصبح النجم الاندى وهو
الفتح الذي تفوح لمجابه مهاب الفتوح وتفوح بسرور روحه سرابر
الملايكة والروح ترح ونغدو اغوادي النعم ورد ولجابا الى روض الهدى المروح
ونلوح تباشير بشراه في لوح الدهر لكل مومن يتلقاها بالوجه السافر والصدر
المشروح وتنوح نايحه الكفر في كل ناحية ولكل نادبه للاسى على قبلها واسرها
ندوب في القلب المقروح وهو فتح بيت الله المقدس الذي علق بيقا وتسعين سنه
مع الكفر رهنه وطال في اسره شجنه واشتد وهنه بكره وضعف ركنه
وزاد حزنه وزال حسنه واجدب من الهدى ارضه واخلف مزنه وواصله خوفه
وفارقه امنه واشتغل خاطر الاسلام لسرّه شاطنه وذكر فيه الواحد
الاحد الذي تعالى عن ان المسيح ابنه ... فيه السليب وعرصايه وصلبه
واذرد عنه التوحيد ... متنه ود... الملوك المتقدمون على تمنى
استنقاذه فابى الشيطان غير استيلايه واستحواذه وكان في الغيب الالهي
ان معاده في الخاتمة الى معاده فان بقا دليل ... باسفار صبح امرنا
واشراق مطلع نفاده وذخر الله هذه الفضيلة لاهل هذا العصر وانزل على
اهلنا نصر النصر واطلع للنيل عن مناخر الغر ووفقنا لوصل اسباب الاسلام
وقطع دابر الكفر وذلك انا استفتحنا سنه ثلث وثمانين بقمع السلث
وامرحنا الاسلام الجد المجد والعزم المعث وخرجنا من دمشق في المحرم بالعزم

المصمم والرعب المجتمع الى الكفر والباس المقدم وكنا اشفقنا على طريق الحاج
من قصد الفرنج فشغلناهم عن القصد بقصدهم وتصدينا لجهادهم بردهم عن
المراد وصدهم واقمنا بجماهر نصرى مخيمين على سمت الكرك وقدمنا الطلايع
الى المناهل ونظمنا سلك امدادهم في ذلك المسلك حتى وصل الحاج سالما
وذل الكفر عن قصده راغما ولما فرغ القلب من شغله وفاز كل جمع بشمله
باهله سرنا الى الكرك في الامراء والمفردين الخواص وسعنا في الجهاد في سبيل
الله الفاتحة بالاخلاص وقدمنا استدعينا العساكر والجموع للجهاد من جميع الجهات
ورتبنا نوابهم للميقات وامرنا ولدنا الملك الافضل ان يقيم براس الماء ويكون
في خدمته جميع الامرا وسرنا الى الكرك والشوبك فاخربنا عماراتها واحرقنا
غلاتها وقطعنا ثمراتها وازعجنا ساكنيها واخفنا امنيها واجلينا عنها فلاحيها
واقمنا النواح عليها في نواحيها ووصل الينا ونحن بالعرش العسكر المستدعى
من الديار المصرية فقرت به قلوب الامة المحمدية واجتمع بالمخيم الافضلي
براس الماء ووصل من العساكر الشامية والفراتية والجزرية والموصلية
والديار بكرية فاستعملنا هنالك فرصة الامكان وامضى الى الكفر
سرية سرية من اهل الايمان فساروا سايرين واغاروا غايرين فاخذوا
وغنموا وسبوا وسلبوا فلم يشعروا الا وجموع الكفر قد سدت عليهم
الطريق واخذت دون رجوعهم الى السعة المضيق فثبتوا ثبوت الجبال

للرياح العواصف وكان مقدم عسكرنا مظفر الدين بن زين الدين ومعه مملوكنا قايماز
النجمي صارم الدين فلقيا بصدريهما صدور العوامل وحملا في عسكرنا على الفارس منهم
والراجل وحصل الفرنج منهم في دايرة الردى وخذل الضلال ونصر الهدى
وكثر من الفرنج القتلى والاسرى وعاد المسلمون بالمسرة العظمى والبشرى الكبرى
واتصلت بنا ونحن في بلاد الكرك والشوبك البشرى وشكرنا الله تعالى على
النصرة الاولى وقلنا هذه مقدمة الاخرى ولما قضينا الوطر من تلك البلاد
وسنا باحراق اقوات اهل النار بالنار حق الجهاد واجتمعنا باصحابنا القادمين
من مصر وتناصرت لدينا دلايل الظهور وتظاهرت امارات النصر وعدنا
الى الشام وقد تكاملت به جموع الاسلام ومن خر بحر الفضا بامواج الاعلام
وطغى على اثباجه حباب الخيام وقد قصر الفضا اختام القتام وعلوا بالعلو من ذلك
الفلو غمام الرغام فخيمنا بعشترا شهرا وقد اعدنا بشهرنا بات الغمود سرها
جهرا وخطبنا من الله الكريم بكر فتح خطبا بذل المهج لها مهرا وقد سمع الفرنج
جمعنا فجمعوا ونادوا في بلادهم فاشعروا واجمعوا على صفورية من صفر
وحشروا في تلك الاشهر من هم في المحشر جميعهم واخرجوا صليب الصلبوت
وقايدا اهل الجبروت فتهافت الى شعلة ناره فراشهم وتوافوا الى ظل ضلالته خشاشهم
واقاموا قامة زعيمهم قايمة وسوابح جردهم في بحر الفجاج عايمة وطلايعهم
سارية وسراياهم طالعة ومقدمات زعيمهم مثل السارية لجنوبهم وقلوبهم

مفضه خالعه فلما تكامل منا الجمع واخذ بمجلجه وعجيجه على الآفاق البصر والسمع
عرضنا عساكرنا في يوم يذكر بيوم العرض وملوا مشاهده لنزل الملايكه ولله
جنود السموات والارض في رايات خافقه قلوب الاعدا عاليه كهم الاوليا
وسرنا في جموع ضاق بها واسع الفضاء وسار في كتايبها نازل القضا وقطعنا
الاردن وتاييد الله مواصل وقدره باقدارنا على الاعداء كافل فلما نهينا طبريه
حتى فتحناها بالسيف ودخلناها دخول المغاير لا دخول الضيف وتسلمنا المدينه
وبارز لنا قلعتها المحصنه وذلك يوم الخميس واشتد الوغا فقد الحرب من
وشبها العريش هذا والملك العادل عنا غايب ومعه ايضا بمصر كتايب
وتوفيق الله له مصاحب و عزمنا على قصد طبريه وان نلاقي الفرنج لقصوريه
في مركزهم ومجتمعهم ونلاقيهم في مخيمهم فحين نزلنا من الثغر بالاقحوانه
مستمسكا من الله بالاستنجاد والاستعانه رحلنا قبل قصد طبريه الى الفرنج
في مجمعهم واشرفنا عليهم في موضعهم فما برحوا من مكانهم ولا تحركوا براجلهم
ولا فرسانهم وارتدنا في صحرا لوبيه موضعا للمصاف واسعا وفضا للمارف
الجمعين جامعا وبتنا هنالك باطلاب الابطال ميمنه وميسره ووجدنا بتاييد
الله اسباب الظهور ميسره وجينا في خواصنا والجنداريه ونزلنا في العده
المجرده على طبريه فاخذ النقابون في ساعه النزول في النقب فصرع قايم سورها
للجنب ودخل النقابون والناس اليها ليلا للنهب وكانت ليله مرهبه مظلمه

وارجا المدينه مظلمه فاشعلوا النار واوقدوا ودخلوا الدور وتفقدوا وامالم يتفقدوا
وكانت بها حواصل من زفت وكتان علقت بها النار فاحترقت تلك المساكن
والديار وتحصن اهلها بقلعتها وتمنعوا بمنعتها فاصبحنا على حصرها وسلكنا
جدد الجد في امرها فجات رسل الامرا ان الفرنج تحركت وانزعجت لكون
عقيلتهم من طبريه قد تملكت وادركهم الندم كيف تركت وما ادركت وانها
قد غيبت جنودها وشيبت وفودها ولبدت لجموعها وصبت عليها ما درو عها
وغاضت في غدران سوابغها السابريه وفاضت بحار سوابحها الاعوجيه
وان جمرهم قد استعر وان بحرهم قد زخر وانهم قد تنوا في عددهم وعديدهم وحدهم
وحديدهم وخيلهم ورجلهم وطمهم ورمهم وفارسهم وراجلهم واحزاب ضلالهم
وابطال باطلهم وانهم حين عرفوا استيلانا وسبقنا بفضيله فتحها الينا عادوا
على العقيله السبيه واشعلت نخوتهم نار الحميه وساقوا الى معترك الردى
وملتقى المنيه ولما عرفنا قربهم قصدنا وزحفنا اليهم واشرفنا عليهم والحب
الساري كالجبل الراسي وقد افاض الحديد من قلبهم من الحجر القاسي وبلغت بوارق
بارقه وزاغت طوارق طوارقه وبرقت قوانس قوابسه وارعدت فرايص
فرامصه وامكنت فرايس فوارسه وباح الحديد على عوابسه بوسنا وسنه وما حث
نحارير لاهبه واشتعلت نيران قواضبه وعنت جداول صوارمه وسدت
بعرصه فجاج مخارمه ووقفت الالفات بلاماته وظهر من حشره يوم الحشر بعلاماته

فاغتنمنا الفرصة في اللقاء وهجنا الى الهيجا واشرعت الاعنة واشرعت الاسنة
ونقع النقع اوام الجو ولحاب الصدى ذوي الدرق وجال الجاليش وطار السهم
المريش وعصفت رياح السوابق واغبرت عيون البوارق ولقيناهم في عرمرم
عارم وبحر خارم وعوامل جوازم وصواهل صلادم وضراغم ضوار وجوارح
جوار واسود قد اعلقت اساود وجياد قد احتملت اجاود وسوابح قد
اقلت بحورا وصقورا قد ركبت صقورا ودوافيناهم نهار يوم الجمعة وشانئهم
لا يتحرك وثارهم لا يدرك وصفهم لا ينقض وجدارهم لا ينقض وبنيانهم مرصوص
وطائرهم عن الطيران مقصوص حتى دخل الليل وقربا الوادي السيل وبات
الفريقان على تعبيتهما واجابه داعي الموت بلبيهما واصبحنا يوم السبت واهل
الاحد على حالهم لم يريموا مواضع قتالهم ومازالت الحملات تتناوب والاسلا
تتناوب والسواعد بفرع الظبى شوارع والرواعف في ردع الطلى رواع
والمنايا تاتي والجناجن والبيض تصلح البيض صفاحها والذكور لنتاج
الحرب العوان بالفتح البكر عند اللقاء لقاحها والذوابل في اشاجع الشجعان
دواب والصوارم بجماجم النيران شوارب وضمائر الغمود قد باحت
باسرارها ونواظر الجفون قد تخلت عن غرارها ولما احسوا باسنا وامرار
امراسنا والحجر سلطي وقد وقد عليهم بناره والاوام سوقد ولا ينوقى

في اجرافهم باداره مالوا الى طلب الماء واخذوا واطرقوا البحيرة للارتواء فاخرنا
قدامهم ووقفنا امامهم وحلاناهم عن الورد والجاناهم الى الردى بالرد واغشيناهم
بنبل حطين وصرنا بهم محيطين وصار جمعهم حمرا ووقدهم ووقد قصب عليهم السيف
بنمر الحمد وقصوا بالقضاء وفرشوا العراء وعنت داما الدماء وغصت
النجاح بالقتلى والاسرى واسر الابرنس الملك واخوه وابرنس الكرك ازره
ووجوه الكفر ومقدموه ومقدم الداوية واعوانه وصاحب جبيل واعيانه
وهنفري بن هنفري وابن صاحب اسكندرونه وصاحب مرقية ولم ينفلت
الا ابن بارزان والقومص وتم لهما من الورطة التملص وكان كلاهما ملهما عند
اللقا بالقتال وعند الفرار بالاحتيال فاما القومص فلم يتربط ابلس ادركه
الموت في برجه المشيد ونقله القدر المبيد الى عذابه المويد وذلك اليوم
اهل الحروف وخر صليب الصلبوت وبار وباد اهل الطاغوت وهلك
عبدة اللاهوت والناسوت وكتب عليهم القدر كتاب الاجل الموقوت
وقدمنا الابرنس وضربنا رقبته وفا بالنذر وعجلنا به الى النار مأوى اهل
الغدر والحقنا به الداوية والاسبتارية وادرنا عليهم كؤوس المنية
وروينا ظما الظبى بنجيعهم وقربنا بشيد الفلا مصرعهم وعدنا الى طبرية
فتسلمنا قلعتها وقد غادروها وافرعنا عذرتها ثم سرنا الى عكا
ففتحناها بالامان واعلنا بها شعار الايمان واسعرنا من بعدها البلاد

الساحلية من جبيل وحد طرابلس الى الداروم غير صور فانها امتنعت بسورها
ولم يبق الان في دارس الكفر غير سورها وانها وحدت نسخة في ايام اشتغالنا
بفتح اخواتها ولتفت من عدد المحاصرة الا انها وكنا لما فتحنا عسقلان بدانا بالنزول
على القدس وذلك يوم ثالث عشر رجب فرجف بنا قلب الكفر ووجب وظن
اهلها انهم يعتصمون وانهم من باسنا يسلمون فنصبنا عليهم منجنيقات هدت السور
بسور احجارها واذن ركوعها بسجود الابراج في احبارها ووقفت الصخور
باصراخ الصخرة وعنت تلك القلل الا قالة ما دام بها من العثرة ولبست النقب
نقاب الاسوار ورمت الجنادل بجوانب ذلك الجدار وعلم الكفار لمن عقبى
الدار وايقنوا بالهلاك والاسار فخرج مقدموهم متذللين بالاذعان
متمسكين في طلب الامان فابينا كل الاباء الا سفك الدماء من الرجال
وسبي الذراري والنساء فخوفوا بقتل الاسراء واخراب العمران وهدم
البناء فامناهم على قطيعة موازنة لا نمانهم لو اسروا وسبوا فاموا ان
يسلبوا هم على الحقيق ويسلبوا من وفى منهم بالقطيعة خرج بحكم العتق
ومن عجز عن ادائها دخل تحت الرق وعاد الاسلام باسلام البيت المقدس
الى قدسيته ورجع بنيانه من التقوى الى تاسيسه وزال ناموس ناقوسه
وبطل قياس قسيسه وفتح باب الرحمة لاهلها ودخلت فيه النعم لفضلها
وباشرت الجباه منها مواضع سجودها وصافحت ايدي الاولياء اثار القدم

النبوية بتجديد عهودها وشوهدت معارج المعراج وموطئ براقه وراى نور
الاسرا ومطلع اشراقه ودنى المسجد الاقصى الراكع والساجد وامتلا ذلك
الفضا بالاتقيا الاماجد وطيبت له حاود بقراة القران ودرواية الحديث
وذكر الدروس وجليت هدى الهدى من صخرتها المقدسة جلوة العروس
درارها شهر رمضان مضيفا لها نهار صومها بالتسبيح وليل فطرها بالتراويح
وسقاها الله لسقياها هذا الفتح ما كان ذهب القلوب لاجلها من تبارح
التبارح فالبيت الحرام مساو للبيت المقدس مقدك منا دلاما من المهج والا نفس
بالانفس وانه من المساجد الثلاثة التي تشد اليها الرحال وتضيق عن وصف
شرفها في حليه البيان المجال وهو ثالث الحرمين ولا تثليث في حرم توحيده
فتجدد حد الاسلام بتجديده ولما فرغ البال من تدبيره وقضينا حق تقديسه
وتطهيره صرنا الى صور ونازلناها بعسكرنا المنصور وفي صور سور الكفر
وتقته وقد تحصن بسورها ومنعته شرذمته وهي مدينة حصينة متوسطة
البحر كانها سفينة وقد نصبنا عليها المنجنيقات فكان فيها در من اعاليها
وهدمت من مبانيها ولم يبق في جعبة الكفر سوى نشابها وان يحمى علينا
نصر الله وعوايد تاييده لنا يؤذن بافتتاحها واذا اسلمنا كل بلد للفرح باق
ومالهم من عذاب الله الواقع بهم واق ثم راينا ان حصار صور يطول وان
بكار العسكر فيما يقول وان فتحها لا يفوت وله وقت الموعود وو عده الموقوت

وكان العسكر قد ضجر وملّ واعيا وكلّ وقد دخل الشتا وبرد الهوا وحادت
السما وتواترت الانوا وتواصلت الاندا ولا بد من استيناف جمع
العساكر في ايام الربيع واستمداد النصر الذي يضم لا سيما الفتح شمل الجميع
ورحلنا عنها بعد ان رتبنا حولها في الثغور المجاورة لها من يديم شن الغارات
عليها ويواظب على النهوض اليها وفسحنا لاجنادنا في الاستراحة مدة شهرين
الى البروز فان في تلك الايام تتوفر العزايم على المبادرة والبروز
وقد جرت المواعدة على المعاودة والمعاقدة للمعاضدة والمعاهدة
للمساعدة فليس في الفرنج من يقابل الان على الخيل والنهار عليهم من
اظلام الليل والعز متقلص الظل عنهم والذل ضافي الذيل وقد جرب
حربنا مسعر الحرب والويل وقد اشتمل الفتح على البلاد المعينة والمعاقل المبينة

طبرية عكا الزيب معليا اسكندرونة تبنين
هونين الناصرة الطور صفورية الفولة جنين
زرعين دبورية عفربلا بيسان سبسطية نابلس
اللجون اريحا سنجل البيرة يافا ارسوف
قيسارية حيفا صرفند صنرا قلعة ابي الحسن جبل خليل
بيروت جبيل مجدليابا مجدل حابا الداروم غزة
عسقلان تل الصافية البرج الاحمر اللطرون بيت جبريل بيت لحم

لد الرملة قرتيا القدس صوبا هرمس السلع عمر السبسع
ولم نذكر ما خلالها من القرى والضياع والابراج الحصينة الجارية مجرى
الحصون والقلاع ولكل واحدة من البلاد التي ذكرناها اعمال وقرى
ومزارع واماكن ومواضع قد جاس المسلمون خلالها واستوعبوا ثمارها وغلاتها
وقد كنا عند قصدنا البلاد وعرضنا الجهاد الاجناد كاتبنا اخانا الملك
العادل سيف الدين دام سموه ان يدخل بالعساكر المصرية من ذلك الجانب
وينتظر كتابنا بنصر هذه الكتايب فلما بشر بكسر الفرنج وفتح طبرية
وعكا والظفر الذي اضحك الاوليا وللاعدا ابكى ودل على انه قد افلح
المومنون وقد افلح من تزكى كان قد وصل الى السوادة في سواده وبياضه
وكان حشده وبراضه وورد من مورد النصر الى حياضه فجاس بجيوشه
وحان العرش بعروشه وزادت الداروم بدمورها واحفلت قدامه
في كل من اعتمد عليه بامورها ووصل الى يافا ففتحها عنوة ونال العسكر
منها بالنهب والسبي حظوة ثم حصر مجدل يابا وحصره وطلب منه
الامان فانظرها وكتبنا اليه بالاقامة في ذلك الجانب ماضي العزايم
ماضي القواضب ويستفتح من البلاد ما يتعجل فتحه ويتقدم من الرجا ما
يستربحه الى ان يفتح ما في جانبنا من البلاد ونتسلمه وننتهز من فرصة
الامكان فيما نحن بصدده ونغتنمه وقد دنا نهضنا الى كل بلد من الناصرة

وصفورية وحيفا وقيسارية من تولى افتتاحه ونتقبل من تمت النصر
ارواحه فنصرهم الله على الناصره وقيسارية قسرا وتسلمت البواقي
سلما ورأى من كان فيها سلامته غنما ورضي بالعزم رغما وتسلمنا حصن
تبنين وبيروت بالامان بعد ان قاتلنا اهلها قتالا شديدا الجاهم
الى الاذعان فاما صيدا فان صاحبها اذعن الى التسليم وبات الناس منه
بليلة السليم واما جبيل فقد سلمها صاحبها وخلص من الاسر
ورأى ربح خلاصه فيما تعجله من الخسر وحينئذ سرنا واجتمعنا بالملك
العادل على عسقلان وهان لنا كل ما استصعب منها ودان وظهر
لنا وجه الفتح منها وبان وامكن كل ما استد ولان وراجمنا مناكب
ابراجها من المجنيقات بمناكب واصبنا فوايدها لما رميناها بمصايب واصمينا
مقاتل الاسوار بسهام قسيها وعاقبنا اهلها لها واقدنا بخزام الكره
انف الطاعة من عصيتها وصافحنا ببيض الصفاح يد الرضا من ابيها وباشره
سهام الجانبين سوا كما تنابا الشرفات فهتمتها ونهضت احجار الرحى
الى احجار البنا فهدتها وهدمتها وعني فيها معول النقاب فرفضت
الاضطراب لا للاطراب وعادة الحجاره الى اصلها من التراب ولما ايقن
اهلها بالعطب لاذوا بالضراعة والطلب وخرجوا مسلمين مستسلمين
وانقادوا مستكينين مذعنين وتسلم البلد واسلم وجدع انف الكفر

وارغم وعاد منه الايمان الغريب الى وطنه وقر منه الاسلام من وطنه
الى مسكنه وعند ذلك تسلمنا غزه وعدنا اليها العزه واتينا على
الرمله ولد والنطرون وفتحنا بيت جبريل وجبل الخليل وجميع
تلك المعاقل والحصون ثم ختمنا فتوحات هذه السنه بفتح الارض
المقدسه والحمد لله على نعمه المفرجه للكروب والطافه المنفسه وقد
جعلنا هذه البشارة القدسيه بما هياه الله من الموهبه السنيه وسناه
من المنحه الهنيه لمملوكنا حسام الدين سنقر الخلاطي وامرناه ان يسير بها
من اصحابه من يقوم فيها بحق منابه والمجلس السامي اسماه الله تعالى
يشيع مباسمها ببلاد اليمن ويجلو عروسها البكر في حسنها الحالي وحليها
الحسن ويشكر نعمة الله التي خصنا بها وعم الامة ويديم شكرها فان دوام
الشكر يديم النعمة لا زال المجلس السامي مشكور الشيمه عالي الهمه
منصور العزيمه ه

ودخلت سنة اربع وثمانين والسلطان صلاح الدين مقيم بعكا ه

وربت الربيع رضيع ووشي الروض وشيع وضع القدر نصع وشمل
الظفر جميع وفضل الفضايل وشيع ومراد المراد مريع ونسيم الاسحار
لاسرار الازهار مذيع وارج الجو العليل في شفا غليل الجوى سريع
والدهر قد تمثل وافاق والزهر قد شمل الافاق وللمهجات مهات وفي

دني الشعاب اعشابٌ وخدود الشقايق وثغور الاقاحي مفترة وعيون
النرجس مصفرة وشفاه المنابع مخضرة واحداق الحدايق الناظر ناظرة
ووجنات الحبات الداهيه زاهره وعذبات المنابت متوجه وحافات
المناهل مدبجة وجباه الغدران متغضنه وجفون النوار متوسنه
والافنان مورقة والاورق متنفسه وخد الخيري مورّد وحد
الغرار مجرد وعرف البهار قد بارح ووجه الجلنار قد تضرج
وعذار البنفسج قد بقل وعذر الرمان قد قبل وشارب النبت قد
طرّ وهارب البرد قد فرّ وسر الصيف قد سرى وشرّ وطي
الطيب قد حفل ودرّ وتقاضى السلطان عزم عزمه بدين الدين وان
ان يخرج ليث باسه الخادر من العرين فابتز مضاربه وجهز كتايبه
وضرب سرادقه وعرض فيالقه ونشر بيارقه وحشد رواعده
وبوارقه وانفق خزاينه وانفد دفاينه وبذل في صون الدين دنياره
واشعل في حفظ ماء الهدى ناره وسار على سمت حصن كوكب
وعن قصده ما تنكب ونزلنا عليه في العشر الاوسط من المحرم
وما شنا الامر له لقتال العدو فيه لهج المحب المغرم ولوعة وهج
اللهيب المضرم ووجدنا كوكب في سمايها كانها الكوكب وظن
الفرنج انها لا تشكا ولا تنكب وهي من المصاعب التي لا تذلل ولا

نركب فاحطنا بالحصن وخيمنا حوله واستمددنا قوة الله وحوله
وزحف اليه الرجال وتناوب عليه القتال وركب اليه السلطان
وزاره واستصعب احتساره ورأى ان مقاتلته تطول وان مسلمه
تعول ومحاولته في مطاولته ومصابه في مصابرته واضافه
في مضايقته وان في هذه الحاله اقتصا تعذر اقتصاص عذرته ولا
مطمع الان في فرع ذروته ولا قرع مروته وكان في خواصه واهل
استخلاصه لم يجمع عساكره ولم يسمح زواجره فاقام هناك بالتدبير
مشتغلا وللاشتغال مدبرا وبالاستظهار متأيدا وبتاييد الله
مستظهرا حتى رتب على قلعة صفد خمسمايه من كل مجرب للحرب
ممارس وسلمهم الى طغرل الجندار لمرابطتها بالليل والنهار ووكل
بكوكب قايماز النجمي في خمسمايه فارس مقاتل من كل ناصر للحق
قاهر للباطل وكان سعد الدين كمشبا الاسدي بقلعة الكرك
موكلا وبحفظها متكفلا

ذكر حال الكرك من اول الفتح

وقد مضى ذكر وقوع ابرنس الكرك في الشرك ومعترك يومه
في المعترك واقتناص الفتح كتفه وبسط يد الانتقام عليه لقبضه
كفه وانه اخذ راسه وقطعت انفاسه وقلع اساسه وبانت

زوجته

ابنه قلبت صاحبة الكرك بالقدس مقيمة وحفظ معاقلها مستديمة
وحصل ولدها هنفري بن هنفري في قبض الاسر وقيد الخسار وغمة الابتئاس
والانكسار فلما يسر الله الفتح ببيت المقدس واضحى الاسلام عالي اليد
والامر والكفر راغم المعطس خرجت صاحبة الكرك متعرضة للخضوع
متضرعة بالخشوع وبرزت مستكينة مستعطفة مراحم
السلطان مستلينة رافعة عقيرتها بالابتهال شافعة في فك ولدها
من الاعتقال معفرة خدا من شأنه التصعير مسفرة عن وجه من عادته التخدر
حاسرة حسرى بائسة تحرمها باسرى والدة تنشد ولدها والهة دخل الرعب
خلدها مطلقة مسورها مستطلقة ماسورها بائنة عطف العطف
لواحدها رائية بعين الذل في خلاص ساعدها سائلة في فلذة كبدها
جائلة بجدوه كمدها باسطة يدها القبض يدها ناثرة خرزات دموعها
عاثرة بحرارات ولوعها خافضة جناح استعطافها ناهضة في نجاح
استسعافها زاجرة بنوحها عاجزة عن بوحها وخرجت معها
زوجة ابيها ابنة الملك كأنها من بنات الفلك بادي صبح وجهها
اليقق في ليل شعرها الحالك مشرقة من اوجها مشفقة على زوجها حزينة
على فقد الخليل مقترحة شفاء الغليل حاذرة قد اسفرت من مطالعها وأمر
حادرة عبرة في مدامعها صخرة ناهدة مستنهلة واجرة متوجدة

معتبرة متذللة مهترة متململة باكية ملتهفة شاكية متأسفة مستدعية
مستعدية عاطبة مستعطية سائلة عبراتها راكبة عثراتها خامشة
وجناتها خادشة بشراتها وحضرت الملكة في زوجها الملك خاطبة
ولغرمها الندب نادبة قد اذعنت وعنت لفكاك عانيها وطلبت
بطلها الذي هو عامر داثر حزنها وبأسها فأكرم السلطان وفادتهن
ووفر افادتهن وقرب ارادتهن وقرر زيادتهن ووهب لهن ولاتباعهن
ولاشياعهن ما كان يلزمهن ويلزمهم من مال العطية ووصلهن
بصلاته الرفيعة وخصهن بما لاق بكرمه من حسن الصنيعة ووقفهن
نجح الذريعة واما الملكة فانه ملك محلها وجمع بالملك شملها وتقرر مع
صاحبة الكرك اطلاق ابنها على تسليم قلعتي الكرك والشوبك ودخولها
في معاقلها وجميع اصحابها منها في الدرك فاستحضر ابنها هنفري من دمشق
اليها واقر ونبه عينها وسار معهم من الامراء الامناء من يتسلم منهم تلك
المعاقل ويحوز من تلك العقيلة العاقلة تلك العقائل فمضت اليهما مع ولدها
حسنة الظن باهل بلدها فلما وصلت قاطعوها ودافعوها عن حصونها ومانعوها
واخلفوا ظنها وخالفوها حيث ما الفوها كما الفوها وجحوا وجمحوا واحنوا عليها
واجترحوا وعصوها واقصوها وعددوا عليها الذنوب واحصوها والجئوا
لها في خطل الخطاب واوحشوها بالتجني عن صوب الصواب وسبعوها وسبوها

والى موافقة الاسلام تستوها وحلّها لابنتهم خاشنوها وكلما فارقتم بانيوها
فوجدت نبوة نوابها وعدمت اصحاب اصحابها وذكرتم بحقوقها وحرم
من عقوقها ولاطفتم فغلظوا واسترضيتم فاحفظوا واسترعيتم العهد
فما حفظوا ونبهتم لامرها فما استيقظوا وانفصلت عنهم خائبة محققة
هائبة مشفقة خشية من رد ولدها الى السجن وعودها من الاصحاب الى الرجس
ومضت الى الحصن الاخر فحصلت في صيغة الخاسر وانما لما الممت بالشوبك
الممت من شوب كدرها واملت نفعها فعادت بضررها ولقيت من نوابها نوائب
وفي موارد المراد منها اقذاء وشوائب فآبت بالامل الخائب والعمل العائب
والخوف الصادق والرجا الكاذب فلما رجعت قبل السلطان عذرها وازال ذعرها
واعلمها بان ولدها محفوظ بالرعاية ملحوظ وبالعناية محظوظ وهو في حصن
السلامة الى ان يسلم الحصون واذا بذل مصونها بذلنا له منه المصون فسكنت الى
الوعد وسكنت بعكا في الرفه والرفد ثم استقلت قبل خروجنا من عكا الى صور
واستودعت السلطان ابنها المأسور وامدّ السلطان سعد الدين كمشبا في حصار
الكرك والشوبك بامراء انشا عدوته في الحفظ والبرك واقام على كل قلعة من
يلي محاصرتها ويلي مصابرتها ويلبث في مقابلتها ولا يعبث بمقاتلتها فانها تبقى
على بغيها ما لم تقوم قوتها وتدوم على طغيانها ما لم يدل عن طاغوتها فلما رتب
السلطان هذه المراتب ورتب هذه المآرب اقام حتى وثق باستمرارها وحقوق
استقرارها ه

ذكر ما دبّره في عمارة عكا

اختلفت الآرا
في امر عكا فانها كانت مدينة متخرقة وسوقها متفرقة وسورها غير معمور
ومعظمها بلا سور وزارا وان في ابقائها خطرا وان في اخلائها ضررا فمن
اصحابنا من اشار بخرابها وحفظ الحصون وعمارة قلعة القيمون ومنهم من قال
اذا صينت عكا ملك البحر وهلك الكفر وكان على البلاد الساحلية
ثقلا وكانت بلاد الكفر بها غفلا ومن قائل بابقاء برج الداوية بحفظ سنها ها
ومن قائل بحصرها من اخبائها ومن قائل بتجديد سورها ومحكم امورها وسعتها
كما لها ونعمها بكمالها على ان اسوار هذه البلاد سيوفها التي هي عند الفتوح
مفاتيح اقفالها واجالوا الفكر فمن يحلي عواطلها ويحلي عواطلها ويتوحد بتدبيرها
وينفرد بتعميرها وتجتهد في تشييدها ه

ذكر وصول بها الدين قراقوش
لتولي عمارة مدينة عكا ه

فقال السلطان ما ارى لكفاية هذا الامر المهم وكشف الخطب الملم غير الشهم
الماضي السهم المضي الفهم الهمام المجرب النقاب المجرب والمهذب اللوذعي
والمرجب الالمعي الراجح الراي الناجح السعي الكافي الكافل بسد الخلل الجوامع
وتعديل الجوامح وهو الثبت الذي لا يتزلزل والطود الذي لا يتحلحل بها الدين قراقوش
الذي يكفل حاشية بما لا تتكفل به الجيوش وهو الذي ادار السور على مصر

والقاهرة ووفاق القول بآثار مساعيه الظاهرة فما مرة أن يستنيب هناك
من يكفيه لتمام تلك العمارة ونومر لهذا الأمر فهو جدير بالإمرة والإمارة
وكوتب بالحضور لتولي الأمور وعمارة السور فوصل متنفلاً بالشغل
منشرح الصدر للعمل منفسح البشر والأمل مبتهجاً بالأمر ملتهجاً
بالشكر وقد استصحب معه كلما يحتاج إليه من أسباب العمارة وآلاتها
وأدواتها وأنفارها وأبقارها ورجالها وعمالها وعمارها ومهندسيها
ومؤسسيها وحجاريها ومعماريها والأسارى والصناع والنحات والقطاع
والمال الكثير للنفقة والرفق ومثل بالخدمة السلطانية على كوكب وحضر
الموكب وشرف بأسنى الخلع وأعطي الملبس والمركب وفوض إليه وقلده
وأسعفه من عنده وأسعده وقوى جانبه وأعذب مشاربه وأوضح
مذاهبه وأنجح مآربه وأيد يده وأجد جده ولنز مدده ووفر عدده
وعدده وخصه بعطاياه واستخلصه لوصاياه فتوجه إلى عكا وشغله
متوجه وعزمه منتبه وسره مترفه وفكره في رياض الهدى متنزه وأمره
ماض وحكمه قاض والله عنه راض وقام بما أقيم له ونهض بالعبء وحمله
ومشى بكفايته عمله وشرع في التعمير والتسوير وتسوية الأمور بحسن
التدبير وسيأتي شرح ما جرى بعد ذلك في مكانه وما ظهر من حسن
إبانته وإحسانه

ذكر وصول رسول قلج رسلان وغيره من الرسل

فلما شاع خبر السلطان باستيلائه على البلاد واستعلائه في الجهاد
وتأرجت الأرجاء بعرف عرفه وأرجفت الشمس بمحاسن وصفه عنت الأمصار
لمره وأذعنت الأملاك لملكه وانقادت الأمراء لأمره وعادت مهابة
الحجاب تفوح بما له من الفتوح وشروح إيراده وإصداره على صدر
الزمان المشروح تنبيه بالبراعة على كل عظيم وناهب بالطاعة له كل
إقليم ورهبه ملوك الأطراف وتعلق بأسباب وداده الشرف منه الإشراف
وكاتبوه مستضعفين وخاطبوه متعطفين وراسلوه بالتحايا ووصلوه
بالهدايا ورغبوا في أمتن خلف الامتزاج والإيشاج والانحاف بحاف
الأنساج وخطبوا الوصلة وطلبوا الصلة وكل يطلب لبلده أماناً
ولبده وقدمه من تمكينه وتأييده إمكاناً ومكاناً ويتوصل ويتوسل ويلطف
ويتطفل ويرسل ويسترسل ويرجو مواهبه ويخشى عواقبه ويبدي التودد
للود والقصد لبلوغ القصد فما يعود رسوله إلا بسؤله ولا يقبل عليه إلا
لقبوله ومن جملة الملوك المتقربين بالوداد المتسببين إلى حصول الاتحاد
سلطان الروم قلج أرسلان فإنه بذل الإذعان وسأل الإحسان وأدى في
المودة الأمانة وأبدى للرغبة الاستكانة واستنهض في سفارته السفير
الألب وندب الندب وأنفذ أكبر أمرائه وأعظم سفرائه وهو اختيار الدين
حسن بن غفراس وكان في دولته مقدماً وفي مملكته معظماً وعند أهل ولايته

محكماً وقد استعلى عليه واستبد بالتدبير واستولى عليه كانه علته اولى
ولا تصرف له في ملك ومال الا بتصرفه ولا تعرف له عن حادث الا بعرفه
فوصل هذا الكبير بنفسه لتمهيد القواعد وتشييد المقاصد وتجديد
العهود وتاكيد العقود وقدم مكرماً واكرم قادماً وخدم حاضراً
وحضر خادماً وقبل البساط وبسط وجه القبول ونال له الشرف فتشرف
بالمثول وحيا تحية الملك المملوك وحفظ الادب ولم يتنكب فيه عن
النهج المسلوك فتلقاه السلطان بالبشر والترحيب والبر والتقريب واعزه
بنزوله في داره واوعز بنزله وقراره ووسع عليه في الانعام ما ضاق
عنه امله ووصله من الجميل بما راقت تفاصيله وجمله وشفع بنائله
بالاصغا ورفع مقالته عن الاكفا وسمع ما جا به واجابه وابعد
بادناً مآربه ومآربه وشافهه بسقايه وارواه برواية واولاه لولايه
وعرفه بالتعرف الى الايه ونصبت له خيمه مسردقه سما ذات
الاقبال الباهر لها مصدقه ووجوه الكرامات بها محدقه وسحب
المبرات لها مغدقه فاقام اياماً ما يامن من مقيمه ومحاسن من احسان
الشيم السلطانيه متيمه فلما استقام امره اسفر واستدر له بارق
البر من سماء السماح واستهل وما رام حتى نال ما رام ووثق لاحكام
المواثيق الاحكام ووصل تلك المدة ايضا الصلاح فلع به

٨٠

وهو ابن قطب الدين سلمان بن محمد بن قرا ارسلان وافيا موافيا باحسان
الخطبه وخطبه الاحسان راغباً في نظم الوصله وتعميم الصله اخذ
لصاحبه ملك ديار بكر عهداً محكماً وعقداً من الميثاق مبرماً وقد احضر
قضاه بلاده شهوداً واقتضى لصاحبه بحضورهم عهوداً وقد خطب لصاحبه
ابنة الملك العادل ومت بكثره الشوافع والوسايل وكان خايفاً
من آمد فانها من فتوح السلطان ووهبها لابيه نور الدين بن قرا ارسلان
فاشفق من استرجاعها بالحق بعد وفاه والده وراى الامن عليها
وعلى جميع بلاده من اكبر مقاصده فرغبت في المصاهره للمظاهره
وان يفتح بها باب المؤازره للموازره فآواه الملك العادل الى ظل
هذه المواشجه وثبت بعقد المزاوجه حكم الممازجه فتم امنه وعم يمنه
وزاد قربه وزال رعبه وجلس السلطان وحضر عنده الاماثل والاعيان
ووكلني وكان وكيل الجهه الغايب في انشاء العقد مع وكيل الزوج
الراغب فلما تم العقد باركانه اعتضد ملك ديار بكر بمكانه
وسار صاحبه بالمسار محبواً وعاد ذيله بالنجاح مسحوباً وقال
له قد وجدت الحرز فلا تحزن واستند فالى سواه لا تركن وما من
كبير وامير الا وقد وصل منه الى امرايه لينتظم بعهد السلطان في زمره

ذكر رحيل السلطان الى صوب دمشق

فاقمنا على كوكب الى اخر صفر ننظر منها بمن كف الطرف ثم رأينا انه
يطول حصرها ولا يفوت امرها وان الفتح يبطي وازدان السهم لا يحظي
فامر الامرا المرابطين بها ويعبرها من الحصون بالمقام عليها وابتدا لسرها
المصون ورحل السلطان بجود مشتق طاهر الشيمة طاهر العزيمة سامي
اللواهي الالويه في مطالع المضا ودخل ليلها يوم الخميس سادس شهر
ربيع الاول بالصدر الارحب والباع الاطول وتلقاه اهل البلد
بوجوه لاقباله متهلله والسنة بالدعا متهلله وعيون لانواره مجتليه
وقلوب بولايته ممتليه واسماع لاوامره مستمعه وايدي الى الله تعالى بنصره
مرتفعه وصدور بايامه منشرحه وامال في انعامه منفسحه ونفوس
على طاعة الله تعالى في طاعته مجبوله واعمال في رضا الله لمراصبه مبروره
مقبوله ودخل المدينه وادخل السكينه فوجدت الروح تسلطانها وعاد
الروح الى جثمانها وقرت بها عيون اعيانها واقرت له بحسنها واحسانها
وابتدا الجلوس في دار العدل وحضرته الفقها والعلما واسترفع قصص
المظلومين واستمع غصص المتالمين وكشف الظلامات بالمظالم وفصل
الخصومات والحكومات المستحكمه وقرا كل قصه وقربها بالحجة وجعل
الحقوق ورتق الفتوق واقام للشرع السوق واتم لرحال الرجا بعدله الوثوق
وحل باناقه كل مشكله وطب باسعافه كل معضله واصحب سما السماح

واصحب جماح النجاح واغدى المستعدي واروى الصدى وحيى الحيي وردى
الردى ومحا المجدي ومد الجدى حتى قيل هو المهدي فما انقضى ذلك وانقض
اولئك الاعز مظلوم اجير بالحق ومعلوم اجري من الرزق وعالم اعين
وظالم اهين وعائد شين وهاد زين ومختل سدد ومخل عقد ومغل سقي
ومعسر لقي وماجد حبي وامل زيد ورزق شد وشيد وحلي باطل ابن
وابيد وراح ادنى فوره ولاح اسنى غره وجلس يوما آخر للاكابر والاماثل
والاكارم والافاضل فاضا النادي وفاضت الايادي وعدق البدي وصدق
الهدي وكثر الكرم ووفر العكم وحفل الدر ودر الحفل وشمل النظام وانتظم
الشمل وماز العلما بالبذل وعاز بافضاله اعيان اهل الفضل وفاز بالحمد
وحاز الثنا واجار الشعرا واكرم الكرما وزوج الرجا وولى المنى ونعم الالا وليا
وتقاضاه عزمه للحركه لاستفاضة البركه واستقامة المملكة الى المملكه
فلم يستقر به داره ولم يدر به قراره ولم تنثن خفيه غراره ولم يتسلى
دسن جنبيه لحب لقا العدى من اهل النار نار وكان الصفي بن القابض
قد استعد للسلطان على بعض ابراج القلعه دارا واذهب في نضارها ذهبا
ونضارا وهي منطا وله من البروج مطله على المروج مشرفه على مواراه النشر فين
كاسفه غطا النظر عن الغوطتين مجيحه البنا فسيحه الفنا بهيه البهو منتشه
الزهو مجده لاهل الخرد ذكرى اللهو مرشها ماء الورد وفرشها بالورد وبسط

بسطها وعلو سنورها واعلى نورها وحبر حبورها وسري سرورها
وسني انواع نمارقها واسمى انوار مشارقها وتوصل الى حضور السلطان
بها وجلوسه وذهبت نبا شرلبشره بقطوب الزمان وعبوسه واحجر
كل مفرط بعرنض وكل مومل بصرح وتعريض وكل ناشد ضاله رجايه بنشد
وكل قاصد حلاله لرجايه بقصيد وكل مغرد معرب وكل مطر مطرب
وطراز السلطان بروفه تلك الحليه والحاله وتلك الحلوه والجلاله وتلك
النعقه الموسسة وتلك الرقعه المقدسه وذلك المشرق العالي وذلك
المشرف الحالي وانظر بنظر استحسان لاحسانه وتوقع تمكينه لموقع مكانه
فما اعاره لحظا ولا اراه حظا ولا لمحه بطرف اشتراف ولا منحه حرف
استعطاف بل اعرض بنظره عن تلك النضاره واغضى عن تلك الغضاره وعمر
عن تلك العصامه واشتغل عن تلك الرياض الرياضه والعاقل من لا يتخذ في دار
الدوام معقلا ولا يجد في منازل النوازل منزلا ولا يركن الى فناء الفنا لبيت ولا
يسكن في غار الغرور اريب وكيف يبني العمران والعمر الى الهدم والغنم في الدنيا
الدنيه عين الغرم وقال السعيد من بنى دار الاخره ونجا من امراح
الدنيا الداخره ثم صرف في تلك الايام الصفي عن ديوانه وابقاه في شغل
الخزانه على مكانه وسمعته يقول في بعض محافله وقد اجرى له حديث من تعرج
بماله كان من ذنوب الصفي عندي انه بنى لي تلك البنيه فدل على انه لم يوافق

منه الامنيه وقال ما يجمل بالدار من توقع المنيه وما خلقنا الا للعباده
والسعي للسعاده وما خطر لنا في هذه الدار خلود بالخلد وما لنا والمقام
في البلاد والبلد وما جبنا النعيم ولا نروم ان لا نريم وما اخرجنا الا للسلو وما
اسهلنا الا للعود الى الحزون فما يجني ثمر الراحه الا من بعد مغرس التعب ولا
يحى نصيب المغنم الا من بعد مغرمه النصب فاين الاين الذي يقربه العمر ولا
يجعل السكون في المسكن ولا يجمل الوطن في الوطن لا سيما والدين يطالبنا بدينه
والكفر يستغرب منا حين حينه والبلاد هابيه فلا تفوح الفتوح الا بهبوبنا
ولا ينزل النصر الا بركوبنا وغدى للحزم متمما وللعزم مصمما ووصل الخبر بوصول
عسكر الشرق بالعرب الماضي والحد القاضي والجمع الوافر الوافد والجمر اللافح الواقد
وان عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي قد اقبل بقبيله ووصل بخيله وقدم
عده واقدم جده وانه حل بحلب ثم سار عنها مسارعا وجامعه الجيش للنجده
والخدمه جامعا فارهف العزم السلطاني خبر وصوله وحل بالسد الرحيل عقد
حلوله وكان القاضي الاجل الفاضل ذو الجلاله والفضل والنباهه
والنبل متاخرا في بيته بدمشق لشكاه اقام في غيرها واستقام مزاجه الكريم
منها وهو يترقب زوال اثرها والسلطان يحب صحبته متبركا ويتبع رايه متمسكا
وبطوله عالم وبقوله عامل وبعبارته قايل ولاشارته قابل واراد السلطان ان
يقدم بمقابله الاجماع وبرايه اسماع ويستبشر بوده ويستشيره في اموره

وبفاوضه في بعو نصابه ونعلده في تقليدانه ونتبرك بمايمنه ونتيمن ببركاته
فانه طالما اجتنى سنى السعاده من مطالعه واجتنى جنا الاراده من صنايعه
وافتتح الاقاليم بمفاتح اقلامه واحكم المملكه بثبوت احكامه واوفاه
بامداد السودد الوافي بسواد مداده وجاه بالوجاهه في دينه ودنياه باسعافه
واسعاده وكان قد خرج الى جوسق بالشرف الغربي الاعلى ليتفرغ هنالك للعباده
ويتخلى فاصبح السلطان بكره يوم الثلثا حادي عشر شهر ربيع الاول على الرحيل
فقصده لابرام ما وجده في مملكته من الامر السحيل واقام عنده في الجوسق الى
الظهر مستظهرا به على الدهر الى ان كشف لمعات ميمنة ورشف شفتاه
مشافهاته واستمعه في الاراء والاراب واستخ لذته من رايه صوب الصواب
وارتع وديعه سر الغيب من عنده علم الكتاب ثم استودعه الله تعالى
وودعه ودعاله الاجل الفاضل وشيعه فبات تلك الليله مخيما بالعراده
مخيما بالسعاده راجح السياده ناجح الاراده ثم سلك في جبل بوسر الى عين
الجر الى الدهميه على البقاع وهو مطيع امر الخالق ومتبعه والخلق تابع امره المطاع
واتى بعلبك المحروسه وخيم بمرج عدوسه واقام حتى ابرم امورها وادر درها
وقسم لها من عدله وعدل بها من قسمه وحكم فيها بفضله وافضل عليها بحكمه
وكشف الظلم والمظالم وصرف المكاره وصفى المكارم ورفع من المعالي المعالم واجرى
رسوم الاجر والمراسم وامر الرعاه برعايه امر الرعيه وحكم على القضاه بالحكم
في حل قضية

٨٤

من النوبه

بالجمه الشرعيه المرعيه ثم رحل عاشت اللبوه معصوم من النبوه مصون الاشبه
من الكدر واللبوه ثم توجه الى البراعه وزرع الطعم قد نوحه وشرع النهر الصافي
الشرعه من الكدر قد نشره ومد كحل عنبر العسكر طرف الجو الامره وقد ان
لعين الشمس الراقده من الهبوه ان تعاود الهبه وتنتبه وزرع بالبراعه من السمر
المركوزه والبيض المهزوره بنات الخط وقاد الحرط وضاق ذلك الفضا الواسع
حط رحال الرهط

ذكر وصول عماد الدين صاحب سنجار والاجتماع به

ووصل الخبر بان عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي وصل جامعا من الاداني
والاقاصي ونزل طابقا على العاصي وخيم على قدس وخيمه قد تقدس والدين به
قد انس والكفر بقدومه قد تعكس وانه ينتظر قدوم السلطان والاتفاق
معه على قهر الشرك ونصر الايمان فركبنا وبرزنا في اسفاره والصبح
قد زحف على الليل برايات انواره والفجر قد فجر انهار نهاره وسرنا نصدق
السرى ونقصد الاجتماع فلقيناه قد ركب مستقبلا وقرب مقبلا ولما راه
السلطان حياه ولقيه بالكرامه والاكرام ملقاه ونزلا وتعانقا ثم ركبا وتوافقا
وتسايرا وتحادثا فاذا خيمنا بقرب مخيمه وخيمنا عند مخيمه وحططنا هنالك رحالنا
وخلطنا برحاله رحالنا وتساعد الجدان وسعد الجدان وجد السعدان وانتظم
الجمعان واجتمع النظمان وتجدد الكلم وابتدر الهمم وسال السلطان ان يزوره ويدوره

وحكم بحضوره جبوره فساق معه الى مضربه واضافه فى موكبه وانقلب الى
قربه وتقرب الى قلبه وارتفع فى صدره ورفع من قدره وصار العسكران
مختلطين وجلسا منبسطين ووقف الامرا والعظما سماطين ذا السماطين وقرا
القرا واورد الشعرا وتجاذب بسهم اطراف الاداب الفضلا والعلما ودار مع
عماد الدين شاعره السنجارى ابن القام ومن عادته ايراد المدايح فى مثل تلك المواسم
فانشد مدحا وسد منحا ثم بسط السماط وسط المساط ومدت الموايد
وعادت العوايد ونضد الخوان وكوثر الالوان ولونت الاكوان
وصفت الصحاف واحضر الطهاه من كل داجه وباجه وخروف
ودجاجه وحلو وحامض وحار وحامض ونقد وقابض ومطبوخ
ومشوى ومصنوع ومقلى ما طاب بلا في بدقه ونحفه وطالت
الايدى فى بسطه وقبضه فلما رفع من ادبه التقرى ورفع باباديه
الذرى قدم ما عده للهدايا والتحف السنايا من الجياد المقربه
والثياب المذهبه والعدد المعجبه والاسلحه المدربه وكل
بروق ويروع ويبهى وتضوع ثم انفض النادى عن يدى منفض وسارى
لباب الشكر مقتض وعين السلطان يوما لحضور عماد الدين عنده
وانه يستضيف فيه خواصه وامراه وجنده فوسع سرادقه
ووسع نمارقه وضرب بيت الخشب له حسب بينه واشمت
الحسنى لحسن سمته وسمته واحتفل لحفله واجل لاحله

وارجت ارجا النادى بالند وراق مدى النواظر النواضر فى ذلك
الرواق الممتد وبسط على البسط ما حضر من الياسمين والورد
وفاح النشر ولاح البشر وفرش الثرى وشرف البرا ورفع الحجاب
واشرعت القباب وتوحدت الاسباب وترهت الالباب وتصوعت
نوافح النوافج ووضحت مناهج المباهج ووضعت المطارح والمساند
والاسره والوسايد وجا عماد الدين فى خواصه وامرايه وصحبه
وتلقاه السلطان بروحه وقرب له السرير وسر بقربه واجلسه الى
جنبه وحباه بحبه واقبل عليه بوجهه وقلبه وجلس من حرى
بالجلوس رسمه وسمى فى الروس اسمه ووقف الامرا والحجاب والعظما
والاصحاب على مراتبهم فى مواقفهم ودب الاهتزاز والاعتزاز
فى معاطفهم وكان النادى مهيبا والهدى محبيا والذرى رحيبا
والقرى قريبا والظل ممدودا والفضل موردا والحفل حافلا
والشمل شاملا والبساط والنشاط مقبلا والرى حاليا والمروى عاليا
والمسموع مطربا والمجموع مغربا والمنظر والمخبر جليلا جميلا
والمطمع والمطلب ميسرا منيلا والمكان عليا والزمان جليا والربع
فى انتهايه والزمان فى اشتهايه والمصيف فى ابتدايه والنعيم فى
نضرته والكريم فى نصرته والاريب فى اربه والطروب فى
طربه والغريب فى الحلو الحسن فى ضربه وكان ايام المشمش
وبه وملت من دمشق احمالها وحكت فى تلك الحاله حالها

وأقدم الجزل فروقها وطلعت في ابراج الاطباق نجومها كأنها
كرات من التبر مصوغة وبالورس مصبوغة صفرا كأنها ثمار
الريباسات الناصرية حلا وذوقا واحلى شوقا ولو نظم جوهره
لكان طوقا وهو احلى من السكر واعبق من العنبر واحسن هيئة من
النارنج الاحمر والليمو الاصفر المركب المدور وقد زفت عروسه
في الثوب المزعفر والخمار المعصفر كأنما خرط من الصندل وخلط
بالمندل وجمد من الثلج والعسل فهو الذي يضرب بضربه مثل النمل
ويقصب من قصبه لقف القبل ويبطر منه ما ينظر وما خطر ما حضر
ورأى هناك لقطوفه قطاف ولطوافره طواف ولعقوده مصارف
ولنقوده صيارف وكأنها وجوه العشاق اكتست اصفرارا
او جمرات تشعل نارا وتبدي شرارا وقد اعاد لجينها صواغ القدرة
الالهية نضارا بل هي احداق الحدائق وقلوب البوارق وجنات
الجنات صبغها بلونه البرق وصقرها من خوفه الرعد ودورها
بوقده الودق لا بل اصفرت من مهابة الجلال والجناة فما انتظمت
من جواهر الحب للحياة واضطرمت لها شوقا الى تلك اللهاة
ثم صرفت الاطباق ونظفت الآفاق وبسط المكان وسمط
الخوان وسهت اجفان الجفان للفور والوقود وشبهت
المراجل الغلي بها بصدور ذوي الحقود وتزيد مقال المقال
بالنشنشة وتمادت اعطاف الموائد بالالطاف وتهادت
اكناف السرادق الافواف وهال المسموط والمسلوخ

والمخطوب والمطبوخ والمقلو والمقلوب والمحبو والمحبوب والاعربة
واللحمان والاشوية والحملان والالبان والالوان والحواني والدوالي
والصواني والاواني وقد صفت البوارد وصفت الموائد وتنوعت
الطهاة وتنوعت المشتهات وحلت الاطعمة وعلت الاسمية
وجاش جاش الجاشنكير الرابط وعاش اخوان الخوان سلار
الغابط وتداولوا وتناولوا التوالات والحوالات والحالات
وكان يوما مشهودا وحوضا موردا وروضا معهودا ورواقا
ممدودا وجمعا مسعودا وصنعا محمودا ولما فرغت الموائد وبلغت
المقاصد احضر السلطان لعماد الدين هداياه وحباه باحسن ما حاباه
من خيل صفون وحصن محصون وعراب جياد من طراف الطرقيات
سوابق سوابح من العتاق الاعوجيات المراكي المنسوبات
من كل مطهم مطهر الجسم وكريم من نسل الكرم وصاف صافن
الادم ومغرب مقرب ومجنب مكرب وسلهب مستبد ونهد
شاهب وبحر جموم وطرف لهموم وسرحوب شيظم ويعبوب
صلدم واجرد قود وضامر قيد ود واقب نهد وجواد ورد
وسبح رفل طمر واشقر اقب عمر ومفرع طموح وعتيق غير جموح
وشكل عال وعجوج ذيال ه واختار له منها كل طرف
قد حط من قدره اذا قوم بالف من كل اشهب قرطاسي واشعل
سوسني واغر صنابي وادهم غيهبي واحم احوى واشقر مدمى

كانبرش مدبر وحميت مضمر واحضر وادبر وشمد واغش ثم احضر له
ما بها سدها من التحف اللايقه والطرف الرايقه والعدد الرايعه
والاسلحه المانعه والسابريات السابغات والدروع والزرديات والتروس
والرانات والخود والتوالك والبواتر البواتك والدلاص الموضونه
والنصال المسنونه ومن المستعملات المصريه الذهبيه والحريريه
والملحم والديبقي والمصمت والمغربي والعراقي ومن نسج تونه وتنيس كل
ثمين ونفيس وما شاكله من انواع الطيب على النمط والترتيب ثم انعرف
وعرف حمده متضوع وعرف جره متنوع وشدو شكره وعطف نحره
مترنم مترنح وامره مترنح ووده مترنح ودعاوه صالح وثناوه صادح
ولسانه داع وحبايه واع وعهده راع وسعده ساع وتصاحب هو
والسلطان في الركوب والجلوس والتناجي في النفوس والتدبير فيما
يقدم ويوخر ويغرب ويقرر ويورد ويصدر وتكررت المشاوره
في الموضع الذي يقصده ويوفي العزم فيهم الجهاد حق جهده واتفقوا
على عرقا وعرقها وعقرها والنزول بعقرها وانها اذا ملكت ملكت
طرابلس واسفر عن فتحها الغلس واقام العسكر اياما على قدس وتنيس
المتصرف بانس ولسانا الطير توحش واتى العرب ووافى الارب واجتمع
الجيوش وجاشت الجموع وان الليل للعزم المدلج من صبح النجح الطلوع
وبعث الفيض من النبع وفاض الينبوع وانبعث ثمار المبار وطابت
الينبوع ثم رحلنا الى المقيعة تحت حصن الاكراد وخيمنا
على الربا والوهاد وصوبنا الى الجهاد وادنينا قطاف الطاف الله

لاحياء الاجناد وكانت الاعشاب بالسحاب واصبه والشوايب
من المشارب فاضيه وكان القضب للقرب في طاعة الله عاصيه وطار الرعب
وثار التحمد العرب وخاف الكفر وطاف الذعر وقال نفر الشرك نفر ولا
تستقر وتشوروا وتشاوروا وتآزروا وتحاوروا وكانهم في قبور
حصونهم اموات لا يرتفع لهم من الوهل والوله اصوات واجتمعنا
على دخول بلاد الساحل على التجريد للتخريب وحوش خلال البعيد والقريب
ثم جرد العسكر عن الاثقال وحمل على اخذ اهبة القتال وسار السلطان
ومعه عماد الدين زنكي وسيفه بصقاله يحكي وبدم الكفر يبكي ومظفر
الدين كوكبوري وهو الذي حسن سواد صارمه المشهور في صبح الغزو كرايه
وصحبه من فرسان كل فارس مغرب ومن شجعان الاكراد كل فارس
محرب ومن فتاك الاتراك كل قسور فاتك ومن صيد الصناديد
كل كسروي كاسر وكل كمي حميس واكدش على اكدش وقارح على
قارح وحصم على سابح وحوي على جار جارح وسمه ونطل وتبل على جبل
وحمل على حمل ودمر بكيل وورد على ورد ومرد على جرد وحسر على حسر
وبايسهم المونه معبس واحمر السر واحمي واحمس وعنيمتهم همام وابهم مقدام
وماسد ذي باس وعاسل عاس وربان على زبال ومستهل على سمال بحر على حر
وصقر على صقر وركبوا اسلاحهم وجنبوا جيادهم وجروا على الساحل
سيولا وجروا بالرواحل ذيولا وطار بالبلاد طرابلس عواني الخوف ودام الحوي
في رعب اهلها بدم الخوف وماسار الامر حتف في نعمته ويهر كفقه

واستمر حصر الاكراد بالاكدار وصفت على صافيتا بوارق البوار وقطع
عروق عرقا وعقرب وتعرب العريمه وتعرقت وتمزعت تلك
الاعمال ومزقت وارهقت وارهصت ونفرت انفارها وتعرب اثارها
وملات الدواير ديارها وسيقت مواشيها وحشيت بالنيران
اوساطها وحواشيها ونزل السلطان على حصن حمور وبما قدر والحمويه
وابتدل مصونه وفتحه ومحه ومساه بالدمار وصبحه واقام في تلك
الديار عشرة ايام يجوسها ويدوسها ومدحرت له نفايسها ونفوسها
ثم رحل بمغنمه ونقل الى مخيمه وعاد العسكر منصورا مسرورا بمورا
موفورا وبدا منها في الاعمار والعمارات وانقضى شهر ربيع الاخر
وذلك المرج يموج بالعساكر كموج البحر الزاخر وقد وصل قاضي جبلة على جبله
قمرها وحض على انجازها وعدها وحث على اعذاب وردها وحقق ان
الظفر في هذه السنة يبتدى من عندها ويقول ان الاشتغال بطرابلس
مع احرازها واحراسها وكثرة باسها وتدرعها بلباس باسها واستعدادها
للحصار وحسها عن الاحصار يذهب الزمان ويفوت الامكان وهذه جبله
تاورها من البلاد غنيمه للحاصل وفرصه للمتناول ونصبه للمناهل وامنيه للعاقل
فما دونها مانع ولا عنها مدافع وهي على غرتها وعورها وغفلتها
وفتورها لم يفترع عذره منها ذعر ولم يفتح سوره بفعلها ضرر لم
يقرع باب عسرها يسر فان سلمنا سلمها ملكنا سلسبيلها وان
حزنا شاحنها حزنا غنمها وان استقربنا ملكها ملكنا فوادها

وان عبرنا احتوانا حوينا عتادها وان فسحنا بها فتحناها والمسلمون
كلهم مجبولون على التسليم موملون ان ينزل شمله وهم متحكم بالنعيم
نعرفناه نصحه نصحه ورفعناه نجحه نجحه واصغى السلطان الى قوله واصغى له
ورد طوله واقبل عليه وقبله واجزل له العطا وكمله وكان قد وصل اليه معه ابوا
جبلة بهما فوفر لهم رواتبهم واجرى وخلع عليهم وشرفهم واسعدهم بالمواهب
واسعفهم فندبوا الى اتباعه وندبوا الى اشياعه واجمع السلطان على دخول الساحل
بتلك العساكر والجحافل ورحل يوم الجمعة رابع جمادى الاول حافل الجحفل سامي
القسطل نامي الصهل فسرنا في اجام موشبة واكام معشبة وحزون وسهول
وشعاب وتلول ومعالم ومجاهل وروابي ومراحل ومعابر وغياض وارتفاع
وانخفاض حتى خرجنا الى مساحه الساحل ونزلنا بها ومبارك مبارنا مواحي
رسوم تلك النواحي المواحل ومغنيا اجمال واوساق واثقال واسواق
واوراد وامداد وعدد واعداد والسيل عرمرم والسيل عوم والحرب [illegible]
اشبه الاسد في عرين من الاسل العراص والفوارس القساة في عدد من السوابغ
الدلاص وقد نشا العجاج كعجاج النساص فاجلت يحلولنا معاقد المعاقل وحلت
حطيه سيوفنا كرام العقايل وحرز في استباحه واستمنا واصطلام واصطلا
وارتياد وارتياد فقتك باعدا وسفك لدما وبتك لرقاب ذوي النحور
وهتك لحجاب ذوي الخدور سالكين الغد وكل سبيل وبرز عليه كل دليل
فما نقطع الاوديه بغيض الكفار ولا نحضر الا نادية من بهم به الدمار
وسرنا الساحل الساحل في ثلث مراحل حتى وصلنا الى انطرسوس

يوم الاحد سادس الشهر واحدقنا بهما من البحر الى البحر وبحف اليهما
الناس وحصر عليهما الباس وخاب رجا رجالهما وخبت كوهما الباس
وقاتلناهما ساعة فلم يجدوا اهلها للدفاع استطاعة ودخلت من جوانبها
وتخللت من مذاهبها واصابتهم نوايبها وبانتهم مصايبها وقلع بهم
دحت عاريهما وقتل من لحق من رجالها ونهب ما وجد من اموالها ونقل ما
صودف من غلالها وسبي ما اخذ من نسائها واطفالها واعتصم من كان من حين
اعتصما بالامتناع وهما هناك من احكم القلاع وفي احدهما الداويه وحمزه الكفر
ونعم مقدمهم الذي اطلق من الاسر وفي البرج الاخر المهزومون الناجون
والفارون اليه اللاجون فنزل على هذا البرج مظفر الدين بن زين الدين
فابدى لمن استنزله وجه الناموس ويحركهم في الخروج بالسكين ووثقوا
بامانه وامنوا بميثاقه ومكن كلا منهم بسلامته من تسلم مكانه
فلما ظفر مظفر الدين بالبرج هدمه وهده وحل من احكامه ما العكس شده
وركب النقب على ركنه العالي ونكبه في ذلك اليوم بما نكبت عنه
نوايب الليالي وخرب اساسه وسوره ورمى الى البحر محوره وامتنع
برج الداويه بداينه الدوي واتسع من دنهم هي التمرد هوى طاغوتهم
الغوي واقام العسكر حتى نقض اسوار انطرسوس ومرمتها ورتبنا
بها الى ان عفينا رسمها ولما امتنع البرج من كناه وما كانت فيه من صدد له
ادركناه وكيف كنا نشتغل بفتح برج عن فتح البلاد وللفرص اوقات
هي لها بالمرصاد ۝ ومن يسلك الجدد اللاحب لا يعرج على نبات الطرق

ولا يستعين بدجى الليل بالدراري عن الفلق ورحلنا غدها رابع عشر الشهر ساهرين
سيوف العدم والقهر ونزلنا على مرقيه وقد خلت من اهلها وخلت وتشعثت
عمارتها واختلت وكان جوازنا الى جبله على الساحل تحت حصن المرقب وهو
معقل الاسبتاريه عالي المنكب سامي المرقى والمرقب صعب المذهب
عسر المطلب فلم يكن بد من عبور ذلك المضيق وسلوك تلك الطريق
وقد صف الفرنج في البحر المراكب وسدوا المذاهب ورددوا الرواحل
والمراكب ووقفوا للحرج بالحرج وسددوا الزنبورك للفرج والطرح تعسر
العبور وكثر العثور وامتنع الجواز وظهر الاعواز وذلك ان صاحب
صقليه رام ان يكشف عن الفرنج البليه فجهز اسطولا كجماره مستطيلا
وحمله من عدد النفال وعدد الرجال عبا ثقيلا واتفق وصوله في تلك الايام
في ستين قطعه تحسب كل واحده منها قلعه او قلعه من كل شيء
من شانه شن الغاره ومن عادته العادية تشعيث العماره مع طاغيه
يقال له المرغريط وقد عرف منه التوريط من ارجس الطواغيت
واكبر العفاريت فوصل الى طرابلس بطوله واسطوله وسوله وصوله
فما اخلى ولا امر ولا نفع ولا ضر ولا اسقل ولا استقر ولا انعم ولا امر
بل صار على الفرنج وبالا اذ احدث لهم بما نسومه من مؤنته انحلالا
وما خفف عنهم بل زادهم على الثقل اثقالا ووجد الكفر في
اوان اوانيه ولم ينفع ولم يرفع نار شوانيه وصار الى صور ثم رجع
الى طرابلس وتردد في البحر وتلدد وابلس وتفرق جماعته وتجنست

شجاعته واضطرب في البحر اشهرًا الا يطمع له زاد ولا يرى له مظهرًا وتقطع
اقطاعه وتتابعت في الفرار اتباعه حتى عاد في عدة يسيرة وسده عسيره
وكان هذه الطاغيه قد حضر يوم عبورنا تحت المرقب بمراكبه مصفوفه
في البحر من جوانبه قد ضيق الطريق ولم يطرق المضيق فامر السلطان بحمل
الجفاتي الى هناك وتصفيفها والستاير بالبقعها والبراش وبرصفها
واقعد من ورايها على مقابله القوم وارايهم الكماه الحجبة والرماة
الجرخيه حتى تباعدت سفن تلك السفن ودب البقا الوهن وتمت عليها
المحن وامنت الاحن ورحل العسكر فعبر امنًا وامر عابرًا وسار ظاهرًا
واظهر سايرًا وجزنا على مدينه يقال لها بلنياس قد اجفل عنها
الناس ونزلنا في ارضها وخيمنا في طولها وعرضها واتينا بنهرها
وزهرها في الارواد وحبسنا على نواظر الانتصار وبتنا ولنجاب القادري
مربضه وجياد الوادي اريضه والنسيم للعليل بليل والعزم
الصحيح دليل ووسم العدو بجيل ولقدح الفوز من تاسير الله لنا مجيل
واصبحنا على الرحيل مبكرين فشا صباح المدرين وسيرنا في سرورٍ
وسفرنا في سفورٍ وجمعنا في اجتماع وجدنا في ارتفاع
ونهجنا في اتساع وركبنا في امتناع فعارضنا نهر عريض
عميق ما فيه طريق وهو مطرد في الجبل الى البحر فازدحم
العسكر عند ذلك النهر وتواقعت الاحمال والاثقال عند
العبر وليس عليه الا قنطرة واحده فتصادموا على ذلك الجسر

وسار السلطان من فوق سفح الجبل واستتبع من عسكره بعد
الدمن الدمن ونزل عشية الخميس على بلده وما عانت الاثقال في
حملها من القنطره للشده ولا تكامل ونزلها حين انتصف
الليل ووصل الفرار الليل وهذه بلده كاسمها بلدة على
شاطي هذا النهر وساحل هذا البحر حصينه البنا مصونه
الفنا قد حصنها الاستبصار وحيتها الاستظهار بتقطع
عنها سلوك الطرق بتعميق ذلك النهر المخترق والفينا
بلده ايضًا خاويه على عروشها خاويه لوحوشها خاليه من
الانس ولا انس كان لم تغن بالامس قد ازعج اهلها وسيلب
نملها وخوف امنوها وعدم السكوى ساكنوها ۞

ذكر فتح جبلة ۞

واشرفنا على جبله بكرة يوم الخميس تاسع عشر الشهر وقد اشتهر موسم النصر
واشتد على الكفر زهو القهر وكان قاضي جبله قد تقدم في السابعه وسوق المقدمه
واقدم على قصدها بالعزيمه المصممه فلما نصر مسلمو البلد بما وضح في الحد من
وسنح من الظفر المتظافر المدخر خرجوا مستسلمين مسلمين متمسكين بعز الاسلام
معتصمين وعلت السور الرايات الناصريه المنصوره والصحت بحمد الله الالسن
الشاكره وابتهجت المحبوره وتحصن الكفره من الحجر وكاوا في التحيرالى
الحصن فمن لاذ بالحصن الذي على الميناء قال انه لحمايته ومنعته كسبيل
وعاد معظمهم الاكثر بحصن البلد وهو المعقل الاكبر وتوسط لهم

قاضي جبلة في اخذ الامان بعد قبض الرهان على ان يعيدوا ما استرهنوه في انطاكيه
من اهله ويجمعوا شملهم بشمله ويسلموا اليه كل ما لهم من سلاح وعدة
وخيل وذخيرة وغلة وتسلمنا الحصين يوم الخميس وعاد ما هو لنا من الاسلام
بالاسر وكرمت الكرام جبلة جبلة ونفت عنها بالعيبة المفلة المقلة السقيمة
المختلة وسعد اهلها بعد الشقاء وتعوضوا من الشدة بالرخا وافضى الناس بها الى الرخا
وفاوا الى الوقار وانتقل اهل الجبل الى جبلة طايعين بعد العصيان مصاحبين
بالمصافات بالايمان ايمان اهل الامان وكان حصن بكسرايل قد تسلم من قبل
واتصل بفتحه الحمل فرتب فيه من يحكم على ذلك الجانب واهليه وكانوا
لقاضي جبلة مذعنين وبايمانه مومنين ولدعايه ملبين ونجوا من العار والنار وضيم
الكفار وباحوا بالاستنار والانتصار والاستغفار والاستقفار واضحت
تلك الولاية لاحسانها والية وتلك الناحية على سكانها حانية وتلك المدينة
لاهل الدين دانية وتلك الجنة العذبة الجنا الورد دم الجناة من شول العما
جانية وتلك السنة لمعالم المعالي في هدم اساس الاساءة بانية وتلك الهضبة
راسية والتربة كاسية والرتبة سامية والربوة رابية والذروة عالية
والحالة حالية واقام السلطان بها اياما حتى زال شعثها وازاح خبثها وراب
صدعها ورب ربها وشاد ركنها وشد حصنها وحب كفرها وجبر كسرها
وجد بهاجتها وحصر بها حصنها وبالعدل عمرها وبالفضل غمرها وبالرعاية
ملاها وللرعية كلاها وزجل قاضي جبلة وشرفه وحبس عليه ملكا نفيسا
ووقفه وصرفه في املاك ابائه وحكمه في ولاية حكمه وقضائه ٥ ه

وجمعوا

ذكر فتح اللاذقية ٥

مع

ورحل السلطان ثالث عشرين الشهر يوم الاربعا منشور اللوا منصور
الاوليا مشكور المسا عالي القدر قادر العلا ناجح الاراء راجح الاراء وسار
يرعب في العدو بقدمه وعزم على العدو بعزمه وامر لامرار الاحكام
بحكمه وجد على بدر الدين بفقه وجد في تدمير المارقين رهقه وسعادة
توبده وتاييد من الله عز وجل يسعده وسطوة على الكفار يرسلها
وجدود من اهل النار يشعلها وجيش للوثبات ينشطه وجاش بالثبات يربطه
وهمة تروع الخاطر وهيبة تروق النواظر وبتنا تلك الليلة بالقرب من
اللاذقية معرسين وبات الكفرة مبلسين وقد لاذوا من حصن اللاذقية
بحبل عاصم وعروة كل قلب لهم من الرعب في يد قاصم والخوف عليهم
مسبول والرعب مستعل والافيدة خافقة والايدي بهم متصلة بقه
والمهج في شوق الردى تاقه ونحن طول الليل من السوابغ في جر الذيول ومن
السوابق في اجرا السبل ومن نشاط العزم في اهتزاز ومن احتياط الحزم
في احتراز ومن اسحاب الاجواد والجياد في انتحاء ومن انقياد العتاق والرقاق
في اتساق ومن انتظام الرماح بالقواضب في انتهاء ومن انتصاب الارواح
بالقواضب في اقتضاء فالمقربات تسرج والسريجيات تقرب والمقانب
تكتب والكتايب تقنب والقوارم تنتضى والصوارم تقتضى والفوارح تمر
والقراح تحمر والصواهل تجرى والبواتر تعرى والصلاد تلجم والدلاص
تستلم والجنا بالتوبر والمنايا توتر والحنايا تثنى والجاو تشتد

ستلى حتى اصبحنا يوم الخميس والخميس مصبح والمنجم مرح والمفخر متوضح والجانب
فرح والمحسن مرح وفرح والعدو مصرح وزند الفتح مقتدح وباب السما
لنزول الملايكه مفتتح واحدقنا بالقلاع وقلعنا بالاحراق وحططنا اى
السهم من موقفها الاماق واخرجنا منهم بالارهاق الارماق وانهضنا
اليها الحجار والنقاب والزراق واطرنا النشاب الى اوكار المقل وارزنا هم
رسل النصال بكتاب الاجل وشغلنا من صوبنا ايهم زجل الوجل ورأسنا
تغلي في صدورهم سار الحقود مراجل العلل واشرفوا من الشواهق
فلقين متعلقين بما من بكاك القلل وجدوا في القتال وشدوا على الرجال
ومدوا ظلال الضلال وردوا المدال بالنبال وشدوا مذاهب الاهوال الاهوال
وهناك بالزنبورك ثورك فانه بالجرح دوراك وقلنا للكفر اخرج لندخل
دوراك واى دار للتوحيد باهل الشرك شورك وطالما ما سكنت دارنا خارج
ودرجت اليها فادرج ونهار لنا نقاتلهم بسواد ناماس النهار ونغطي
سنا يومنا بليل الغبار وبرفع من السبوهر حجابه من الحجارة فرنا بتعكير النقاب
والحجار واحزت عليهم النقوب ووهدت منهم القلوب وبلغ النقب من
السماك في الطول ستين ذراعا واربعة اذرع في العرض اتساعا وهى ثلث
قلاع متلاصقات على طول التل متناسقات كانهن على راس راسخ
وذروة اشم شامخ فسهل الله لنا فرعها وشرعنا نستاصل اصلها وفرعها
وبنا عليها القتال وحاربنا بالمنصال النصال واوضعت بنات الكنايز
بطلايع الضغاين واثارت من مكامن الاحقاد كوامن الدفاين ودام الدما

وسرت الدما واتبع النجيع ووقع ذلك الوقع فاستبطى السريع نخطى
السريع وانصروا مالا عهد لهم عنله وعاينوا ما عانوه من عزيم الموت
المطل في مطله وفتح الحتف بابه وحفز الزحف اصحابه وكسر الشرك نابه
وصادف لزمه المطلوب مصيبه ومصابه ونفر الناس اليهم واستطالوا عليهم
وطمعوا فيهم والاجل يطهرهم والوجل يحنقهم وهم وراء اسوارهم
يوافي بوارهم ووبل الدهام واهل الجهل في ضراب وضرام وحمى الحمى في
التهاب والمقام ووقع منهم الزمع ومنا فيهم الطمع حتى اذا ازدحم
على التل الصغار والكبار واستشعروا واشتد وزال الاستشعار وكان
في مملوك متعين رحف وارهق وارهف فقتل خده سهم فرجع واذا
وجهه طلق لاجتهم ونحرهم فرح والفرح بالشهاده مقترح وقد عدله
الجرح وجه الفتح فلما عرفوا انهم مدركون وانهم بوحدون
ولا يبتركون صاحوا الامان واستماحوا الايمان وذلك في يوم الجمعه
الخامس والعشرين من جمدى الاخره عشيه وكان فتح ذلك المعقل من الله
مشيه فانه موضع ما فيه مطمع ولم يكن للكفر عليه مفزع وصعد النهر
قاضي جبله يوم السبت غدوه وكان ذلك الفتح ضحا اشبه عنوه وطلع
السنجق المنصور وانجلت الظلمه وحلى النور واشرق الفلق وزهق الحور
وبلا الفجر وباد الفجور وسرت القلوب واقبل السرور وتسلموا القلاع
بما فيها من عدة وذخيرة واسلحة وخيل ودواب كثيرة واسوا
على انفسهم واموالهم وانصرفوا بنسائهم ورجالهم وذريتهم واطفالهم

وخيم امر اعمالهم ودخل جماعة منهم في عقد الذمة وتمسكوا
بحبل العصمة وانتقل الباقون الى انطاكيه وايقنوا انهم يجدوا بعد
رسوم السلامة العافيه عافيه ورتب السلطان جماعة من خواص
مماليكه واخرج من القلاع اهل الكفر فاسكنها التوحيد مصونا
من الاشراك وتشريكه ثم ولى بها سنقر الخلاطي مملوكه وقد عرف
حسن سيرته واحمد سلوك طريقته فتولى الرعيه كافه بالرعايه
والكفايه وانتهى الى الغايه في دهي اولي الغوايه واقام حاليه للعبادة
عالي الراي والرايه ورحل السلطان الى البلد وطافه وهز الى
احسانه اعطافه وادنى الى عدله قطافه ووقر الطارفه واصفى نطافه
وامنه بعد ما اخافه ورايتها بلده واسعه الافنيه جامعه الابنيه
متناسبه المعاني متناسقه المغاني قريبة المجاني رحبه السراي
في كل دار بستان وفي كل قطر بنيان وقد راى الله ان يكون للكفره
منها جنان امكنتها مكرمه وارو قتها مرخمه وارو قتها محكمه
ومعالمها معلمه ودعايمها منتظمه ومساكنها مهندسه مهندمه
واماكنها ممكنه ومحاسنها مبينه ومراتبها معينه وسقوفها عاليه
وقطوفها دانيه واسواقها قصبه وافاقها مضيه ومطالعها
مشرقه ومرابعها مرتقه وارجاوها فسيحه واهواها صحيحه
لكن العسكر شعث عمرانها واذهب نضارتها وازعج ساكنيها
واخرج قاطنيها وملك دور المشركين الموحدين وطهرها

من رجس الكفر واظهر الدين ووقع من عدة من الامرا الرحلوم على الرخام
ونقلوا منه احمالا الى منازلهم بالشام فشوهوا وجوه الاماكن ومحوا
سنا المحاسن وبظاهر اللاذقيه كنيسه عظيمه نفيسه قديمه باجزا
الاجزاع مرصعه وبالوان الرخام مجزعه ولاجناس بصها وبزها منوعه
واصول تماثيلها مستفرعه وهي متوارثه الزوايا قد حجب بها اشباح
الاشباه وصوت فيها امواج الامواه وزينت لاجواد السلطان وعينت
لعبده السلطان ولما دخلها الناس اخربوا رخامها وشوهوا اعلامها
وجمة والنامها وكسروا احرامها وابعد والانس لها لهدا اساسها
وافاضوا عليها لباس ابلاسها وحكموا بعد الغنى بافلاسها وافتقرت
واقفرت وخربت وتربت ثم لما طابت النفوس وتجلى عن البلد بفتحه البوس
عاد الى هذه الكنيسه بالامان وهي مشوهه مشعثه متمسكه
باركانها مشتته ولقد كثر اسفي على تلك العمارات كيف زالت
وعن تلك الحالات الحاليه كيف حالت ولكنما زاد سروري بانها عادت
للاسلام مرابعا ولشرحه مراتعا ولجموعه مجامع ولشموسه مطالع
فلو بقيت حليتها وحاليتها ما بدلت رتبتها من صلاتها لساقت
وراقت وكما افاقت فاقت وشات البلاد اذ اسات ولكنها ساءت
لما اساءت ثم اعادها الاسلام الى احسن حاله وحلا لها في السلم اشتي
حلاله ورغب في اعطا الجزيه سكان البلد من النصارى والارمن
حبا للوطن وسكونا الى السكن فاضربا مول الحما ماهول الجناب

وعاد تجار البحار مملو الرحاب وتبدل بالابدال الاخيار والارباب
الابرار من بعد الكفار الفجار والاسرار من اهل النار وكانت شواني
صقليه قد قابلت في البحر اللاذقيه طمعا في امتناعها وطلبا لزيادتها
ودفاعها فلما خابت خبت نارها وباخ اوارها وقصدت بحملها احد
مراكب من خرج من اهلها لكونهم شغلوا عن صونها ببذلها فامتنعوا
عن الانتقال وامنوا بعقد الذمه على النفس والمال وكان السلطان يوم
الرحيل من اللاذقيه راكبا عند مينائها وقد حصل من ترتيب العماره
منا بها فطلب مقدم تلك الشواني امانه ليصعد ويشاهد سلطانه
فامنه حتى صعد ولو استسلم ذلك الشقي لقلنا سعد ولما حضر الكافر
عفر وكفر وتروى ساعة وفكر واحضرنا الترجمان وادى عنه
البيان وقال انت سلطان عظيم وملك كريم ومالك رحيم وقد شاع
عدلك وذاع فضلك وقهر سلطانك فظهر احسانك فلو مننت على
هذه الطايفه الخايفه فامنت وافضلت عليها واحسنت ملكت قيادها
اذا عرفت بلادها وصاروا لك عبيدا واطاعوك قريبا وبعيدا وان
ابيت غير العبره والاباء ودمت على ارهاق الدهما واهراق الدما جاء
من الشبعه البحار من يسد فضا السبع الطباق وافاق للتناصر على
دفع هذا الخطب ضاري الافاق وثار الروم لروم الثار وخرج الفرنج
انفارا للاستنفار وسار ملوك ذوي الاقاليم من سائر الممالك والاقاليم
واتى الاتي ولا يقاوم القدر الماتي وهولاء اهون منهم فادركهم واصفح

عنهم فقال له السلطان قد امرنا الله بتمهيد الارض ونحن قايلون في طاعته
بالفرض وعلينا الاجتهاد في الجهاد وامتثال امره بالانقياد وهو
الذي يقدرنا على فتح البلاد ولا نكترث الاسناد بكثره النفاد ولو
اجتمع اهل الارض ذات الطول والعرض لتوكلنا على الله في اللقا
ولم نبال باعداد الاعداء فلما سمع ما فهمه من نهجه ذهب بعد
ان صلب على وجهه وركب بكربه وكر بركبه ولم يعد خطابه عن خطبه

ذكر فتح صهيون

ورحلنا ظهر يوم الاحد السابع والعشرين من جمادى والهدى في
نصره بين انصاره ينادي وقد تيقنا ان الفتح ما يتمادى وان العزم في سبيل الله
بالمهج على الفدا لا يتفادى واخذنا على سمت صهيون وهو حصن تعوق الحصون
دون العيون وطلبناه كما يطلب الداين المديون ونحن للكفر مبتون وللاسلام
محبون وكان الطريق اليه في اوديه وشعاب ومسالك صعاب ومضايق غير رحاب
ذات عقاب واوعار واخاديد واغوار فقطعنا تلك الطرق في يومين ووصلنا ليله
الثلثا بليله الاثنين وخيمنا على صهيون يوم الثلثا التاسع والعشرين ورزقنا الله
التاييد والتمكين وهي قلعه على ذروه جبل في منقطع واديين بها محيطين من
جانبين والجانب الخالي قد قطع بخندق عميق وسور وثيق والقلعه ذات خمسه
اسوار كانها خمس هضاب ممتليه بذباب شهاب واسد غضاب
واحاط العسكر بها يوم الاربعا من نواحيها الاربع وهي ممتنعه علينا
بالركن الامنع والسمو الامتع ونقل السلطان خيمته الى جانب الجبل لكره

اليوم وشرع في محاصرة القوم وقامت اسواق الاقواس للمصون في
مغالاة السوم وتوفرت سهام السهام من المقل وبرزت بنات الكنائن من
الدم القاني في حمر الحلل واسقطت حوامل المجانيق اجنة الصخور وانشقت
صدور الكنائن بنات اكنة الصدور وظهر سر السرا ولتزمرا الرماء ورخرف داما
الدماء وطارت الحجارات وتحرت الطيارات ودارت حميا الحمام على اوليك
فاستحجرت ملوكنا الملابك وادامت اليهم المجانيق والعسى للخروج الى
المتدارك واقام الملك الظاهر غازي صاحب حلب منجنيقين ونصبهما من جانب
الوادي الى ردى الاعادي طريقين وكان له في فتح هذه القلعة الجد العالي والجد
الوالي والعزم الماضي والحد القاضي والسعي الناجح والراي الراجح والباس البالغ
والسطو الدامغ فانه اتصل بنا قبل الرسول الى حمله من طرقوحماه وفدا
الحماه حماه ومعه الرجال الحلبيه والمنجنيقيه والجرخيه والجندارية والحراسا
فاظهر على صهيون اليد البيضا وكسب الذكر والثنا واثار في قضا الفضا ال
واضاه ودام القتال على المكان من جانبه وجانب السلطان والملك الظاهر
في تظاهر ملكه وريعان اقباله وعنفوان جلاله وشباب زمان مجاراته وسنا
برهان مباراته وابراق عوده واشراق سعوده وعز عزته ومنعه منعته
وصدر نصرته وشرح نامرته وسمره وقد وصل في اول نشاطه ولشوا اغتباطه
وفتا فتوته وروا رويته وارتقا ارتقاعه واتفاع يفاعه وترعرع سنه
وتعرعر ركنه وتسامي سيادته وترامي سعادته فاجد العزم العز الجد
واعد الراي الراي الوعد واسلك في سبيل الله نصه ورفع المنجنوق جعل

٩٤ الرجاله نوبا ولاحواله رتبا والعمرا فواه كفاته حجرا واخرى في الجو
من الحجارات الجاريات من متابعه نهرا وزحم حصن الزاني زحم المحصن
واحسن الى الاسلام واسا الى الكفر فلله در المنسى المحسن ومازالت
المجانيق من جانبه وجانبنا ترمي والجنادل بسهام المنايا تسمي حتى قلت معاقله
الحصن وهان بما دب فيه من الوهن واصبحنا بكره الجمعه ثاني عشر جمادى الاخره
وطمى بحر العسكر بامواجه الزاخره وازدحم الناس في الزحف كانهم في
الحشر بالساهره وهاج الشباب وماج العباب وتسابق ذوو الجراه
الفتوه وتلاحق ذوو الحميه والنخوه وكان في قرنه الخندق عند خرقه
الى الوادي موضع لم تكمل تعميقه ولم يتم توثيقه فتطرفوا من تلك الفرجه
الى القمه وتسوروا السور وتسلقوا وتعلقوا الى القلعه وتعلقوا وتمسكوا
بالذروه فامسكوا العروه واستولى على اهلها الرعب واستشرى بهم الكرب
فعادوا الى القله وتبادروا من الخوف لا من القله وملكت عليهم بلدة اسوار
بما فيها من متاع وسوار ونعم وابقار وصاحوا الامان وبذلوا الاذعان
ونادوا مكونا من السلامه وتسلموا المكان فما امنوا على النفس
حتى قررنا عليهم قطيعه القدس واغلقت دونهم الابواب وسمرت لهم
الثواب وما استقر خروجهم حتى استخرج منهم الفرار وجبي الدرهم
والدينار وعم الكبار والصغار الصغار وتولى ذلك شجاع الدين طغرل
الجندار ثم سلم حصن صهيون بجميع اعماله وساير ما حواه من ذخايره وامو له
الى الامير ناصر الدين منكورس بن خمارتكين اسد العرين وامير المجاهدين
المقدم المعام والمطعان المطعام فالقى النفس سداده وامرع
به مراد مراده ه

ذكر فتح الحصون والجبلة

وتسلم يوم السبت قلعة العيد ويوم الاحد قلعة الجماهريين ويوم الاثنين حصن بلاطنس وندب الى كل حصن من تسلمه وساقه في سلك الفتوح ونظمه وسار السلطان يوم فتح صهيون على سمت القرسية ومشية الله جارية على ما له من المشية ونزل على العاصي في طاعة الله والنصر قد نزل في الكفر قد اخرل (?) يوم الثلثا سادس الشهر وكور الشوامخ في عذراء السوامع باتجه (?) على ذلك النهر وحل السلطان في القهر فاض على الدهر وتسلم حصن بكاس يوم الجمعة تاسع الشهر المذكور وشكى الشرك نكاية حد باسه المشكور وحول خيمة خفيفة الى الجبل لحصار قلعة الشغر وهي قلعة شامخة من اعلى الفلك على هضبة منقطعة عالية مرتفعة ومن نواحيها واد خاف من العمق غير باد في اعماق ووهاد قد قطعت من الجبل حتى اتصل بالوادي جنرفها (?) واخذ من الغوادي مرتفقها فما اليها طريق ولا عليها طروق ولا فيها للمطمع علوق ولا للسهم اليها مروق ولا للزحف اليها مطمع ولا للذين يحوطها مطلع ولا للطير في مراقيها وكر ولا للمكر في افتتاحها مكر ولا للوهم في بوقلها (?) مجال ولا للفكر في تصورها مثال ولا لها من يحفل بها احتفال وما عليها للنازلين عليها قتال ولا نزال ولا يتغير لها مع تغير الاحوال حال وصعب شغل الشغر واستغل فكر الكفر ولم ير السلطان طريقا غير الرمي من المنجنيق لعله ينال جميعا ودا وينها بالحجارات ايلاما

فلم تستنها مرمى ومراما فلم تعبا باعبائها فانها تراءمت عن ارمائها وابت الا ثباتها وثبتت على ابائها واعيا اعضال دائها واستفحال بلائها وحام الرجا بالارجا عن ارجائها ولم يحر حاميها لتحرزها وشيم شابها لمشاميها لكنه وهي جلده وهوى جلده وخار قلبه وحار لبه وجاب فرق السلامة وارتاح الى الراحة وسما الى السماحة وعاج الى الانزعاج وعاد لما راى خوفه في الاستئمان يطلب المعاج ودعا الى الدعة والخروج من الضيق الى السعة فبينا نحن في تردد وتفكر وتخير للراي وتدبر ونقول هذا حصن مستتر (?) وامر متعسر وعمل يضعف وامل يتعب ومعقل لا يخيل ومعقد لا يحل ومعتصم لا يدرك ومورد لا يملك ومكان لا امكان لفتحه ورجا يطول الزمان في تطلب نجحه اذ خرج من الحصن نضرع في الامان ويستري (?) من صرع الامن فشكرنا الله على تسهيل المتوعر وتيسير المتعسر وتفتح الرجا من الياس وسنح سانح النجح عند اضطراب علل القياس وكان ذلك ثالث عشر الشهر يوم الثلثا وسالوا في مهلة ثلثة ايام والا رحلوا ليخبروا صاحب انطاكية ويستاذنوه وبلوا عنده العذر وخرجوا من الحصن وتسلموه واصبحنا يوم الجمعة وصباح الجمع مسفر وجناب الشرك مقفر والثغر شاغر والكفر صاغر وفم القهر منا لهم فاغر والاسلام قد ثم تغور من هو له منا غر والحصن البكر مفترع والدين المتناصل بسبب النصر متفرع وطلع العلم الى ذلك العلم الطالع وانتقم الهدى الضليع من الضلال

القلائع فكانما عذبات تلك الراية مقاول للداعين وكانما ابراج
تلك القلعة مسامع للواعين وعاد الحصن اهلا باهل الاحصان
فصافح بايدي الايد ايمان ذوي الايمان وابتسم عن النصر ثغر الثغر
وفرغ القلب من شغل الشغر وسلم هو وحصن بكاس الى عز
الدين قلج الساقي عروة الموت بكاس الباس واستقل السلطان يوم
الخميس الى مخيمه والاقبال جاثم في مجثمه وسرى ولده الملك الظاهر
الى قلعة سرمانية وارهق بها المجرة الجانية واستطلق منها
البررة العانية وقطف مجانيها الدانية واحل معانيها الغانية
وما قطع قرارها حتى قرر عليها قطيعة وكلفها ما كانت له من المال
مستطيعة ولم تزل عاصية تطوعها ثم ارتدت كرها مطيعة
ثم خربها حتى خرب بها عاليها وعطل حاليها واخلى ثاويها
وانتاى حاليها وبقيت دمنة داثرة ودمية عاثرة ورسما
عافيا ورسما خافيا وربعا باليا وصقعا خاليا وعادت
دارا دارسة مستوحشة بعد ان كانت انسة وكان فتحها
يوم الجمعة الثالث والعشرين فاخلاه الله من السباع ذلك العرين
ومن نوادر الطاف الله تيسير هذه الفتوحات الخمسة المتتالية
في ايام الجمع المتوالية بافتتاح النصر اهل الجمعة بدل اهل السبت
اهل الاحد واصح التوحيد على التثليث قاهر الابد طاهر البرد

ذكر حصن برزيه

وسرنا الى قلعة برزيه وبشر تاشرنا وذر الظفر لنا دار وهي احصن القلاع
وافرعها واحسن القلاع وارفعها واسمق الرواسي واسماها واسم الروائح واسناها
وكان السلطان سبق اليها واشرف عليها ثم استدعى الثقل واستحضر وجمع بالعصا
تحتها العسكر وذلك رابع عشرين يوم الشهر يوم السبت وقد تهيأت في العدو
راسيات المكبوة والاشب من تحرد يوم الاحد في العدد والعدد فرقى الى الجبل
مع ابطاله النبل فرايناها قلعة شما في الذرى لا تكاد من سموها ترى وهي على
سن من الجبل عال مرامسه في السماء ارتفاعا وقيل قدر علو تلته فكان خمس مائه
ونيفا وسبعين ذراعا فاحدقنا بها وبالجبل وقطعنا عنها متصلات السبل
ونصبنا عليها المجانيق في ذلك السفح وابدت لنا صفحة الصفح فقد تعذر مرام
مرماها وحارت الافهام فيها فقلنا ما اعلاها وما اسماها وحارت عنها الحجارة
فلها من اجارتها الاجارة فلما بلغت القلعة فلا بلغتها ولا طمعت الى القلعة
طلايعها هذا والنجم لامع بلامعها وتقاربت طوالعه طوالعها فكان الصخور
تسلم صخورها وان سورها تستكبر دون الوصول الى سورها والما راى السلطان
ان لا وصول الى الزحف ولا خف جموعه في ذلك الحف وذلك في السابع والعشرين من
الشهر يوم الثلثا فقسم الناس ثلثة اقسام على السوا وجعل النوبة الاولى
لعماد الدين صاحب سنجار الليث الهصار والغيث المدرار والبحر الزخار والسيد
الجلاحل والملك العادل في صحابه الصباح كفاة الكفاح وعماه الصفاح
ونفاه الهام ثبات الاقدام في الاقدام وشفاه الاوام بعلة الانتقام من
الاقوام واساة ذوي الاساة باحسان الحسام وكساه عراه العدا واردية

الغمام ورفاه ارافم اللهاذم وسقاه حوائم الصوارم والمراق في حومة الردى
ردا المارق والسباق في حلبة الهدى بهوادي السوابق من كل شارب ما الوريد
بشفاه الشفار وضارب بهام المريد بنار البتار ولا سبح بحمة الحمام في الاسل العاسل
عاسل ولا بش لباس الباس كالاسد الباسر باسل ومعتقد الدين للمرديني معتقل
ومعتمد على العدو بعادي معتدل ومجتاب لبوس البوس على الموت العبوس
مختار ومحتسب لحب المنون لرهون نفايس النفوس مختار فاتفقوا على الغضب
وعضوا على العضب ودام الصفايد هده والصدا تقهقه والزاحف يتقدم
وتقهقر والحافر يحفي ويظهر والرجال تتعالى والحجارة تتوالى والمصاعد ترقى
والمصاعب تلقى والمصانق تبوح والبواتق تحرج والاكام تفرع والرجام تقمع
وللصخور ترديد وللجلاميد ميد وما زالت هذه النوبة تنازل وتقاتل
وتناضل وتطاول وترمي وترقى وتدمي وتدمي وتحمي وتصمي وترد وتردي وتصد
وتصد وتصدم وتقدم وتقدم وتحجم وتقدع وتصدع وتحمل وترجع وتدلو
وتسطو وتبد وتخفي حتى كلت وملت والحلب وكلت وكانت غلبت
لولا انها العبث وسمت لولا انها سلمت والعبث هذه النوبة خاصة لاهل
الحصن خاصة فانهم تولوا بجمعهم القتال ولم يقصروا للثبات والاستبدال
فلما ظهرت في النوبة النبوة كاد جوادها ناله الكبوة وتقدم السلطان بنفسه
في النوبة الثانية والسطوة الدانية والعزمة الثاوية غير الوانية وخف
في القتال من الرجال وزحف للجبل بالحبال وتطافروا في الاوعار كالاوعال
وجروا كالسيول في تلك المسايل وجروا ذيول السوابغ على تلك المواحل

وترقوا في ذراها وقروا على قراها وتلبسوا بجوانبها وتوحشوا من مناعتها
وتدرجوا في مدارجها وعرجوا في معارجها وخرجوا في مداخلها ودخلوا
في مخارجها وصارت الجروح نحورهم والجروح لا نحورهم والسهام تعبرهم
والاكام تسترهم والنخوة تحميهم والحمية تحميهم وقد نشط السلطان لتنشيطهم
وتسليطهم والتحذير من توريطهم وتفريطهم فمن القبض بسطه ومن اعرض
صبا له ومن اقبل اغبطه ومن ادبر اسخطه ومن تقدم قدمه ومن تقاعس
اعطه ومن تناعس ايقظه وكلما شاهدوا السلطان يشاهدهم تسلطوا
وكلما اغتبطوا بما فرعوه من تلك الفوارع ارتبطوه فمنهم من تمكن من الطلوع
ومنهم من تمكن للولوع وتغلغلوا في تلك المخارم كالقلوب بين الضلوع وعم اهل
الحصن العنا والعيا وعمهم البلا وادركهم الشقا فانهم ما زالوا يقاتلون
يومهم من غير منا وبه جميعا فمن القوم من ضد صديقا ومنهم من صار
صريعا وظهر فيهم الفتور وبدا منهم القصور وجاءت النوبة الثانية
واقدمت امدادها متوالية متعالية وعادت النوبة الاولى لنشاطها وزادت
في انبساطها فبلغوا وعلبوا والتهموا والتهبوا وتعلقوا بالسور وتسلقوا السور
وطلعت القلعة وقلعة الطلعة واقتضت العذرة واقتضيت النصرة واعان
القدر بعد الاعوان فتحت بالفتح البكر الحرب العوان وان اهل القلعة لما
ايقنوا بانهم ملكوا طلبوا الامان حتى لا يهلكوا فلما سمع اصحابنا بالامان
صياحهم وعرفوا للضراعة ارتفاعهم والتجاءهم كفوا عنهم انتظارا لما
يامرهم به السلطان واشتغلوا فامر شيء من شمله الامان وكان جماعة

من دهاه الخواص عارفين بطرق الاقتحام فاظهروا ان السلطان آمن اهل
القلعة وانه يدافع عنهم في هذه الدفعة وجمعوهم في مواضع وكنايس
واحرزوا النفوس والنفايس وعلا عنهم من حضرهم على ان السلطان امدهم
وخطرهم ونفى اوليك الافراد بهم منفردين ولتجريدهم للسبي متجردين
وصار من بالقلعة وما فيها لهم كسبا وسببا وما راوا لحق من شاركهم
في السبي رعيا وحرموا اما ان يتفقوا به وحرموا الرفقا وحازوا دون الغايبين
النهب والسبا وملك واحد مايه وحاز الذي وجد عنه رفقه طمعه ولما
تسنى ذلك الفتح وتهنا وتسهل ذلك الصعب وتهيا عاد السلطان الى
خيامه وعادت الايام بايامه وكانت صاحبة حصن برزيه اخت زوجة
الابرنس صاحب انطاكية قد سبيت وخبيت فما زال يطلبها حتى اظهروها
واحضروها وكانوا بعد هتك سترها ستروها فمن عليها بالاعتاق
من الارقاق وكل عنها وعن زوجها قيد الوثاق واحضرنا ابنة لهما
وزوجها وعدة من اصحابها وادخلهم معهم في الاطلاق وجمع شملهم بعد
الشتات ووصل حبلهم بعد البتات وشعبهم وقد تشتتوا ونصر عنوا
واشعبهم وقد كرعوا خطرهم وقد استحلوا كرهم وقد استقلوا سعوهم حزمهم
وقد استبيحوا ومنعهم وقد استميحوا واحياهم بعد ما هلكوا وعصمهم
بعد ما هتكوا وحواهم واعطاهم وقد افرقوا وافتقروا وجبرهم ونعشهم
وقد انكسروا وعثروا وسير معهم الى انطاكية من اوفدهم على سنتها
فسرت باخيها واعلنت بعتقها من سترمقتها واذعنت من مقصر

بعتقها بطهر حيتها وجاءها الفرج في غمها والفرج في كربها ونشكت
لاخذ بلدها وشكرت لترك اختها وولدها وانعم السلطان بهذا الحصن
على عز الدين بن المقدم الكبير المكرم والمقدام المقدم العظيم المعظم والماجد
الممجد ابرهيم بن محمد فان هذه القلعة لثغر افامية الجارية في اقطاعه متاخمة
وهي لها في السلم مقاسمة وفي الحرب مزاحمة وسرت بهذه البشرى ودرت
هذه النعمى وطارت كتب البشاير وسرحت على جناح الطاير وفيما كتبت
ان هذه البشرى بما اخذ الله من الفتح العزيز والنصر الوجيز بفتح حصن
برزيه الذي بردت له الارض في قشب اثوابها وتفتحت له السما لنزول
الملايكة من ابوابها بل سفرت الايام في كل ابا منها واشرقت منه
اقمار الليالي في انوار محاسنها وهذا الحصن لا يمكن وصف ما هو عليه
من الحصانة وكان بحره في بحر حصن الحصانة وقد عرف ما فتحناه من البلاد د
والحصون وما سلبناه اهل الكفر من السلامة والسكون وفتحنا كل مرتج لم
يكن امره مرتجى ولم يجد من حصل في اسر الدهر به مخرجا حتى اتت ايامنا وداينا الله
من امنا كاه عصرنا وبخاه امرنا ووصل اليه في الاول ذخرنا وكمل بهذه
الفتوحات فخرنا وذلك انا فتحنا من جبلة وطرابلس الى حد انطاكية وسقينا
بما الحديد الجاري في انهار دم النار مغارس الهدى الزاكية وجلونا بها ثغور
الضاحكة وعيون العدو الباكية وهذه الحصون التي فتحناها والمعاقل
التي استبحناها لو وكلنا الله الى اجتهادنا في فتح احدها لتعذر ولو اجلب
عساكر الدنيا بمددها لكن الله سهل ويسر وفتح ونصر فانزل الظفر

فان حصن دربساك لم يحتج عليه قتال ولا للوهم فيه مجال ولا نصبت عليه
المجنيق ولا سلك اليه لسالك طريق وحصرناه بالجيرة متوكلين على الله في امره
غير طامعين في فتحه ولا راجين لنجحه فانتقم جماعة والجفير جناحه وساء صباحه
وكل سلاحه ويعمل الرجال في دروند يوقل النجوم في الافلاك ونصر الله
اهل التوحيد على اهل الاشراك وفتحناه بالسيف عنوة ودخلنا يوم الثلث
عليه يوم الثلثا صحوة فانا لما توكلنا على الله في منازلته واستعنا به
في مقاتلته نظر الله الى الثبات واعان ذوي العزائم والثبات فتعلقوا في
الحبل وتسلقوا الى الفلك وسعوا الى الاجل في سبيل الامل وكان كما قال الله
وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر جني من الله بالظفر واصفى الورد والصدر من
الكدر وقد بقيت انطاكية وما لها بقا ولا لها في الاعتصام رجا
وقد بعضنا اطرافها واستجمنا اكنافها وسفهنا بطافها ولم يبق من معاقلها
الا القصير ودربساك وبغراس وقد تقدم اليها الفاتحان الرعب والباس ٥

ذكر حصن دربساك ٥

ورحل السلطان وقد نجحت اماله ورجحت اعماله وجل اقباله واقبل جلاله وعرعد شقيف
دربوس الى شرقي العاصي وقد دانت ودنت له المقاصد العواصي القواصي واقام
ايامًا على جسر الحديد حديد الحسارة شديد الاستظهار بما ظهر للمؤمنين من الربح
وللمشركين من الخسارة ثم قصدنا دربساك وحدثنا بتأييد الله في حصره الاستمساك
ووجدناه حصنًا مرتفع الذرى ممتنع الذرى قد جاوز الجوزا وناجت ارضه
السما وكان عشر الداوية بل عرينهم وطال ما اطال الله في التصدي ابدهم

ولا غرابيبهم وكانوا قد نزلوا مدة انزلناهم من ظهور الحصن بطول
الحصون وركبوا بشغفى هذا المعقل الى السكون فلما اشرفنا عليهم
اشرفوا على المنون ونزلنا يوم الجمعة ثامن رجب وقلب الكفر قد
وجب ووقفت المنجنيقات سهامهم من سهامنا وصوبت النهم
مسددات مراميها ومرامها ورامياتهم ليلا ونهارا وارسلنا اليهم
امثال قلوبهم ووجوههم احجارا وكدنا الاندر من ارضها التي
هي في السما من الكافرين ديارا وتركنا ناسه بالحجارة صرعى واسمنا
من وجوههم وكورهم بيض النصال في حمر المرعى واصبحنا يوم الثلثا
سابع عشر رجب وقد شارف النجح والنجيب ووجه جانهم قد
اجيب وقد وقع بالنقب برج من السور الخارج وظهر فيه عروج
للدارج ودروج للعارج وطلبوا على مراجعة انطاكية الامان وان
ينزلوا ويتركوا بكل ما فيه المكان فاجيبوا الى الامان على وطيعة
ورد ما كان للاسلام معهم من وديعة وتسلم الحصن يوم الجمعة ثاني
عشرين الشهر يوم الجمعة واصبحت بهذا الفتح جماح الحصون المستعدة

ذكر فتح حصن بغراس ٥

وتوجهنا بعده الشفت الى بغراس وقد صاحبنا الاكراه وضيقنا
منهم وعليهم النفوس والانفاس وهي قلعة من انطاكية قريبة وانها في
الشدائد لراعيها مجيبة ورايناها راسخة على راس شامخ على عاصي عاس
ارضها في السما وجوارها على الجوزا متوغلة في الشعاب متوقلة

على الهضاب مسحبة في السحاب مضببة بالضباب مرتبة على الرباب
متعلقة بالسرين متسلقة الى الفرقدين محلقة الى النسرين ولا مطلع
نحوها لطالع ولا مطمع فيها لطامع ولا مطمح للامح ولا ملمح لطامح
وهي للداوية وحار ضباعها وغاب سباعها وجارد وابرها وغار
مغاورها وغيل غوائلها ومنزل منازلها وحجبة نبالها وهصة
رئبالها ومدت دبابتها ومدب ذيابها وكوارة زنابيرها ومغارة
خنازيرها ومرقب صقورها ومرقد نسورها وملبس وحوشها ومعرس
وحوشها فحين نقرنا بها في البرج وقد ابارت من مشرعات اسنتنا
في ظلما نقع خلبتنا سعلات السرج وتقدم من العسكر جمع كثير
وجم غفير وخيم بين انطاكية وبينها ووكل بها ناظر يقظته
ووافد عسها ودخل في دفظ حاسها في الدرك وصار يركب كل يوم
ويقف تجاه انطاكية مقابل وسويها من الغارات عسفا وليس بينه
وبينها الا النهر ومقابل رحبتها منه المظهر وصعد السلطان في جريدة
عسكره الى الجبل ووقف بازاء الحصن وقوف المشتاق على الطلل
ونصب عليه المجانيق من جميع جهاته وصوب لقم الحجر الى لهاته
ووافق امره بالاذعان على خلاف نهاته وقلنا للمنتم به خذ الامان
وهاته ومازالت الحجارة متناوبة وصدى الصفا بالنكاية مجاوبة والنحول
فيه متوافرة والبلا اليه متتابع فما شعرنا الا بانفتاح بابه
والحاجاج اصحابنا الله حماحه الى اصحابه وخرج مقدم الداوية

١٠١

يستاذن في الحضور ويطلب الامن من المحذور والحل من المحظور
ويقول انا سلم بغراس العنا وسلمنا على حصونها من العطاريات
احصن البنا والمعاقل لا تحميها الا معتقلوها والبلاد لا تحفظها
الا اهلوها وما في هذا الحصن الا مقدمان وما لنا بقا وتسلم بدان
وعاد الى اصحابه من السلطان بالامان وتسلمت القلعة كما تسلمت
اختها دربساك بالامس وسلمها الداوية طايعين فعجبنا من انقياد
اولئك الشمس واباحوها لنا وكانوا يغارون عليها من طلوع الشمس وانار
في مطلعها سنا السنجق المنصور واذن المتطاول فيها من يطاوله
بالقصور وذلك في ثاني شعبان وسر النصر فيه شاع وبان وتسلم
السلطان الحصنين دربساك وبغراس الى علم الدين سلمان وكان صاحب
حصن غراز قد حاز الغنيمة وفاز زمانا كان في الاسرا الاكابر من لا
تدعي ببواه الاعواز فالزمه بها بعشى حفظهما وحصه من عصمته
في حفظهما فتسلمهما بذخايرهما واطلع من النفايس على مشهود غايب
ضمايرها وكانت حينئذ انطاكية قد اسعر عليها غلا سعر
الغلة وقل ساكنوها لما هم فيه من القلة والغرارة قيمتها اثنا عشر
دينارا والقوم قد شارفوا فيها تبارا وبوارا وحررنا ما في بغراس خاصة
من الغلة سوى ما فيها من تفصيل الاقوات والحملة تكاد تقدر
اثني عشر الف غرارة عن غرارة فقلت وكاتبه قد نقل هذه الغلة
الى انطاكية وباعها واعرض عن متاعب الاخرة وحوى من الدنيا

مزارعها واذهب الغله بذهب بغله وتستحلي من هذا السحت وتستحله
ويستعفي من حفظ الثغر ويستبشر بتخريبه ووقع لي من الظن ما كان
بعد سنين فكشف عنه علم تجريبه ۝ ۞

ذكر المهادنه على انطاكيه
ورحيل السلطان الى حلب ۝

فلما فرغ السلطان من شغل الحصون وظفر من فتوحها بالسر المصون عول على
قصد انطاكيه فانها كانت مربضه على شفا ورسم قوتها قد عفا وخلق
ثيابها قد انتفى والدهر قد انتقم منها واشتفى ووجه الفلاح عن اهلها
قد اختفى فلو قصدناها وقصدها الحصر دعا بها وحصدها وكان
الابرنس صاحبها قد تحمل بارسال اخي زوجته يسال في سلم تعود بقا
منجحه وعقد الهدنه على بلده وامن على ما في يده وذلك لما ايس امره
من تشرين الى اخر اذار ووافق من السلطان الاختيار لتكون التقضي
الهدنه قبل ادراك الغله وان حصادها فلا يقدر الفرنج على
تخليصها ونقلها واعدادها ولم يكن له رغبه في اتمام هذا الصلح
لكمال الغبطه لنا في الحرب ووفور الربح لكن العسكر الغريب مل
الاقامه وابدى السامه واراد السلم والسلامه وقيل بهذه المده
من الهدنه لا تزداد انطاكيه قوه ولا تستجد جده ولا يرجو اهلها
عده مجده ونحن نرتقب العود اليها مع انقضا مدتها واما حصونها
فقد حصلنا على عسلها وقلنا كلها واما هي فنعمل فيها بقول الله

تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها وشرط على صاحب انطاكيه
اطلاق من في الاسر من المسلمين واستوفى على عقد الهدنه اليمين
وسار رسولنا ومعه شمس الدين بن منقذ للاسارى منقذا وللاوامر
منفذا وعلى المقاصد مستحوذا ورحل السلطان ثالث شعبان
على سمت حلب والاسلام قد غلب وفاز من الفتوح بما طلب
واستغنى بما جمعه من السبي والغنيمه وحلب ۝ ۞ ۝

ذكر وداع عماد الدين زنكي
ابن مودود وعساكر البلاد ۝
وعود السلطان الى دمشق نجح المراد ۝

ولما رحل من بغراس وقف لعماد المودود عماده لمود اعد وشيعه بكرامه
كرام اشياعه وخصه بعد ما سيره له من الخيل والخيم بخلع خواصه واتباعه
وارله منه حسن اصطفايه وحنى اصطناعه ولم ينفصل منهم الا من
وصل نفله وطعمه محمله وحرمه مكمله ووعد جميل بن غبت في
العود وجود جزيل نشكب الجود وذلك سوى ما غنموه من
كسب وكسبوه من غنم واستطلقوه من رسم واستجزلوه من
قسم وملكوه من رق سبي وادركوه من حق سعي واحرزوه من
عرض وادوه من فرض واجتبوه من جنى النصر واماتوه من شيبه
الكفر واستنطفوه من قيح واستصفوا صوابه من نجح وسار
السلطان وعسكره حامد الله في مورده ومصدره وارتاح للعبور

على ارتياح واستبشر اهلها اليمن بافتقادها وانشراح ووصل الى حلب وحلب
احتفالها حافل والملك بها لا هتزاز قدومه في ملابس البهار رافل
ودخلناها وقد خرج كل من بها للملتقى مستبشرين بالاقبال المتضاعف
المترقى وشاهدنا من النظاره عيونا للمحاسن ناظره ووجوها باظره
وقلوبا حاضرة والسنا شاكرة وايديا في بسطها الى الله
بالابتهال بالدعا متظاهره واقضت حركتنا الى الشهبا لسانيها
بسكون الدهما واقام بقلعتها اياما يسيره والقى ولده الملك
الظاهر سيرا حسنا واحسن سيرة واقام به وبالعسكر مده المقام
واسيت الامور باوامره على النظام ولم يرحل الا وقد خص عوامنا
وخواصنا بالانعام الخاص والعام واباز عن كل منقبه واعان
بكل موهبه وكانت ولده منذ دخل حلب الا في اجمل حليه واكمل
حاله واحلى بهجة وابهى حلا له وقد اجذل بعينه ولنفسه قرة وقرارا
واعد لعزمه وحزمه استبصارا ثم انفصلنا عن حلب
متطلعين الى مواصلته بالدعا قاطعين طرقنا المتصله بدليلي الشكر
والثنا وتركنا طريق المعره بسلوك طريق المعره ووافينا
بالمعره الموفيه المبره وتيمن السلطان بزيارة الشيخ الفقيه الزاهد
التقي ابي زكريا المغربي وهو في مسجده عند قبر عمر بن عبد العزيز
ومشهده وقصده السلطان على فراسخ ولقيه في الوفا بالطود الراسخ
واهتدى بسجاياه واقتدى بوما باه ووصلنا الى حماه ونزلنا بها

ليلة واحدة ولم نزر عينها لما يشملها من الرعاية حاجة وطلع السلطان
تلك الليلة الى القلعه وسر بما راى من الحصانة والرفعة ووقف
الملك المظفر لعمه وجرى في الخدمة على رسمه وحضرنا وامير المدينة
النبويه مضا والسلطان قد اجلسنا بحضرته ورفعنا والنادي قد جمعنا
والشادي قد اسمعنا والاغاريد تطرب والاناشيد تعرب فما افضلنا
تلك الليلة الاعن علم نشر وعرف انشر وفضل شتى وعدل احى
ورسم للسماح لو جرى وزند سائل بالنجاح اورى وشاجر اعلى وجا جود
احلى وقرا لذوي حاجات القصص واتال لذوي الخصامات الحصص
واصبحنا على الرحيل ووصلنا العفو بالذميل وعبرنا معدين على حمص
وردنا في الوصول الى دمشق على طريق بعلبك الحرص وجيناها قبل شهر
رمضان بايام وركنا الى ما السنا به من مقام وجمع بنا شملها ونهلل
باستهلالنا اهلها وقلنا نصوم مع القوم ونقيم مده الصوم فما لبث
السلطان ولا مكث ولا نقض عهد عزمه على الغزاه ولا نكث وقال لا
تطل الغزوه ولا نعطل هذه الشتوه وقد بقيت صعقد وكونت احوالها
يطول مضا يقتها وقد فنيت اقواتها وقوتها فنشهر قصد فتحها
التي لا يومن فواتها وخرج من دمشق في اوايل شهر رمضان وجد عزمه
ممض وللبارق سعده ومض وفضله مستفيض ووجوه الايام
لاياديه البيض بيض ولسان الدهر في ذكر سيره وسير ذكره مستفيض
وجناح الكفر بنجاح رجايه ورواح مناجحه مهيض وحيث اقدامه القديم
والحديث طويل عريض ٥

ذكر فتح الكرك وحصونه

ووردت البشرى بفتح الكرك في تسليم حصن الكرك وذلك ان مدة غيبتنا
في بلاد انطاكية لم تعدم من محاصرتها المضايقة الناكية وكان الملك العادل
مقيما بتبنين في العساكر محترزا على البلاد من غايلة العدو الكافر مقويا
بالامر المرسل على الحصون حافظا على الدهما حركته في الامور عادة السكون
وكان صهره سعد الدين كمشبه بالكرك موكلا وباهله منكلا
وقد غلق رهنه وبقي داوه معضلا وامره مشكلا حتى نفدت موادهم
ونفدت ازوادهم ويئسوا من نجدة تاتيهم وانحلت عليهم مصايبهم
وشانيهم فتوسلوا بالملك العادل وابدوا ضراعة السايل وتذرعوا
بوسايل التسايل فما زالت الرسل لاتني تتردد والاقتراحات تتجدد
والقوم يلبثون والعادل يتشدد حتى دخلوا في الحكم وخرجوا الى
السلم وسلموا الحصن وتحصنوا بالسلامه وخلصوا باقامه عذرهم عند
قومهم من الملامه والملامه وكتبت … عن السلطان في بعض
البشاير ما الى حلاوته عن اذى السامع وهو انا لما عدنا الى دمشق
رأينا ان لا نستريح ولا ننثني عن قصد العدو العزم الصحيح فقلنا نغتنم
هذه الشتوه ونستكمل الخطوه ونواصل بالغزوه الغزوه ونستخلص
هذه القلاع التي شغلت منا في الجانب قلوبا وعساكر وابقت لاهل
البلاد في طريقها ذنوبا ومعاثر وبين هذه العزيمه والاستمرار في
الجهاد على الشيمه وردت البشرى بان حصن الكرك عاد اليه بعد

١٠٢ الجماح الاصحاب وخرج منه الفرج وانحلت الاتعاب وهو الحصن الذي
كانت طاغيته جدت نفسها بقصد الحجاز وقد نصب اشراك اشراكه
منه على طريق الاجتياز فاذقناه عام اول كاس الحمام وملكنا حصنه
التي كان يعتصم بها في هذا العام واضطر الكفر في اسلامه الى الاسلام
وتم بحل هذا البيت امن البيت الحرام وقد كان هذا الحصن ذنب الدهر
في ذلك الفج وعذر اهله في ترك الحج وابتسم الاسلام حين بعد ثغرا
وساق الى عقايله الرجال مهرا فالحمد لله على ما قدر من الحسنى
ونشر من النعمى حمدا يكون لما قدر ازا ولما استنجز انجازا والحمد لله
الذي انجز صادق عداته في كاذب عداته ٥ ٥٥

ذكر فتح صفد

وقطعنا مخاضة الاحزان خالا بيمين في بحار المسرات المتواصلة الى
مضمار المبرات الحاملة والسلطان سائر والجنة تحت راياته مفتوحة ابوابها
والنصرة فوق الويته مشهودة اسبابها في ابطال الطلاب الى ادعاها
الفرح لم يشغلها الى عشائه واذا طلع لنا سرحان الصباح سقط من مجاجها
على عشائه دلنا على صفد والصبر قد نفد والنصر قد وفد والقدر قد
رفد والعزم قد وقد وجاء الملك العادل وظاهر اخاه وظافره فيما نواه
وشد بالراي والحزم ما الزمان ارخاه وبعث كل ذي عزيمة على
التصميم ونخاه وشرعنا في مراومة القلعة ومنينا ومنها الشلعه
جنب المجانيق لاجتنابها وحرستها بالسناد احرابها ومنها عن

فسبتها للعاشبات وسمت الى هضاب تلك الابراج الراسيات وامطرت
عليها حجاره ولم يعطها من العذاب الواقع بها اجاره فما رفع بهذا
الحصر الراسي راسا ولا الحجارات مست منه ركنا ولا النقوب باشرت
اساسه ودامت المجانيق منصوبه قد قام دست شطرنجها والنقب لم
يكشف نقب السور عن حوه فرجها ودمنا الى ثامن شوال ونحن نعمل
في افتتاحها الاحتيال حتى اذن الله في الفتح فسهل ما تصعب وحضر ما
تغيب وظهر ما تحجب وتيسر ما تعسر وامكن ما تعذر وتاتى ما تابى
واجاب نداء الاسلام ولبى وعلموا ان صفد لم تخرج من ايديهم دخلت ارجلهم
في الاصفاد وعادوا ثعالب يروغون وكانوا كالاساود ونزلوا من سما
العز الى ارض الهوان فاذعنوا للضراعه وتدرعوا بالاذعان واخرجوا
اسارى المسلمين ليستشفعوا بهم في طلب الامان وصارت صفد للمسلمين
صدفا وكانت بالمشركين هدفا وعادت للاسلام سدا بعد ان كانت
للكفر ردا ومبردا وطال ما سكنت بها المشركون وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال
هدا ولقد كانت مارنا للكفر جدع ومرفعا للشر قطع وناظرا للعدو
غض وقد شخص وجارا له هيض وقد قبض ويدا للباطل شلت وقد امتدت
وعقده للضلاله حلت بعد ما استمرت وتخلصت الزاويه بادوابها
وتملصت باشوابها وصارت في صور وابعد استنطالهم القصوره

ذكر ما دبره الفرنج في

تقوية قلعة كوكب

فانعكس عليهم التدبير

لما عرف من بصور من الفرنج ان صفد لنا صفت وانها على الفتح الذي يشفي اشفت
قالوا لم يبق لنا الا كوكب فان صلاح الدين عز قصدها لانها اصعب وهي
اقوى من القوه وهي ان لم نعالجها ونعاجلها بالنجده المدعوه وقد
ضعف رجاؤها لضعف رجالها وقل ظهورها لظهورها فلا لها هذا
اوان انجادها وانجادها وهي مشرفه على العدم فدبروا في انجادها
واذا قويناها وحصناها لبثت عده في العواقب وعصمة من النوايب
فقال مقدموا الاسبتاريه هي كوكبنا المتلالي ومسكننا العالي
ومعقلنا المحكم ومقعدنا المبرم وحصننا الحصين ومكاننا المكين
ولنا منه المربع المربع والمنبع المنيع والمحل المحلي والمعلم المعلى وهو مقفل
قتر البلا على البلاد وموئل من الخطوب الشداد ولعلها تثبت الى ان يوافينا
من البحر ملوكنا وتعود الى عادة الانتظام في سلوكنا ما سطى
حدثاننا وما تخطى بحدثاننا واجمعوا على تسيير مايتي رجل من النخب
المعدين لدفاع النوب من كل جرى جري وكمي اكمي وجهم جهمي وشقر
شقري ودغل جبلي وبطل باطلي وكلب كلبي وذيب شعبي وعاسل
عاسل وباسل باسل ومغوار مغوار ومثلوم مثلوم ودمر ومدمر
ونمر متنمر وسبع ضار وشواظ من نار وجمر من الجحيم وجام من
الحميم من شياطين مجنون الجنون وميمون الميمون وبشنون الشون

ويتهددون الهدود ويخرون الحرون ويفوقون الفنون ويظنون بالله
الظنون فقالوا كيف تمضون وطريق السلامة مخيف وطارق الاسلام
مضيف فقالوا نحن نسير ونصير في عماير الكهوف اسرارا وعلى
اثباج الاطواد ازرارا وفي ابكار المغارات اطيارا وفي اعماق السيول
اكدارا وعلى ظهور الربوة دا وزارا نسري ليلا ونختفي نهارا
والليل للعاشقين ستر ولم ادلج منزله ونترو للمنهج دارا بعد فيه ونرد
عن منافر ومن رام النفيس الخطير رمى بنفسه في الخطر وطار الى الوطر
وعزب الى العذر وعزموا على ما زعموا وعلوا ما فيه عموا وخطروا
الى الخطر وجالوا لواما الفهم في القفر وتوقلوا في الاكم وتوغلوا في
الاجم وتبطنوا الاودية وتمطوا الى الافنية واحترسوا بالكمون
واحترزوا من العيون وتحركوا على السكون وكادوا يصلون الى
الموضع ويحصلون على المطمع ويدركون الطلاب ويهتكون الحجاب
ويبعدون الى الحصن روحه وياسون بعد الباس جروحه فعثر بواحد
عثر منهم بعض المتصيدين فصيده وقاده وقيده واتى به الى صاحبه
صارم الدين قايماز واستعرب من الفرنجي هناك الجوار فاخبره
بالحال وان في الوادي مكمن الرجال فركب البهم في اصحابه والقطع
من سرار الوادي وشعابه وركب الشجاع مسعود اوليك الاشقيا
وانتشر الناس في تلك الاكناف والارجاء فما نجا منهم تلح ولا نجح
راج ولا عاش عاش ولا حصل عاثر بانتعاش ثم ما شعرنا ذكر على صفد

للحصار والسلطان مطل من بيت الحسب على من حوله من الانصار وحشه
وصل صاحب قايماز بالاساري مقرنين في الاصفاد مقودين
الاقياد وكان فيهم مقدمان من الاستبتار وقد اسفيا على
البتار فان السلطان ما كان يبقي على احد من الاستبتارية والداوية
فاحضر عند السلطان للمنية فانطقهما الله بما فيه حياتهما ونجاتهما فيه
كانفسنا وقالا عند دخولهما وامام مثولهما نظن انا نعدم ما شاهدناك
لحققنا شر ونعرف ان بقاهما مرجو وانتظرت امر السلطان فيهما وايقنت
انه يبقيهما فمال الى مقالهما وامر باعتقالهما فان تلك الكلمة حركت
منه الكرم وحقنت بنعمة الله دم واستبشرنا بانعكاس ما اخلفه
الدهر وانعكاس ما حرره التدبير وفتح الله علينا صفد ثامن
شوال فشكرناه على ان مدد النصر متوالي وسلمت القلعة الى
شجاع الدين طغرل الجنداز وهو بها وال ○

ذكر حصار كوكب وفتحها

وجينا الى كوكب ووجدناها في بساط الكوكب دارها ركز العقبان ومنزل
الثواء قد نزلتها كلاب عاوية ونزعت بها ذئاب عاوية وربت فيها سباع
ضارية وحمتها لكمينها وابت النزول على امنيتنا ولو بنزول منيتها واخذنا
العطب على الغطاء واسرت حلف الحلف والشقاق للشقاء وابت عن الابا
ونصرت بالامر فصبرت على الضراء واصرت على حمل الاصر وترامت
على التعامي بالمصايب وتعامت على المرامي الصوايب وقالوا الوبقي

بمثابة واحد لحفظ بيت وحاصة الى الابد من العار ولا بد من عود الفرنج
الى هذه الديار بحلول الاضطرار وتشدد الانتظار فقاتلوا اشد قتال
ونازلوا اجد نزال وفوقوا الجروح المصمية وصوبوا الصخور المردية
ورفعوا المنجنيقات الموجبة وتواترت زيارات الزيارات الموترة
وتواترت الزنبوركات المطيرة واجترؤوا على الاجتراح وجرى سيل
الجراح ودمنا في الدم ورد الجود الى العدم وتجريد الرجال والتجريد
الى القتال وايثار الحنايا وايثار المنايا والرمي في المنجنيق والجمع
والتفريق والرفع والتحريق والنقب والتعليق والحفر والتعميق
والحصر والتضييق والهد والهدم والرد والردم والصد والقدم
وكان الوقت صعبا والغيث سكبا وتكاثرت السيول وتدانت
الوحول ودامت الديم لدموعها مريقة وبقيت الخيم في الطين غريقة
فلا لمركب مبرك ولا لمربط ولا لسالك مسلك ولا لمسقط وكان في
شغل شاغل من تقلع الاوتاد وتوتد الاقدام في الاطناب ووقوع
الخيام وكان الخيم مناخل الامطار وعدمت الانوار لوجود الانواء
وفقد ما الشرب مع سيل الماء والروايا ما نهضت ولا زحفت ولا
غصت والرواحل في الطين باركة وللجمام تاركة وللعلف تاركة
فالمطية مطينة وسبل السبل مستبينة وقد كشف البرد بالبرد
على اسنان عقامه بالبرد والطرق زلقة لزقة وهي مع سعتها
ضيقة وللتوقل تقلل وللعلو عقل وما تم الا ما يربط بالطين

وصعب علينا من صعوبة هذا الامر امرا وليك الشياطين فقدّم
السلطان خيمته الى قريب المكان لتقريب وجوه الامكان وبنى له من
الحجارة ما صار كالستارة تحضر بين يديه والسهام تعبرنا ولا
تذعرنا والسهام تشتمل عمهم وعليهم تظهرنا والنقاب قد
تلع وعلق والجرخي قد هتك الحجب وخرق وتجرد الجند واخذ الجد
ونزلت الاثقال والخيم الى اسفل التل فخف الثقل بنقل الثقل
وطاب المقام بالغور وسهل بالسهل وتحولت الشدة الى اللين
وتحللت الى الطيب عقدة الطين وما زال السلطان ملازما للحصن
وهناك ظاهره له اسباب الوهن حتى علق بعض جدرانه وطرق الهدم
بنيانه فتسلمه بامانه واذهب شكور سكانه واخرجهم راغمين
واخرجهم غارمين وتركوا الحصن بكل ما فيه واصبحوا بعد معاينته
للعفو والمعافاة معتقبين وذلك في منتصف ذي القعدة فانصف
الايام كل تلك العقدة ورجعت الليالي بالسكون الى طيب الرقدة
وعرضت القلعة على جماعة فلم يقبلوها وخلوها وابوا ان يلوها
وتخلوا عنها بهمم واهية فوليها قايماز النجمي عن كراهية
لعزمه عن مقامه لا هيبة وانتقل السلطان الى المخيم بالقصر
وحمد الله تعالى على نعما التوفيق ومرافقة النصر ووادع الاجل
الفاضل على عزم مصر بعد ما استكمل لنا مدة مقامه بصدق
اهتمامه وحدا عزائمه الفتح والنصر ثم تحول السلطان الى ارض

مجد
بيسان وازال البوس وزاد الاحسان واقام بقيه الشهر في تمهيد نعم
ياتي الدهر واظهر من الفضل ما كان مستورا واعطى الامرا والاجناد
في انفصالهم دستورا وسار معه الملك العادل مستهل ذي الحجه
واضح المحجه لائح البهجه وتوجها الى القدس في طريق الغور وزاراه
للبركه وتبركا للمزور ووصل يوم الجمعه ثامن الشهر وصلى في قبه
الصخره وخص ذوي الخصاصه بعظم المبره وعيد بها يوم الاحد
عيد الاضحى واضحى بعد ما ضحى وبدا صحب مراده واضحى وسار يوم الاثنين
الى عسقلان للنظر في مهامها ونظم اسباب احكامها وتدبير
احوالها وترتيب رجالها واقام اياما يوضح الجراد ويصلح ما فسد
ويسد من النفع ما فقد ويخمد من الفتنه ما وقد واذا وجد شعثا لمه
وان الف نسرا ضمه وان صادف فتقا رتقه وان لقي حقا حققه
وان عثر على باطل عفا وان بصر بامل خشمه واثره ثم ودعه
اخوه الملك العادل واستقل الى مصر بعسكره ورحل السلطان
صوب عكا موفقا في مورده ومصدره فما عبر ببلد الا قرب
عدده وكثر مدده ووصل بالرجال مدده وكنت انفصلت
عن خدمته الى دمشق عند رحيله من بيسان لعارض مرض سلبني
الامكان والحمد لله الذي فرجه الصحه وحول المحنه الى المنحه
وكمل الشفا بعد الاشفا واهدى عند الياس اراح الرجا ٥٥

ودخلت سنة خمس وثمانين
وخمسمايه

في عكا
والسلطان مقيم والامر مستقيم والنهج قويم وهو يثوب اسباب
حفظها ويثبت ابواب حظها ويهذب مراتب مصالحها ويقرب
مذاهب مناجحها ويعدل جواح امورها ويذلل جوامح جمهورها
ويقوي ما وهي ويسوي ما هوى ويحلي من الشان ما عطل ويعلي
من المكان ما سفل ويعيد نظم ما انتكث ولم ما تشعث
وتجديد كل ما دعى الى تغيير ما مات منه وبعث ومكث بها
الى برم القصر الى ان وصل جماعه من مصر فامرهم بها بالاقامه
محافظه على الحمايه المستدامه وامر بها الدين قراقوش بالمام بنا
السور واحكام احكام الامور وولى الامير حسام الدين بشاره
بعكا والبلد ولم يزل لاثار الدوله في ابتدار العدل باليا ثم خرج
السلطان وسار على طبريه ودخل دمشق صفر وقد استكمل
الظفر ووجه الدين به قد سفر وعز من امن وذل من كفر وحزب
الهدى قد انس ونفر الضلال قد نفر وجلس على سرير السرور
ولبس حبر الحبور وبدا لحضور دار العدل فدر عدله للبادي
والحاضر واقام سوق البشره للمقيم والمسافر واقام الفضل
ومجل المجد واعلا اعلام العلما واحل احلام الحكما وقضى
باكرام الكرما فاسدى المعروف واغاث الملهوف
وانكر المنتهي ونهى المنكر وطهر حكم الشريعه
وحكم بالشرع المطهر واقام مده الشهر وادلباوه

عناه النصر واعداوه عناه القهر وايامه مسفره ولياليه
مقمره ومعارس اياديه بثمار المحامد مثمره ومجالس اعدايه
في ديار الشدايد مقفره والملك بزهوه زاهر زاهر والدين
ببهايه باهر ومناره باهر والافاق مستبشره والانوار مضيفه
وللدولة حق مدار وحقيقه والجدوا في نجده والسماح بسما
نهمع وللمراد مراد مرع وللوجوه بالبشر بهجه وللالسنه
في الشكر لهجه وللهمم علو وللشيم سمو وللكرم نمو
وللفضل نية وللافضال دعه وللشريعه شرعه واضحه
وللحوسه لستر الباطل ماحيه والصنايع ناجحه والدرايع ناجحه

ذكر وصول رسول دار الخلافه

والخطبة لولي العهد عده الدنيا والدين
ابي نصر محمد بن الامام الناصر لدين الله امير
المومنين ابي العباس احمد تابع اوايل صفر

وصل رسول منزل الخلافه ومقر الجلاله ومربع الامامه ومنبع المكارمه
ومطلع الهدى ومنبع الندى ومشرق نور الايمان ومشرع فيض الاحسان
ومرجع المرجين ومفزع الملتجين ومنجا الناجين ومنتجى المناجين ومهبط الوحي
ومهبط الامر والنهي ومقصد نجاح النجح ومخفض جناح الرحمه ومقطف
جنا النعمه ومجر ذيول المناقب ومجرى سيول المواهب ومزار املاك السما

وتدار افلاك العلا ومحج ملوك الارض ومحجه سلوك الفرض ومهبط
التنزيل وموطى جبريل ومقام الخلافه ومرام الرافه ومحمل الامانه ومحل
الديانه ومطاف الطايفين ومطار العاكفين ومعرف الواقفين
وموقف العارفين وقبله المقبلين وموئل المومليين وكعبه
القاصدين ومثابه الوافدين ومعفر وجوه العظما ومكفر ذنوب
الكرماء ومعصب السياده القرشيه ومنصب الوراثه النبويه
والسده الشريفه الناصريه ودار السلام وقبه الاسلام فابتهج
السلطان بوصول الرسول وايقن بحصول السول وسر سره وابر
بره وصدر بالانشراح صدره وقدر على الاقسام بالتناهي قدره
واحتفل لايجاب التلقي والتحفه بانواب الترقي وسال عن
الرسول المندوب للسول المطلوب فقيل هو ضيا الدين عبد
الوهاب بن سكينه وصل بالصفاء والسكينه والاحوال المزينه
وكان وزير الخلافه يومئذ مؤيد الدين بن حديده فعين لهذه
الرساله ابن سكينه حين عرف اباه الشديده فلقاه يوم حوله
الى مشق السلطان واولاده وكان يوما مشهودا وحضر
فيه اعيان البلد واماثل العسكر واشهاده وانزله في دار
الكرامه ورتب له وظايف الاقامه ثم جلس له في يوم سعد
صباحه وملأن طرفي الزمان والمكان افراحه وجاعلو نفس
الامال اقتراحه وحيا باليمن والاقبال غدوه ورواحه

وزاد ربك كل ما ابهج الاوليا وارغم الاعدا وخاطب السلطان عن الديوان
العزيز بكل ما اعزه وثنى عطف تناهيه وهزه ورساله طودا
من الوقار في ايراد الرساله وحلا له في مهب الجلاله انوار الجلاله
وتلفظ بالطول وتطوق منه بالتطول وبشر بان امير المومنين فوض
ولايه عهده الى ولده عدة الدنيا والدين ابي نصر محمد بن امير المومنين
من بعده واخذ ولايه العهد على من حضر من اعيان الامه وحفظ
عليهم بتوليته ما اولاهم الله من النعمه وامر ان يخطب له بمصر
والشام وفي جميع بلاد الاسلام فاستبشر بهذه الموهبه واستظهر
بما خص من هذه المرتبه وامر بذكر اسمه ونقشه على الخطبه
والسكه وعاد الاسلام به ظاهر الشوكه والسكه وخطب
لولي العهد يوم الجمعه ثالث صفر ولم يبق من الامرا والاماثل
والافاضل الا من حضر واحضر معه الدنانير ونثر وتولى ذلك
الملك الافضل اعز الله نصره فاظهر ابهه ملكه وبهر
فضله وحصل الاسلام من رايه على اهله وبقله وندب
للرساله الى الديوان العزيز ضيا الدين الشهرزوري القسم بن يحيى
لشرابه ما كاد يعفوا عن سنن الموافاه ونجح وسيرت معه
الهدايا والتحف والطرف السنايا واسارى الفرنج الفوارس
وعددها الكوامل النفايس وتاج ملكهم المسلوب والصليب
المكبوس والطيب واضفت على رسول الامام ملابس الاكرام

وفقك ناجح المرام واصحب الصبا ان الاضاة من مطالع الاعمال بمشاهد
سافره عن سنا الاحسان وبشاره بشايره جنا النجح من حلل
الجنان واهتزت الاعطاف واهتزت الاطراف وابتسمت
ثغور الثغور بسدادها وانتظمت امور الجمهور بسدادها
وسرت القلوب وسرت الكروب وخزي الحاسد الحاشد وقوي
الساعد المساعد وواصل في طريقه الاعراد حتى وصل بغداد
فلقي الرسول بالسول وقوبل بالقبول وخرج اليه الموكب الشريف
واضيف له الى بالدجره القديم جده الجديد الطريف ودخل البلد
واسارى الفرنج على هيئه يوم قراعها راكبه خيلها في
اطوارها وبيارقها وادراعها قد نكست بنودها وانتزعت
انوفها وقد مست على هيئه فتوحنا حتوفها ووقف على العتبه
الشريفه واستقبلها وقبلها ثم عطف به الى دار الكرامه
فنزلها والفى الوزير بن جهير قد عزل واقام في بيته واعتزل
وتصدر في الدست للنيابه وسماع الخطاب والاجابه المجد الاثير
الصدر الكبير مويد الدين صاحب ديوان الانشا وقد خص بتولي الحل
والعقد والاخذ والاعطا فتولى سماع الرساله وجوابها واولى
صونها ووالى صوابها وسياتي في موضعه ذكر ما انتهت اليه الحال
وجرى به المقال وكيف شغلت العوايق وعاقت الاشغال ٥

فصل مما كتبته في المعنى

عن السلطان الى الديوان العزيز

قد قرنت خدمة الخادم بما قدمه الله من امتثال المثال واداه من فضل الانعام
والاجلال وقام به من الامر الذي قام به امر الدنيا والدين وبادر اليه من
استثمار طاعته التي دامت لها من نعمه الدار العزيزة في اركان معارسها
السقيا وحلى الحب لما حلى من جنا بها وعقد الخنصر النضر بعزايمه على ما
اعتقده من ولايها ونهض من الملك بتقديم ما قدمه من الملوك الناهضين
وابرم من عقد عبوديته الكاملة ما تقاصر عنه تطاول الناقصين ووفق
لما وافق المراضي الشريفة ففاز بما جاز من شرف الرضى فاقتضى دين
الدين الثابت وثبت على الوفاء باستيفائه بما قضى وسبق الى ما سابق
به جواد صدقه في جواد قصده وافتتح فريضة طاعته في حلاوة عبوديته
بتلاوة فاتحة حمده وانتهى الى نهاية العين في النهي واطاع ما طاق فيما
امر الله به ونهى ومما وضع الكتاب من يده حتى رفع بالدعا يده وسال الله
لمولانا امير المومنين وافر النصر ومدده وان يعضد بولده ولي عهده
المطاع بامر الله عدة الدنيا والدين ويقر به عين المسلمين فقد فاضت
البركات واضت الحسنات واصابت الكرامات ورضت جماح اماني
المبرات وهاضت جناح الكفر الفتكات المرديات وتمت ونمت
النعم الظواهر والبواطن وصمت بسكون الدهما اهلها المعاهد
والمواطن وصدحت المنابر وصدقت المفاخر وصدعت الاوامر وصدقت
النواقر وصدعت قلوب الاوليا اهل النار من بواعث الرعب البواعث

١١٠ البوادر وتلتت صحاف الدرهم والدينار ونعشت عثرات الا مبار الاحرار
وغرست مفترقات الانوار وعرشت اسره المبار والمبسار ورفعت
رغبات الابرار وسمعت دعوات الاسحار ونزل النصر وفصل الحمد
ووجب الشكر وتجب الكفر ورحب الصدر واصحب الدهر وتحنن
السماح وصح ازوا الارواح وتضوع نشر الانشراح وتوضح صباح الاصلاح
وطال جناح النجاح وطاب جنا الافراح وعظم القدر وتظم الامر وحسن
الذكر وامن الذعر واهتزت اعطاف الاسلام واعتزت اطراف السلام
وتبلجت ايامن الايام وتروحت اماني الانام وازجت ازجا الرجال وبهت
باسنى الاسناد روايه امالي زكي الامال وقرت الاعين وابتهجت بالسعد
الطالع واقرت بالالسن وانتهجت بالحمد الجامع وقرت الانفس وانتهجت
بوسعها سنن العز الواسع ونابت هذه الموارد العذبة المشارب
الصافية المشارع في نقع الاوام ونفع الانام مناب المنابع وارجت البشر
وسيرت التوارح وخلقت ملطفات البشاير ليوجب تفخيمها وتضخيمها
التضميخ واشرق المشرق من نشر البشرى وانارت مصر من حسن هذه
الحسنى ونسمت نسمة المشوق منابر الاقاصي وتطرزت الفتوحات
القاصل عمرها الشامل نصرها بهذا المذهب المذهب وفاحت في
مهاب المحاب نفحات هذا الدمر الاطهر الاطيب وعاد الزمان الى عهده
وعاد العدل بزمانه وتاب الدهر من عدوانه واب الى احسانه ورجع الدين
الى سنا سلطانه وفجع الكفر بعبدة صلبانه وبطش الايمان بايمانه

وانبسط الفرس من الشرك بلدانه وتقاضى الربيع بفروضه وضاقت صفوف
فنونه وعتب العزم على ربوضه وحض الحظ على نهوضه وحث الحب
على اقامة سنن الجهاد وفروضه فقد درت افاويق الوفاق ودرت
امتعة الاشراق وافترت ثمرة الخلايق لنظرة الاحداق وراقت
اوراق الالوية كالنوار الاوراق وازهرت البيض والسمر كازهار
الرياض وانفتق عرار الجفون في الاغمار من الاغماض ونطقت الاقدار
للاقدار على ايقاظ عيون البيض لاجرام الشرك المطلول وتنزلت
البركات في انتجاع المراق مردم الكافرين لا يزال النصر على النصل
المسلول وقد آن ان ترعى الحشاشات منهم زرع الحشيش وتطير الى الاوكار
المقلطير السهم المريش وتربع تغالب العوامل في عشب الكلى وتطر
ذباب المناصل في لوح الطلى وترق رقاق المرهفات في الرقاب وتبين
الخطب على الاعواد وتدرب قلوب علوج الكفر من الرعب دون
الثلوج على رووس الاطواد وتحمل اشجار القنا ثمر الهام وجيش القضا
المعشب يزهر الجيش للهام وتقطف ورد الموت الاحمر من ورق الحديد
الاخضر ويوقف حد الهندي الابيض على قصر بني الاصفر وتجري في ورد
الوريد جداول البواتر ويرمى من الحصن العاديات الى حصون العدى جنادل
الحوافر وتكفل بما وعد الله من الظفر الظاهر والظهور المتضافر
صوامت الصوامر وتلى عقبان رايات الفتح والاجر من عقبان الجو
بالفتح الكواسر ويعيق ثوب الدارع من ردع التراب يسهل المدى

ويعلق في ملتقى النقى الفات السمهرية بلامات السابرية وتنظم الجوار
بخذلان الباطل ويحل بايد الايد ما بقي للفرنج من معاقد المعاقل
ويفرق بحر المجر الجرار ما تخلف من ساحات الساحل فلم يبق من
المدن الممتنعة الا صور وطرابلس ومعالم الكفر بها في هذه السنة
المحسنة بعون الله تدرس واما انطاكية فانها بالعرا مسوده وجميع
الاعمال اليها ماخوذه على انها بوقم قومها عام اول ماخوذه وحدود
العرايم اليها عند انقضاء هدنتها مسحوده لانها قد نقضت من
اطرافها ودخل عليها من اكنافها وجدعت بقطع حصونها
عرانينها وضيق على اسدها وسيدانها المحصوره والمحشوره عرينها
فهي نهزة لمفترص وطعمة لمقتنص وسلعة لمسترخص وبلغة
لمستنجح وقد خرج الخادم ليدخل البلاد ويستانف بهذه الجهاد
ويستقبل الربيع ربيع الاقبال ويستنزل ملائكة النصر من سماء الرحمة
لاوقات النزال وهو يرجو ببركة هذه الايام الزاهرة من الله ان
يجد حد ارضه بجد سمائه ويوفق الخادم لتصديق امله في تطهير الارض
من انجاس اخناس المشركين بدمائهم وكفيل رجائه فالجحافل
حافلة واسراب الكفر من بينها جافلة ومعاطف الاسلام في لباس
الباس رافلة ونصرة الله بانجاز عداته في قمع عداته كافلة
والحمد لله الذي وفق عبده مولانا امير المومنين في طاعته
لتيسير امره واخلاص الولاء له في سره وجهره وامتثال

شفية خفق بها فضل عصره واستكثار كل فضيلة سار بها بحسن
ذكره فما يفتح من كان الا بتقليدها ولا يستفتح من كان الا بتأييدها

ذكر خروج السلطان لاجل شقيف ارنون وما جرى له مع صاحبه

واقام السلطان شهر صفر في دمشق وقد اطاب منها سوق الآمال من بشره
النسق ثم خرج منها في ثالث شهر ربيع الاول يوم الجمعة بالمحبة المجتمعة
والمهابة المتسعة متوجها الى شقيف ارنون ليقرب بفتحه العيون ويصدق
في استخلاصه الظنون واتى مرج برغوث واقام به الى يوم السبت حادي عشر
الشهر ينتظر من عساكره البعوث ثم رحل على سمت بانياس وقد اوقع رعبه في
الثغر الباس واتى مرج عيون وخيم منه بقرب الشقيف وجمع من به من الات الحصار
اسباب المخوف وذلك يوم الجمعة سابع عشر ربيع الاول في اوسط فصل الربيع في
المرج الوسيع والروض الوشيع واسما الجبل اعشاب واصيبه ورتعنا في الطاف
من الله دائبة غير ناصبة وكان الشقيف في يد صاحب صيدا ارناط وقد احمل
في حفظه الاحتياط فنزل الى خدمة السلطان بحكمه طائعا ولامره سامعا
ولرضاه تابعا وفي موضعه شافعا وعلى حصنه خائفا ولاجله خاشعا وسأل
ان يمهل مدة اشهر يتمكن فيها من نقل من بصور من اهله واظهر انه متخوف
من علم المركيس بحاله فلا يسلم من دخله وحينئذ يسلم الموضع ويدخل في طاعة
السلطان ومراضيه ويكرمه في اقطاع يعينه ويخرج اهل دينه بسلمه
فاكرمه وقضى اربه واجابه الى ما ساله وقبل منه عذر ما بذله وانهى عن
رغبه وامهله واجزله وما خذله

١١٧ وخلع عليه وشرفه ورفعه في ناديه بنداه وعرفه واقنعه بنوله
ولم ياخذ منه رهينه ووجد اليه سكونا وسكينه فشرع ارناط
في اداله حصنه وازاله وهنه وترميم مستهدمه وتتميم مستحكم
تدبير علاله وتوفيه رجاله وتدبير احواله وتكثير امواله وتحري
غره من حفظه وفي سنة تيقظه وفي غفله من حزمه وفي عفوه من
عزمه وكان يبتاع من سوق عسكرنا الميره ويكنز فيه الذخيره
وقد صدقنا كذبه وحققنا اربه وانهي الى السلطان ما هو مشتغل
به من عمارة جدرها وذخيرة بعدها وتلميم شعثها وقوة شدها
وميرة تستمدها وكان المذكور سديد الحق لا يعمل ما فيه يقال
ولا يجري به عثور انتقال فلما كثر فيه القول وعجز من مسالمه العول
لم يرد ان يبدي له ما قيل ولم يهم بالتغيير وجه جاهه الصقيل
فامر بالانتقال من المرج الى سطح الجبل وتحويل الخيم اليه والثقل
وذلك ليله الجمعه ثاني عشر جمادى الاخرة واظهر ان المرج وخم
والمقيم به سقيم وام الزهر بالصحه عقيم وكان المقصود ان الشقيف
من عيانه بقرب واخباره عنه لا تعزب فلما علم صاحب الشقيف
بقربه شرع في ازالة ما يقلقه وجا الى الخدمه واستمسك
بالعصمه وذكر انه متعذر بذل الطاعه وبذل الاستطاعه وتضرع
خاضعا وتعرض خاشعا وذكر انه قد تخلف اهله بصور وانه كان
في زمان غيبته يرجوا منهم الحضور وانه يترقب وصولهم ويأمل عنده

حصولهم وشرع في تقرير هذا الحديث وتمهيد عذره فيما ينوهم
من عصيانه التكبر والتخبث واقام يوما وعاد الى حصنه وقد وجد
من السلطان دلايل دلايل امنه وكانت المده قد دنا انتهاوها
وقرب انقضاوها فانها الى اخر هذا الشهر ولم يجد بدا من التسليم
او التعذر فعاد بعد ايام باكتياب واغتمام وحضر عند السلطان
فقال ما اظهر به الابتهال واستزاد الامتهال وذكر انه رقيق
الامتنان عتيق الاحسان وانه العبد الغر وقد دخل عليه الوهن وعلق
عليه الرهن وانه يبغي اهله معتقلين بصور ان خرج منه الحصن ومن
اسلم عرسا شفاه فابقاه واشكاه وانجاه واسماه فانماه
وقد اصطنعني ورفعني فلا تضع الرفيع ولا تقع الصنيع وسال
ان تكون المده سنه وان يسمع الحسنه في حقه لحسنه وان ترى
لطوله طوله وان يشفي شفا امله امله فرادفه قوله دون قوله طوله ثم
افكر في امره واستمر في فكره فعادره على عزيمه عذره رجا هو
بنشره سره بعد ان مطله وطاوله وزاوله على ما حاوله واقام اياما
يردده ونخصه من الكرامه بما يجدده ثم كشف له الغطا بعد ان
اجزل له العطا وقال له قد بيل عنك ما لم ننظر فيك ولا نعلمه
منك محرما عنه رقي وانه كيف يلغي بالكفران ما من الانعام
لقي وانه ان لم يسعد بامهاله في التسقيف شقي ثم سال في ندب
من يوثق بامانته ويومن الى وثاقته ليدخل الموضع ويلحه

ويحضر بوصف ما شاهده وشرحه فرجع المندوبون يخبرون بما
ابصروه وذكروا ان الحصن قد عمروه وانه قد استجد من بيوته
ثابت واستعد من له من احكام احكامه اسباب فاستحكم
الارتياب وعرف ان الشرح قد حونه الدباب بوكلايه
من حيث لا يعلم وقيل له بحيث ولا يحوج الى معالجته وتسليم ثغر
فاليه قد بقي يومان من المده المضروبه والمهله الموهوبه نقيم
عندنا حتى تنقضي المده وتنتهي ونتسلم الحصن ونمضي فابدا ضروره وضراعه
وقال سمعا وطاعه وكان له ملق وملق وفي لسانه ذلق وما
عنده من كل ما يفرق منه فرق وقال انا انفذ الى نوابي في التسليم
وهو قد تقدم اليهم بالوصيه والتعليم فاظهروا عصيانه وقالوا
بقي مكانه فقال قد بقي من المهله يومان فما ذا العجله التي يفوت
بها الغرض ويطول منها المرض فصبر عليه الى يوم الاحد ثامن عشر
جمدى الاخره وهو اخر مدته واول شدته واوان انقضاء عدته
وقد رتب على التسقيف يزك يمنع الدخول والخروج والصعود
والورود وتمادى عزمه المطول فبلا ان يمتد حصاره ويطول جمله
جماعه من الامرا فوقفوا به ازاء حصنه فناداهم في ادراك امره
وفكاك رهنه فخرج اليه قس فاسر باسره عن اسر فحادثه
بلغته وناقله في كارثته بعلته فتحاوروا في السر وتشاوروا
في الشر وكانما امره بالتجلد وصبره على التشدد وعاد

الى الشقيف وترك صاحبه عاتبا العتب العنيف
وبعد ذلك حمل الى قلعة بانياس وبطل الرجا فيه وبان الباس ثم استحضر
في مستهل شهر رجب وهدده وتوعده وبالغ في تخويفه على ان
يبيع المراد من شقيفه فلما لم يفد خطابه ولم يجد عذابه سيره الى
دمشق وسجنه والزمه شجاه وسجنه ودخول السلطان من مخيمه
الى اعلا الجبل يوم الاربعا ثاني رجب لمحاصرة الحصن ورتب له
عدة من الامرا وامرهم بملازمته في الصيف والشتا الى ان يسلمه
بعد سنة بالسلم واطلق صاحبه واجرى عليه حلم الحلم ٥

ذكر ما تجدد للسلطان
مدة المقام بمرج عيون من غزواته
ونصراته ووقعاته واقباله ٥

اجتمع من كان بالشام من الفرنج ونجا على ملكهم الذي خلص من الاسر
وقالوا نحن في جمع جم خارج عن الحصر وقد تواصلت الينا امداد
البحر فسرينا الندر واغرنا من هذا العار وجا من كان بطرابلس
واجتمعوا على صور وفارقوا بالاستطالة القصور وجرت بين
اتفاقهم حالات فلم تمكنه من دخول البلد وخرج معه في البلد
واحتج بانه من قبل الملوك الذين من ورا البحر وانه منتظر لما
يبرمونه من الامر ويصله من النهي والامر ثم اتفقوا على ان
يقيم بصور المركيس ويدوم منه لملكهم الناابلس وبلاد

117 الناابلس وانهم مجتمعون على حرب المسلمين وقد الهم [illegible]
على رم ما تشعث من احوالهم ويتعاقدون على حل اشكالهم ويتجهزون
في تسديد اختلالهم ويقصدون بلدا اسلاميا من الساحل ويغيرون
عليه بالنوازل اقامة المنازل والمركيس يمدهم من صور [illegible]
بعد المدد بجميع ما يحتاجون اليه من الميرة والاسلحة والعدد
واجمعوا على هذا الراي وبلغوا في الغي الى هذا الغاي وشرعوا
فيما شرعوه وفرعوا ودروه الاصل الذي فرعوه ووصل الخبر يوم
الاثنين سابع عشر جمادى الاول من اليزك ان جميع الفرنج قد
نهضوا كالليل المعتكر الى المعترك وانهم على قصد صيدا الحم
وقد حشروا على عبور الجسر فركب السلطان في الحال
فيمن خف من رجال الدرك وابطال القتال واطلاب الابطال
وانجاد الامجاد واجلاد الجلاد والباذلين المهج للجهد في الجهاد
فوصل الى الملتقى والشغل قد فرغ والسيل قد بلغ والهزيمة قد
وقعت والوقعة قد صدمت والثورة قد باثرت والشورة قد
اشارت فان اليزكية لما شاهدت جاهدت وتعاقدت على
لقايهم وتعاضدت وخالطتهم وناشطتهم وواجهتهم ودافعتهم
وجالدتهم وجاولتهم وجاذبتهم وردتهم مفلولين مجدولين
وصدتهم مهزومين مثلومين وقسرتهم وكسرتهم واثرت
بثاراتهم وبرزت براتهم وقصت عقبانهم وقصمت شجعانهم

وصرعت صيدهم وفرست فرسانهم ووقع في الاسر من سباعهم
سبعة وغودرت للنسور من اشلا المارقين سبعه واستشهد من
ابطال الخواص ايبك الاخرش وقد كان شهما بالوقايع يتحرش
بالروايع لا يتشوش وابيا بالحوادث لا يتوحش وكميا
مبيتا بالكوارث لا يتكمش وانفصلت الحرب قبل وصول
السلطان وكان الدايره على اهل الشرك والطغيان وعاد السلطان
الى خيم ضربت له بقرب البرك وقال لعلهم يعودون الى
ذلك المعترك فيستدرك ما فرط من استيصالهم واجتثاثهم
وقد ندم الفرنج على ما بدر من اجترايهم واتباعهم واقام الى
يوم الاربعا تاسع الشهر والاسلام بقوة ظهوره على
الكفر قوي الظهر وركب في ذلك اليوم ليطلع من الجبل
على القوم ولم يكن نيته القتال ولم يستصحب معه من يستظهر
به من الرجال وتبعه راجل كثير من غزاة البلد بغير علمه وظنوا
ان السلطان انما ركب للقتال وعلى عزمه وكان الفرنج قد بصروا
بالراجل فطمع فيه ثم ظنوا ان وراه في الكمين عسكرا كمينه وبعث
السلطان بعض الامرا الى الغزاة الرجاله ليعودوا فما قبلوا وحمل
عليهم العدو فاسروا وقتلوا وختمت بشهاده اوليك
تلك العشيه ونفذت من الله في استشهادهم المشيه وحمل
الحاضرون من الامرا والعسكريه على الفرنج حمله اردتهم

وردتهم وصدفتهم عن الجراه وصدتهم وتزاحموا على الجسر
فغرق منهم زها ثمانين في النهر وكان يوما علينا ولنا جنى المنيه
واجتنى امله وللحرب رجال وللحرب سجال ولم يكن لا ولمليكه
الغزاه بقتال الفرنج دربه واقدامهم على العدو لله قربه فخاضوا
من الدم في اللجج واعتاضوا الجنه من المهج وممن لقي الله بالشهاده
وختم له بالسعاده الامير غازي بن سعد الدوله مسعود بن
البيصار وكان شابا لنار الحرب شابا ولدين الرب رابا وممن
شاهد ما تم من الغزاه انقض في اصحابه على الفرنج انقضاض العقاب
ودعته جنته الى طعنه لبته لبته فاحتسبه عبد الله والده وكدرت
عليه موارده واوجد جمعنا الاسى على ذلك الواجد وساء عدم
الساعد وبئس تشكر مساعي ذلك المساعد وضاقت القلوب
وضاقت الكروب والم الذنوب وذلت النفوس وهذه
وقعه بدريه وواقعه بدريه وبدير خربه وحادثه ابدريه
فلم يصب الكفار من المسلمين منذ اصيبوا غير هذه الكره واذاقونا
بعد ان خلا لنا جنا الفتوحات مراره هذه المره فايقظتنا من
رقده الغره واخذ الناس حذرهم ونذروا وعقدوا على الاستقامه
نيتهم ثم رجعوا الى الله وقالوا بهذا اوعد الله حيث قال يقاتلون
ويقتلون وعباده هم الذين يسعون امره ويمتثلون ثم قوي عزيمه
السلطان على نصرهم في محنتهم وكلمهم في محنتهم وعبور

البشرى البهيجة والاحداق بهم من حول البهم وشاع صيت هذا
التحرم وصوته واسرع الناس الى موسمه ودخلن فوته وتسامع اهل
البلاد بعزيمه الجهاد فتباشروا وتبادروا وتسابقوا وتسارعوا
واتوا من كل فج وجاوا من كل نهج وسالوا في كل واد وجالوا
في كل بقاع ووهاد ووافت مطوعه دمشق وحوران يحرزون الى
من الموت ويحرون المراد ونوافد من بالمرج والغوطه على الحاله
المغبوطه وقالوا هذا اوان احضار الضرائر المربوطه واجتمعت
من عيون جموع من حبث العيون فخافت الفرنج من هذا الجمع
واناف على الجمع وتحكنت الى سور صور وعاين اوليك البور
الثبور وتحرزوا وتحزبوا وتوجلوا وتوحشوا فاقتضت الحال
تاخير قصدهم ليتمكن على عزتهم حسن التاني من قصدهم وعاد العسكر
الى المخيم وسار السلطان الى تبنين صبيحه يوم الخميس السابع
والعشرين ليتفقد احوالها ويتامل اعمالها ويعرض رجالها ثم سار
منها الى عكا جريده ورتب في عمارتها ووالييها اخو الاسديه
رجالها بالاحتياط والتحفظ والاستظهار والتيقظ واسرع الى
العسكر عظيم المفخر كريم المعشر موفق المورد والمصدر مبسوط
المنظر والمخبر واقام الى يوم السبت سادس جمادى الاخره وكحل
محجبة بموج بانواع العساكر الزاخره ٥ ٥ ٥

ذكر ما تم من استشهاد

عدة من امراء العرب

وانتهى اليه ان الفرنج ينتشرون في الارض ويبسطون في موضع
القبض ولا يحفظون في الرفع والخفض ويختبطون ولا يحتاطون
ويحتشون ولا يحتشمون ويجنون ثمار الجبل ويجنون على من بها آفاته
بانواع الغيل وهم في غرة من غارة وفي خسارة بعود عليهم
خساره وفي غفلة تجر عقله وفي صفقه يرفع عليهم من الغرار ظله
وانهم اذا خرجوا للاحتشاش والاحتطاب وانتشروا في الاعشاب
من الشعاب خرجت وراهم خيل تلحظهم على بعد وتحفظهم
من متعد ونفذ السلطان الى خيل تبنين وامرهم ان يصحبوا اوليك
الملاعين فاذا خرجت الخيل اليهم تطاردوا قدامها ووصلوا
بها الى الكمين وذلك يكون في صباح الاثنين ثامن الشهر المذكور
وواعدهم على هذا السر المستور ونفذ الى عسكر عكا ليكمن في
موضع عينه ولا يظهر مكمنه حتى يكون من وراء القوم مستعدا
لما يناله من الوقم وسار السلطان ليله الاثنين على الموعد مصدقا
للمقدم وصادف خيل تبنين قد اغارت واثارت وابرزت
وابارت فعبر ستر وكمن بين صور وبينها وعين البركة واد فرعيها
ورتب ثمانيه اطلاب من الابطال وكمن تلك الاوجال حماة الرجال
وانتخب من كل طلب عشرين فارسا اجوادا على الجياد وانجادا في
الجلد على الجلاد وامرهم ان يبرزوا للفرنج حتى يصل اليهم

وتحمى ابنيتهم وهم يفترون قدامها ولا يفرون امامها وتجد نوبتها
الى قرب الكمين ونوبتعونها عليه ونوابعونها اذا حصلت بين
يديه ليفعلوا ما به امروا ولما حملت عليهم الفرنج ثبتوا وصبروا
وانفوا من ان يقال فروا بل جالوا فيهم وكروا واتصل القتال
واشتد واحتدم المصال واحتد وطال زمان الحرب وامتد وطارت
جمرات الصفاح وفارت غمرات الكفاح وثارت غمرات البراد
ودارت عثرات السرا وانحلت عرى اللمم وانحطت ذرى
القمم وعدم كل قرن قراره وكل جفن غراره ودام نهار نار
تجرى بانهار الدم نهاره وعرف من بالكمين ان الحرب قد اشتبكت
وان الاسد قد اعتركت وان اليزك قد ارتبكت وانتركت
فتواصل اخاد الاجناد وتراسل امدادا بعد الامداد فلما راى
العدو ان المدد يكثر والعدد يكثف وان عساكرنا لا سوق ولا
تتوقف صمم العزيمة على الهزيمة وعلم ان النجاة عين الغنيمة فثنى
اعطافه وضم اطرافه وركد احلافه وخرجت من الفرنج مقتله عادت
ارض المعركه بها متقله وكان قد حمل العرب على وعد العود الى
الكمين والرجوع الى اسد ذلك العرين ولم يكن لهم بالطريق خبره
ولا عبرت لهم من الطوارق عبره فتطاردوا بين يدى الفرنج في
وادٍ ما له نفاد ولا لسالكه الى منهج ملاد وردهم العدو نقدا
وراهم وسار بجمعه ازاهم فلما انتهوا الى الجبل ادركوا ولم يقدروا

ان يسلكوا فقاتلوا حتى قتلوا واقبلوا على الله فقبلهم ... منهم
الامير زامل من امرا ابن ربيعه امير المعره وسرى الاسره والامير
يحيى بن شمون بن عرقل بن ربيعه والامير مطرف بن بردويل بن ربيعه
واخر معهم فهولا الاربعه من ربيعه ثبتت لهم في جنة الخلد
ربوع وتقرر لهم في رياض النعيم ربوع وهتكت لمصابهم استار
الدموع وعدمت لمنابهم اسحار الهجوع وفاروا بالنعيم وتعوا بالفوز
وانتقلوا من العمر الفاني الى الباقي من العمر وكان معهم من المماليك
الخواص من ذوي الجد والاخلاص تركي عربي النخوه عضنفري
السطوه فلما حصل في المضيق وايس من الطريق نزل عن فرسه
على صخرة بنحوه وتقلد بين يديه كنانته وفارعا الدروبه واوتر قوسه
وسدد اليهم سهمه وقبل قضا الله وحكمه وحر الى امنيته من حسه
واصاب اشيبه من اصحمة العدو في المصاب بامنيته فوقفوا عنه
بعيدا حين خافوا قربه وما زالوا يطعنونه ويرمونه حتى ظنوا انه
قضى نحبه فاصبح وقد نزف دمه وترجح على وجوده عدمه ولما قيل الله
استشهد وطلب ليلحد رمق به رمق وهو في دمه غرق محمل على انه
من الاموات ولم يبرح له فوات الوفات فاحياه الله بعد ان اماته
وجمع اعضاوه عليه وقد شارف منها شتاته وانشاه خلقا جديدا
واجده في اجله مزيدا وهو ابلك اليتا في زاده ما جرى اجترا
على الاقدام واجرا الى مضمار الحمام فما سمع من بعد ذلك هيبته الاخطار

ولا انتشر للكفر صبغة الا اغار عليها ٥

ذكر مسير الفرنج الى عكا والنزول عليها ورحيل السلطان قبالتهم اليها ٥

وصل الخبر يوم الاثنين ثامن شهر رجب ان العدو قد ركب واجلب بخيله
ورجله وطار بغراب جرده ودب بدباه في رحله وسرحت ذيابه ونبحت كلابه
وجاش بعرام جيشه العرمرم وطاش الى باهل الجنه الى اهل جهنم
ونوى العبور من النواقير واضرم بنار السعير مساعي المساعير وهو
على قصد عكا يجري الى المدى برأي جمعه المدابير وان نفر منهم نفر
وسبق الى النواقير وعبر ونزل بالاسكندرونه واستباح
طرقها المصونه وتسامى من المومنين رجال يحمون طرق الثغور ويحمون
ستر الامر ويحمون حمى الكفر ويحمون غارب الشر ويكونون جانب
البحر ويطوفون بالحراسة ويطولون بالحماسه فلما راوا مقدمة الفرنج
واقفوها ودافعوها وعاقروها وقارعوها واهلكوا عدة وملكوا
عدة ولما تكاثرت اعداد الاعداء واستظهروا بالانكفاء عن
الاكفاء وتدافعوا بعد ما دافعوا وتراجعوا بعد ما راجعوا واطلع
السلطان على خبرهم وعرف نفور نفرهم فكتب الى العساكر
النائيه الذين لعم على العدو فتوافوا للميعاد وتوافوا للاعتضاد
وتوافروا للجهاد وتوافقوا في ادراك المراد بانعاد المراد ورحل الفرنج

١١٨

ثاني عشر رجب يوم الاحد وافد المدد ووافره العدد ونزلت على عين
نصبه ولقد شاهد من شاهد تلك الروابي المعتصمه
ووصل اوايلهم الى الزيب واجابوا داعيه الصليب فاصبح السلطان يوم
الاثنين على الرحيل ووصل العسكر بالرحيل وكان الثقل قد سار من الليل
وجرى على طريق في الملاحه في الاوديه جري السيل وسرنا على جنب
توبنيف الى المنيه احترى بالحرم تاكيد للوثيقه وجينا عصر يوم الثلاثا
والسلطان نازل بارض كفركنا وبتنا تلك الليله وسكنا ثم اصبح يوم
الاربعا خامس عشر الشهر ونزل على جبل الخروبه واطلع منها على
الاخبار المحجوبه واشرف على العدو النازل ودنا حزب الحق من حزب
الباطل وكان عده من الامراء ساروا على طريق هو بين الفرنج مقابلين
مقابلين فوصلوا في هذا اليوم وقد نالوا في طريقهم من القوم
ونزلنا في ارض صفوريه بالاثقال وتجرد الرجال منها الى المخيم السلطاني
للقتال فكان من راي السلطان عند رحيل الفرنج على قصد عكا ولم يزل
رايه ينور فطنته وطيب فطرته اذكى واربى ان يسايرهم في الطريق
ويوافقهم في المضيق ويقطعهم عن الوصول ويدفعهم عن النزول
فانهم اذا نزلوا صعب نزالهم واتعب قتالهم واذا ثبتوا تعذر حصدهم
واذا ثبتوا تعذر قصدهم واذا لصقوا ببطن الارض صاروا كالقراد
واذا حلقوا في جو الردى طاروا كالجراد وعند الانتشار يمكن التقاطهم
وعند الانحصار يتمكن احتياطهم فقالوا بل نستقيم على السنن القويم

ونطلبهم طلب الغريم وما اهون قطعهم اذا وصلنا واعجل ادبارهم
اذا اقبلنا والطريق ما بينهم وعر وللمقصر فيه عن التطاول عذر فمضى
على استسهال الطرف رسمه فلقيهم بالفيلق وتبين بالعاقبة ان الراي للسلطان
كان اصوب فان نزالهم عسر ولهم صار اصعب ونزل الفرنج على
عكا من البحر الى البحر متحائطين بالاحجار محيطين بها للحصر وضرب الملك
العتيق خيمة على تل المصلبة وربطت مراكبهم بشاطي البحر
فكانت كالاجسام المونشة وبعث السلطان ليله وموله بعقاد خلفها
على عدة من العدو وتواصلت البعوث عليها على التزايد والتواحي
استظهرت بقوتها وقويت باستظهارها فلما اجتمعت العساكر
واتصلت الاوايل بالاواخر عبا جيشه طلبا طلبا وميمنة وميسرة
وجناحا وقلبا وشنا ارتهيبه وهيبة وانزل العسكر على تعبيته ونزل
بمرج عكا على تل كيسان في ذوي اختصاصه ومن نصب من خيامه
على اشراك اقتناصه وامتدت الميمنة الى تل العياضية والميسرة
الى نهر الملح العذب فدارت رحا الحرب ودام كر الكرب وطاب
طعم الطعن والضرب وطافت كاس الباس بمدام الدم على الشرب ودارقا
الانجاد عسكر الشرق ماضي الغرب وصرنا محاصرين للمحاصرين مكابرين
للمكابرين وقد احاط بنا العدو وهو بالبلد محيط واستشطنا منه
وهو مستشيط واحرقنا باولئك احاطة النار باهلها ومنعنا
الطرق من ورائهم في وعرها وسهلها ورتبنا بالرتب والنوافر

رجالا لا يبعدون ونهم عن سبلها ودمنا نصلحهم بالقنا ونعليهم
ونراوحهم ونغاديهم ونعاودهم ونبادئهم ونقدم لعوايد على
عوائدهم ونصدهم ونصدمهم ونوحدهم البحر بعدمهم ومازالت
مراكبهم تتواصل ومساكبهم تتطاول واهل الجزاير من الجزاير متوافدون
متوافدون مترادفون مترافدون قد قطعوا وجه البحر بنقب السفن
وجدوا العلوس على بحه عران الرعن واقنوا على بيارة بنسج البسط
وحملوا على البحر اوزار البحر ونسالهم وبغا فانهم زادوا على رجسهم
رجسا وبقي القتال بينهم وبين اليزكية كل بكرة الى العشية
الى ان وصل الملك المظفر تقي الدين عمر ومظفر الدين كوكبري الاسد
الغضنفر فاستظهرنا بهما وبعسكرهما ووصل مقدموا الرجال في
الجمع الجم واستدارت الفرنج بعكا كالدايرة بالمركز وزادوا من
جانبنا من التحوط والتحرز ومنعوا من الدخول والخروج وبلغ اولئك
العلوج في ضبط طريق الولوج وذلك في يوم الاربعاء والخميس اخر
رجب لانسلاخه وللاسلام بادينا باستصراخه فاصبح السلطان
يوم الجمعة مستهل شعبان وقد استقلت راياته واستقلت اياته
وعز عزمه وعلا حكمه وما بين الامر اسرج الجرد وجرد السرجيات
وعاج بالاعوجيات واشرف بالمشرفيات وبرز باعتقال الردينيات
وردنا ان العقيليات واذكى المذاكي وقرب المقربات وقد شن شنان
اربه وجرحان قربه وساق من سبقه ردع الدم وصاف وجوده

...ق العدم واقبلت والنصر مقبل والظفر متهلل والميمنة
والميسرة باليمن واليسر ممتدان والقلب له من التأييد والتمكين
جناحان واتفقت الآرا واجمع الامرا على ان يكون اللقا وقت
الصلاة يوم الجمعة عند قبول الدعوات المرتفعة ومناب منابر
الاسلام عن اهله في جميع بلاده واجتماع الالسنة والقلوب في الضراعة
الى الله في نصر المجاهدين من عباده واحاط العسكر الاسلامي من جوانبهم
وكدر عليهم صفو مشاربهم وقتل مضا مضاربهم ردهم في مواضعهم
واقفون وعلى مصارعهم عاكفون وفي مواطنهم ثابتون كالبنيان
المرصوص ما فيه خلل وكالحلقة المفرغة ما اليها مدخل وكالسور
المحيط ما عليه متسلق كالجبل الاشم ما فيه متعلق فزحفنا اليهم
فلم يبرحوا وقربنا منهم فلم يتزحزحوا وحملنا عليهم فاخذوا العزيمة ولكنهم
ولم يعطوها واتخذهم مطايا المنايا فهان عليهم ان يمتطوها ودامت
الحرب قايمة وديمة الدم دايمة وكلما قتل واحد وقف اخر مقامه
وخلف نظامه حتى دجا الليل وحجز ووعد النصر ما نجز وحرب الحق
ما عجز فاصبحوا يوم السبت في الحرب كما امسوا وزادوا على ما جرى
امس والهواجر وانسوا فما طلعت الشمس حتى طلعت شمس الظهور
واضحيت شمس الجمهور واستضاف نورها مستضيف النور وحمل
الناس من جانب البحر شمالي عكا حملة شديدة كانت بلا قدامهم من
الفرنج مبيدة وفرشوهم على ذلك التلول وردوا مضاربهم من قبلهم

بهام بادية الفلول وانهزم الفرنج الى تل المصلبة نحو القبة وثبتوا
عند الوثبة واخلوا ذلك الجانب وخلوا تلك المذاهب وقلعت
خيامهم منها وقطعت اطماعهم عنها وانفتح لنا طريق عكا
ودخلها الرجال وحملت اليها الغلال ونقلت اليها الاحمال ودخل
العسكر اليها وخرج وانكشف ضيق حصرها وانفرج وذلك من باب
القلعة الوسطى الى باب قراقوش واستطرقت اليها العساكر
والجيوش واطلع السلطان على الفرنج من سورها وشرع في تدبير
امورها وخرج عسكر البلد للموازرة على قتال العدو العادي
وبذل الهوادة في قصر القصر والهوادي والفرنج قد رهبوا ولو قدروا
هربوا لكن اصحابنا راوا ان انفتاح باب البلد غنيمة وانهم اتى
وقت ارادوا كانت منهم عزيمة ومن الفرنج هزيمة وتوقفوا عن
الاتمام وتقدموا عن مقام الاقدام ولو انهم استمروا في الحرب على
بعضهم وهيبتهم لبا الاعدا لنحنا خيبتهم فان الصدمة الاولى
اخافت واخافت ونافت نقا القوم وعلى هلكها انانت لكنا
تركناهم حتى عادت اليهم الارماق وعاودت قرفهم الاوراق وابصروا
ما بين ايديهم وما خلفهم وازالوا فيما بينهم بالمواقف خلفهم
واثبتوا في مستنقع الموت ارجلهم وراوا ان الوقت قد امهلهم
وقال امراونا هولا قد سهل امرهم وخمد جمرهم وتدحض
رياشهم حصرهم وهم في نصبنا اي وقت اردنا ولقصدهم

لجمودنا وقالوا نصبر الى الظفر ونمضي ونسعى للحيل ونعود وحينئذ
استثقل بهم العدم ونفرع الموجود وانصرفوا على وعد الوعد وتفرقوا
في رباعهم بتفرق الزود وبلغ العدو بغيته ووجد الى الجلد طريقه
وجمع بعد التفرق فريقه وضم عن الانتشار راجله ورم رامحه ونابله
ووقفوا كالبنيان من وراء الجنويات والبراش والقنطاريات ووقد
صونوا الجروح ووقوها وجمعوا العدد وعلى الرجال فرقوها كانهم
في الدروع اراقم وفي المجان علاجم وفي النهوض تشاجع وفي الضراوة
ضراغم واختلفت الآراء مع العلم باحتراسهم وتشمرهم لمراسهم
فمنا من يقول نصبحهم بالزحف ونزورهم بالحتف ونترجل الامراء
فيتبعهم الاصحاب وتنشب من اسيافنا في تلك الخنازير الاظفار
والانياب وتتصل الطعان والضراب فنستفهم ولو انهم جبال
ونطفي نيرانهم ولا نبقي لهم من بعد هذا نار ومنا من يقول
ندخل راجلنا الى البلد مستعدا بالاهب متاهبا بالعدد فاذا اصبحنا
البسهم واوجفنا عليهم خرج من في البلد من العسكرية والراجل
ونازلناهم من امامهم ومن ورائهم بالنوازل ولا نترك بعدها
لهم عين ولا نبقي للدين بعد درك الثار منهم دين ومنا من
يقول لا نبرح نفرج عنهم ونبعد منهم فما دمنا على هذه المضايقة
والمصابرة والمحاققة والمحاصرة والمكايدة والمكاثرة فانهم يتيقظون
وينتبهون ويتحفظون ولا يسهون ويتحرزون ويتحزبون ويرحلون

ويتوحمون فاذا ارحنا طولهم واوسعنا املهم استرسلوا بعدما
استبسلوا واستقبلوا الدعة بعدما استثقلوا واطمانوا وقطنوا
واذا انبطنا تسرعوا واغتروا بنا على غرة فاغاروا وظهرت
لهم اثار ركودنا عنهم فظهروا وثاروا وحينئذ حينهم
وسيبينهم بين واذا ظهروا واظهرنا عليهم ومتى اصحروا واصحرنا اليهم
وان بدروا وبادرناهم وانجز عده اماننا فيهم وناجزناهم
ومنا من يقول هولاء في عدد النمل وكثرة الرمل وظلام الليل
وعرام السيل فما يفنيهم الا العدد الكثير ولا يقمعهم الا الجمع
الجم الغفير والمصلحة ان نستنفر العساكر ونستنجد لابادتهم البادي
والحاضر ونستجيش الجحافل ونستنفر الفارس والراجل ونلقاهم
باسنالهم ونقدم على نصفتهم مستظهرين في قتالهم ومنا من
يقول هولاء عالم لا تحصى وقد حصروا امن الادنى والاقصى وازوادهم
عن قريب تفرغ واعدادهم في الصبر تبلغ وامدادهم تنقطع واحيادهم
تمنع وموادهم تقل وحوادهم تكل ومراكبهم في الشتاء تشتات
وحبالهم وحبالهم تنبتات فاما ان يضطروا الى الانفصال واما
ان يوذن فنا ارزاقهم بحلول الاجال ويهون علينا حربهم في تلك
الحال وكفى الله المومنين القتال فهذا عسكر الاسلام وجند مصر
والشام وفي الاقدام به خطر وفي المباشرة بحربهم غرر والمصلحة
العامة تحط وراس المال تحفظ ومنا من يقول

وتنزع من منصر الاساطيل وتستدفع بحقها الاباطيل وتستكثر
من مراكبها وتستعدي على هذه الافاعي بعقاربها وتستطيل
على الدستاه المستطيله بسواعيها وتعدوا على عوادي لا عادي
لعوايدها واذا وصلت وقطعت عليهم طرق البحر وصلت لنا اسباب
النصر وحبست نفاذهم برا وبحرا ونوسعهم بمضايقتهم قتلا
واسرا ومازالت الارا بيننا متداوله وخواطرنا في تدبيرها
متحاوله والحرب بيننا وبين الفرنج جايله وزناد الهيجا بالاشتعال
نارها واريه وكل يوم تصافح بالصفاح وتكافح في الكفاح
وتسطو بهم بكلام الكلام وتلحق منهم الموجود بالمعدوم وللطلايع
وقايع وللوقايع طلايع وللسهام افواق فايقه وللحمام اسواق
نافقه وسرايانا في كل ليله تسري وتاسر وتبري وتابر
وتكبس وتكسب وتسبي وتسلب والسلطان يباشر ذلك
كله بنفسه وهو دايب في يومه مجتهدا في الزيادة على
امسه نايبا عن اعوان المسلمين وانصارهم ساهرا في ليلهم
قايما في نهارهم والعين الساهره في سبيل الله قريره وتعلم
واحد لله في اليوم الاخر ذخيره ٥٥

ذكر وقعة تمت يوم
الاربعا ثامن شعبان ٥

وركب الفرنج اخر الاربعا ثامن شعبان باجمعهم وتقدموا من

موضعهم وابتدروا الى مصرعهم وفارقوا الحزم في تقدمهم عددهم
وخرجوا عن رجالتهم وجردوا خيالتهم وحملوا على الواقفين
من اصحابنا حملة الرجل الواحد فتحرك الصف الثابت
الساكن امامهم كالبنيان اذا تخلل من القواعد وتراجع عنهم
المسلمون استدراجا وملات الارض السما عجيجا وعجاجا
وزخر كر الحرب على امواج امواجا فما قربوا من خيام اليزك
الا وقد اعتكر جو المعترك وعساكرنا قد اوجفت عليهم
وزحفت اليهم واردتهم بعقابهم وردتهم على اعقابهم
ووصلت الى رؤسايهم وقطعت رووسها والحقت باسها ذلك
الجمع بوسها ونبت وجه الكفر عبوسها وولوا مدبرين وادبروا
مولين والجرح بالقتل عاثر والدم البايل باسم الموت باسر
فلما جن الليل رجعت باجنحة الخيل وبات كل حزب على حرب
واعداد عدد وطعن وضرب وبات الناس من الجانبين على غاية
من التيقظ وهمة منتبهة للتحفظ وحراسة وحماية وسياسة
ورعاية فلما اصبحوا عادوا الى عادتهم في اللقا وهاجوا
بعاديتهم الى الهيجا هذا وابواب البلد مفتوحه والصدور
بطروق الظهر اليها مشروحه وعادوا لا يفرطون ولا
يتورطون ويتقصون ولا ينبسطون ٥ ٥ ٥

ذكر وفاة الامير حسام

الدين طمان رحمة الله عليه

انتقل السلطان ليلة الاثنين حادي عشر الشهر الى تل العياضية بكرة يومه في الجهة المرضية فان هذا التل بازا المصلبة منزله انجد وهو مشرف عليهم للعلو وضربت خيام الميمنة ممتدة الى البحر وخيام الميسرة الى النهر واتسع مجالنا وضاقت الدائرة على الكفر وكان الامير طمان صاحب الرقة مريضا ولم تزل وجوه الايام الغر باحمرار سيفه بيضا وهو الحسام الفاصل والهمام الباسل والقرم البازل والندب الحلاحل والمحترق لحمية الدين والمقترح لحماية المسلمين ولما وافت وفاته رجاوه ولم يرجع فواته اسف على عمره واسى على امره وحزن كيف لم يقتل شهيدا ولم يستشهد في الجهاد سعيدا وقال قدموا حصاني حتى اشهد الحرب واستشهد واجاهد في سبيل الله الى ان اقتل واجهد فاني ارى موتي على الفراش غبنا وقد عرفتم مني شجاعة لا جبنا وتوفي عصر الاربعا ثالث شعبان وبواه الجنان وبشره رضوان وكان قد توفي بالقرب الامير الندب فارس الحرب ليلة الاثنين السابع والعشرين من رجب حسام الدين سنقر الخلاطي النجيب المنجب فثبت مضارب الدين باعماد الحسام وحلت الهموم لاجل اجل الهمامين فوجمت النفوس والمت القلوب وفاضت الغروب فيضها للغروب ٥

ذكر وقعة للعرب اربت لنا بالارب

انتهى الينا ان الفرنج يتطرقون ويتطرفون ويامنون ولا يتخوفون للاحتشاش ويتشرون لخم الاعشاب من الاعشاش ويصلون الى طرفي النهر وهم لمن يحلق عليهم من فوقهم تحت القهر فانتدب جماعة من العربان وضراغم فارسة من الفرسان فاغاروا وهم غارون وساروا الى جمعهم وهم سارون وجالوا بينهم وبين خيامهم وحشروهم الى حمى حمامهم وحملوا اليهم حين حملوا عليهم بوسا وقطعوا منهم لما اتصلوا بهم روسا واحضروها عند السلطان واجتنوا خلع الاحتفال ونعمهم على الحمية والاباء وذلك يوم السبت سادس عشر الشهر وسر المسلمون واستبشروا بوقعة النهر هذا والقتال بينهم وبين اصحابنا في عكا متصل وشرار الشر مشتعل والموت بينهم متنق وفيهم متنقل وفي كل يوم تقوم الحرب على ساق والارواح في مساق والمصاع على انساق وكم قد من حرب العدو اسر وكم حمل ليكسر فكسر ورب ال الحرمان وكل العربان فتوافقا على الامان وتوافقا يتكلمان وربما اقدموا ثم نكصوا وعبوا ورقصوا وادلعوا لعبوا واستراحوا الى الوقوف اذا تعبوا ومن نوادر ما جرى وغرايبه وملح ما تم وعجايبه ان الطايفتين في بعض الايام ضجرتا من مباشرة الحرب على الدوام فقال واحد من الفرنج الى متى هذا القتال وقد فني الرجال فاخرجوا صبيانكم الى

دبيابينا ليكونوا في امانكم وامانتنا فبرز منهم صبيان من البلد احداث فقاتلوا مليًّا والقوا نار الحرب صليّا ثم وثب احد الصبيان المسلمين الى اخذ الصبي الكافر وضرب به الارض وقعد عليه وانقض وقبضه اسرًا واخذه اسيرًا فافتداه بعضهم بدنانير وعاد المسلم من ظهوره بسروره الى جنبتين والعدو من كفره وفكره الى نارين ومن الاتفاقات النادره وامارات السعاده الظاهره انه افلت من بعض مراكب الفرنج حصان له عندهم صيت وشان فلم يقدروا على ضبطه كما عجزوا عن ربطه ومازال يعوم في البحر وهم حواليه حتى دخل مينا البلد فتسارع اصحابنا اليه واهدوه الى السلطان وعده العدو من امارات الخذلان ورايناه لنا من دلايل النصر والاحسان ٥٥٥

ذكر خيبة النصرة بعد صحة الكسرة

وكيف اذال الله الاسلام واذل الكفر بتلك النعمة

لما تمت الكسرة وعمت الفترة وكره الكرة وامرت تلك الفترة ووصل جماعة من الفرنج الى خيمة السلطان وشيم من عارض اعتراضهم شوم شيمة الشيطان وحالوا حوله وجالوا دوله وصالوا صوله ثم راو عنهم انقطاع اشياعهم وعدموا اتباع اتباعهم فرعوا اذ فاتهم وهابوا الوقوف على اجتماعهم فانحدروا عن التل وقدحوا القوة العز فابوا بضعف الذل واستقبلهم اصحابنا فركبوا اكتافهم

ذ حكموا في رقابهم اسيافهم وردوهم واوردوهم وارادوهم وعدها على شركايهم في الشرك فاعدوهم وكان ميسرتنا عسكر سنجار والاسديه فمازالوا ومازالوا بل وصلوا وصالوا وحملت عليهم ميمنة الفرنج فكانما مرت بالجبال الرياح وخالطوها فودعت اجسادها الارواح وعاد من كان من الميمنه الاسلاميه بالبعد حاد المصاف الى الجد مثل تقي الدين وقايماز النجمي والحسام بن لاجين ومن ثبت من ابطال المجاهدين فعكروا على ميسرة الفرنج فسلوها وانهلوها من دمايها فاعلوها ولقوها وفلوها ووضعوا فيها السيوف واوضعوا اليها الحتوف واوسعوها قتلا ذريعًا وما ابطا الوقت حتى صار مقدامها صريعًا سريعًا ولم ينج منها الا احاد وامست لنار الحرب فراشًا ولارض المعركه فراشًا وتبعها اصحابنا حتى كلت سيوفهم وكلوا وملت لبودهم ولبودهم وملوا وفرس وملوا زهاخمسة الف فارس من كل ممارس ممارس ومستوحش بالموت انس ومن اودى في الاقدام مقدم الداويه ولم يخمه من الحمام ناره الحاميه لنار الحميه وحلي انه قال عرضنا في مايه الف وعشره الف اخلاف لجلاد والاف بلا اتلاف فلما عجزوا وبالندق احترزوا واوقف عنهم اجتهادنا وبلغ المدى فيهم جهادنا واجتهادنا ومن العجب ان الذين تبوا منا لم يبلغوا الفًا فردوا مايه الف وانا هم الله قوه بعد ضعف وكان الواحد يقول قتلت من المشركين ثلثين واربعين وتركتهم

بالنصرة وهذا الله مصرعين ولا شك ان الله انزل ملائكة المومنين وكل
حزب بعد ذلك شاهدة ويعهد اليها ما عهده وحكى بعضهم انه
على فرس قطوف ماله منه سير ولا وقوف وانا منهزم من فارس
يمرح في بحر الحرب ملجج وهو على جبل يجري به جري الريح وينادي بشعار المسيح
وقد لز بقربي حصانه وهز لعلي سنانه فما شككت انه يشكني بلهذمه
ويلفني بمخذمه ويشتفي من النقمة وانشب الشهادة بالقلم واستعذت بالله
واستغثت وتشاهدت فما شاهدت ثم التفت على صدمته واحطني
جدمنه فالتفت واذا هو وحصانه ملقى كلاهما وما وجدت بالقرب
احدا اقول انه اراداهما فعرفت انه نصر الاهي وصنع رباني في
مذاق الايمان شهي وفي افاق الاحسان بهي فايقنت ان النصرة ما
ملكت الا الملائكة نصرت وان الظهور ما تم الا لاسرار ظهرت

ذكر مكاتبة انشاتها الى
بعض الاطراف بشرح ما يسره الله
تعالى في هذه الوقعة من الالطاف

قد سبقت المكاتبة بشرح الاحوال وذكرها وشكر الطاف الله
الخفية وابدا سرها ونشر مطاوي النعم باذاعة طيها واشاعة نشرها
وذكر فيها ما الفرج عليه من اجتماع فارسها وراجلها والاحتشاد لها
ومتارسها وان لنا كل يوم فيه نكاية بالغة وسطوة دامغة وبنوب
عواسل لمضغهم ماضغة ورد ول نعم عليهم في تقليص ظلال الضلال لهم

يسابغه وابدى ابيد لصفحات البيض تخبعهم القاني صابغه
عن كل ذي شغل سوى شغل الجهاد فارغه وهمما وعزايم عن
القوم اهل الزيغ زايغه وما برح الفرح في برح شديد وامر عتيد
وظل للذل مديد وصبو حصر في كل يوم جديد حتى ضاقت انفسهم
بيعهم واخفق رجاهم وظهر باسهم ووقع بينهم بطول المقام
تاكيبهم فاجمعوا امرهم على انهم يجدون في اللقاء ويهجرون الى
المعجا ويلقون الالوف بالوف ويصدمون الصفوف بالصفوف
ويعرضون نحورهم ووجوههم على الاسنة والسيوف ويجمعون في
كلام الكلام القواهل فالصوارم بين الاصوات والحروف ويكسفون
شبه السلب ادلة التوحيد ويكشفون القصر عنهم بالحد الحديد
والجد الجديد وبرز ذلك الخميس يوم الاربعاء عشر بقين من شعبان ورفعوا
الصلبان واشرعوا الخرصان وابيضوا السمطان ورشوا الرجال وطلبوا
الفرسان وحملت لهم الطلاب فعمم ابطالا وتقمص بنحو بباطلها ابطالا
وتاملت بشملها المتفرق اجتماعا ورجوا للصليب التثليب ارتفاعا
وعصفت رياحها الهوج واقبلت بحار سواحها وسوابقها تموج وكاد
تثبت للسلطان قدم وبراق للايمان دم فانها خرقت حجاب الصف
وفرقت شمل الجمع الملتف وراع خبار الحيات وهمد همه وادبر موليا
وعرم زعمه وظن من لا يقين له ان الاسلام قد اسلم وان نصر الله
الموجود قد عدم وان الكفر المتاخر قد تقدم وان الفتح المبلج

قد انتظم هنالك عرف اهل الثبات وثبت اهل العرفان ورقصت
الرايات على اشاجيع الشجعان والتف العنان بالعنان والتقى السنان
بالسنان وخطبت الصوارم على منابر الطلى ورتعت اللهاذم في كلا الكلا
وتثبت البعالق معالق الفتح وزحفت الفوارس الى فوارس الزحف
وعطفت العساكر المنصورة طلابا لتلك الاطلالات ووصلت ضرب
الاعناق بقطع الرقاب وما زالت تشل الفرنج وتعلهم وتحل بعقدهم
الوهن وتحلهم وتروي ظما الظبى من ورود وريدهم وتخضب وشيب البيض
بدم طريدهم حتى يبس بعد ان سلبت اشلاوهم بالعراء عريا وجرجت
خيولهم وخيالهم فلم تستطع اجزا وحركا حتى تثلمت وتلمت بجمعهم
صفحات الصفاح ووقفت اشباحهم وقفة الوداع لفراق الارواح
واغرب حديث كان تم عن جمجمة الجماجم القصار وقتل من بعد منهم
ومقدمهم زها خمسة الف زهى الاسلام بما اتسع من عطفهم
وحسن منقلبه بسوء منقلبهم وعاش ما شاع من قتلهم واشتغل العلم
المنصور بشغلهم وطاب القلب المهموم بما تم من ماتم الكفر وعرس
الدين وقصم الهدى متن الضلال المس وهمت الرواعف الفراع بحمل
هامات الحاملين وانجلى الغبار عن كل قتيل ما لعاثره من مقيل
ولا لقائله من مقيل وعادت اعلام الاسلام ظاهرة وايمان
الايمان باطشة قاهرة وهدى الهدى على النصر من فوقه وعيون
العدى عن النظر بالعماء مكفوفة ولم ينج من حمل راسه ولم يعدم

من اوليك الرجال الا من فقد رجاوه ووجد باسه وعاد الى
خيامهم وقد نخعوا تلك الالوف واصيبوا من صفا في تلك الصفوف
وبان وجوه الفتوح لنا من خلال تلك الحتوف ودخل الليل
عليهم ووقف العسكر حواليهم وهم وان وهنوا بما اصابهم من
الكسرة واخطاهم من النصرة وحل فيهم من الرزء ومحق بهم التشبيد
في موقف الفرو وجمع كلهم بالجرح ونقص منهم العدد الكبير
وكر من ركنهم ذلك العاصف المبير فانهم في حشد كالدبا وجمع
عمر الوهاد والربا وقد اخلدوا الى الارض وشدوا على جنب الموت
الحبى وودوا لو وجدوا مهربا وتفرقوا ايدي سبا وقد عادوا وتحصنوا
وتصبروا وتكبروا ووسعوا الخنادق وعمقوها واحكموا المتارس ووثقوها
وتندموا على الحركة فانها ادت بهم الى الهلكة وانهم ما داموا ابصر
وعلى يد الضمر فانهم يتعذر الوصول اليهم والدخول عليهم ويطول ايام
الاحاطة بهم من حواليهم في تلك الحركة التي جلا بها الشجعان طعم
الطعن وغلب فيها الجبناء وهم الوهن وتجافى عن المنيات من تجنى الدنيا
جنى الحين ارتاع عسكر الشرق من ذلك الغرب واخبار المسلمين المغللون
منهم البعد على القرب وما بين الا عسكر نجار فكله محرب مجرب للامور
سديد سداد للثغور ومجاهد الدين بنفس فقد صدق نيته بالمجاهدة
للدين وجلا ظلمة الوهن بنور اليقين وقرت عين طمان في الجنة باقدام
ذلك الولد وماذا يقال في شبل ذلك الاسد وانما الغم بانهم انوا

وتكلموا انهم عجزوا من الحصور فغابوا والفرج الان في ذلك وحسم
وتبشير بتغيير يسير والمرجو من الله سبحانه ان يقدر على قطع دابرهم
واهلاك سايرهم عن اخرهم وتجريدهم المومنين في تسكين نايرهم وحروب
ملكهم وعامرهم وانزال دواير السو بمنازل دوابرهم وما دام البحر بيدهم
والبر لا نصدهم فبلا البلاد بهم دايم ومرض القلوب بادوايهم واسوايهم
ملازم وتدبيرنا الان في التدمير على هذه الجموع وسوقهم الى مصارعهم
في ورطة الوقوع فاين حمية المسلمين ونخوة اهل الدين وغيرة اهل اليقين وما
نقضي عجبنا من تضافر الشرك على شركه وتظاهره في اتساع مسلكه
واتساق سلكه وتعود المسلمين عن المسلمين وتقاعدهم وتعاملهم في تعاضدهم
وانحلال عقود تعاقدهم فلا ملبي فيهم لمناد ولا متقف لمناد ولا موري.
منهم في اجابة داع لزناد فانظروا الى الفرنج اي مورد وردوا واي حشد
حشدوا واي ضالة نشدوا واية نجدة انجدوا واية اموال عن [illegible]
وانفقوا عن جدات جمعوها وتوزعوها فيما بينهم وفرقوها ولم يبق
ملك في بلادهم وجزايرهم ولا عظيم ولا كبير من عظمايهم واكابرهم
الا جاري جاره في مضمار الانجاد وبارى نظيره في الجد والاجتهاد
واستقلوا في صون ملتهم بذل المهج والارواح وامدوا اجناسهم
الانجاس بانواع السلاح مع اكفاء الكفاح وما فعلوا ما فعلوه ولا
بذلوا ما بذلوه الا لمجرد الحمية لمعتقدهم والنخوة لمعتقدهم وليس
احد من الفرنجية يستقر ان الساحل اذا ملك ورفع فيه حجابه عنهم

١٢٧

وهنالك يخرج بلده من يده وتمتد يده الى بلده والمسلمون يرون ذلك
قد وهنوا وفشلوا وغفلوا وكسلوا ولزموا الحيرة وعدموا الغيرة
ولو انثنى والعياذ بالله للاسلام عنان او خبا سنا ديننا سنان لما [illegible]
في شرق البلاد وغربها وابعد الافاق وقربها من لدين الله بغيرة
ومن لنصرة الحق على الباطل مختار وهذا اوان رفض التواني واستنهاض
اولي الحمية من الاقاصي والاداني على انا نحمد الله لنصره الذي اولاه بالحاسم
البين وستر الاخلاص بما حولنا والمشركون باذن الله هالكون والمومنون
امنون ناجون

وعاد السلطان الى مضاربه وقد عادت مضاربه الى عادة المضا وزادت
مضاربه من [illegible] واسر بموارة الشهداء ومن جملتهم الفقيه
ابو علي بن رواحة وكان عزير الفضل قد اكمل الشجاعة والرجاحة
وهو شاعر مفلق وفقيه محقق من ولد عبد الله بن رواحة الصحابي الانصاري
في الشهادة والشعر معرق وطرفه الاعلى يوم مونة مع جعفر الطيار وجهه
وطرفه الاقرب يوم عكا في الكفار وشهد اسمعيل الصوفي المكبس
وكان شديدا عفيفا عاريا من العار لا يتدنس بالشبهة ولا يتلبس
ومنهم شيخ في الحاشية في بيت الطشت وغلام في الخزانة امين
على البيت واخرون صدقوا ما عاهدوا الله فاتهم السعادة وفجاتهم
الشهادة وهولاء سوى من وقع في الوقعة وذهب قبل الرجعة

واجتمع السلطان وذوو الآراء انه يصبح القوم ويباكرهم في طلب أرواحهم
السوم وقالت هؤلاء قد أضعفنا قوتهم وأعجزنا قدرتهم وقد بانا
سور تفكرهم وأخذنا بأنفاسهم وقتلنا مقاتلتهم وأدوينا داء ويتهم فإن تركناهم
بلعوا الريق وبلغوا في الاحتراس والاحتراز الطريق فنحن نوافيهم غدا
ونوفيهم ردى ونكيلهم بصاع المصاع ونذرعهم بباع السباع ونقيسهم
بذراع اليراع ونوسعهم قرى القراع ونذيقهم حر الحرب ونشبعهم
في طعم الطعن ضرب الضرب ونعمر عيونهم للسهام سهاما ونجد
لأرواح النصال من أجسامهم أجساما ونغرقهم بماء فرند الهندوانيات
ونحرقهم بنار زند اليمانيات ونوجدهم عدم النصر ونطيف من سهم
الستر ونقطع دابرهم ونلحق بأولهم آخرهم فلما انقضت الآراء على
امضاء هذا العزم وأخذ أهبة الحزم تفقدوا العسكر فإذا هو قد
غاب لما بان من الأمر وراب وذلك ان غلمان العسكر به وأصحابها
وأوباش الجمع وأوشابها ظنوا تلك الفورة هزيمة فنهبوا الأثقال
والأحمال وعدوها غنيمة وانقسم من أبهرهم من الحمد وثبت من ثبت
من أهل الجد فمن عاد إلى رحله وجده منهوبا مسلوبا وكان
ظنه انه فرغ من لقاء خطب فلقي خطوبا فقصدوا الغلمان وبلوا
بسوء السودان وأصبحنا وإذا العسكر غائب والعازم عازب
والقاصم قاصر والطالع عاصر والجمع متفرق والثبات قلق والأمر فرق
والغني معدم والجري متندم فهذا خلف ما ذهب من ماله ذاهب

وهذا المرحل الطريق بانقياد طالب فتقدر ذلك الغيرة وتأخر للبذل [illegible]
وانتعشوا الفرح في تلك المدة وانتقلوا من تلك الشدة واستبطوا [illegible]
الأقصار وفرغوا لشغل ذلك الحصار وكانهم في البحر من الكرب الى طعم
من عدمهم وثبت ما هدم فكمل بالمدد ما نقص من العدد ولولا أن الله
قدر بقاهم لكنا عاودناهم صباح تلك الليلة لقيناهم فان الفرصة امكنت
والحصة تعينت والجو خال والصو عال والحال جميلة والجمال حال
ليقضي الله ما قضى وعرانا المعض بما مضى وبقيت هناك تلك الجيف
منتنة مبثثة وتلك الجثث مجيفة مجبنة محثثة تعرفنا أن نسورها من
حواصل النسور وأن قبورها بطون الضباع والنمور ونشكرنا من
الحنفا ونشكرنا من نطاحها فحمل السلطان جملها على العجل إلى النهر
ليشرب من صديدها أهل الكفر فحملا كثيرا من جيفة القحبة
فبعثت إلى البلد قبل يوم المعتبة فيما عبر بها الأمراء عبرا واشتفى من أقبل
ممن أدبر وسلم الله من أسلم وعفق ورد بالردى من أدبر ٥

ذكر ما اعتمده السلطان

في استرجاع ما نهب من النقل واستدراك ما جرى من الخلل

تقدم الأمر الى المقدمين والأمراء بعد النداء وإعلام الجملة بإحضار كل
ما نهب وإحضار كل ما سلب وانه من لم يرد ما أخذه أخذ بالردى واعتدي
عليه بمثل ما اعتدى فأحضر كل ما عنده وبذل في الكشف جهده وجمعوا
ما تفرق منه في الخيام في خيمة السلطان وصان عن كثرته سعة ذلك

المكان وجلس السلطان يوم الجمعة لتسع بقين من شعبان فكل من عرف
من ماله شيئا اخذه بعد اختلافه وجلا في مذاق الشكر نطاف الطافه
وجرى في معاناه ذوي الاخلاق الصعبه على سهوله اخلاقه وسقا العلل
والغلل بالنهل والعلل من اشفاقه وتمشى ذلك القماش وحصل من ذلك
الربل الرشاش وصح بعد العري والعثار الارتياش والانتعاش وكتب الى
الولاه بالامصار والنواحي والاقطار والضواحي بحث البحث وجد الكشف
واستخلاص كل ما يوجد ويوخذ بالرفق والعنف وتراجع الناس وتتابع
الايباس وعادت مضارب الغرايم الى مضاربها وقضاه النواصب الى قضابها
وانتصابها وعار الانف وانف العار وبسط العزم وعزم السلطان وثار
الحنق وحنق الثاير وطار العلو وعلن الطاير وطلبت الطلى نكاح بنات الحلل
الذكور واشرابت للترب سات الاسل الى ما البحور وحمي ذو الحمية
للتقاضي وقالوا احق مني التراضي بالتقاضي

ذكر مجلس عقد ورأي عليه
اعتمد وصواب انتقد وفقد

وحضر اكابر الامرا عند السلطان يوم الخميس السابع والعشرين من شعبان فقال
اعلموا ان هذا عدو الله وعدونا قد اجلب بخيله ورجله واناخ بكلكله
وقد برز بالكفر كله الى الاسلام كله وجمع حشده وحشد جمعه واحتشد
وسعد وان لم نعاجل الان فريقه والبحر قد منع طريقه اعضاده وبعد عنه الفلا
فانه اذا سكن البحر واستسهل ركوبه السفر تضاعفت اعداد الاعدا

ونرجو الداعي قبول الدواء ونحن ما ورانا نجدة ننتظرها ولا قوة
نستحضرها وما بقي بهذا المعشر الا معشرنا وما بازاء عسكر الكفر الا
عسكرنا وما في المسلمين من ينجدنا ولا ببلاد الاسلام من يسعدنا
وعساكرنا حاضره وعزايمنا للنوازل حاظره وعيون اسنتنا الى اشلا
العدى ناظره وما يعوزنا الا حضور اخينا الملك العادل سيف الدين
ولا بقا للنفاد اذا حضر منه ليث العرين فالراي كل الراي في المناجزه
قبل وفورهم على نجاح الحاجزه ثم قال ليشر كل منكم برايه
ولا يقدم على قول رايه من ورايه فجادت نواحل الاضطراب واختلفوا في الاراء
حسب اختلاف الاراب وزلت كل منهم هواه واعلن بما نواه فمنهم من قال
هذا غير مشير لنا الى الاول فقد دفعنا الى الخطب الاعضل وما نزلنا
عن الخيل منذ خمسين يوما وما طعمنا في هذه نوما ولا سمعنا لطارق طيف
غمضا ولا شمنا لبارق سيف غمضا ولكم نزفتنا المنايا وقد دخلنا
لهواتها وكان ابا الطيب عنانا بقوله فدا بما حلقوا على
صهواتها وقلت البواتر وملت العساكر وهذا الشتا قد اقبل والعدو
قد استقتل والشر قد استفحل وما بيننا قلعه الاينابي وبالصبر
يدرك الاريب ما يتمنى وهم بالمصابره مطالبون ونحن على المثابره مثابون
وهولا لا نتمكن منهم الا بالجمع الجم والسيل لا يغلبه غير الخضم والصواب
ان نصابرهم هذه الشتوه ونستجد لنا وللخيل القوه ونتاخر عن هذه
المنزله لتحصيل هذه المصلحه المومله ونوكل بهم من يوانيهم ويمنعهم من الخروج

واذا انقضى البرد نرجع الى معالجة هولاء العلوج ونعيد الشرنجات
الى سلعها والسلاهب الى السروج والصواب الاخذ بالاحتياط وتقدم
الكتب والرسل الى الاطراف والاوساط ومكاتبة دار الاسلام واعلام الامام
عليه افضل السلام بما دفع اليه الاسلام بالشام فان المسلمين لا شك
يحدون ويقومون بالنصرة ولا يقعدون ولا نترك استنفار التركمان
وترغيبهم بالبر والاحسان واستدعاهم بالعطايا والتشريفات
السنايا ونبعث الى بلاد الشام القاصية والدانية في تحريك الهمم والعزائم
الوانية الى ان تمتلي بالجموع ساح الساحل وتغلي بنار الحميات مراجل
الراجل فحينئذ ينتهي امد المصابرة ونصمم على المكابرة مع المكاثرة ونبادئهم
ونفاتحهم قبل انفتاح البحر ونغاديهم ونراوحهم على اقتراح القهر
ونستنفدهم ولو انهم جبال ونعدمهم حتى لا يبقى وجفن بكل سهم حبال
ولا يلم بحصن طارق لهم غزال وما زلنا في مشاورة ومحاورة ومجاذبة
ومجاوبة ومناظرة ومشاورة حتى انحل الراي المحكم وقالوا انه ليس
الصواب تحصن ومالوا الى الدعة والخروج من الضنك الى السعة ومن نزال
البحر الى المنزل الرحب ومن المعترك المعتكر الى المبرك المستكر
فلم تعجبني هذه الحالة ولم توافقني هذه المقالة وقلت لعمري انتم
بمصلحة ولكنها غير مترجحة فان الفرنج الان لم يتمكنوا من الحصار
ولم يحدقوا بجميع الاسوار واذا تنحينا عنهم ارحنا خناقهم واطلقنا
الى مرادهم اعناقهم وباب عكا من جانب البحر مفتوح والمقيم

بهامتنا نكاسر تقدنا اباه مغبوق مصبوح والطرق اليها سابلة
والذخائر اليها في كل يوم داخلة والفرنج عن قطع الطريق عاجزة
وعزائمنا على مصابحتها ومماساتها لها دون قصدها بحاجزة وان
تاخرنا تقدموا وان هجمنا احجموا وان نقضنا ابرموا وان قعدنا
قاموا وان بعدنا حاموا ومتى رميناهم حطوا ومتى نمنا عنهم نشطوا
ومتى دمنا نستغلهم فانهم بحصر البلد لا يتفرغون والى امد الامل
لا يبلغون فقالوا هذا امر هين وما ذكرناه صواب متيقن ووجه
الصلاح فيه متبين وما مقصودنا الا ان ينتشروا ويخرجوا من مضايقهم
ويصحروا فاذا انسوا الانحياز ولم ينتشروا من الارجاء ارخينا لهم حبل
الانتظار حتى انتشروا على الانتشار وحينئذ نصبحهم على غرة ونعاجلهم
كرة بعد كرة وننقض عليهم انقضاض البزاة على البغاث ونضدهم
بالباعث الباعث لهم على الانبعاث وكان السلطان متكرها لما ابدوه
من الراي الملتاث لولا ما عرض لمزاجه من الالتياث ه ه ه

ذكر الرحيل الى الخروبة عند
خيم الاثقال المضروبة ه

وكان السلطان مع ما الم به من الالم عزمه وجه الملك التام وهو في كل
يوم يركب على العسكر ويطوف ويقف مستطيلا على العدو ويطول منه
الوقوف ويعود وقت الظهر وعليه اثر الضر والصبر قد تم على فعله
وحمية الطبيب بعذله فانتقل الى الثقل ليلة الثلثا رابع شهر

في ليبقان وخلى المنزل الاول واخلى العسكر ذلك المكان وتقدم الى من
لقعكه باغلاق الباب وسلوك نهج الاحتراس والاحتساب وجرى الامر
على ما كنت قلته وحقق من الحال ما خلته فان المركيس رحل وشغل
المنزل الذي كان خاليا وزحف عنده ما كان من شوم حوفه عاليا
شرع الفرنج في حفر خندق على معسكرهم حوالى عكا من البحر
الى البحر واخرجوا من مراكبهم ما كان فيها من الات الحرب وفي كل
يوم تاتينا اليزكية بخبرهم وتتظاهر من اثرهم الجد في تعميق الخندق
وتتميم محتفرهم والعسكر هاجم كانه واجم والظن فيه راجم وما قبله
لفوت الامر عاجم وشر الكفر ناجم وقلت يوما للسلطان يركب
العسكر اليهم ويركض عليهم فلعله ينال ظفرا ويقتص من كلب العدو
ظفرا فقال ما يعمل العسكر شيئا الا ان كنت معه راكبا ولعمله مشاهدا
مراقبا ولقد صدق في مقاله فانه كان اعرف شي برجاله فانهم
كانوا يبذلون معه المهج ويخوضون في بحر الحرب اللج ويتبعون بعزم
العدو المارق اللج وكان من قضا الله انا اغفلناهم وامهلناهم حتى
عمقوا الحفور ورفعوا من ترابها السور وملاوه بالستاير ومنعوه من
الطير الطاير وبنوه واسسوه وستروه ورتبوا عليه رجالا ولم يتركوا
لواغل اليه مجالا وتركوا فيه ابوابا وهروجا لنظهر وامنها اذا ارادوا
خروجا ولما فرغوا من هذا الامر اشتغلوا بالحصر ونحن نقول لا مبالاة
بهم ولا اكتراث وما اسهل اذا عزمنا لاصولهم الاجتثاث

وسيقول سوفنا بنفل تلك الاخاث واي وقت قصرنا هم ونحيناهم
وجاناهم وتكانا فرجهم وتكبناهم وما فوارسهم لنا الا فرايس
جنادقهم الا رموسين وارس في ما حفروا الا قبورهم وما ادبروا الا
شرورهم ومتى صدقناهم كذبت ظنونهم وصدقتهم متونهم
واستلانت باسلا بهم جنادقهم واطمنت عليهم بعرينا مشارفهم
وسهم نواصيهم وتبت علايقهم ٥ ٥ ٥

ذكر راي زايب عن الطريق في النواب غايب اسفر عن دائب وابان عن غزارة مصايب

وقع لبعض الاكابر فتي علية مصره ووكد
ثانية شمعة وبصره ٥

لما منت على الفرنج المقتلة وعمت فيهم الملحكة وعمت استلاوهم المعركة
وشوهدت على الربا جثث نحورهم المنتكة رحموا وحملوا واهلكهم الله
بما عملوا ووقع لبعض الاكابر انه لم يبق للقوم انتعاش من تلك المعاثر
وانهم قد عزموا على الفرار وعدموا القرار ولو قدروا على النجاة
لتخلصوا ولو فتحنا طرقهم ما تربصوا وقال السلطان ارحلوا
حتى تروا ما يكون منهم فانهم يرهبون ويهربون ويبعدون الى صور
ومن بعدها الى عكا لا يقربون فمال قوم الى مقاله وتخيلوا مثل خياله
واشار بقطع طريق البلد والصدر عن ورد الصدر والجد في بعد الجد

دار بهم [illegible] لهم ما نشد من الطريق ولا يعوقهم فانهم كلاب تعوى
بن البعوق ولما بلونا رايه ونلونا ايه اخلف ظنه وبدا وهنه وما زاد
الفرنج الاشبا ثا ولم نعرف لشملهم على ما توهمه شتاتا وكنا تحدث
بذلك الراى العايد ونقول ما اعجب قبولنا قول هذا القايل ۝

ذكر ما تجدد بعد ذلك من الحوادث وتجدد للعزايم من البواعث

اقام السلطان بالخيم لاصلاح مزاجه وايضاح منهاجه ومداراة المه
ومداواة سقمه فوهب الله العافيه وكمل له عصمته الكافيه الشافيه
ونعمته الوافيه وابدى له الطاقه الخافيه وقوى قلبه على الاستقام وصمم على
نيه المقام وصرف الاجناد الغربا ليرجعوا في الربيع ويستتحوا
في مراتعهم لوقت الرجوع واقام في مماليكه وخواصه ورجال حلقته
المنصوره من ذوى استخلاصه ورتب بالنوبه على الفرنج يزكا واذار
بهلاك القوم منه فلكا وكان في مماليكه كل مقدم مقدام
وكل همام همام وكل ليث دوى لونه وكل حدث له حسن احدوثه
وكل ضيغم صاغم وكل اسد عرين لبس عرس فرنه براغم وكل رئبال
جرى بال وكل بطل من ولاية الهيجا غير بطال وكل مرتع للنصر غير مرتع
وكل مستبق الى العدو لكاس الحمام غير مستبع وكل ترقى للزهد
غير تارك وللاضما غير فارك فرسه في ظفر الهدى موتر
على الوتر وسهمه من مقتل العدو طاير الى الوكر وسيفه في
ردا الردى حال بدم الكفر وكل حميدى في الروع حميد وبالجرد
عميد وكل هكارى على الغزو عكار وفي الوغا كرار وللفجار
وكل زرزارى بالاستدرار وللبساله كاس ومن العار عار وكل
مهرانى في القتال ماهر وللرجال قاهر وعلى الابطال ظاهر وكل
كمى كميش واكديش على اكديش فما خلا يوم من وقعة ولا اصار
من بارزهم الا الى صرعة وما عاد من نجا من زبانيه هامهم الا بلسعى
وما حصلت شفاه شفارهم من طلا من طاولهم الا على نقعه وما سقى
على لتونهم ليث ولصونهم في النزال كل صباح ومساء صيت
وبلى الفرنج منهم بالمبير المبيد واغاز بهم مزاد العدو المزيد
وما زال هذا دابهم في الركوب ومباكرتهم ومراوحتهم
الى مواقف الحروب ثم افترقوا اعيتنا بايديهم وبنوا على النصر
ثقة بهم وصدوا شر الشرك بصدورهم وحركوا ما سكن وهذا
من عزايم النصرة بتهديهم ۝ ۝ ۝

وفي يوم الاثنين ثالث شهر رمضان

اخذ اصحابنا مركبا للفرنج الى صور مقلعا واجتلينا به من شنا النصر
مطلعا وكان المركب مجنوبا على بسر رجلا وامراة واحدة ورزمة
من الحرير وجا خطوة حلوة وغنيمة صفوة وسلوة اعقبت
صحوة وقوة من ضعف العدو ومحنة فكنت رهن السلو فقد

كان انكسر نشاطهم وانخفض اغتباطهم وقرت عزمتهم وقصرت
همتهم بر خمدت فورتهم وركدت ثورتهم فلما عثروا بالمراكب
انتعشوا وانتفشوا وتشجعوا وسعسوا ودبت الفرح والروح والمروح
بوصول المراكب وتدارك الضامن وصاروا يخرجون ويحرجون ويقتلون
ويمسون على القتال ويصبحون ويكافحون ويدافعون ويقارعون
ربوا فيقوبون والعسكر في المنزل هاجم وجمعه واجم والبزكيه
زكيه والعيون ذاكيه والنوب راتبه والعدة المعينه في كل يوم
راكبه ۞

خبر وصول ملك الالمان

ومما الخبر بوصول ملك الالمان الى قسطنطينيه في عدد دهم دثر
ونظم من خيله ورجله ونفر وهو على قصد العبور الى بلاد الاسلام
وقطع بلاد الروم والارمن الى الشام وانه في ثلثمايه الف مقاتل من
كل سالب وطالب باطل وجهم جهنمي واسعر سقري والمس فعولا
وصل صلالي وارقش حبشي واسعر سعري ومحرب لطوي ومغوار
ناري وضار بالقرن ضار وجار للدرع خار وكل ذيب عاسل
ذات تعاسل وازرق لابيض مشتمل واشهب لاشهب معتقل
وكل جحيمي حاجم وجمري فاحم وحربي حري ونار بزي وقاطع في طرق
الوصول وراحل بقصد الملول ونازل الى النزال وصال بنار الصيال
ومتمرن على الموت متمرن ومتحيز الى المنون مخيز ويهم تستول
الف فارس مدرع مقنع ماله سوى الشوم مقنع وانه مع

الالمان ملوك وكنود وكل شيطان لربه كنود وكتب صاحب
قلعه الروم مقدم الارمن وهو في قلعه على الفرات ومن اهل الرتبه
يبدي تنصحا واشفاقا وتخوفا على البلاد واحترافا ويقطع ان الواصلين
في كثره وان المناهضين الى طريقهم في عثره وابرق في كتابه
وارعد وابدع بخطابه وابعد ولا شك انه الى جنسه الخبيث مايل والى
اهل ملته قايل ولما وصل هذا النبا قيل انه عظيم ووردها الخبر
وقيل انه اليم كان الناس يضطربون على انهم يصدقون ويكذبون
ومن طرف كل حبل من الراي يجذبون وقلنا ان صح هذا الخطر
وصح هذا الخبر المسلمون يقومون لنا ولا يقعدون ويغضبون لله
تعالى ولا يرضون انهم لا يعضدون على ان الله ناصرنا وموازرنا ومظاهرنا
والطافه بنا خفيه ولم تزل بحمد الله كلمة الكفر مستفله وكلمه
الاسلام عليه وحققنا باظهار القوه ان نستوحش الناس ويتشاغل
بالارسال الى بلاد الروم عيونا وجواسيس ونديننا رسل الاستنصار
وبعثنا كتب الانصار الى جميع الامصار والاقطار وقلنا ما هذه
المره الامره تستاتيها وحسنها متربيه قد اجتمعن من الجزاير
وانتدبن للجراير واعددن لاسعاف الغرباء وتاهبن لاسعاد
الاشقيا وتوافقن على الارفاق والارفاد ولمس على السفاح
السفاد من كل زانيه باريه راهبه هاربه عاطيه متعاطيه
خاطيه خاطبه متعبه متعجبه مسروره متبرجه باريه متلهفه

متشبقة مخنقة نابقة سابقة فايقة رافقة فاتقة راتقة راقعة
خارقة بارقة رامقة فاسقة سارقة فارحة فاجرة فاتنة فاترة
مشتهرة مشتهية ملهاة ملتهية متعنتة متعشقة ناشية مشبية
متشوقة مسوقة مقترحة مخترقة محتبة متعشقة حمرا
مرجانا كحلا عجزا هيفا غنا لعسا ردفا ورقا مخرقة خمرنا
سحب عمائمها وتسحر بسحر ابصارها نظارها وتنثني كانها غصن
وتحول كانها حصن وتميس كانها قضيب وترنيق وعلى ليلها صلب
مابعه سكرها اسكرها دباغنه كسرها في سكرها فوصلن وقد
سلبن انفسهن وقد من للبذل اصونهن وانفسهن وذكرن انهن
تمدن خروجهن تسبيل فروجهن وانهن لا يمنعن من الغربان
ورايت انهن لا يتفرغن بافعالهن غير الفرسان وتفردن ما صرنه من
الخيم والقباب وابصت البيهن لبن انهن من الحسان السرات وفتحن
ابواب الملاذ وسبلن ما بين الاتخاذ ونحرن بالاباحة ودحرن الى الراحة
وارخين عليه الساحة ونفقن سوق الفسوق ورتقن رتوق الفتوق
وتقحمن مايبع المحذور ونحو ربن والفحول بمهر على الحجور وعرض
الامتاع بالمتاع ودعون لوقاح الى الوقاع وزكبن الصدور على
الاعجاز وسمحن بالسلعة لذوي الاعواز ودمن على تقريب حلاحلهن
من الافراط ورمين برشقهن على بساط النشاط وتهدفن للسهام
وتحللن للحرام وتعرضن للطعان وتصرعن للاقران ومعادن الرواق

وحللن حين عقدن النطاق وضربن مضارب للاوتاد واستعرضن المعول
منهن الى الاعماد وسوسن راصنيهن واستنهضن الحراب الى التراس
واستنفرن المحارب الى الحرث ومكن المناقر من البحث واذن للدوس
في دخول الدهاليز وجرين تحت راكبهن على ضرب المهامز ونزلن الى سطان
من الركايا وفرقن النبال في اجماس الحنايا وقطعن المتكل وط
السكك وضمن الاطيار في اوكار الاوراك وجمعن قرون كباش
النطاح في الشمال ورفعن الحجر عن المصون ونزعن عن سد المكنون
ولعقن الساق بالساق وشفين غليل العشاق وكثرن الضبات
في الاوجار واطلعن الاسرار على الاسرار وطرقن الاقلام على
الادوية والسيول الى الاودية والجداول الى الغدران والمناصل
الى الاجفان والسبايك الى البواتق والدنابير الى المناطق والاحطاب
الى التنانير والاجرام الى المطامر والصيارف الى الدنانير والاعناق
الى البطون والاقذا الى العيون وتساعدن على الاشجار وتساقطن
على الثمار وزعمن انهذه قربة مافوقها قربة لا سيما فيمن اجتمعت
عنده غربة وعزبة وسقين الخمر وطلبن بعض الوزر الاحمر فشاع
اهل عسكرنا بهذه القضية وعجبوا كيف نعدوا ابناء النخوة
والحمية وابق من المماليك الاغسا والمدابير الحمقى لا جماعة جذبهم
الهوى واتبعوا امرا غوى فمنهم من رضي الذلة بالذلة ومنهم من
على الزلة تحيلوا في النقلة فان بهم من لا يرتد لا متد وامر الهارب

اليه الا بها منه بقصد ورباب الهدى عليهم بيننه وما عند الفرج على العرباء
اذا امكنت منها الاعرب حرج وما اركاها عند الفسوس اذا كان
الهدى الضعيفين من سعه فرجها فرج ووصلت ايضا في البحر امراه كبيره
القدر وافره الوفر وهي في بلدها مالكة الامر وفي جملتها خمس مايه
فارس يحبو لهم واتباعهم وغلمانهم واشياعهم وهي كافله بكل ما
يحتاجون اليه من المونه زايده بما تنفقه فيهم على المعونه وهم يركبون
بركبانها ويحملون بحملاتها ويثبتون لثباتها ويثبون لوثباتها وفي الفرنج
نسا فوارس لهن دروع وقوانس وكن في زي الرجال ويبرزن في حومة القتال
ويعملن عمل ارباب الحجى وهن ربات الحجال وكل هذا يعتقدنه عباده ويخلن
انهن يعقدن به سعاده ويجعلنه لهن عاده فسبحان الذي اضلهن وعن
نهج الهدى ازلهن وفي يوم الوقعه نزلت منهن نسوه لهن بالفرسان
اسوه وفيهن مع لينهن قسوه وليست سوى السوابغ كسوه فما
عرفن حتى سلبن وعرين ومنهن عده استبين واشترين واما العجايز
فقد امتلات منهن المراكز وهن يشددن تاره ويرخين ويحرضن ويقلن
ان الصليب لا يرضى الا بالاباء وانه لا بقا الا بالفناء وان قبر معبودهم
تحت استيلاء الاعداء فانظروا الى الاتفاق في الضلال بين الرجال منهم
والنساء فهن للغيرة على المله مثل الغيره والنجاه من الحيره ناحس
الحيره ولعدم الجلد عن طلب الثار يجلدن ولما ساءهم من الامر يتلهفن ويلدمن

ذكر ما اهداه عز الدين مسعود

ابن مودود بن زنكي بن اقسنقر
صاحب الموصل من النفط الابيض والرماح والتراس

ولما عرف صاحب الموصل ما شرع فيه السلطان من تكثير العده وتقوية اليد الشديده
بكل ما يمكنه من اسباب الباس والشده سير من احمال النفط الابيض مع عده
وجوده ما وجده ومن التراس والرماح من كل جنس احكمه واقومه واجوده
وشايع الاعتداد وداع الاحماد ودل ذلك على اتساع الوداد والامتزاج والاتحاد
وكتبنا في شكره ٥ وصل السلاح وتم للاسلام من فروح الكفر
الافراح واستجدت التراس والرماح وفارقت للقا بها اجسام الاعدا
الارواح واتصل النفط الواصل الى اهل النار الاحتراق وطعنت وضربت
منهم النحور والاعناق وقد هدي بما اهداه النصر الى الهدى والردى الى
العدى واحوز الاكارم واكرم الاجاود من جاد بما اجدى واهدى ما اهدى
وعاد من المكرمه بما بدى لا اخلا الله المجلس الذي من يد يجددها واياد
يسديها ويبتدها ومحمده يستخلصها لنفسه ويستفيدها
وحميه للدين يقيم بها حماة الشرك ويقيدها ونخوه للاسلام يحمي
حدود الهمم الناسه ويحدها وما طلب من العده ما طلب الا للجاحد
الحاقد والصرورة السابقه فان الحروب المتطاوله المدد اتت على جميع
العدد فالسمر متحطمه والبيض متثلمه ووجوه الصفاح بلثام النجيع
متلثمه وعيون النصال عن حواجب القسي الى مقل الاقران راهقه مارقه
وحمام الحمام في مرسلات السهام بكتب الكتب من حمايا المنايا السابقه

سابقته بوقرا في الحمال النصال والنضال النبال والرما الافواق
والقنا العماق والمصاع المناصل لقراع الذوابل والصيال الصواهل
وتحمل الجهاد الدايم للعوامل فلا نامر الا وهو ان كان غالبا لاغب
ولا صارم الا وهو في دم العدو الغايض باضب ولا جارح الا وهو
مجروح ولا قارح الا وهو مقروح ولا جامح الا وهو مجمح ولا ناشر
الا وهو منقطب فباي عدة من هذه العدد لجد عن الحمد والجد
وناسس الشكر لانعامه ونمهد ومن العجب ان العدة تفنى وما تفنى
العداة وتنموا على الحصاد كانها النبات وتتسارع الى امدادها الموت
والهلاك وتخلفها في ابدالها الحياة فان البحر يمدهم والكفر الى الردى
يردهم وكلما اخلقتهم الايام فان الليالي تجدهم وما جمعهم القدر
الا ليفرقهم وما حمل اهل النار في الما الا ليغرقهم في دمايهم وبنار
الحرب يحرقهم ٥

ذكر عماد الدين صاحب سنجار
وما عزم عليه من تجهيز ولده ٥

ورد الخبر بان عماد الدين قد جهز عسكره وقدم عليه قطب الدين ولده
وسيره فقال السلطان هذه ايام الشتا ولا ينتصف فيها من الاعدا
ونحن محتاجون الى العسكر في الربيع واستنهاض الجموع الى سمت
النصر الجميع فكتب بتاخيره والتمهل بتسييره فتاثر قلب
عماد الدين برد ولده ورجوعه بعد المسير من بلده فكتب اليه

١٦٦

السلطان من مكاتبه ٥ كان لما انتهى اليه من صدور ايماء
المجلس بامره والتقدم بتجهيز العسكر الجديد بكل ما يعود بمزيد
سروره وانشراح صدره وعرف مسير قطب الدين ادام الله له
مضاعفة العلا واقر بانواره عيون الاوليا وظن انه لم يتقدم
حركته المقرونة بالحسنات ولم يقرب من غير الفراق
اشفق عليه من التعب ليكون عسكره مستدركا عند الطلب فان الحاجة
اليه في الربيع ادعى ومصلحة الاسلام في ذلك الاوان اولى ان ترعى ولو
عرف ان الركاب القطبي قد دنا لبشرته السعادة بنجح المنى ولاستقبلته
النفوس والارواح ولتلقته القلوب بالقبول والصدر بمزيد الانشراح
وان اشتغل القلب بما فاته من حظ وفوده فقد استراح لانتظاره عود
نجحه عند عوده وانجاز موعوده ٥

وفي آخر هذه السنة

ندب السلطان الرسل الى الاقطار والامصار والاستنفار والاستنصار
وبث الكتب وكتب بالبث وبعث المسرعين لاستنباط النجدة والبعث والحض
ليبلغ كل بليغ ويجرع كاس التدبير في حسن السفارة كل مستبيع
وسير عدة الى الجناب الرسيف الاسلام في اليمن وشرح اليه في الكتاب
ما جرى من حوادث الزمن ووصف له حقيقة الحال وما كثر عليه من دوام القتال
وطلب منه الاعانة بالمال واستعين واستنجد واستنهض واستنفر وقد
حض على حظه من انجاد الاسلام وان يكتنف بنشاط عدة ما عيّنه

من الكلام وارشده الى نهج السماح وتيسير كلما يقدر عليه من العدد
والسلاح وتجريد الجرد العتاق وتوفير الحمول التي تخرجها في سبيل الله
يد الانفاق وكوتب مظفر الدين قزل ارسلان بهمذان بما دنا منه عزمه
وان حكم على كل ملك نجح الامان وهدى الى محجة الاحسان ٥

ذكر رسول سلطان العجم ركن الدنيا والدين طغرل

ابن ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه بالالتجاء
الى ظل السلطان وارتجا ماله من فضل الاحسان

ورد من عند طغرل سلطان العجم امير من خواصه هو البدر كز امير العلم فضرب له
من الخيم الخاصة سرادق ووفرت في الضيافة له المنافع والمرافق ومضمون رسالته
انه خاصة من امرائه ومماليكه العامة والخاصة وحصته في سفرائه
ونكباته الخاصة وان عمه اتابكه بن امه قد استولى على ممالكه
وضيق عليه سعة مسالكه والجاه الى هذا الالتجاء وهو يقويه
من هذا الجانب قوى الرجاء وقد وصل الى حد مملكتكم بقرب اربل
واراد الوصول الى الموصل لكنه نزل في سوق عز الدين حسن بن يعقوب بن
قفجاق ينتظر منكم الاصراخ والاشفاق وعز الدين حسن من خدم دولتكم
والمتمسكين بعصمتكم والمستوثقين بذمتكم وانه عنده مقيم وعلى
سنن الامل مستقيم فان استنقذ متى اليك قدمت وان امرت امرا
الاطراف بمتابعتي وحدث من النصر ما عدمت وانا اليوم نزيل

عاملك ونزيل انعامك ووصل معه كتاب بخطه قد بث حزنه
فيه بشرحه بسطه وابدى الاستكانة واستدعى الاعانة واردف
رسولا برسول وكرر سؤالا فيما التمسه من سول فاعتذر السلطان
بما هو فيه من شغل الجهاد الشاغل وانه لا مطمع لنا ما دام العدو
ملازما في مفارقة الساحل وكتب الى زين الدين يوسف صاحب اربل
والى حسن بن قفجاق والى نائبه بشهرزور بالتوفر على خدمته والارتياد
لمصلحته واشاعة معونته ثم ندب كبيرا للسفارة بينه وبين مظفر الدين
قزل ارسلان وهو جمال الدين ابو الفتح اسمعيل محمد بن عبدكويه يسمى لتكون
القيام بهذا الامر من نصيبي وتسعى سهمه في المصلحة والمصالحة والمصافاة
على صفقة المودة والمصالحة وحفظ حرمة تضرعه وتذرعه وسياتي ذكر
ما آل اليه الامر في موضعه وتوفي الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري
بمنزل الخروبة يوم الثلثا تاسع ذي القعدة من سنة خمس وثمانين وخمسمائة
ولقد كان من الاعيان ومن مقدمي السلطان ومن اهل الجد في نصرة الايمان
فنقله الله الى الجنان وحمل من يومه الى القدس فدفن به وكانت في هذه
السنة وفاة الفقيه الكبير شرف الدين ابي سعد عبد الله بن محمد بن
ابي عصرون بدمشق يوم الثلثا حادي عشر شهر رمضان وهو شيخ
المذهب الذي لم يخلف مثله ودفن معه فضله وكان مولده اول سنة اثنتين
وتسعين واربعمائة وكانت وفاة الامير عز الدين موسك بن جكو
في شعبان وكان من الابرار الاخيار العظماء الكبار ٥ ٥

ودخلت سنة ست وثمانين وخمسمائة

والسلطان مقيم بعسكره بمرج الخروبة وكل من الملك العادل والملك الافضل
والملك المظفر في جمعه المضروبة وعكا محصورة بجموع الفرنج والحصار لها
منوطة بسوره وعلى بعدها عليهم محصوره وخرجت هذه السنة والحرب مستمر والقتال
ملازمه القتال مستعر وحيا النصر من الاحيان مستبشر وقد تسنت للاسلام
مباهج ووضحت للسعاده مناهج وبانت للقتال مداخل ومخارج وانقطعت من الوشيج
وارحام الارواح وشائج واستمرت لمبارح الاشواق الى لقا الاعدا
لواعج وتالقت في الاقدام معدمات ونتايج وللمناجح المنى منا في مد الرجا
مدارج وللخطبة العلى في منابر العلى معارج وللجهاد جهات وحسنت العادات
وكانت لنا مرات هي لاعدايها مسآت ووقعت عجايب واعجبت وقايع
وابدعت غرايب واغربت بدايع واجتمعت كتايب وثابت نوايب وصفت
تاره وكدرت مشارب وساعدت الاقدار وناعدت الاكدار وهلكت
من الفرنج الحاصرين في الوقايع عدد لا يقع عليه الحصر ولم اسفر صبح
اصحب فيه الجناح الظفر وسفر النصر ۵ وسيرد حديث كل حادث
مفرده بعد ذكر كل تجدد تجدده ۵ ۵ ۵

ذكر وقعة الرمل ۵

كان السلطان يركب احيانا للصيد بعد ان يجزم على ما يظهر للعدو من الكيد
وهو لا يبعد من الخيم ولا يقرب مسالك الدم فركب يوما في نفر على عادته

متصيدا وكان له قرب القنص فابعد والمركبة على الرمل بساحل البحر
من المبشره على الحاله المحاطه المستطره فخرج الفرنج في وقت الهجر
في عدة لا تدخل في الحصر وتسامع اصحابنا فزحفوا اليهم وحملوا
عليهم بالطرد وعمرا حياضهم واحدوا عليهم من خلفهم واما مهم
وما زالت بينهم حملة وحملة وشلة وشلة وسلة وسلة ورشقة
ورشقة ولقفة ولقفة ومشقة ومشقة ورشقة ورشقة وحرابة
وحرابة وضربة وضربة وشدة وشدة ورده ورده وضمة وضمة
ولمة ولمة واصحابنا ظاهرون وبالمراد ظافرون ولهم في كل دفعة
من العدو وقايع وللفرنج في كل كرة على الرمل مصارع ۵
وعهودهم بالرمل قد نقضت وكذلك ما يبنى على الرمل
حتى فني التشاور وبقي الاستئثار وشاع بين الاصحاب باستدعا الشا ب
والفرنج لا يجزهم الا الرماة لانه ينكيهم الا الاصما ولا يفرقهم
الا الرنة ولا يبددهم الا رشق القسي بالبوار والدمار فلما استووا
خلف الحجاب وتجاسروا على الدنو من تلك الشعاب وحملوا حملة
واحدة ردوا بها اصحابنا الى النهر وكادت تعبث بهم يد القهر
فثبت من العادليه في وجوه القوم صف من صوص المنيان واسرعوا
الى حجور تلك الذباب ثعالب الحرصان واستشهد منهم عدة من
الشجعان اشتعلوا طعام الطعان وشاقهم جنا الجنان ودلت الايهم
ولما ردوا الفرنج قلعوا افراسنا وضعوا افرانا فنزلوا بعد رشقهم

الى ان البسهم تمزقت بهم الحمله في الاوديه واعجلتهم عن الركبه
في الوثبه واظلم الليل فافترق من معاركهما الجمعان واجتمع في
مراكزهما الفريقان وكثر التاسف على من فقد وكان الحاجب ابو عيسى
الهكاري ممن استشهد وزاد التلهف على فوات الفرصه وكيف
انسل ذلك القصر عن تلك القصه فان العدو صار عرضه للصرعه
في تلك العرصه ومن نوادر هذه الوقعه وطرايف هذه
الدفعه مملوكا للسلطان يقال له سراسنقر وهو يتطاول في
كل معرك ولا تقصر عن تريه جواده وتثبت على الجراه فواده
درجله عثاره واسلمه انصاره فقبض من اسره شعره ليجذبه
وسل اخر سيفه ليضربه فضرب يد قابض شعره فسيبه واشتد
سراسنقر بعدو وانا جنبا وللخلاص راجيا وهم يعدون وراه ليمسكوه
ويتلقفوه وفاتهم بعون الله فلم يدركوه فهذا افرسته المورسى
لهاتها عند ازدياده وانتصابه الحمام لمصل غزاره بعد اعتياده

هذه النسخه منقوله من اصل هو مجلدان

وهذا اخر المجلد الاول وبالله العصمه والتوفيق

ذكر فتح شقيف ارنون

وفي يوم الاحد خامس عشر ربيع الاول تسلم بالامان شقيف
ارنون واستمر الحصار عليه مذ نزولنا في السنه الماضيه بمرج عيون
وصاحبه ارناط صاحب صيدا في دمشق لاجله معتقل وذلك

ان التشفي في الشقيف في زياده وعن اجتهاده من ... عليه في لجه
مراده وحاله في الصغر ازدياده وازدياده وخف من الرعب فواده
واصلدت بالياس زناده وامتنع عليه اصداره وايراده فسلمه على ان
يسلم صاحبه وتخلص في النجاه مذاهبه وخرج هو ومن معه وترك
الشقيف ماليه وتركه للاسلام بما يحويه وافرج عن صاحبه
صيدا وصار الى صور ولبس من التشريف والتسريح خير الحبور

ذكر حال عكا ودخول
العوامين اليها ووصول الكتب على اجنحه الطير منها

كان السلطان اغتنم هيجان البحر وخلو مراكب الاسطول من
مصر فما زال يقوي عكا بتسيير الغلات والقوات اليها
في المراكب وقد ملاتها بالذخاير والاسلحه والكماه المساعير
والحماه المحارب فلما سكن البحر وامن غايلته الكفر عادت
مراكب الفرنج الى مراسيها ودبت عقاربها وافاعيها وشدت
مراكبها في مواتيها وانقطع خبر البلد وامتنع عليه دخول
المدد والعدد فانتدب العوام بالسباحه وحملتهم بالرغايب
على وضع المهج في مراد السباحه وعلموا انهم اذا سبحوا ونجوا
واذا سلموا فرحوا فرحوا حتى صاروا يحملون نفقات الاجناد
على اوساطهم ويخاطرون بانفسهم مع احتياطهم ويحملون كتبا
وطيورا ويعودون بكتب وطيور ونكتب اليهم ويكتبون الينا

السباحه

تبرز الخيمة الخام بالترجمة المصطلح عليها ستر الامور وتودع المكتوب
المكتوم ما يطلعهم عليه من الخفي المستور وكان في العسكر من
اتخذ حماما يطوف على خيمته وينزل في منزله وعمل لها برجا من
خشب ومرادا من قصب ويدرجها على الطيران من الغد ويوردها
لمن ليبعثها وربيها احب الحب واعذب الورد وكنا نقول يا هذا
الزرع بما لا ينفع والوله بما لا ينجع حتى جاءت نوبة عكا فنفعت ونشفت
الغلل ونقعت واتت بالكتب سارحة سانحة ووافت بنفاح الطيب
بالبشرى مفاتحة نصرنا حبوا صاحب الطيور بالاطراء وخصه
بالمدح والثناء ونامره بالاستكثار ونطلبها منه مع الليل والنهار
حتى قل وجودها عنده لكثرة الارسال وكنا نعرف به حلية
الحال ونعلم ان الله عليه ذلك الثمرة لهمه ذلك الستر فكانه اطلع على
ما يدفع اليه اهل الاسلام بحمى حمى هداهم بهدايته الحمام فانها امينة على
الاسرار ضمينة بالاخبار ضنينة بالاسفار قمينة بكرامة الاحرار
مصونة من بين الاطيار جرية على الاخطار بريئة من الاعذار معدودة
من الادخار مودودة من الاخيار وحمام البلد لنا مع العوام محمولة
وعقود الاكياس عليهم محلولة فلا ننكر على الحاج ان عام بالانعام
ومعوله التحرز من الضلال والتخفي بستر الظلام والضرورة تحمل
على تحمل الضرر والغرارة تبعث على الانبعاث الى الغرر والفقر
يدعوا الى ركوب الخطر وفيهم من سلم مرارا من القوم باحراز

نفسه وانس بالعوم ولقد عطب عوامون بالامانة ثم امون بها الى يومنا
الباقون وما قالوا انهم لما الفي رفقا دهم لا يقون ٥ ٥

ذكر ما دبره السلطان عند انحسار الشتاء ٥

ولما انحسر الشتاء وانكسر وانثنى الربيع وانتشر امر السلطان بتقديم
بالعود فوافت امداد اجواده بوافي امداد الجود فكان اول من وصل الملك
المجاهد اسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص والرحبة
وهو باكمل العدة واحسن الاهبة وسابق الدين عثمان صاحب شيزر وهو بلسالته
بقسم الليث القسور وعز الدين ابرهيم بن المقدم المقدم الهمام والكريم
الكرام والاسد الضرغام والسيد القمقام ووفد معهم جموع من الاجناد
والاعيان وحشود من العرب والتركمان فضاقت بهم الفضا واكتسى بر باسهم
الغبرا وكثرت الجنود وانتشرت البنود وخفقت عذبات الالوية وتلاحقت
ذوبان الاودية ولمعت بوارق المبارق وارتفعت عوالي البوارق وحلت بواسق
السوابق ونكثت رتائق العلائق وثبتت سعائق العلائق ونظرت احداق
الحدائق وتيسرت طوائق الطوارق واعجبت ازهار الرايات واستهت غايات
الغايات ونزلت حشر الصنيع بعرص النصول ودارت يد الربيع نصوص الفصول
وعلت الاعلام وخلت الاحلام ودمضت المواضي ومضت وامضت القواضب
القواضي وقضت وعريت البيض من الحلى وعريت السمر بالكلى واستاقت الذات
اللذات الى العناق وتاقت سقاة الشغار الى لثم الاعناق وكرت الاحداث

في المحاراه بالصحراء العناق وطالت رقاب الرقاق الى علاظ الرقاب والحجم عن
تجمه الحماحم اعراب العراب وحمي عزم البطل ومحي رسم الملل وعاد الجد الى
جدته والجد الى حدته وحرج البرد من عدته وفار التصر بعد بدته وحليت بنت
التجربة في زي الهند وزي الفرند وقطف ورد الورد وقلب الناس الام سطر
علاه بصبر ولم لا اشتغل وكيف لا تستقل وحام الفعود ودمر الركود
لماد الرقود وقد نظرت السعود ونصر العود وصدقت من اصحابنا الوعود
فرحل السلطان وتقدم وعزم على طلب العدو وصمم ونزل على تل كيسان
يوم الاربعا ثامن عشر الشهر ربيع الاول في الفصل الاعدل والفصل الاكمل
وتدانا العسكران وتعالى العيثران وتقارب العربان وتحارب الحربان وترتب
العسكر الاسلامي في بروزه ميمنة وميسرة وقلبا وفي ركوبه على
ترتيب منازلهم طلبا طلبا فكان الملك المظفر تقي الدين الى اخر الميمنه الميمونه
والملك العادل في اخر الميسره المنصوره المصونه والملك الافضل
في اول ميمنة القلب واخوه الملك الظافر في اول ميسرته على الجنب
والكتايب مكتبة والمقانب مقنبة وللسما بالنقع الثاير منقبة والارض
بوقع الحافر منقبة والعساكر مترادفة مترافدة متواترة متوافدة
متتابعة متواردة متسابقة متلاحقة متناسبة متناسقة متوالية
متوافية متحاربة متساربة منقضة كالبزاة منقضة الى الغزاة داعية
الى الانتصار عادية على الكفار ٥ ه ٥

ذكر وصول رسول دار

الخلافة ضيا الدين الشهرزوري

في جواب رسالته ٥

وصل يوم الاثنين سادس عشر ربيع الاول رسول دار الخلافة بالـ[illegible]
والعاطفة والرحمة والرافة وهو الشريف فخر الدين نقيب مشهد باب التبن
عدينه السلم فلقاه السلطان بالاحترام والاكرام واحتفل لوصوله واستقبله
الامرا على الترتيب فمنهم من تقدم نحوه الى البعيد ومنهم من وقف له
بالقريب ثم اخوة السلطان واولاده واحدا بعد واحد وماجدا بعد ماجد
وبادئا بعد عايد ثم ركب السلطان اليه عند القرب من سرادقه وابداه
اليه بمعانقة ثم سار معه قليلا واصحبه من خواصه وامرايه نبيلا
حتى نزلوا به في بارگاه له مضروبه وخيمة بصنوف من الطراف
وضروب ووصل معه حملان من النفط الطيار وحملان من القنا
الخطار وتوقيع بعشرين الف دينار تقترض على الديوان العزيز من التجار
وخمسة من الزراقين النفاطين المتقنين صناعة الاحراق بالنار فاعتد
السلطان بكل ما حضره واخلص الدعا للديوان العزيز وشكره غير انه
ابدى رد التوقيع مع ود الصنيع وقال كل ما معي من نعم امير المومنين
وعوارفه ولقد نعشني بما شملني من عاطفته ولعل الله سبحانه وتعالى
يوفقني للقيام بالفرض ويعينني على الالتزام بالغرض واركب الرسول
مرارا معه واراه مبارك النزال ومعارك القتال ومصارع الرجال
ومجامع الابطال ومطالع اللقاء ومواضع الهيجاء ومصال الاقدام

ومهابت الاقدام ومواقف الصفوف ومصاف الوقوف واماكن الحتوف
ومصارع الليوث ونبل العقول وبقية المأمول حتى يشهد بما يشاهد ويبين له
المجتهد والمجاهد واراه ما لم يره ليباشر اثره ويخبر بجملته ويحمد خبره واقام
الرسول طويلاً واقام له السلطان من طوله دليلاً ووفر له اعطاء جزيلاً
وعرفاً جميلاً حتى استأذن في العود فعاد واستصحب الشكر والاحماد

ذكر مقاتلة الفرنج عكا بالابراج والمحاربة بها والازعاج

وكان الفرنج منذ نزلوا الحصار شرعوا في عمل الابراج الكبار وركبوها
من الاخشاب الطوال والعمد الثقال ورتبوها وقدموها ونصبوها واحكموها
وسقفوها طباقاً وسمروها بالحديد وحصلوا لها منه اطواقاً ونقوها اسدا
وشدوها وثاقاً ولبسوها بالسلاح وملأوها للخروج وزحفوا الى السور
وكشفوا بالرمي منها بعض سقوف الدور وتساعدوا على طم الخنادق وفتح
الطرائق ووصل من المدينة خبر بان التلف بها حائم وان البلد قد اشرف
والخطر قد اشرف والابراج علت والاسوار خلت والبلاء قد عم والخندق
قد طم وانتم ارباب هذا عراكم العار واظلم على الدنيا والدين بليله النهار
فاحتمى السلطان واحتد وابتد واشتد وكرب وركب وكان بحسب هذا
مجاكما حسب وزحف الى الفرنج ليشغلهم عن الزحف ويصرفهم
عن الفتح بالحتف وذلك في العشرين من شهر ربيع الاول يوم الجمعة بالجحافل
المجمعة والعمائم المرتفعة والصوارم الملمعة والصلادم المسبغة

والابنية المشرعة والاعنة المسرعة والحوائم المنجحة من الجميع واليعار
المخفقة كازهار الربيع واتفق في هذا اليوم وصول عماد الدين صاحب دارا
محمود بن بهرام الارتقي بالجمع الوافر الوفي والعسكر الجلي النقي وسار الى
القتال بخيله ورجاله وصابحهم السلطان مصابحة عظيمة ولم يزل
جادة الجد مقاومهم مستقيمة حتى دخل الليل ولعبت الخيل فقرت
تلك الليلة البركة والزحمة في حفظ الدرك ورجع الى مخيمه ساهراً ساهداً
مجاهداً بالبكور مجاهراً فلما اصبح يوم السبت فتحهم بالحرب وسيمهم على عكر
الكر والضرب ورجل الرجال اليهم وانزل النوازل عليهم وامتزج بياض
النهار بسواد النقع واتسع خرق الواقعة على الرقع وانقضى اليوم وقد
انقرض القوم ونفرت في الجمعان وقت العشاء عن قتيل وغريق في الدماء
وجريح على لقيه الدماء وبات الناس في السلاح شاكين وبنار المذاكي ذاكين
ولما ان سهم وعليهم حاكين ورجع السلطان الى خيمة ضربت له على تل
العياضية وقد الزمته النسل له الطبيعية بالرتوع في رياض الاخلاق
الرياضية واصبح يوم الاحد راجعاً الى قتال اهل الاحد واسفر من جده
على انهم الجد وامر بانتقال السوق الى قربه ليقرب من العسكر وايده
الله بالنصر الاظهر والظهور الانصر واقام كذلك وهو في كل يوم
يغدو وينازل ويعدو ويقاتل ثم نقل يوم الاربعاء الخامس والعشرين
الانتقال الى المخيم كيلا يغشى حاضر ولا ينصاب عن الورد صادر وليكون
غلمان العسكر للحرب مباشرين ولمعشر الكفر بادارة كؤوس

الذين لبسهم معاشرين فانتدب منهم الى الحرب كل مخبر للوقايع مجرب
وكل محرق على نار الهيجاء للهياج مقسرح وكل وقاح بالجراح رقاع وكل
ضرار ماركا الكفرة نقاع وكل غلام له من مجال الحمية لغام وكل اسد
نمر الى الشدة له في حومة المارق زئير وبغام وكل متكلف للعبرة غير
متلاف وكل جاف عن سوى الشر مجاف واخذوا من بيت السلاح السيوف
والتراس وطلبوا بقصد العدو الاقتناص والافتراس وابلوا بلا احسنا واوجعوا
في العدو بالنكاية سنا ووصل في صبيحة يوم الخميس السادس والعشرين
عوام من البلد بخبر بقوة المستراحين المحاصرين وان البلد قد صوتو وان العدو
المخذول يحبو به كيده ان يخوفو فتقدم السلطان ليشغل العدو
عن قتال البلد بقتاله ويكفيه نزال العدو عن نزاله وجددوا الكتب الى
الامصار بالاستنفار والاستنصار فاول من نزل ولده الملك الظاهر
صاحب حلب وقد جمع رجاله في حلب وتقدم عسكره يوم الجمعة وانفرد
بوصوله وحظي من نظر والده بسوله وذلك يوم الجمعة السابع والعشرين
ثم عاد الى معسكره وجا يوم السبت في حسن منظره واحسان اثره في
منظر ناضر ورونق حاضر وجمع كثيف وجيش لفيف وبهجة رايعة
وروعة مبهجة وهيبة معجزة وهيبة مزعجة وصولة جايلة ودولة صايلة
ومبامن رايقة ومحاسن شايقة وبحر من الحديد مايج وبحر من العديد هايج
ورقاق ذوايل وعتاق صواهل وعوابس عواسل وشعوب وقبايل
وقدم في هذا اليوم مظفر الدين علي كوجك وهو صاحب حران

جريدة وقد استانف للجهاد عزمة جريدة ثم عاد الى عسكره
ليقدم به ويحضر جنده وتركمانه وعربه

ذكر وقوع النار في ابراج الفرنج
الثلثة واحراقها وتلف كلما كان بها ومن كان في طباقها

ولما كان بعد الظهر من هذا اليوم وهو السبت الثامن والعشرين تتابعت بظهوره
دلايل النصر وتناصرت اسباب الظهور المنشورة فنظرنا والنار من احد الابراج
في السما مشتعلة متسامية وفي الجو بشررها مترامية ولا ندري ما سبب الحريق
وكيف تيسر هذا التوفيق واحترق البرج فاذا هو كشجرة من
نار وقلوب المشركين لاستعارها في استعار ووجوه المومنين لانوارها
في استبشار ثم راينا البرج الثاني وهو يحترق والنار في اثنايه
تخترق ثم نظرنا الى البرج الثالث فاذا هو مشتعل وبالشدة النار
ينهل بماه حتى سقطت ثلاثتها وبلغت البلد من جهد ما بها
وجد ما بهم استغاثتها وركب السلطان ونحن معه ونزلنا نكشف تيسير
النار واستنبط قاتها على احمد الاطيار والعجب ان الابراج كانت
متباعدة غير متدانية وقد ابعدها الفرنج بمسافة متباينة
فكل واحد منها على جانب من البلد قد كشفه وخسف اسواره
وكسفه فاحرقت على تباينها في وقت واحد وقدر من الله وارد

لما رأت ذلك الاسرى الا هيبة وللكفار ثباتا وفرجا بعد الشدة وتلجا
لصدور المومنين تلك الوقدة   وكان سبب حريقها
ان رجلا يعرف بعلي بن عريف النحاسين بدمشق كان قد اشتاق في
دخول عكا للجهاد واقام فيها باذلا للاجتهاد ودعوى بعمل قدور
النفط وتركيب عقاقيره وتعيين كل نوع وتعيين مقاديره وتقدير
مقاديره والناس يضحكون منه ويعرضون عنه ويقولون هذا يضيع
ماله فيما لا يغنيه وما هذا الهوس الذي وقع فيه وهو يتخذ لذلك
الالات ويجد في تلك الادوات ويكمل القدور ويرتب الامور
فلما قدمت الى البلد تلك الابراج وحصل من الامر الانزعاج
قوبلت بكل فن وادني منها كل قدر ودن ورميت بكل قارورة
محرقة وكل نفاطة مرهقة وبالغ في صنعة الزراق فلم يتم في شي
منها الاحتراق ووقع الياس واستسلم الناس فمضى ابن العريف
بل العريف الى بهاء الدين قراقوش الامير وقال قد رايت ما اعرض
التدبير وعرض من التقدير فافسح لي في رمي هذه القدور فلعل الله
ياتي منها بشفاء الصدور فاذن له على كره وقال ما ارى الاحراق
هذه البروج على يده من وجه فان الصناع قد ابلسوا والزراق العارفين
بصناعته قد يئسوا فلما وجد الاذن وزن القدور وعيرها
ورمى بواحدة الى احد الابراج في المنجنيق وعيرها واعتبرها
ثم لما استوثق رمايته وصحت في الاصابة درايته رمى بقدور

١٤٤

نفط لا نار فيها وهو يصبها على اعالي البروج ويسقيها والعدو
يعجبون من البلهاء وما يدرون بما وراه من الشغل ثم قذف بقدر نارية
مشتعلة بكل بلية فوقعت في الطبقة الوسطى ورمى اخرى فوقعت
في السفلى فاشتعل البرج من طرفه الاعلى والادنى وتعذر على من
فيه من الفرنج الخلاص وكانوا سبعين ودخل ايضا اليه جماعة لاستنقاذ
ما فيه فاحترقوا بدروعهم وسيوفهم وعلت الحمم عليهم عطا الاشتبا
حتوفهم وتحول ابن العريف الى مقابلة البرج الثاني ولم يلحقه في احراقه
التواني وانتقل الى الثالث فاحرقه وما كان ذلك بصنعة منه بل لان
الله وفقه وما زالت تحترق الثلاثة وتتقد ايقادا حتى عاد جمرها
رمادا وباخت نارها واجزاؤها في السماء على الارض سوادا واحترقت
المجانيق والستائر التي كانت تقربها وذهب الذي كفر واسف على
نصبه في نصبها وخمد الكفار بتلك الضرام وسلوا عما كانوا فيه من
غرام الغرام وحبطت اعمالهم وخابت امالهم وركدوا بعد حركتهم
وركنوا الى حربهم وضلوا في سعيهم وتورطوا في بغيهم وسقطوا
في ايديهم بسقوط ايديهم وحيق مكرهم بهم وكيدوا وانكيدهم
وخرج رجالة الناس من البلد فطفوا الحرق وسدوا الثغر واظهروا
القدر وجاءوا الى مواضع الابراج واماكنها واستخرجوا الحديد من
مكامنها ونسفوا الرماد عن الزرديات التي اشتبكت وكشفوا عن المسامير
التي تهتكت فاخذوا ما وجدوا وحملوا على ما نشدوا واثروا من

ترى من تراب ذلك التراب وعمرت قلوب المسلمين بذلك الخراب
وبردت من حر تلك النار وشفي اوامها بذلك الاوار والحمد لله
الذي جعل تلك النار لاوليائه بالبرد ابراهيمية وعلى اعدائه بالحر
والضرام جحيمية ه ه

ذكر فصول انشاتها من كتب البشائر بالنار ه

صدرت مبشرة بما اجراه من الجبر واجزاه من الوعد واجزله من
الرفد واعذبه حال الظما البرح من الورد وذلك ما ظهر يوم السبت
ثامن عشرين شهر ربيع الاول من الاتفاق الحسن والنصر الذي يقصر عن ذوي
اللسن وهو ان اصحابنا بعكا رموا بقدور النفط عدد العدو المدحور
واحرقوا جميع ما لهم من المدخور واحرقت ثلثة ابراج كانوا قدموها
ودبابات قربوها ومنجنيقات نصبوها ولهم منذ تسعة اشهر
يجمعون هذه الالات ويستسهلون عليه الغرامات حتى اقاموا ابراجا
اعلام ابراج الثبور بضعف سمكها وقربوها ناكبة في الثغر
المحروس بفتكها وشحنوها الرجال المقاتلة طما فيها واطالوا على
مناكب البلد اعناقها فاشفق الاسلام من بكاء بانها واظلمت الافاق
من غيابانها لشفق من البلد جانبا وحسب من سوره غاربا فاقدر
الله على احراق ما عمل تلك المدة المديدة في ساعة وامسى العدو
بقلوب وافئدة مرتابة من تباعه وما افصح السن النيران على تلك

الاعواد خاطبة وما ابسط ايديها على من كان فيها من الرجال للارواح
ناهبة سالبة ه ه

فصل اخر ه

هذه المكاتبة مبشرة بالظفر الذي ورد زيادة وللنصر الذي عود تبعاده
وذلك ان اصحابنا بثغر عكا استظهروا وظهروا وصبروا فانتصروا ا
ورموا من البلد ابراج الفرنج المنصوبة عليه بقدور النفط وانزلوها
من سماء الرفعة الى ارض الحط واطالوا بها السن النار المضرمة ودببت
في الابراج المقربة الى الدبابات المقدمة وعلم العدو ان كرته خاسرة
وان يده عن نيل المنى قاصرة ه ه

فصل اخر ه

هذه مبشرة بالظفر الهني والنجح السني والنور اللامع من النار والقطع
الواري الزناد المطاير الشرار وهو ظهور اصحابنا بعكا يوم السبت ثامن عشرين
شهر ربيع الاول وقد خصهم الله بالنجح الافضل الاكمل وقد دار العدو فلم
ابراجه وسلك في المضايقة منهاجه ولزم في الزحف الدائم لجاجه واستظهر
الاصحاب وقت الظفر ورموهم بقدور النفط المحرق من الثغر فطلعت السنة
النيران تدعو على اهلها بالبوار وتبدي من نضر مها نضر عطل البناء
للاعتذار وشاهدوا اهل النار ما اعد لهم في سقر وتلونا قول الله
فيهم ذلك نجزي من كفر ه ه

فصل الى الديوان العزيز

وأن النار ظهر يوم السبت ظهر أهل الجمعة على أهل الأحد ورمى
الأصحاب المحصورون المنصورون عُدد العدو وأبراجه بقدور النفط
ومن لستر تحطيب السنة النيران على تلك الأعواد بل على تلك الأطواد
الحمة نهار الردى وألحقتها بالوهاد ونسفت رمادها الماء أو لبست الجراد
تلك النار على الكفر ضرامًا وعلى الإسلام بردًا وسلامًا وأحرقت الأبراج
المبنية على معتقدي التثليث ودبّت النار إلى الدبابات والمجانيق بصدمة
بالنايير وحدمه التابوت وما أطول ألسن النار وأفصحها بالدعاء على أهلها
بالتبار وقد أبدى إلى الإسلام بنضرتها وتضرعها وجه الاستبشار وما أحسنها
وهي ترمي بشرر كالقصر وتكسو أسنة لهبها وجوه المؤمنين بشر النصر وتنادي
اقطعوا دابر المشركين وقد حصت بإحراق تلك الآلات عن البلد أجنحة
الحصر وبسم بعد عبوس البؤس بسم الله ثغر الثغر وقد بقيت هذه
الجمعة فجاءه من جوانب تلك البروج ودخل إلى طيقانها قوم لإطفاء النار
فتعذر عليهم الخروج وهلك فيها أكثر من سبعين دارع وخرج من أهل
البلد لما حق الفرج كل مستبق إلى الغنيمة مسارع وكسوا من الدروع
والمغافر والسيوف ما وجدوه خلل رماد تلك الحتوف وكانوا قد
اعتمدوا الأبراج وتوثقوا بوثاقتها واستندوا واستندتها فما علق
بهم علاقتها ووصلوا بها أجنحتهم وذخروا فيها أسلحتهم فأخفقت
ظنونهم وسخنت عيونهم وخسر هنالك المبطلون فوقع الحق
وبطل ما كانوا يعملون ٥ ه ٥

فصل آخر في معناه ٥

استنفد الفرنج أموالهم في عدد أعدوها والآت أحدثوها وأحضروا أبراجًا
شامخات ومجانيق شادخات يرتاع راءيهم بالغرامات واستقلوا على عمل الأبراج
كثرة الخسارات ومكثوا مدة على الحاحهم يطرقون من يدي أبراجهم ويقعرون
الأرض لتسوية مناهجهم فلما تمموها بعد لأي وأحكموا إحكامها
بكل تدبير ورأي وأشرفوا منها على سور البلد بأسوار ذات أسوار ودوائر آلات
وأدوات أدوا وأشفى البلد من بلائها وأشفق ووجل كل قلب وأخجبنا المداولة
هذا الخطب الجليل ومداواة الا العليل إلى أن شغلهم حصرنا إياهم عن التفرغ للحصر
وتضرعنا إلى الله في إنزال ملائكة النصر فكان من لطف الله ما لم يكن في الحساب وأن
الله المجرمين بالعذاب وألهم أصحابنا ما داووا به المرض وأدركوا به الغرض وأظهرهم
ظهر يوم السبت الذي خصهم بيمنه بالظهور وأقدرهم على رمي تلك الأبراج بالنفط في
القدور وظهر من سر صنع الله ما جاء في المقدور وتسلطت النار على عمل أهل
النار ونما عن شرفات غيظها بأنفاس الشرار وتبلج نور النصر من خلال
ظلمة ذلك الدخان وكان كما قال الله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا
تنتصران وعادت تلك الآكام وهادًا وذلك الجمر رمادًا وحلل الجبال تخلل
تركيبها ولصق بالتراب تربها وتكشر منها ملبسها وكانت ثلاثة أبراج شاهقة
فلعبت في ملاعبها النيران فإذا هي زاهقة وتقلبت نجوم الشعل في تلك البروج
وتحيز شياطينها رجمات جمرات تمنعها من الخروج وتسلط الحصير على أيقاعها
وباد الداعون فيها بادراعها وأضحك الله ثغر الثغر بما أطابه من راح

المتوهج واخمد اشتعال ذلك الوهج ما اكرب قلوب المومنين من الوهج
وشان مهج اهل التوحيد بما ارادة لاهل التثليث من المهج ۝ ۝ ۝

فصل ۝

تقدم المشركون بالابراج الى البلد تقربوا الاسوار من اسواره والصقوا
بها بحرا انابحر اره واشرف الثغر على الخطر العظيم من جواره فاظهر الله ما
كان خفيا سترا قراره واحرق على اهل النار بناره وكان اصحابنا لما عاينوا مد
دهمهم دهمهم وخصهم من الخطب وعمهم نصبوا المجانيق بازا الابراج وصدعوها
بها مدع الزجاج ورموها منها بقدور النفط فاشتعلت روسها وشابت
وتشبث ومشت النار في اطرافها واعطافها ودبت وارسل الله في تلك
الساعة بعد ابها ركابها هبت فامست اجنحتها قد حصت واستمهافر
جنت وسقطت في ايديهم ووجبت جنوبها وكبت على وجوهها في النار وكبت
فما افصح السنة النيران وقد نادت بنصرنا ولبت والنت منها قلوبا لما
الفت من يقع عليها واحبت والحمد لله على الطافه التي ما غابت ولا اغبت
وقصدنا بذكر هذه الفصول ذكر الاحوال التي جرت بحقها
وحقيقتها وجليتها وجليها فانه يشتمل كل فصل على تمام ما اغفل
في غيره ومقصودنا استيعاب كل حادث بذكره ۝ ۝ ۝

ذكر تاريخ وصول الاكابر في هذه السنة

وفي يوم الثلثا ثاني عشر ربيع الاخر قدم عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي

ثم استنهضه من العساكر وكان اول من استقبله حتى ظهرت رايته
كتائبه وقصائده ثم لقيه الملك المظفر تقي الدين بن يكيشان ولقيه بعده
الملكان الظافر خضر والمعز اسحق ولدا السلطان فترجلا له ونزلا له
وبعدا اعظامه واجلالا له ثم تلقاه الملك الافضل ادنى من ذلك
فعمد نقلا على فرسيهما اعفا له من النزول وتلاقيا بالاقبال والقبول
ثم وصل اليه السلطان بالوجه الضاحك واللطف المتدارك
واعتنقا على ظهر واتفقا على بشر وبشر وكان الملك العادل
تاخر فلحق واظهر من ارج سجاياه ما عبق وبجه علق وسار مع السلطان
بابطاله وابطاله وحماته ورجاله حتى وقف قباله العدو وصفوفه
ووقف عليهم طول الرغب بطول وقوفه ثم رده السلطان الى خيمته
على رسم الضيافه وتوفرت عليه الطافه بالاطافه ووقف ساعة
مع الملك العادل حتى دخل السلطان سرادقه وجلس واحضر الملك
العادل لعماد الدين وبسط لفرسه ثوبا اطلس واكرمه السلطان
باجلاسه الى جنبه على الطراحه وانسه ببشر السماحه والسجاحه
ووقف الامرا والخواص والاولياء صفوفا وانشد الشعرا من المدح
والتشبيب صنوفا ثم حضرت المايده فمادخوها الحضور عقد
الحبى لهم الحبور ثم رفع الخوان وارتفع الاخوان وحسن الحضر والعيان
وخلا المكان وحلى الامكان وامر السلطان له باحضار عشرة من
العتاق العراب وخمسة عشرة رزمه من كرام الثياب ثم نهض

وهو نعت الشكر ناهض ولوجه العذر عارض ونزل في خيمته وقد
ضربت على النهر بعد المضارب العادليه وملا تلك المروج بعساكره
المليه ثم وصل من بعده ابن اخيه معز الدين سنجر شاه
ابن غازي بن مودود صاحب الجزيره بعساكره الكثيفه اللاره
وذلك يوم الاربعا سابع جمادى الاولى بالايد الاطول واليد الطولى
ما النقا السلطان واخوه واولاده على قاعده عمه واجراه في الضيافه
والكرامه والنزول بالخيمه السلطانيه على حكمه ولكنه تقصر
في القاعده عن رسمه ونزل بخيمته في فنا السرادق العادلي وقد
استكثر من العسكر الجهادي فكان ذلك الموج بحرا امواجه الخيم
والمضارب او سما كواكبها ما اشرعته من صعادها الكتايب او
غيل اساده في اجام القنا الفوارس او غدر من السوابغ حبابه
الرايد والقوانس او سحايب ردوفها الصوارم الرقاق او وهاد
اكامها المواهل الدقاق ۝ ثم وصل الملك السعيد
علا الدين خرم شاه بن صاحب الموصل عز الدين مسعود بن مودود وهو
وهو كوالده مسعود مودود وفي سنها منه وصرامته
مشكور محمود وذلك في تاسع جمادى الاولى يوم الجمعه بالمحاسن
المسوعه والمفاخر الاهليه المفرعه والصنايع المبدعه
والبدايع المصنعه وحلبته للقوه ضابط وجاشه على الحميه
رابط وباسه ليد الايد باسط وجنانه على الكفر ساخط

وهو شاب اول ما بقل خطه وابتهج بكمال الدهر خطه وكان ابوه قد عزم
على الوصول بنفسه والذهاب وحسنه الخطب الملم ابسره
ثم راى المصلحه في الاقامه وتقديم ولده المشكور المشهور السوابقه
فانفصل العسكر الجرمعه ثم اتبعه من حشره وجمعه فورد ورود
السحاب المكفهر ونور المطالع بسنا السرور واطلع بطلوعه على اماني
الناس المصون فاحتفل السلطان بقدومه احتفاله بقدوم عمه وحافظ
من الكرامه على توفير قسمه وانزل له في سرادقه واضافه واهدى له
خياله والطافه وامر بانزاله في الميمنه بين ولديه الملكين الافضل
والظاهر وضاق ذلك البر الواسع بحر العساكر ولم يبق في اهل
السلطان الا من اقتدى بهم في الاحتفال بقدوم هولا واعتماد ما قام
به البرهان على المخالصه في الولا من المسارعه الى الضيافه والاهدا
والاعاده الى الكرامه بعد الابتدا ۝

فصل من كتاب الى صاحب
الموصل في شكره على تسيير ولده ۝

الحمد لله الذي نصر الدين باهله وعجل بانصاره جمع شمله ودق اسد عرين
الملك ان يحمي حوزة الاسلام بشباه وللمجلس في طوله اليد الطولى والمنه
النابيه التي اربت على الاولى حيث همته العليه وحضر بحضير دينه
عزمته الماضيه المضيه وشرف بولده علا الدين من يقلد بوروده
اذ في منه واوفى جنته فلقد ورد الى الساحل بحرا وطلع الفساطل

بدرا واسفر لمن بقي صباح النصر فجرا وجلا وجوه المومنين ببشراه بشرا وملا صدور
الاسلام امنا وقلب الكفر ذعرا ۞ ثم وصل زين الدين يوسف بن
زين الدين علي كوجك صاحب اربل يوم الاربعا في العشر الاخير من جمادى
الاولى في التجمل المرمل والمجد المؤثل كالبحر كالسحاب المسبل فدرت اخلاف النصر بحفول
ذلك الجحفل وورد بكل ورد هندي وجد سني وقدم بكل مقدام وزار بجيش
الجيش بكل ضرغام وزار بكل همام بالمنون هام ۞ ووصل بكل واصل
لسبب النصر قاطع لدابر الكفر ووفد بكل وافد بالعز الوافي والنجح الكافي
والعزم الشافي والعزم الماضي وطلع بكل طالع بالسنا جامع للمنى بارع بالعلا فارك
للمحنة بالفلك دم الشرك بالظبي والقنا وكان هذا اول يوم لقائه للسلطان
واحتفل به بالاكرام وزاد في الاحسان وكان يجمع بين الحماسة والسماحة
والبشاشة والرجاحة والتودد الى الناس والتشدد بالباس والتواضع مع الكرم
ودنو الود مع علو الهمم ماله مبذول ونواله مامول وسيفه على الكفر مسلول
وامره بالطاعة في رعيته ومن في جملته مقبول وهو مرجو محتبي وكريم مغشو
ومهيب مرجو ومحبس بسنا الحمد مجلو وكان معه حلو كبير في سلك الاتساق
ومسلك الاتساع نضيم لشيئه وانزل بقرب اخيه مظفر الدين في الميسرة
وتمكن الرعب بما اثر من الجمع في قلوب الكفرة ۞ ۞

ذكر وصول الاسطول من مصر ۞

كان السلطان قد امر بتعمير اسطول اخر من مصر تحمل فيه الذخيرة
والميرة والعدد المدة فلما كان يوم الخميس من جمادى الاولى ظهر الاسطول

ثم تظهوره النصر المامول فركب السلطان في جحافله وسار بمقاتله الدين
الى العدو ومقاتلته واحدق به حول خنادقه ليوسع فيه الهلاك في مضايقه
وليشغل الفرنج عن قتال الاسطول ويسهل عليهم منشا علهم طريق
الوصول فعمر الفرنج اسطولا وصف شوانيه على البحر عرضا وطولا
وانه بلا في الاسطول المنصور وخطر عليه بسد الطريق ومن هل الدين
نجا من مراكبنا ونطحت مراكبهم وطحنتها واوهت مسها واوهنها
لهم مركبا واخذوا لنا مركبا وكان تقصير الروسا في حفظه لاحده سببا
واتصل الحرب في البر الى حين غروب الشمس وعاد المسلمون بحبور القلوب وسرور
النفس وقتل من الفرنج عدة وافية ووداه الله لنا واقيه ووصف هذه
الحال في مكاتبة كتبتها لنعرف منها وتكشف الغمة المستورة وهي ۞
هذه المكاتبة مبشرة بما اتاه الله من النصر الهني وهناه من النجح السني
واحيى المسلمين من نشر الظفر الحي وذلك بوصول الاسطول الثاني المصري المنصور
ظهر يوم الخميس منظاهرا امداد الظهور متوافرا بوفود الوفود ودخوله
سالما غانما الى ثغر عكا المحروس المعمور فاثرى البلد بعد انفاضه واجمع
الى مدة القوة بعد انقاضه واستجد جدة وافية وذخيرة كافية وكان
الفرنج عند وصول اسطولنا المنصور قد حفزت مراكبها وابرزت مناكبها
وجمعت الرجال والعدد جوانبها وسمت غواربها ورفعت عصابها وعواصبها
وسحبت على لج البحر سحائبها ودبت الى عقبان اساطيلنا المحلقة بعقابها
تعاينها وعقاربها وظنت انها تستطيل على رواسي اساطيلنا بسواريها

كأنها تواجه في لبسها المجلوة كور حواريها فلما جاء الحق وزهق الباطل ومال
الواصل وخاص العدو من الحاصل وانحل تركيب المراكب وحطت تلك المناكب
على الخاسر بها من النوائب وخرج الاسطول الاول من الثغر مستبشرا
في حلول المماثل واجتمع شمل الشواني بالشواني وتفرقت شقق العدو شذر
مذر وعاد حزن ذعر محذر ولبثت شوانينا بطشا لهم فكسرتها
وأخذت فيها عدة من الرجال المقدمين والنساء فاسرتها وكانت للفرنج
ملك فيها تجاير وذخاير تطلب ربحها فخسرتها ○ ○○

فصل آخر

وصل الاسطول ظهر يوم الخميس ظاهرا حميسه ناثرا بالاسد عرسه في شواني
للعدو وشواني وشلندياته لقلعه وشلنديه صوامع وحراريق لاهل النار نارها
محرقة وعقبان مراكب في مطار العقاب على المجرمين محلقة وسوار
هواجس كرواسي هضاب وسحاب بوابل كبوار وسحاب من كل مركب
للنصر مركب ومعرد من الشرة والباس مركب وقطعه لبناط قلب
العدو قاطعة وقلعه لاساس اهل الكفر قالعة وقلعة في ذروة
العز بليعه وذروة في مرقى الهدى رابعة منيعة وجاءت في البحر امواجا
في الامواج ودخلت الى الثغر افواجا بعد افواج وكان العدو قد ابرز اباطيله
وجهز اساطيله ونشر عواديه ودواعيه وادب عقاربه وافاعيه واسمى
مناكب مراكبه وحد في امها عروبه وتسمم غواربه ولما وصل الاسطول
طال وصال ولاح للعدو وصده حيله من حال فحال وامتنع مراده واستحال واخذ

الاسطول من مراكبه الكبار ست قطع فقطعت اسبابا ...
عبيده الصليب احبالها وحسنت حسناتها ○ ○○

فصل آخر

وصل الاسطول الى البلد مستبطيا بالجلاد والجلد واثري به الثغر الذي ...
واجتمع به شمل الرجاء بعد الانفصام ودخل اليه ملحج من جهة الحمص ...
وميرة توجب كثرتها قلة المبالاة بالحصر فان الرايات المنصورة على تحليه في
الافاق رافلة والمراكب الاسلامية انقضت فقضت للمسلمين اغراضا ووافت
ووفت فاعادت بجواهرها مراكب العدو اعراضا وجاءت سواريها كالرواسي
وجواريها محكمة الدواسي ومن شان شوانيها شن الغارات على الشناة ومن عادة
شلندياتها سل ايديها للعداة ومن شيمة حراريقها شيم بوارق المواقف لاحراق اهل
النار في الماء ومن عمل مراكبها الكافي ومناكب الكفار وردا الارداء من كل حبل من
السحاب وصامر يسد مسد الغراب وعقاب يحلق في مطار العقاب غرابا غاربا عن
في اعداء الله بين العجاب وحصيه سوقيه على الهضاب في قطعه وافيه على الكافرين ينفلق
الرقاب وما اخشنها وقد رقت عرايس وجليت اوانس وطلعت باهل الايمان وانس وعلى
اهل الكفر عوابس وعادت بها رسوم مسالك الفرنج دوارس وجاءت البحر من شفق
الصلال وتعلم ما لها من الظلال ولما شوهد الاسطول شاطيا وجيد النصر عاطيا
اخذ العسكر المنصور للقتال واخذ اهبة النزال وزحف الرجال الى الرجال والتقى الابطال
بالابطال وشغفت بدم الكفر عله المناصل والنصال واحمرت البيض الطاميات وزويت
من نجيع الزرق وشرت صحاح العواسل من البراع العاسل بعاجل الرزق وظل اهل النصال

وتذيقهم الكفاح وتلقيهم القتل والجراح واقوى الاقوى من الشباب ويطول طاعم
بالرخية من الجراحات ويات المسلمون وايقن من الله بان جمع الكفر قريب الشتات
الا يرى المشركين ما فاتهم من الآفات

سنة ٥٨٥

ذكر ملك الألمان وصحة الخبر المتواتر بوصوله

جاء الخبر ان ملك الالمان عبر من قسطنطينية الخليج وخطب في تلك المروج
الخطب المريج وانه وصل بجمعه الى مضايق صعب عليه العبور وعمهم
في مضايقهم الفتور فقيل انهم اقاموا في قفار ومواضع شهرا عدموا فيها
الطعام ولم يجدوا بها الا ضرا وكان التركمان الاوجية على طريقهم يتعرضون
بغربهم من يتشرد عنهم فاضطروا الى المقام بغير زاد وهم في جهد وضر واجتهاد
فصاروا يذبحون خيلهم ويأكلونها ويكسرون قنطارياتهم لفقدان الحطب
ويشعلونها فهلك منهم الوف وزعمت الوف وكان ذلك في البرد الشديد
والثلج والجليد فجمدوا وخمدوا وتجلدوا وتبلدوا وعدموا دواب حمل الاثقال
ونقل عدد الرجال فرموا واحرقوا منها وتركوها وساروا عنها وكان ذلك
من الله لطفا ومشيئة فوتهم ضعفا وكانوا في خلق لا يعد وجمع لا يحد
فما اثر فيهم ذلك النصب ولا صدهم عن مقصدهم ذلك التعب وما
زال الواسيرون والاوجية يبدون لهم في وجههم وجها والافرنجية لا تنتهي
حتى بلغ ما الهامر منتهى حتى بلغوا الى بلاد قلج ارسلان بن مسعود وسلطانه وهم
غير مصدود ولا مبشرود وقلج ارسلان محكوم عليه من ولده قطب الدين ملكشاه

وهو يدبر امره ويتولاه ويسومه الاستكراه فعارضهم لما قربوا
تعرض لقتالهم وطاردهم ليضيق عليهم سعة مجالهم ثم انه عن مرتبة ابيه
وتعدى عن جانب بعد بيتهم ودخلوا قونية دار ملك ابن مسعود
قلج ارسلان بلطفها المحمية وتراسل هو وملك الالمان وانفذا ما
كان بينهما في الباطن من المواثيق والايمان وحمل له ملك الالمان
واشبه المسلم بالكف عن الكافر كافرا على العبور الى الاقاليم الشامية
والبلاد الاسلامية وعلى انه يسير في بلاده الى بلاد ابن لاون واعطاه عشرين
مقدما من امرائه ليكونوا معه حتى يصل الى الملك رهاين وامر الناس
بمبايعتهم على ما يسومونه وان يعاضوهم من الخيل والعدة بما يريدونه
واقام لهم الاسواق وعرض عليهم الامتعة والاعلاق فساروا في رفد ورفق
وتعقوا بلا نوق فلما وصل الملعون الى بلد الارمن غدر بالرهاين وسار فهم
مكبلين مع الطعاين وتأول عليهم بان التركمان سرقوا منهم في طريقه
ونكث جميع مواثيقه ووصل لبغون بن اصطفانة بن لاون
مقدم الارمن الى خدمته ودخل في طاعته وكان بمفرده خائفا من عسكره
مجرده وذلك في طرسوس فمكثوا بها ليريحوا النفوس وقيل
عن كلب الالمان ان يسبح في النهر ويميط عنه ما عراه من الوضر
والضر وكان شيخا مسنا قد عاد للكبر سنه وحسب انه اذا سبح
شبت ذيل الاستراحة فكان موته في تلك الراحة وهلكه في تلك
السباحة فانه عام في الماء البارد وتورط منه في اصعب الموارد

ثم خرج يبغي ربضا الى ان خرج من ثوب البقاء وحول وتحول الى فناء
الفناء وتلقاه مالك بالزبانية وحمله الى نار الله الحامية وسمعت نصرانيا
يقول في معناه كنت معه لما سلك فهلك واخذه مالك النار عما ملك
وذلك ان النهر ما كان فيه الا معبر واحد والعسكر فيه متزاحم متوارد
فقال ملك الالمان هل تعرفون موضعا ممكنا فيه العبور ومن
فيه العبور فقال له واحد هاهنا مخاضة من احترز فيها عن التيامن
والتياسر ولا تعبر الا واحدا بعد واحد اذا ثبت واستظهر فبدر
الى تلك المخاضة ذات الجرية الغياضة ودخل الما فطغى على ذلك النار
الطاغي واعجل ذلك الباغي عن المباغي ورماه في جريانه الى شجرة شجت
جبينه وحمت حاشته وعثرته بحيث لم يمهل استغاثته فسعوا في اخراجه
وايسوا من علاجه ومات عدو الله شر ميتة وبلي مشتمله بتشتيته وحله
بتنسه وخلفه ولده على خلف من اصحابه واصحابه لمكان الولد الذي خلفه
في بلاده وقيل انهم سلقوا ذلك الهالك في قدر حتى تفرى لحمه
وخلص عظمه ثم جمعوا في كيس عظامه وراموا بذلك اكرامه واعظامه
ليحملوه الى كنيستهم بالقدس تمامه ويدفنوه بها على ما كان اوصى به
وزامه ولما عرف ابن لاون بهلاكه وسكون حراكه
وما جرى من الاختلال والاختلاف بموته وانه لا تلافي لما فرط من
تلفه وفوته فارقهم الى بعض قلاعه واتصل الصدق فيهم لا نقطاعه
ووصل كتاب من صاحب قلعة الروم برعب ويرهب ويبرق

ويرعد ويقول ويعقد ويحل ويهدد ويرى انه ناجح والقوة شارح
وان الامر واضح وان الخطب وطيع وان هذا الملعون لما خرج من بلاده
اوصى فيه الى ولده ثم جا الى بلد الهنكر فدخله غصبا واوسعه نهبا
حتى اذعن له وانقاد وبلغ بطاعته المراد وانه اخذ من ماله وخيله
ما اختار وتزود من عدده وامتار ثم وطي ارض ملك الروم ودانيها
ثم توسط ديارها وجاسها وفتح بلادها وملك قيادها والجأ ملك
الروم الى طاعته واكرهه بما دخل في استطاعته واخذ منه من الذهب
خمسين قنطارا ومن الفضة خمسين ومن الثياب الاطلس المثقلة
ما بلغ الالوف وجاوز عن المائتين واخذ على سبيل الرهائن اربعين من
خلصائه ومقدمي كبرائه واخذ كل سفينة غصبا وسحب على ذلك
البحر في التعدية من بر اكبره سحبا وانه لما عبر وفرغ من الخروج تلقاه
بالخيل والدواب والابقار والاغنام تركمان الاوج ثم وقع بين
التركمان وبينهم وحال احوالهم بلية ولبثوا يوما يسيرون جنبهم وهم
في طرفهم سايرون وعلى مقابلتهم صابرون حتى قرب من قونية
فاعترضه قطب الدين ولد قلج ارسلان والتقى الاقران بالاقران
وهزمه ملك الالمان ولما اشرف على قونية خرج اليه جموعها
وطالت اليه بالحرب يوعها ثم اندفعت حيث ضم على الروع روعها
وانه هجم قونية عنوة ونال منها حظوة واقام خمسة ايام حتى
استقر بينه وبين قلج ارسلان قاعدة اكيدة وحملت لكل منهما

فالتجأ الى مدينة واخذ رهاين من اكابر دولته المتميزين وقدم
[illegible] به الى ابن لاون بالجواز في بلاده فتلقاه بما اعده لارفاده
واتفق [illegible] وصوله الى طرسوس على بعض الانهار ونام ساعة بعد
[illegible] الطعام ثم انتبه وتشوق الى الاستحمام فحرك عليه المـ
[illegible] مرضا وتشكى اياما تلاتل مضضا ثم قضى وانقرض اربه
وانقضى وخلفه ولده بعده واستمال جنده وكان ابن لاون قد
سار قاصدا للقاء ابيه فلما عرف موته وجلوس ولده اضرب عن تلقيه
وعرض عسكره في اثنين واربعين الف مجفجف من كل سرحان
اهرت وذيب واما الرجالة فلكثرتهم تعذر العرض وعرضهم
طول الارض والعرض وقد لبسوا الحديد للجهاد على بيت المقدس
وهجروا الثياب ولزموا المصاب وداوموا الاكتئاب وهم صابرون
على الشقا والتعب لامل الظفر بالمطلب ولما بلغت هذه الاخبار
اضطربت الديار وارتاعت الانجاد والاغوار وقالوا هذا لا
يطاق واي جانب قصده عنه لا يعاق ولا شك انه ينوش بلاد
الشام ويثلم ثغور الاسلام وشغلنا عما نحن فيه من هذا الاهتمام
وعزم السلطان على استقبالهم بالردى والرد وصدهم عن القصد
ثم ثبت على راى الثبات وينتظر الاوقات بما يتجدد من الحادثات
وتقلقلت عزايم الذين بلادهم على طريق القادم والله يعود كل
منهم الى مكانه اخذا حكم العازم الجازم فاول من سار

ناصر الدين محمد ولد الملك المظفر صاحب منبج ليجمع على طريق [illegible]
ويزعج ويرعج ثم عز الدين بن المقدم الباسل المعلم ثم مجد الدين
بهرام شاه صاحب بعلبك ليجمع ويأخذ على العدو المسالك ثم
الامير سابق الدين عثمن صاحب شيزر الليث الهمام القسور ثم
البارزية اسد الهياج ونجوم ليل العجاج ثم رحل الملك الافضل
وقد عرض له الم ثم بدر الى دمشق وقد الم به سقم ثم سار الملك
الظاهر صاحب حلب لاضطراب بها نفسه وبهذا الخبر خوف
الناس فيه انهم على الخطر حتى غلت الاسعار واستعرت القلة
وخلت الاماكن وتمكنت الخلة ثم رحل الملك المظفر
تقي الدين لحفظ ثغرا اللاذقية وجبلة وثبتت بقدومه عليها الرعية
الخايفة المختلة وكان هو اخر من سار ليلة السبت التاسع من جمادى
الاخرة ورتب السلطان منازل العساكر الحاضرة النوبة في اليزك
متقدما فانتقل الملك العادل اليها وجا الى منزله الملك المظفر
ونزل عليها واستقام الترتيب وترتب المقام واعتز الصادقون
وصدق الاعتزام ثم مرض اكثر العسكر وخام الوخم والم بالعد
الالم وكان رحمه الله المرض سليم العاقبة ودفع المرض في الفرح
وكان المبيد المبير والمدى لاصحاب السعير وعم فيهم الموت
والوباء اكثر من سوانح البلا وتقدم السلطان بهدم سور طبرية
وهدم يافا وارسوف وقيسارية وهدم سور صيدا وجبيل

ونقل اهلها الى بيروت ٥ ٥٥

عاد حديث ملك الالمان ٥

واما ذلك ملك الالمان فانحبس ومرض اياما في بلد الارمن واحتبس
وهلك اصحابه جوعا ومنهم من عزم رجوعا ووقع الموت في خيلهم
الى انهم تعاوضوا دبليهم وقدم الملك لمرضه واسار جوهره
بعرضه جموعه قدامه وساروا امامه وخرجوا لكثرتهم في ثلث
فرق في بعض وشمر وسعر ولب ومعظم رجالتهم حملة عصي وركاب
حمير غير عارفين بطريق ولا محتفظين في مسير والناس يتلقطونهم
ويتخطفونهم ويتالفون على مسالكهم ويتلقونهم ووصلوا الى انطاكية
ووصل اليها الملك بعد ان ضاق به وبجمعه اليها المسالك
وضاق به الابرنس صاحب انطاكية ذرعا ولم يجد لهم عنده
مطمعا ولا مرعى وطلب منه القلعة فاخلاها له ونقل اليها ماله
واثقاله وساله ان يجعل طريقه على حلب فخاف وابدى له الخلاف
وقبل وصوله الى انطاكية فلت جموعه وجنوده وتلبث حشد
التركمان حشوده واجتازت الفرقة الاولى منهم تحت قلعة بغراس
فلقيت البوس والباس وخرج رجالها عليهم على قلتها وصدمتهم بسالتها
واسرت منهم زايدا على مايتين وطمعت فيهم وراهم من العسكر وقيل
انهم حسبوا ان بغراس باقية كالها مع الداوية فجاوا للدخل
سحرا باحمالهم واموالهم السمينة فلم يشعروا اهلها الا بالبغال

على الباب واقفة والجنادار يرقب ان يكون لها ايد فاظهر فيه
فخرج اليها وتسلمها بغير طعن ولا ضرب وتخلى عنها اصحابها
لما عرفوا الحال ولم يعرجوا على حرب فاستغنى الوالي ذلك اليوم
من مال القوم ثم انكر حتى لا يطالب بشيء منه وغفلت الايام عنه
وذكر الامير علم الدين سليمان بن جندر في كتابه انه انهض
من اصحاب امير حلب واصحابه ليقفوا اثارهم ويكشفوا اخبارهم
فوقعوا على خلق عظيم منهم فخالطوهم ولم يرجعوا عنهم وانقضوا
عليهم انقضاض البزاة على الحجل وزاروا فيهم زير الاسد في النقاد
وراوهم بالاجل واسر كل واحد من اصحابنا ثلثة واربعة وتركوهم
متمزقة متمزعة وعادوا بالاسارى الى حلب وباعوهم في الاسواق
وامتلات منهم بالاسلاب والاعلاق فطابت قلوب الرعايا
وانست من الله بما ظهر من الطافه الخفايا وطمع فيهم اهل التقوى واهل
القرى واقتطعوهم من الوهاد والذرى وما ضعفوا بالسلامة حتى اواهم
الابرنس الى انطاكية واراح من الامة الالمانية ودابوا في هذه
الطرقات دوبا وصب العذاب عليهم صبا اذا اخذوا صوبا وهلك
بانطاكية الكند الكبير مقدم العسكر وتبعه الى سقر كثير من ذلك
المعشر وحصل الابرنس على تلك الاموال المجمعة والذخاير المودعة
ومن قبل انه انما رغب في الوصول الى بلده ليحصل على سيده وليده
واخلى له قلعته لينقل اليها خزانته ففعل وما رجع اليها واحتوى

من الحرس عليهما ثم صاروا على طريق الساحل بالفارس والراجل
وخرجت عليهم خيل حلب واللاذقية وسقتهم كؤوس المنية حتى وصلوا
الى طرابلس وقد نقص نصفهم ثم بعواصف البلا نصفهم وبلغ امدهم
انتهى عددهم وحين الملك عن المسير على الطريق لما لقيت جموعهم
من طرقاته من التفريق فركب البحر في عدد يسير برعب قلب
تصور بيد ورغم انف واختلط مع الفرنج على عكا فسقط
اسمه وسقط حكمه وهلك بعد قليلا ولم يحظ بنفع غليل
وسالم بذكر حالاته في مواضعها وذكر مصارف جماعته
ومصارعها ٥ ٥ ٥

وكتب الى الديوان العزيز ٥

فصلا بخبر ملك الالمان عند ارعات الارجاف

قد وصل الخبر بالداهية الدهيا والغمة الغما والنكبة النكبا والشدة
الدهما والليلة الليلا وهي ان ملك الالمان ومعه ملوك الفرنجية وحشودها
وقرامطها وكنودها واحزاب الشياطين وجنودها والوية الادا وسودها
وصل جارا على السما ذيول قتامه مجريا في الارض سيول لهامه ثايرا بالطلابة لطلابه
تارة سايرا بخيله ورجله كالسيل في قراره وانه في عصايب مثل ازي عصبيتها
متصلبه واتباع شياطين لا زمانها متعضده واسراب سراحين على سرح
الاسلام متوثبه وانه في مئين من الاف الالاف المئين واقطاب الاعقاب
الدايرة لدواير شرورها رحى الحرب الزبون وقد اوقدوا للشر شرارا واضرموا

للشرك الداعي الى النار نارا فان حسرتهم على ما سمعوه داية وسامابهم
قاسمه والموت يدعوهم الى المغفرة التي يدعونها والاجال تلبسهم لمناياهم
التي يدعونها وكان خبر وصوله متداولا على السنة الاراجيف وليستعد
اعدا الله من قبل الترهيب والتخويف واستعدت العساكر الاسلامية
للتوجه الى بلد الروم في الربيع وليقع التساعد مع عساكرها على دفع الى
الجموع باتفاق الجميع وانتظروا ورود خبر صحيح وتقريب ياس بامر صريح
حتى اذا صح الخبر سار العسكر ثم انقطعت الاخبار وتمادى الانتظار ومضت
شهور الربيع اذار ونيسان وايار وكانت كتب سلطان الروم قلج ارسلان واولاده
ورسلهم متواصله بما ينبي عن التقاصر وينبي امر الوفا والوفاق منه على التعاون
والتظاهر وبانها ما يصح عندهم ويعدون ويزعمون انهم في رد الوارد وانهم
مساعدون فاطفى ذلك الوعد صبح ذلك التهديد ووصلت كتبهم بعثه
في هذا الاوان بما اخبره الخبر عن العيان وقالوا انهم قد توسطوا بلاد الاسلام
وانهم على قصد الشام ثم ورد الخبر بانهم صالحوهم وما نعوهم واخلوا لهم الطريق
واودعوهم وسعوا لهم في المضايق وسعوا في امن طرقهم من الطوارق وهذه
حادثة كارثة وباعثة ناجي فاجع لاهل الحمية في الدين باعثة وبالثة
لعقود العقول في تعاظم ضرره وتفاقم خطره بالثة وقد تعين الجهاد على كل
مسلم وما في الوجود من يكون له هذا الملم غير مولانا ولم الاهتمام بدفعه من
افرض المهام واهم الفروض والحاكم مفرد في حمل عب هذا الفادح
الباهض بالنهوض وهو واثق بان بركات الدار العزيزة تدركه ولا تتركه

وان الذي يستبعد من التضرر بالشوق ويتسع به سلكه ومسالكه ٥

فصل في جواب امير ٥

عرفنا خبر العدو المشؤوم الواصل من جانب الروم وهذه هدية اهداها الله وفضيلة
خصنا الله بها حيث اقامنا في مقابلة اعدى اعدائه واقدرنا على مقاتلة من نازعه
في كبريائه وقد ساقهم الموت الى المقبرة التي يدعونها ولبئس المنايا التي يدعونها
لا يدعونها ومعا قلنا الحمد لله قوته وصوارمنا من دم اعداء الله رويه
يجب ان يكون في جميع اموره محتاطا وبظهر ما يعتمد الله من اسبابهم واسلابهم
اغتباطا ٥

فصل من كتاب الاستنفار ٥

قد عرف ان العدو الالماني المخذول قد وصل وانما القعود عن هذا المقام معنى وما لمن
تاخر عن نصرة الاسلام من زمن السعادة محيي وهذا وقت نهوضه بجميع اهل بلاده
واوان بذل وسعه وجهده واجتهاده فانه محضر لا يغيب عنه الا من ليس له
الله خلاق وموقف يفي بعهد الله من سبق له معه في الشهادة ميثاق واذهانا
لغنيمة اوفدها الله علينا وهدية اهداها الينا وفضيلة خصنا بها واسعدنا
بسببها بل هي بلية حلا علينا وجه النعمة فيها بل قضية وفى الله في انجح
موعود توافيها بل مسلمة اختارنا الله لدفعها وطاغية استدعانا اولياؤه
لقمعها ونائرة كلفنا الله باطفاء جمرها واردنا جمعها فلينهض نهوض
الكريم الى مساعدة الكرام وليخطب اهتمام العظيم ملابسة الخطوب
العظام وليثب وثوب الاسد على الفريسة وليتنخ للاسلام انتخاء ذوي

الانفس الابية والهمم العلية النفيسة وليكن اول سابق في مضمار الجد
واسعد طالع في افق المجد فان الاسلام في انتظاره والمطالع مستشرفة
الى اشراق انواره لا زالت الاقدار جارية في اسعاد الدين والدولة باقداره ٥

فصل من كتاب ٥

قد احاط العلم بما عرى من الملم وعرض من الخطب المدلهم ووصل من العدو الثائر
ونزل من النازلة التي هي ام النوازل والدائرة التي هي ام الدوائر وقد آن للاسلام ان
يسلم والايمان ان يتقدم وللتثليث ان يثلم وللتوحيد ان يحكم وللكفر ان
يقدم وللمعتدي ان يحجم وقد قذف البحر من الفرنج بزبده والبر الى ابيه
من كل بلد الكفر بشديده ولبده ووصل الالماني المخذول بعدده وعدده
وهذا خطب قد دهم رعده وقد هجم وشر قد نجم وجمر ذاهبه قد وقد
وجمع طاغية قد وقد في جيوش جايشة وجموع طايشة وجنود محشودة
وبنود منشورة وخيول مجتمعة وسيول مجحفة وهذا اوان تحرك ذوي
الحمية ونهوض اهل الهمم الابية العلية فان القوم في كثرة ولا يقاتلون الا
بالكثرة وهم مغترون بعساكرهم مغرورون بعتوهم مستمرون في طريق العثرة
والسيل اذا وصل الى الجبل الراسي وقف والليل اذا طلع الصبح المنكشف
انكشف والمجلس اولى من تولى هذه الغمة وكشف هذه الملمة حتى يخلف
امانى الالماني ويبطل ايمان الايماني ويخذل انصار النصراني ويحني ويتبر رؤوس
الحنوي والنيراني فان المودود فرض الجهاد المتعين وان المهتدون في نهج الرشاد
المتبين وان المسلمون وحاشى ان يكونوا للاسلام مسلمين وان المقدمون

في الدين ومعاذ الله ان لا يكونوا في نصرته على الموت مقدمين ولولا التعبيد بهذا
العدو الداني لاطلقت اعنة النهضة الى العدو الناهض للامن لقائه قبل يلتقي
المجتمعين واراه الملاعين وجوه حتوفهم ملا العين ٥

فصل فيه ٥

تستنطر بنو العلو ملقه وزحف الى الحق الثابت باطله الزاهق وجاء بالوجل وجا
بالرجف وثار لثار الصليب السليب وقد وقد حمي جمعه ورتق فتق الفتح رقع
نعقه وما قص الفضا ختام قيامه حتى ختم على صونها ر الهدى ليل الضلال
بظلامه والرجا محقق ان الاماني محقق بالمامه والاسلام مشفق من اسلامه
والدين موثوق بنصرة امامه وعصمة الله الواقية الواقية من ورائه وامامه
والله الكافل باعلاء اعلامه واحكام احكامه ٥

ذكر الواقعة العادلية ٥

كان الفرنج لما صح عندهم وصول ملك الالمان الى البلاد وانه ملا اخشنا
الربى والوهاد بالاجناد قالوا انه اذا جاء لا يبقى لنا حكما والثواب ان
نشبع لنا قبل شبوع اسمه اسما لا سيما وقد خفت عساكر الاسلام
وتقل اكثرها الى الشام فنحن ننتهز الفرصة ونحرز الحصة وننهل العزة
وتهجم عليهم هذه الكرة ونذيقهم المرة المرة ونفرغ من شغلهم
قبل قدوم القادم ومت بعقر العزايم ونفل حد حدود الصوارم
فخرجوا ظهر يوم الاربعا العشرين من جمادى الاخرة في حشر يذكر بحشر
الساهرة واسود بياض النهار من سوادهم وترات الاحلام لتاشوابه

باساودهم وامتدوا الى الخيم العادلية واشتدوا ابما اشتغنوه من البلية
في كل ذيب امعط وسيد قد تورط وشرحان سرح وجفني جحفهم
وجني اقدم وما احجم وسعيري نار استعار جذوة البار وشوري
فتسوري عاد بعادة الافتسار ومارد طالب للبوار واستيطار راغب
في البدار وداوي معضل الداء وتركبولي غير تارك للبلاء وشرخد [illegible]
كرار وقرني غير فرار وفارس يفترس الرجال وراجل يرجل الفرسان الابطال
وازرق [illegible] الموت الاحمر وامس يمشي واليوم اغبر واشقر هو اشقى واقبح
اذا غوى في الوغا ما ترك ولا ابقى ودخلوا الخيم العادلية وجاوزوها
وقد كانت اخليت قبل ان يجاوزوها ووقف الملك العادل بطلبه
وعن يمينه ويساره امرا الميمنة الذين يقربه مثل صارم الدين قايماز النجمي
وعز الدين جرديك النوري وجماعة من المعروفين بالشهامة الموصوفين
بالصرامة وليث الملك العادل لهم ليث المخادع المخاتل حتى طلع من العدو
قادتهم الاطماع الى الانتشار وافضى بهم الاغترار الى الاعثار وجنيبه
بن الحمله ولده الاكبر شمس الدين مودود وهو في كل وقعه يحضرها
جواد مجدود نعضده والده وولده مساعده وساعده وحمل معه العسكر
الحاضر فما كان تتصل به العساكر نكسرهم كسرة فرشتهم على الارض
وذكر يوم الوقعة بوقوعهم في النار يوم العرض وكانوا قد عدوا النهر
من قريب واحتفلوا ولم يلتفت الاخ الى اخ ورثيت العادلية اكتافهم
فلوا نبعهم اسيافهم وعفرتهم وعرقوهم وتكوهم وبجحوهم ودحلوا الى الرقاب

العجم منهم الرقاق وضربوا ممن اعتقوا اليهم الاعناق واسبغوا اللبوث
من نجوم الليوث وبتوابعوث المنيه في تلك البعوث حتى رتعت في كلا
البسالة بصرار الصوارم وابرق بصواعق بوارقهم غمام الغماغم وتعلقت
برؤوسهم ذوايب الذوابل ووصلت بهم الى النجاح منى المناصل فلم تزل
لما ادمى لما دما وغادرها سلبها بالعرا اشلا ورايناها كانها اعجاز
نخل خاويه وما احسن لحسبانه اهل الهاويه وهي هاويه فكم جسد بلا راس
وبنيه بلا اساس ونحر قد نحر ودم قد اهدر ويد بتت وكبد قد فتت وعنق
قد قطع وانف قد جدع وودج قد ودج مفرتا وظهر طهر مريا وحلقوم
قد حلق وعلصوم قد فرق وداوي قد دوي وبالدم روي وصليبي كسر
صليبه وقلب على صدره قلبه وحرى اتاه الحرب وغرب في سع جبينه النبع
والغرب وكان السلطان قد ركب وخشي ان جانب الميمنه قد نكب وسير
جماعه من كماة المماليك والامرا على مقدمته واستظهر الميسره لتنهض
في خدمته فوصل الى الوقعه سنقر الحلبي في العصبه العزيزيه وفاز
من الغزوه بالحظوه السنيه وجاء عز الدين صاحب الموصل في اثنا المعركه
يعرف بركه سرعه تلك الحركه لانه اخذ حظا وافرا ولقي من النصره وجها
سافرا وانقضى الحرب ولم يركب بعد من رجال الميسره احد ولم يمتد منها
الى قتال الكفره يد ووصل السلطان وشاهد من مشاهد الفتح
ما سره وعرف لطف الله وبره ونصره وعاين هنالك مصارع الاعدا
ومشارع البلا وكانوا مفروشين في مدى فرسخ على الارض وهم في

تسعه صفوف من تلال الرمل الى البحر بالعرض وكل صف يزيد على الف
قتيل وشاع القتل في الفرنج في كل قبيل ولما وصل السلطان
وراى عماد الدين وابن زين الدين وامرا الميسره قد عزموا على الركوب
اليهم والهجوم عليهم فانهم ندموا على بذل الاسراع ثم راموا انتهاز فرصهم
لبياتهم وانصبت الفتك بهم والايقاع قصدهم واشفق من غمره
نشوب ومعره تنوب فان الدايره كانت على العدو وفاز بالنصر الطالب
الصفو المرجو وكانت النوبه بلا نايبه والغزوه بلا شايبه وقتل منهم
زها عشرة الف ولم يبلغ من استشهد من اتباع العسكر عشره فاغنمها
تجاره رابحه وغنيمه متيسره ولما عرفت بالواقعه اصدرت بكتب
اربعين كتابا بالبشارات بابلغ المعاني وابدع العبارات وكنت
اذا نزل السلطان وجد الكتب حاضره ولا رى البشاره شايره وركبت
والقاضي بها الدين بن شداد لمشاهدة ما هنالك من اشلاء صرعى واجساد
فما اعجل ما سلبوا واعروا وفروا وفرقوا وقد تعرت بطونهم وفقيت
عيونهم ورايت امراه مقتوله لكونها مقاتله وسمعناها وهي
جامده بالعره قايله وما زلنا نطوف عليهم ونعبر ونفكر فيهم ونعتبر
حتى ارتدى العشا بالظلام فعدنا الى الخيام واخذت الكتب التي نمقتها
بالبشاير التي حققتها وجيت الى السلطان وقد استبطاني وعدم اجابتي
لما دعاني فما صبر ولا انتظر ولا امر قبل ان احضر ولا امهل حتى اعطى
البشاره حقها واحلوا بانوار المعاني افقها وابلغ بالبلاغه

ثم امتطوا لمنع تعليق الضلالة ثوب هداها واصف بحدود الاقلام ما
صنعته السيوف وارج لفودي عند السلطان واغنيه عن الزنوف
فادرت تنشر في البيوت المطاخ والابيات وتدوني الجرايد
الاثبات وقد كتبوا تلك البشارة الجليلة المقبلة في رقاع حقيقة
بعد ارائي سخيفة وقد عطلت الحسنا من حليتها وعروها من زينتها
وشوهوا جمالها واحالوا احالها فذهب بها المبشرون وسار
القاصدون فما كان لتلك الوقعة عند من وقف عليها وقع ولا
ثم لغليل من رام الاطلاع على حقيقتها نقع وارادوا بدمشق قراتها
على المنبر فما استحسنوها ولو وردتهم برسم عبارتي زبرا غني
رسوها وفي تلك الحالة التفت السلطان الي وقال اكتب بهذه
البشارة الى بغداد وعجل بها الانفاذ فقلت على سبيل العتب انتم ما
تريدون ما اكتبه ولا ترعون فيما اربته واهذبه فقال كانك
كتبت البشارة من قبل انها حتى نهتدي الى طرقاتها فقلت ما فات
فات وهيهات هيهات واخرجت له ما بقي من بشارات البلاد
التي انشاتها بالالفاظ والمعاني التي ابدعتها وابرزتها فسارت
تسرب البعيد والقريب وحصت مرجاها بالخصب الجديب وصدحت
باسجاعها المنابر وزحت بسماعها المفاخر وظهرت بعبارتها
العبر وبهرت بزبرها الزمر وعمرت بعجائبها المعاني وعمت بباهجها
مناهج الاقاصي والاداني فما صحها كثرة واسحها نصرة وما ابينها

محجة وما اشهاها حجة وما افرحها مسرة وما اسرها ...
وما ابرحها بالكفر صرعة وما اوضحها للاسلام شرعة

فصل في ذكر حالهم

لما عرف الفرنج انفصال جماعة من الاكابر ومفارقة ...
العساكر خرجوا محاشرين وامتدوا متقاطرين وانتشروا متغاورين
واغاروا الى اللواء ناشرين ووصلوا في الميمنة الى الخيم التي ...
فاخليت حتى دخلوها وتفرقوا فيها بجموعهم وحللوها فركبنا الية
وحملنا عليهم وتركناهم صرعى بالعراء فوحي بالفضا فما بكت عليهم
الارض ولا السما وروينا السيوف من دمائهم قبل ان تشبع الوحوش
من اشلائهم وظهرت لنا نعمة الله في بلائهم وحيي الاسلام بهلاكهم
ومنهم اشراك الردى بردا اشراكهم وانجلت المعركة عن اكثر
من عشرة الف قتيل كافر وثبت حكم اداله الاسلام وظهوره باوضح
دليل ظاهر ولو اتفق خروجهم من مراكزهم باسرهم لحكمنا فرغنا من
شغلهم واخلينا بالنار بيد الله من امرهم والان فمع انطفا جمرتهم وحمية
ابرحه العرام بكسرتهم وتطرق القلة الى كثرتهم نرجو من الله ان
تسهل امرهم العسير ويهون خطبهم الخطير وان ظهورنا قطع ظهورهم
وعثور هذه الدفعة بهم حقق عثورهم والله تعالى يحقق بوارهم ودحورهم

فصل فيه

ووصلوا الى الخيم العادلية في الميمنة واشتغلوا باستباحة احوالها

في المصرنه فاطلقنا عليهم الاعنه وشرعنا الى كوزهم الاسنه وبعثنا
النفوس لتسلم منها الجنه وفرسانهم على الارض وادبنا باردا بهم بعض
الفرض وانجلت المعركه عن الاف قتيل مشرك وشملتهم المنون
فكانهم تحشوا على موعد مهلك وارويناه من دمائهم ظما السيوف
وجعلناه اشلاهم قرى الوحوش لا الضيوف وامن الاسلام بحمد الله
الخوف وادرك الله باخذ اروا احهم رمق الدين الملهوف وهذا دليل
ظاهر على ركود ريحهم وخمود مصابيحهم ٥ ٥٥

فصــــل فيه ٥

حملت عساكرنا عليهم واحاطت بهم من حواليهم ورضتهم بالدبابيس واللتو
وتركتهم صرعى بتلك المروت وساحت بتلك الساحه دما الدماء والتي
عن العراء بتلك الاشلاء وافضى بذلك الفضا جمرهم الى الانطفاء
وامرهم الى الانقضاء ورنعت ثعالب الرماح من كلا كلاهم في المرعى
وانجلت المعركه عن مهلكة عشره الف نفس وطابت من نسيم الحق
ريح النصر وحسنت من سماحه مرآهم وجوه الدهر والان الا الله
شدة شكيمتهم وقط شوكتهم وهبت نكبا نكبتهم ونزحوا
ارتسهل من امرهم ما تصعب ويولف بصدعهم من الاسلام ما تشعب ٥

فصــــل ٥

وصلوا الى الخيم العادليه
فدخلوها ونفروا فيها جمعهم وخلوها وكان ذلك قبل تحامل ركوب العساكر
وطموح تحار هل الزواخر فحمل الملك العادل ومن هو من بيته من الامرا

والمماليك كولده الحسام لاجين وصارم الدين قايماز وبشاره وجماعة
وعطفوا عليهم صدعنهم عن الانعطاف وصرفتهم عن الانصراف
وثارت اثارهم بوائر البواتر واحتوت عليهم الصوامر احتوا الصابر
على الاسرار بالحوافر الحوافر وفضحهم بالفضا وعرتهم من كسوة الرداء
بالعراء وتمت نعمة الاسلام ببلائهم وشفي الدين بدائهم وكانوا
في قنا بهم ولو لحقت الميسره لتكمل قطع دابرهم واتى القتل على
اخرهم وانجلت المعركه من الكفار عن عشرة الف قتيل
واد وسدت كل سبيل وقد ذلت عزتهم وضعفت فودهم وبحرت
ولما انقضت هذه الوقعه وتم لنا مضي الينا الرجعه رايت احد مماليكي
ونصله قد خضب وعزمه قد رضي بعد ما غضب فسالته كم قتل والى ابن
وصل فقال اما انا فما القيت وخضت البحر وما توقيت وهذا
غلامي قتل تسعه وشاهد من عاين جميعهم بحجته وكان الذين حملوا
وهزموا وقتلوا اقل من الف فقتلوا اضعافا مضاعفه وعدموا من
وراهم مساعده ومساعفه ٥ وحكى من نوادر هذه الوقعه
ان فرنجيا عقر جنبا للصرعه فعثر به راكب برذون بغير رفيق ولا عون
فعرقب الفرنجي فرسه بسيف في يده فنزل يحده مسببا في حداده وقتل
ذلك الفرنجي وروى من دمه الهندي وحل من وسطه ثمانين دينارا
فانقلب رابحا ما عده خسارا وامتلات الايدي بالاسلاب والاكساب
وحصل من العدد ما لم يجر في الحساب وبيعت الزرديات ذوات

الإِ... بالغُصَص وزادت ارباح اهل البيوف بذلك النقص وفي يوم الخميس
الحادي والعشرين من جمادى الاخره ورد في عمره كتاب من حلب بعهد خمسه
ايام يتضمن فتح كل مرام ويخبر بان عسكراً مجراً من الكفار خرج
الغارة في الاطراف والاقطار فخرج اليه العسكر واخذ عليه الطرق
... ذلك الجمع الهزيمه المضيق فلم يبح لهم رشد في منهاج ولم يبح
منهم راح نعضد ذلك الخبر هذا العيان وقام بهوان الكفره البرهان
وسر العوام والخواص وعم السرور وانارت المطالع وطلع النور وشرع
الفرنج في الخداع والمراسله في امر الجانبين عام الاسفاع وسالوا في الصلح
واذن السلطان لهم في الخروج للنظر الى اوليك الصرعى بتلك المروج وهي
قد تورمت وانتنت وجافت وحميت الشمس على جيفها وحافت وصار سهل
القاع والخوامع وعلتها طافت تشاهم ما ستريا ونفرهم ما افزعنا ۞

ذكر ما تجدد للفرنج من القوه والانتعاش

بوصول الكند هري بالمال والرياش وما اعتمده
السلطان من الاحتياط اسفا من التفريط والافرا ط

وما زال الفرنج في وهن وضعف وتنوزع بينهم وخلف حتى وصل في البحر
كند يقال له هري وهو عندهم عظيم القدر فكمل من وصل معه نفقتهم
واحيا بعد موت نفوسهم حرصهم وافاض عليهم الاموال وحلى بهم
بعد عطلها الاحوال ورصع بالرجال مراكب مرصوع وقرع الشر بدامه

على من قلع وقرعوا الفسح عرمنا عما كان فيه شرع فقد كان العزم يلذكل
الحزم ان يبادرهم على ضعفهم قبل ان يمدهم البحر بضعفهم وكان من قضا
الله تاخير ما وجب تقديمه والتواني فيما تعين تتميمه وما اوصل هذا
المدد وتمكن وقوي اهل الكفر بكل ما امكن اظهر انه تكثير عسكره
لئلا على غرة وبدت منه امارات كل شره وشره وشاع هذا الخبر على السنة
الجواسيس والمستامنين فاحضر السلطان امراه وخواصه المومنين الميامين
فيما تقدمه من الصواب ونفحه من الابواب الراجحه من الابواب فاشاروا بالانساع
الحلقه وادارتها كالمنطقه والتنفيس عن العدو بالتاخر عن قربه حتى باشر الى
الخروج بحزبه فوافقهم السلطان على هذا الراي وحسن في قلبه فرحل يوم الاربعا
السابع والعشرين من جمادى الاخره الى منزله الاول بالخروبه واشتغل بالتدبير في
الفوز بالنصره المطلوبه ونزل العساكر على تل العصاب وحوالي سفوحها
واحتوت كل جنة خيمة من حل فيها على روحها ورتب اليزك في المنزله الاولى
كل الف فارس بالنوبه في يومين وضويق باهل الصدق منه اهل المين وتدبر
الترتيب وترتيب التدبير وعرف اليزك اوقات نوبتهم واوتيه الكبير والصغير
وامتاعكا فالكتب مترددة اليها ومنها مع السباح والحمام البهاديسها
محمل البطاقات على الجناح والمراكب تدخل اليها وتخرج والبها وعنها تعوج ونعرج
واخبار ملك الالمان متواصله بان النصاره له خاذلون وانه ضعف ووهي وانه الى
انطاكيه انتهى وانه تعوق هناك وتوقع من مرامه الادراك وتوقف عن
المسير واعتاض التعسير من التيسير ووقع الفنا في جمعه ونحل فمعه

ويخيل ان يصل الى محل قصده وانه قد استقل بالانفاذ في رجال الاستنجاد والاستعداد
والاجتناد والاحتشاد وان اصحابنا باسرهم وبهم ويتلقونهم ويلتقطونهم من
الطرقات ويتخطفونهم ووصل من ملك قسطنطينية كتاب يتضمن
استعطافا واستسعافا وجمع قطافا ونطاقا والطافا ويذكر تمكينه من اقامة
الجمعة في جامع المسلمين بقسطنطينية والخطبة وانه مقيم على المودة راغب
في المحبة ويعتذر عن عبور الالماني وانه قد فجع في طريقه بالاماني وانه نال من
الشدة ونقص العدة ووصل المشقة وقطع الشقة ما اضعفه واوهاه والهبه
والهاه وانه لا يصل الى بلادكم فيشفع بنفسه او يسفع ويكون مصرعه هنالك
ولا يرجع ويموت بما به كاده وانه بلغ في اداء اجتهاده ويطلب رسولا
يدرك به من السلطان سولا فاجيب في ذلك الى مراده ووقع الاعتداد بما ذكره
من اعتداده ٥

ذكر حريق المنجنيقات ٥

وفي رجب من السنة انفق الكندهري بعد وصول ما وصل معه من المال في الرجاله
واعطى عشرة الف راجل في يوم واحد ليجدوا معه في القتال وصانع مدة عدا
مضايقة واخذ القوامص والكنود بذلك مواقفه ونصب عليها كل
منجنيق من الرمي غير مفيق رجومه للشهب بالشياطين ومن الحجارة تنقض
من ارض الكفر الى سما الدين وهي مجانيق مجانين وميادين تعابين ومسارح سراحين
فاشتد على اصحابنا بالبلد وقعها واحتد على ضعفهم صعقها وقالوا اليف
نجد من مناصبها المناص وهل يلقى من شوم خطابها الخلاص فاجمعوا على
الاقدام واقدموا على الاجتماع واخذوا بالارتياء في ترك الارتياع وخرجوا

بالفارس والراجل وامّوا بالحق امة الباطل وجاوزوا الى المنجنيقات التي
والستائر المضروبة الى خيامهم وخلفوها من ورائهم واللقا من قدامهم فلما
خلت المنجنيقات من جمعها خرج الزراقون من البلد ورموا النار فيها
فاحترق جميعها وغرق في بحر النار ربعها وقتل في ذلك اليوم من الفرنج
سبعون فارسا في اللقاء وقطع الواصلون اليهم عليهم طريق البقاء
واسر منهم خلق كثير من جملتهم اربعة من المعروفين منهم فارس كبير
فما امهلوه حين اخذوه حتى قتلوه ونبذوه فطلبوه منهم الفرنج بالاموال
ولم يعرفوا الحال فاخرجوه اليهم قتيلا فاكثر الفرنج عليه بعد العويل
عويلا فباتوا يندبونه نوحا ويدعون سرّ تقدمهم نوحا محمد وابدلك
الصرام وركدوا بعد هبوب ريح المرام وضربت عليهم الذلة وسخرتهم عقودهم
المخلة وعقولهم المعتلة وطمع فيهم الناس وعرا لجمعهم الباس وصارت
الخنادق تهجم والستائر تهتك وتضرم والحدود بالمناصل تثلم والحدود بالنصال
تكلم الى ليلة شعبان من السنة فاتت بالحالة الحسنة فان اصحابنا خرجوا على
غرة ومضوا الى القوم بابكار مضرة واحرقوا منجنيقين كبيرين قد تعبنا
بعد كل استظهار وانفق على احدهما كندهري الفا وخمسمائة دينار وكانت
الليلة الاولى من شعبان مباركة ونعم الله لنا ونقم على العدو متداركة ٥

ذكر وصول بطسة ببيروت في العشر الاخير من شهر رجب ٥

قد تواردت الشكوى من البلد ان الذخيرة قد فنيت وان الانجاد باشتداد علما

يعني وان الجيوش ملتفقان قوتها ضعفت وابطا على السلطان وصول البطس
المسيره من مصر بالغلات فاراد ذلك من تقصير الولاه وافكر فيما يعجل به
قوتها ويجعل لها اجلا موقوتا فكتب الى والي بيروت اسامه ان يجهز
كل ما به عز الدين اسامه ونعطي ويترك ويحتال في انفاذ ميره الى عكا
فعمر بطسة كبيرة واعدها واعد من غريب الملصقه بها حدها وتولاها
بخلق وسيع وملاها باربع مايه غراره قمح ونقل اليها انواع الطعام واصناف
الادام وقطيعا من الاغنام وهذه بطسه من الفرنج ماخوذه وهي بساحل
بيروت منبوذه فامر السلطان بترميمها وتتميمها واحيا النعمه بها وتكميمها
وان يجعل منها العله ونقلت اليها الغله وملئت بالشحوم واللحوم وكلما
تدعوا اليه الحاجه من المشروب والمطعوم وحمل فيها من احمال النشاب والنفط
ما جمع فيه بين القوه والقوت ورتب فيها رجال مسلمون ونصارى من اهل
بيروت وارادوا ان يشتبه ببطس العدو في البحر وان لا ينكشف للفرنج
بما الهاهم السر فتصوروا رهبانا وصوروا صلبانا ومسحوا لحاهم ومسحوا
حلاهم وتملطوا وتكوفوا وتشبهوا بهم في كل بزة لئلا يتخوفوا
وشدوا زنانير واستصحبوا خنازير وساروا بها في البحر بمراكب الفرنج
مختلطين والى محادثتهم ومجادثتهم منبسطين والقوم يحسبونهم لا يشكون
انهم من اهلهم ونسوا الحادث وانسوا الحديث وتصوروا الطيب بصوره
الخبيث ولما حاذوا بها عكا ضربوها نحوها والريح تسوقها والفرنج
تدعوهم من مراكبها وتقول ما هذه طريقها وهي كالسهم النافذ

قد شبه دفوقها وقد عقت رفقتها وهي تكاد تعوقها فدخلت الثغر
وادخلت اليه كل خير وعجب الناس منها ومما تم لها من حيلتها في تشبيهها
واجترا البلد بها شهرا ووجد منها الكل كسيرا جبرا فيا لها من لطيفة
قضينا منها الارب ولم ينقض منها العجب ۝

ذكر وصول بطس الغله من مصر الى عكا ظهر يوم الاثنين رابع عشر شعبان ۝

كان السلطان قد كتب الى الولاه بالاسكندريه على وجه الاستظهار ان يسرعوا
في تجهيز البطس الكبار وملاوها بالغلات واصناف الاقوات ويشحنوها
بالكماه الحماه الرماه ويرسلوها عند موافقه الريح الى الثغر فان خلصت
اليه ولو واحده منها اغنتها بعد الفقر وتمادت الايام على هذا الامر
واستبعد وصولها مع امتلا البحر بمراكب الفرنج وكاد الياس يغلب والرجا
يضطرب ووردت كتب اصحابنا بعكا انه لا يبقى لنا ليله نصف شعبان
قوت ولا شك ان كتاب اجلنا الى هذا الاجل موقوت فاشفقت
النفوس واستشعرت البوس والمت القلوب والمت الكروب ولجانا الى
الله فانه يجيب المضطر اذا دعاه ولا يخيب من رجاه ولا يضيع من استدعاه
فلما كان ظهر يوم الاثنين رابع عشر شعبان ظهرت من اقصى اللجة
ثلث بطس كانها الاعلام واستبشر بظهورها الاسلام وقد زفت
عرايس جواريها الحسان وحفت زوايا سواريها القفال وذكرت بقوله
تعالى وهي تجري بهم في موج كالجبال والريح تطردها طرد النعام والملح

نزلت بها على زعم اهل النار الذين هم اضل من الانعام فما ترات حتى استقبلتها
مراكب الفرنج وشوانيها واحاطت بها تقاتلها من اقاصيها وادانيها
... وشغفها وتعوقها عنها وتعقها حتى برزت منها لمن الاعيان
الاعيان ... زات تلك الاكمات المطيفة بها حمالها الرعان وعبرت
الكفر بان ينظر نهضت بالعز والعدو في ذيل الذل يعثر ووصلت
الثغر وهي سالمه والمثلثة راغمه والموحدة غانمه وقد فرج الله بها
غمة الثغر ودفع ما الم به من الضر وحمدنا الله على الموهبة التي ادركت
الارماق وتلافت الارواح من التلف وحملت عن النفوس المشفية مشاق
الكلف ٥

فصل من كتاب الى سيف الاسلام في المعنى ٥

كان كتب الينا اصحابنا من عكا انها الى ليلة نصف شعبان لا يبقى لنا شي نقتاته
ويقاوا بابقا القوت وعوانا بفوايده وبتنا نحن في هذا الهم مفكرون ومن
هذا الغم مشكورون اذ ظهرت العيون بالقرة والقلوب بالقرار والمسرة
ثلث بطس على ثبج البحر مستقره يبعثها الله تعالى بعثا وحثها الريح
الغربية حثا كانها جبال باقبالها تروع او نسور اجنحتها
القلوع وشعر الفرنج بها فضاقت مذاهبها وبرزت مراكبها
ودبت عقاربها وقربت من البطس شوانيها وقويت في البطش اطماعها
وحمى ما فيها من الرجال وهي تجري بهم في موج كالجبال وكان جواريها
عرايس يزففن بما لهن من الجهاز وكان البحر الممنوح ثوب تلك

الاعلام المنشات معلم الطراز بل كانها خيام حمل الصدفة الى حرابي
الاعوار فجاءت ... متسقة موسقة ووافى الالى بها موافقة
موفقة فلم يقدر على مقاربتها ومقارنتها شي من شوانيه
وكانت كلاته وعصمته لها خيرا من كل كال الى مجاري الثغر
والكفر حيران ينظر وقارن بالعز والعدو يذيل الذل يعثر
فكان وصولها اوان انفضاض الازواد ونفاذها فملات البلد
بغلاتها وازوادها وعصمت ارماقها ودسمت امراقها وتمت
ارزاقها واشبعت جوعها وشجعت صدوعها وانالت ارانها
وازالت اجرابها وحصنتها خصبها وسحت لها سحبها وعاد البلد
بعد الغسق اسفار الفلق والحمد لله المغني بعد الاعدام المدني الشمل
بعد الظلام الفني باوليايه اعدا الاسلام ٥ ٥ ٥

ذكر غيبة العوام وما تم
عليه في العشر الاخير من شهر رجب من السنه ٥

وكان رجل يعرف بعيسى العوام قد تردد بالكتب والنفقات الى عكا وسهلها
في ذلك العام وكان ناصحا امينا ويحفظ الاسرار ضمينا يسبح ليلا في البحر
ويعبر على مراكب اهل الكفر ويصل بما معه الى الثغر ولكم
خاطر بنفسه فسلم واعترته اسباب المتالف والالام فما الم واتفق له
عام ذات ليلة غير عيم يعترض بما في طريقه من اخطار وعلى وسطه
ثلثة اكياس فيها الف دينار ومعه من نفقات الاجناد وداييع

زعفران بضايع فعدم ولم يسمع له خبر ولم يظهر له اثر فظنت الظنون
وما تيقنت به المنون وكانت له لا شك عند الله منزله فلم تزدان
... وهي مجمله محتمله فوجد في مينا عكا ميتا قد رماه البحر
الى ساحلها واذهب حق اليقين من الظنون بباطلها وبراه الله مما قالوا
... الذي عليه احالوا فقد جرت على وسطه تلك الاكياس
وتعجب من حاله الناس فلم يذهب بذهابه الذهب الذي صحبه وطهره
الله من الرجس وعنه اذهبه ٥٥٥

ذكر وصول ملك الالمان

الذي قام مقام ابيه الى الفرنج بعكا

ذكرنا حديث الالماني وتلك حادثته وما اداه اليه من دواعي امره وبوا عنه
وكان مسيره من انطاكيه يوم الاربعاء ثامن عشر من شهر رجب ولقي في
طريقه على اللاذقيه الشجي والشجن والشجب واذن ضعف حملهم بضعف
ويليهم ووجد لهم من اللاذقيه رجله ثمانون سبعون فرسا قد عطبت
وعلى اعواد عظامها سود الغراب حطت وقد استعمله المركيس
وقصده الثانيس وان يهديه بضلاله الى الطريق الى موضع طوارقها
وتتسع عليه فيها مجال الامر وان تسلك مضايقها ثم وصل الى
طرابلس في العشر الاول من شعبان ووصل خبر وصولهم في سادسه
الى السلطان وحزرهم من شاهدهم في الطريق بخمسة عشر الفا
وسمعنا في حزرهم بالقليل والكثير خلفا ثم انتقل في البحر الى عكا

في موضع الحصر ووصل اخر النهار سادس شهر رمضان بعد ان عانى
في البحر من اختلاف الهوا الهوان فلم يبق له وقع ولم يحصل لخرق القوم
به رقع واقام من جنودهم كاحد جنودهم وقال الفرنج ليته لم يصل
الينا ولم يقدم علينا فانه لو اقام في موضعه وامدنا بقبضة من شيعته
لهيبت عظمته وعظمت هيبته وارعب روعه وراع رعبه ...
منا وخشي من المسلمين قربه وقد قطع بنا مدد وصل وحصل لنا احتياج
نجاح حصل ووصل في البحر وحده ولم يستصحب جنده ثم وصل اليه
الاصحاب وتقطعت بهم الاسباب ثم رام ان يظهر محبته وفعله
ويبذل له نفعا ويتيسر ليقع عليه تارة نفعا فقال الام القعود
عن القوم وما بقي الا النهوض اليهم من اليوم ولا بد من ضرب
المصاف معهم واني على الخروج اليهم لادفعهم قالوا له انت ملك
ارتنت ... قتلناهم ولا اثرت ... ولا جربت حربهم ولا كربت
بكربهم ولو جربت حربهم لا ... جامح لجاج ... فابادنا
وشتت الشمل فلما عرفوا جهله وان صعب الامر عنده ساوى سهله
قالوا له نبتدي بالخروج الى اليزك فلعلنا نوقعهم عند الاحاطة
بهم في الشرك فدبوا في راجل كرجل الدبا وخيل اغصت بالوهاد
والربى ومرحوا في المرج وطووا تلك المدارج طي الدرج واشعلوا
الخرصان في ليل النقع عوض السرج وقربوا من تل الغياضيه وعليه خيم
اليزكيه والنوبه فيها للحلقه المنصوره الناصريه والعضديه

فلما نصرت بهم نارت اليهم ودارت عليهم وانقضت بنات الجنادل
من حدورهم الى الحدور وازدادت ظما الظبى منهم من الناموس وانبعث
بالنبع من عيونهم العيون واستخرجت بالضرب من اعناقهم الديون
طيرت ما طارت السهام الى الاحداق بهم الاحداق وحاطت الاماق
وما احاطت الارماق وصار كل سهم سهم شهم وخطر في مجال
مخاطره اسرع من وهم وركب السلطان من خيمه وتقدم
الى تل كيسان ووقف بنفسه بعد الفرسان فلم تزل وجوه
البيض تحمر وتبلا السمر تصفر وذيول النقع تجر وصفحات الجو به
تغبر وارجا رجا النصر تخضر الى ان جن الظلام ولف الكفر وسلم
الاسلام وكان الدايره على الكفره واعرضت بالوجوه المنكره
وابلت بالانوار المسفره ومر الالمان مثلما لما ومن ظلمه حاله متظلما
ويكلوم قلبه متقلبا متكلما وقد عاين ما عاناه من الكفار وشق
عليه ما شق من ليره من الشقا وبلي بما بلي من البلا وعلم ما جهله
واستصعب ما استسهله وذاق ما ضاق به ذرعه وكاد ثم في
القتلى صرعه لو تم صرعه لكنه خرج من الغصص ما سهل عليه
الموت جرعه وثاب وما تاب وابى الرجوع الى اللقا لما اب
وحسب حزوا في قتال البلد وحصاره واتباع ليل الحزن فيه بنهاره ٥

ذكر برج الذبان ٥

وعند مينا عكا في البحر برج يعرف ببرج الذبان وهو في راسه
المينا عظيم الشان وهو منفرد عن البلد محمي بالرجال والعدد وقصد
الفرنج حصاره قبل مجي ملك الالمان في الثاني والعشرين من شعبان بسطس كبار جمعوا وها
ومراكب عظام الالات ابرزوها ومكر مكروه ودبر دبروه وبغي بغوا
غاياته ورب راي رفعوا غاياته وشر شرك الهبوا اشراره وابد جنيد
ارهفوا غراره وعار عناد اطلقوه ولسان صرام اذلقوه وبد بطش شرطوها
وعقله معاقله انشطوها واحد تلك المراكب قد ركب برج على اشر صاريه
لا يطاوله طود ولا يباريه وقد حشي حشاه بالنفط والحطب وضيق خطته
لسعة العطب حتى اذا قرب من برج الذبان والتصق سترافاته اعدى اليه
بافاته ورميت فيه النار فاحترق واحترق من الاخشاب والستاير ما به
التصق وتستولي النار على مواقف المقاتله فتباعدوا عنها ولم يقربوا منها
فسهل عليهم فيه التسلق ولم يصعب به التعلق وملاو بطسة اخرى احطاب
يسرى فيها النفط ويسرع بالهاب حتى يوقدوها على البسقر التي لنا بالمينا
يوردوها فيعدي عدوانها وتسري نيرانها وهم في مراكب من ورايها
للحرب مستعدون وللشر مستمدون حتى اذا تمت بزجاجهم في البرج والمينا
مناهم نالوا من الاستيلا والاستعلا عناهم فلما قدموا البطسه ذات البرج
المعمور وما اليه الماري ملاصق السور جا الامر بعكس ما قدروه واخفق
ظنهم للادبار فيما دبروه فان الهوى كان شرقيا فلم تجد نارهم في مطار
برج الذبان رقيا بل اشتعل برج الماري ومراجعت نارها الى اهلها
وعاملت ذوي الجهل بجهلها واوقدت بطسه الحطب من ورايها وتطايرت

اليها شعل اذكا ابهم وعادت على الفرنج فالتهبوا وحمي عليهم الحديد
فاضطرموا واضطربوا وانقلبت بهم السفينة فاحترقوا وغرقوا والناجون
منهم غارقوا وفرقوا ولم تفرقوا واحتمى برج الذبان فلم يطر من بعدها
فيه ذباب ولم تفتح للعيون في الكيد له باب ٥٥٥

فصل مسجع في المعنى

من حصار برج الذبان مرة اخرى من دماب الى سيف الاسلام باليمن
وانكر الفرنج في امرهم واجالوا اقداح الراي في مكرهم وقالوا هذا البرج المعروف
برج الذبان منفرد عن البلد وسط البحر منقطع المكان واذا اخذناه تسلطنا على
مراكبهم التي في الميناء ولم تؤثر محجينا نائرا فلاي سبب جئنا ومن حيث هذا
البرج انه يحيط به البحر من جوانبه وهو قفل مينا الثغر على مراكبه وقد رفعناه واعليناه
وبالعدد والرجال قويناه وبالجرخية والرماة والزراقين والمجسقية ملاناه وبكلاءة
الله وعصمته اياه عصمناه وداناه وقد حاموا حوله حولا فلم يجدوا على نيل غرضهم منه
قوة ولا حولا فعمدوا الى كبير بطسة واتخذوا فيها مصقلا لاكانه سلم
وهو في مرتبتها مقدم وقد جعلوها بحيث اذا قربت الى البرج ركب راس السلم
على شرافته وصعد الرجال اليه في تجاويفه وتعبوا في ذلك اياما واوثقوه
واشبعوه توثيقا واحكاما وهو بمراى من الاصحاب ينظرونه وينتظرونه
ويبصرونه ويستنجزون الله عليه ويستنصرونه والقوم قد اصحبوا بتلك
البطسة زاحفين وعلى ذلك السلم بعددهم واقفين حتى اذا التصق بالبرج
الصق به قوارير النفط وتوالت امطار البلايا من الجروخ والمجسقات

والحجارات على ادليك الرهط ووجدت النار نسطة في البطسة ولم يسلم السلم
وبات القوم من فجيعتهم بهذا المصاب الذي لم يتهم والم وقتل منهم من باشر
القتال ونزل العذاب بمن حاول النزال والحمد لله الذي ابان نطرهو
دينه متناصره ودلايل نصر اوليايه متظاهره ثم عمل الفرنج برجا
عاليا في البر مركبا وحشوه بالحطب وعملوا على راس صليبه مكانا تقعد
فيه الزراق ويتاتى له فيه الاحراق وقدموه الى برج الذبان وسلطوا على
جوانبه حوالى النيران وقصدهم بذلك احراق ستاير البرج المعمور وراوا
ان في ذلك هدم بنيانه المعمور وحسبوا ان الستاير اذا وقع فيها النار
تعذر على رجاله القرار ونحل منهم للحذار الفرار فكادت الستاير تشتعل
والخواطر تشتعل والحال تضطرب والبال يلتهب والكروب تضطرم
والقلوب تحتدم فاهب الله من مهب لطفه نكبا نكبت النار عن البرج
المحروس واكبت الفرنج على الوجوه والرووس ونقض جدهم وتعكس قصدهم
وانقلبت الريح التي لهم عليهم وصوب راي العذاب اليهم ٥٥٥

فصل في المعنى ٥

ولما وقر الله القوم قالوا لا طاقة لنا اليوم وعادوا وقد رغموا وعزموا وعزموا
واشتغلوا بعمل بطس لهم تحوما واخطابا واذهانا واخشابا واشعلوا
فيها النار والعبوها وارسلوها الى مراكبنا في يوم ريح عاصف
وصوبوها وادنوها منها وقربوها وكادت سفننا تحترق وبوادينا
تفترق فانزل الفرج وقت الشدة وامن من المخافه المحذرمه المحذره وانقلبت

الارج عليهم وعادت مخالفة بعد ان كانت موافقة وحالت تلك الحال
المعادة مبارزة فاخترقوا نارهم وشرقوا بعارهم حديث بطش اولئك
العلاب بالكلاليب وتوالت الطاف الله في هذه النوب المنكشفة
... الانابيب مشتعلة الشآبيب ٥

ذكر الكبش وحريقه بعد نصب العدو في احكامه وتسويه طريقه ٥

واستانف الفرنج عمل دبابة هائلة واله للغوائل غائلة في راسها شكل
عظيم يقال له الكبش وله قرنان في طول رمحين كالعمودين الغليظين
اقفال الاسوار المغلقة بهما تفتح فكم سور اذا نطحته طحنته
وكم معقل حصنه الدهر حصنته وهذه الدبابة في هيئة الجربشت
الكبير وقد سقفوها مع كبشها باعمدة الحديد وحملوا لها اسباب
الاحكام الشديد ولبسوا راس الكبش بعد الحديد بالنحاس وكسوها
حذرا عليها من النار ستائر لباس من لباس فلم يبق للنار اليها سبيل ولا للعطب
عليها دليل وشحنوها بكماة المصاع وحماة القراع ورماة الحدق
وكساة الحلق وعفاة الحتف وجفاة الرجف ومحبي الزعف ومجتني
العسف من كل شرحان لا ينظر الامر حلدار قم وكل شيطان لا يقحم
من الحرب الا جحيم وكل شجاع لا يعقل الا شجاعا ولا يرى لعمر التجيع
الفاني قتلا ولا انتجاعا ٥ فلما استدفت لهم هذه
الدبابة وماجت بالحديد حسبها الغابة واطافت بذلك الكبش

تلك البيوت الشابة وامنوا عليها الحريق وانوا بها المطريق وسووا
بين يديها الارض ومهدوا الطول منها والعرض وسحبوها حتى سحبوها
وقربوها اعين بل انفسنا وقربوها فخاف صورة تزعج مرآها وروعة
يعجز مرعاها واله تروق هيبتها وعدة تروع هيبتها وبلي البلد من دونها
بالبلاء الداني وتعاشت وتغاشت دونها نفس الرائي وعين الداني
وقال اصحابنا هذه ما دفع خطرها حيلة ولا لبارق الظفر بها مخيلة
فكيف العمل وفيم الامل ومن للكبش العظيم وقطع راسه
ومن لبس الحديد ونقض اساسه فان كانت هذه الدبابة دابة
الارض فما هذا اوانها وما حان زمانها ولقد قامت بها قيامة الحشر
فقام نزهانها ونصبوا على صوبها مجانيق ورموا بالحجارة الثقيلة ذلك
البيت فانحدفت رجالها من حواليها وطردت المطرقين من يديها
ثم رموها بالحزم بحزم الحطب حتى طموا ما بين القرنين بجزره وقذفوها
بالنار فترم في اثناء عجاج اللهب من جره ودخلت من باب الدبابة
فاشتعلت بها ضلوعها وشرع من فيها في الخروج بعد دخولها
وشروعها وجاء الفرنج تلك الليلة فباتوا بالنيران تطفئون بالخل
والجمر تلك الشعل المشتعلات فاطفاوا نار الظاهر ولم يعلموا انار
الباطن ولم يحسوا بما تمكن من اضلاعها من الحرق الكوامن وحين
احمد الجمر احمد الامر ورجعوا ... نزل اللهب وأكل سقوفها حتى
نزل على ما غطى الخشب من الحديد وفوقها وحينئذ خسفها

المنجنيق فابعد ذلك النيق وصح ذلك الراي الانيق وهو ذلك الترتيب
المتقن ونفقت تلك الرايه واحترقت تلك الدبابه وخرج من باب الثغر
المحروس بشري الوجوه طيبي النفوس وقطعوا راس الكبش واستخرجوا ما
تحته الركاد من العدد بالمنبش وحمل كل من الحديد ما اطاق حمله واستطاب
[illegible] برد بقيته حره واستخف ثقله وقدر ما نهب من الحديد بما به
[illegible] قنطار فقال في اليه لبست بهذا المقدار وهو اعظم مقدار وعاد
اصحابنا على عدوهم ظاهرين وحزب الكفر قاهرين وكلهم ينشد وهو منتشي
وينشد جدا وجدا ٥

نازلت كبشهم ولم ار من نزال الكبش بدا

وقنط الكافر وكفر القانط وسخط الشيطان واستشاط الساخط وعلم
الفرنج حين حبطت اعمالهم وهبطت امالهم ان الشقا ادركهم والشقاق اهلكهم
وان تدبيرهم مدبر وان ترتيبهم مدمر وان الاتهم غير نافعه وان نصالهم غير
نافعه ٥ والحمد لله ذي الطول العميم والفضل الجسيم الذي نعش عثار
الثغر بعد ان ثل الحين فلونا قوله وفديناه بذبح عظيم وكان ذلك في يوم الاثنين
ثالث عشر شهر رمضان واحرقت البطسه يوم الاربعا خامس عشره وفي هذا اليوم
وهو الاثنين قدمت عساكر الشمال يقدمهم ذو القبول والاقبال وهو الملك الظاهر
صاحب حلب وقد استصحب معه الاجناد وجلب محاسنه وجدد تقاه الله عهده
ثم عاد وعادت كرته الثانيه يقدم جنده ومعه سابق الدين صاحب شيزر وقد
استكثر واستظهر وعز الدين بن المقدم ذو الغرر الاغر والبحر الاكرم

١٦٩

وحسام الدين حسين بن باريك وجماعه من الامرا من ذوي المكانه والثنا
والعنا وقدم الملك الامجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه
ابن ايوب صاحب بعلبك وقد استصحب علامه الاكراد ومماليكه الترك
وكان لذلك اليوم رونق وصقال ونسيمه رنق واتفق في يوم [illegible]
من العدو على البلد الزحف الشديد في الخلق العظيم محتشمين بنهوض [illegible]
الجحيم وتردهم اصحابنا حتى قربوا من السور واقدم العدو اقدام المتهورين
للسور فلما ازدحموا وكروا واصطدموا واستعروا اتيت لهم الاوتار
من القسي فطارت لها السهام ودعتا اليهم الاقدار بحنين الحنايا فلما هاي لباتهم
الحمام وزارتهم من الزيارات الجروح واخذت سرائهم تنوح ورشقهم المجانيق
بالاحجار وآذنت عيونهم بجمعهم بالانفجار وخرج اصحابنا عليهم الى الخيام وقلوهم
تحت الاقدام واوصى الحرق بالعدو الى الخرق فاحتلق حده حدينا حده اولئك
الخلق ٥ ٥ ٥

ذكر حوادث تجددت
ومستجدات حدثت ٥

وصل الخبر في سادس عشر شهر رمضان من حلب ان صاحب انطاكيه اغار على
عزه لسيره ونشره ووصل الجاسوس بخبره وبما البلاد منتشر فيه عليه من
خطره فرتب اصحابنا له كمينا ثم خرجوا عليه شمالا ويمينا فقتلوا اكثر
رجاله وافلت بماله في باله وانهاض من تلك النهضه وضعف من تلك
العضه وفي هذا التاريخ القى الفرنج الى ساحل تل بطستين حرجتا من
عكا بجماعه من الرجال والصبيان والنسا للتعريب وفيهما امراه محتشمه

معي مدة ما حزنا واخذوا واحدث وجة الفرج في استقلالهما
فيما استقدت وشرنا ما شاء العدو واتانا الله احسانه المرجو وفي عشيه
الاثنين تاسع شهر رمضان رحلنا الى منزل يعرف بشفرعم وحصرنا الرجال
النقلا وعم وكان سبب ذلك انه اكثر المشتاء منون البها من الفرج واخبروا
انهم يخرجهم الخروج الى المرج هائجين للثار ثائرين الى الهيجا ماضين في دماء الدماء
اسيافها وصح هذا الحس وصدق وصح الخبر وتحقق فاحضر السلطان الامراء الاكارم
ورجال الحقايق الصرائح الذين لهم اعوان صدق لساعات ايامه وذخائر نصر عند
احترامه فاستشارهم واستنار من شرارهم واستنبط دفاين ضمائرهم
واستكشف منهم الصواب وتعرف من جانبهم الجواب وقالوا الصواب ان نفسح
لهم عن هذه المروج حتى يكون دخولهم اليها يوم الخروج فنصبحهم في اليوم الاخر
ولا نعدمهم احداق العساكر واما لا تقدرون على القصد دفعة واحدة الا اذا
كانت ايديهم متساعدة واراهم متعاقدة فان انفردوا عن الراجل وسافروا
كسرناهم وان يرفقوا بالرجال قصدناهم حيث نزلوا ولقيناهم وصددناهم
واجمعنا على ان نرحل الى شفرعم ونخيم على هضابه ونطل على العدو ما كان من
البيات في حسابه فخيمنا هنالك على الحسن نعيبه وسببنا اسباب اللقا الى
نسيبه ورحبت المنازل وعذبت المناهل وعادت معالم تلك المجاهل وطلت
التلاع والاكام وركزنا تلك الاعلام الاعلام ونزلنا لمقام السما مشتعة
والاسباب النوفي من الامطار مستحدثين واصبحنا على تلك الاطواد موطدين وعند
تلك الاوتاد موتدين وتسمت تلك الفروع وفرعت تلك الاسمه

وتمكنت تلك البنى وتبت تلك الامكنة وتركت بذلك الخيام شعبها
واحب الرجال التوطن بها وسلت عن اوطانها ودارت الاسواق ودرت
الارزاق وانارت الافاق وصقلت الصلادم على معالفها وصفانت للهاذم
لمراعفها ونوز البرك على الها بدور وبرود ونعيد رسم الحفظ والحمايه
ونعود بنواوب للزحف متعاقب وللاقران تتواقع وللوقائع تتوالى
والاعوان متعاضد والاعضاد تتعاون والعتاق تصهلها اخت الطراد
وتحمحم والرقاق تملبها تشوق الجماجم تحمحم والمقربات للاحراض وهيز
والصوامر للشد صوامر ومنى المناصل صله القطع ورجا الرجال نبع البصر
في فرع النبع بالسبع والتوحيد للتثليث منازل والايمان للكفر مقابل
ولا كلام الا للكلام ولا سلام الا بالسلام فلا نسمع الا اسرج والجم وتقدم
واقدم واهجم وصمم واضرب واصرم ولا اله حتى بلهب ولا نعم حتى يخيب واقطع
وصل واكتفى بصاع المصاع وكل ولا يقلق واقدم والق وقاتل ولكل داع اجابه
ولكل ساع اصابه ولكل سهم في الدمي فوق ولكل سهم في المرام سوق
ولكل صعدة من الطعن صدعه ولكل نعره الرماة قد عدا لكل عقدة في
الضرب حل ولكل غدة في الحرب فل ولكل عضب عض ولكل ذي تحط
حظر ومن له نصيب في الشجاعة نصب في التشجيع ومن له جراة في الهيجا
هاج الى الصرح بالجد السريع والايام متتابعة على هذه الحالة متدرجة ومتباده
الجديد بانواه الوريد ممتزجه والفرج منتظر والنواظر متفرجه
ونباشر صباح الصفاح في دياجر القتام متبلجة ولله نعمه في كل ليلة وشرى دائمة

ذكر وفاة زين الدين صاحب اربل

ليلة الثلثا ثامن عشر من شهر رمضان وما جرى بعده من الحال

قد جرى ذكر هذا الامير وما تحلى به من الكرم والخير وهو يوسف بن التجيبن
كوجك ومن سعادة جده ما طلب غاية في الكرم الا ادرك وما دار اسره يوم
... ره يوم وفاته فلقد كان جاريا بالكتايب بارا بالاباعد والاقارب
ساريا باسدا المواهب دارا باخلاف الرغايب مارا في سبل المناقب قارا على
فرق النوايب وكان في ريعانه الرايع وشجاعه الشايع وشبابه الطري طرير الشبا
وحده يحيي السودد معقود الحبى فمرضت الايام بمرضه اياما وتلهبت
القلوب منا للتلهف عليه وقد امسيت مراصا صرا ما وعدته بطبيب السلطان
فلم يأنس به ولم يسكن الى طبه لما كان يعلم من منافسة اخيه مظفر الدين في موضعه
وانه يتعشق مصرعه فاكتفى بصاحب له يطبه يوافقه على ما يحبه وهو جاهل
بمزاجه ذاهل عن علاجه فنشب الحمام في حمى شبابه بارد وادوى غصنه عداه
فلنا ما ازهى ازهاره وما انضر نضاره ونقله الله من جنات الحيوة الى حياة الجنان
محلا به بجاره لاحسانه بالاحسان وحوله من بين الاتراب الى التراب ومن دار الاغمار
والاغتراب الى مواطن الثوى بالثواب وازدرى الزمان بعد الاجدا بالاجداب
ولزمه اخوه مظفر الدين حتى فارقه وما ظهر عليه الغم حتى قيل انه سره وواقعه
وقصرناه معزين على طرايه جلس للعزاء فاذا هو في مثل يوم الهنا وهو
من بها من حجيم اخيه واحتاط على جميع ما حويه ووكل بالامرا ارباب
القلاع ليسلموها وخشي ان يعصوا فيها اذا رجعوا اليها وحموها

وخدم بخمسين الف دينار حتى اخذ اربل وبلادها ... وسلط
والبلاد التي معه واعادها وزاده السلطان شهرزور ... بتيسره الاسباب
والامور فاستمهل الى حين وصول الملك المظفر تقي الدين ليتركه في منزله
حنده وصحبه المباينين فوصل يوم الاحد ثالث شوال يحلي بعد العطل الاحوال
وكان قد انفصل صاحب الجزيره معز الدين سنجرشاه ... اياما
وكان السلطان له في الانفصال عاتبا فاعاده تقي الدين من الطريق ...
استحسنه في ترك الموافقه من عدم التوفيق وكان هذا سنجرشاه دخل ...
بكره للهنا فاستاذنه في الانكفا فخرج على حالته وسار دبعه اصحابه
وخ ... ولعدد اصحابه فلما اجتمع به تقي الدين رده ونزل في ضيافته منزلته
عند السلطان حفده وكان عم الملك عماد الدين صاحب سنجار المقام ... في
الاستيذان في الرحيل منه الاهتمام وصدق الاعتزام وتقرر ... وتكرر
سواله فكتب اليه السلطان

من ضاع مثلي من يديه فليت شعري ما استفادا

فلما قرا هذا البيت ما راوح في الخطاب والا غادي وغلت الاسعار عند الفرنج
واستعرت الغلا واعلم ما عراهم وعرتهم العلل وبا وابا الوبا وبلوا من البلا
وغلوا من الغلاء وتضوروا من الضراء وشق من ابدهم استمرار الشقاق ...
المجاعه الجاعد وعدموا الطاعه والاستطاعه وزاد جزعهم وزال هجوعهم
وقصرت عن القرار ... واستحال ... وبعثهم الرهب
على الهرب والقحط على السخط لكنهم اقاموا على الموت واستناموا الى

الفوتين وبلوا بامور صعبه وهرب الينا منهم عصبه بعد عصبه وقد بادوا
من الضعف البادي واعدامهم الضر العادي فمن سالناه عن مقتضى فراره
ومفارقة داره اخبر انه طواه الطوى ودوى العوى حين النوى من حذر النوى
وقد الجسته الجهل الدخل وانغض اليه حب السلامه الولد والاهل وكانت
العليقه من الغله بلغت اكثر من مايه دينار والسعر من الزياده لديهم في استعار
فما لحا الاكل ضعيف ولا يقوى على النزاع والنزال الا مسكه لا علاق
رمقه من الاعلال فقبلناهم وانفقنا فيهم والفناهم بما يكفي ضرهم و يكفيهم
فتقوتوا وتقووا واثروا بعدما اقووا ومنهم من اسلم وخدم ومنهم من
ندم وتندم ومنهم من عدا بجريره وعاد ومنهم من ناصح فاستفاد ٥ ٥

ذكر وقعه

ولما ضاق بالقوم درعهم واشرف بهم جزعهم وعرقهم فزعهم واخلف حلف عليهم
وضرهم ضرعهم عيل صبرهم وعال ضرهم قالوا نخرج ونبلي ونصل ونصلي ونقصد ونصد
ونلقى ونعلق ونقل ونقلق ونغير ونغرم ونهز ونهزم ونكر ونجترا ونبري
ونبارى ونرجف ونحفر ونرح ونجر ونجهد ونجهل ونحمى ونحمل ونقطع
ونوصل ونثور ونثير ونذور ونذير ونسف ونتسف ونعقر ونرعف
ونقرح ونحرق ونحصر ونعوق ونخرج ونحرج ونلج ونلجلج ونسري ونسرب
ونعلي ونغلب ونجر ونجني ونسف ونقفي ونرد ونردي ونجد ونجدي ونقدم
ونقدم ونعد ونعلم ونصد ونصدع ونقد ونقدع ونجلد ونجدع ونضر
ونصرع ونسل ونسلب ونروع ونرعب ونبدو ونبيد ونتصدى ونصيد

ونطهر ونظهر ونرهق ونقهر ونقسوا ونقسر ونسر [illegible]
في عدد خارج عن العد واستقاموا مع الاعوجاج على [illegible]
يوم الاثنين حادي عشر شوال بعد ان ربوا على البلد من لازم [illegible]
معهم عليق اربعه ايام وزادها واستصحبوا الحاب [illegible]
وكان البرك على تل العياضيه فركبوا واشغلوا [illegible]
النصال والقسوا فنزل العدو تلك الليله على ابار كنا حفرناها [illegible]
بنزولنا هناك والحميه الحاميه المنبعثه على تلك البعوث ما تركت الا [illegible]
فباتوا حول القوم يرمون ويدمون ويسورون ويسمون ولما اتصل خبرهم
بالسلطان رحل الثقل الى ناحيه القيمون وثبت الله القلوب على الامر
والسكون وبقي الناس على خيلهم حراسا وقد استعدوا لامر من الكريهه
الموارد وركب العدو يوم الثلثا سايرا وقد عبا عسا به راجلا ورهب
عاده رايرا وطما بحره مايجا وسمى جمره مارجا وعساكرنا في احسن تعبيه
ولدعا القراع في اهي تلبيه وقد امترجت زجرات الجاوش الى سعراف
الجيوش والميمنه الى الجبل ممتده والميسره الى النهر بقرب البحر وصفوفها
منشيده والسلطان في القلب كالقمر في الهاله عليه اكليل من انوار الجلاله
فسار حتى وقف على تل عند الخروبه على الهاله الحاليه والحاله المحبوبه
وقدموا ميمنته عظما دولته صاحب دمشق ولده الافضل
وصاحب حلب ولده الملك الظاهر وصاحب بصرى ولده الملك الظافر
واخوه الملك العادل والامرا بعسكرهما يلي حسام الدين لاجين

ذلك كان الحمى صارم الدين والامير بشاره صاحب بانياس وهو الذي
لا يرحو لهما راية الا ان فيه البابس وبدر الدين دلدرم الياروقي
صاحب تل باشر وقد طال ما نشر الاسلام بما باشر وعده لسوء من
الاسرا بيط ام كرهها على انها بطيب نشرها وعجما المسره
وتنفقد من موهما وامرا وهل فقد موها الملك عماد الدين صاحب سنجار وهو
العاد في الاسلام وعلى الكفر جبار وابن اخيه معز الدين سنجر شاه
صاحب الجزيره والملك المظفر تقي الدين ذو السطوه المبيده المبيره وسيف
الدين على المشطوب الذي تشب بناره الحروب وتصب على العدى
الكروب والهكاريه والمهرانيه والحميديه والزرزاريه وامرا القبايل
من الاكراد اقيال القبال واجادل الجلاد والجرال ورجال الحلقه المنصوره
واقفون في القلب لا بشي لحاق الشرد خا فى بحر الحرب من كل فارس
وهو مارس ممارس وضيغم صائم وضرغام عارم وليث هرهام ملوث بغصماض
ونسور قاشر وهزبر زاير زابر واسد في غاب الاسل وكارع في القراع
باب الاجل وقار بعالب الحرصان وذياب الطعن من دم الاقران وقار على
اللباب على فلو شبات الشجعان وقاري ان الله اشترى من المومنين
انفسهم واموالهم ثقه بوعد القران وقارن نجح النجح بعمره عمره
وبذله في الجهاد المتمع بعمر الجنان وسابق الى حلبه الشهاده وسابق
الى ذروه السعاده وملابس للروح مباشل وغاسل كالذيب الى
ذب العدى عن الهدى بعاسل وسار الفرح شرقي

النهر لنه مواجهين للكريهه غير كارهين حتى وصلوا الى راس النهر
اشتقوا من راس النهر فانتقلوا الى غربيه ونزلوا على التل بينه وبين
البحر والجالبشيه الرماه حولهم جابله دعون اعيان العدو على
نصالنه سابله وخرج في ذلك اليوم وهو الملك دلوم اهل البيليت
وما نيه عن كثير منهم باب النايب الكريث والسلطان في الجاليهه
حيث يشاهد ولله منه الجاهد المجاهد واصبح الفرنج يوم الاربعا الى
وعن سبيل القنا نا كبين ووقفوا على صهوات الجبل الى صحوه النهار
والراجل مطيف بخارفهم كالاسوار دا صحابنا قد قربوا منهم حتى
كادوا يخالطونهم وارادوا ان يباسطونهم والسلطان عمد الرماه الجاره
بالكماه وهم ثابتون ساكنون ونحن نقول لعلهم يحاولون ويعصون
ويحملون فنتمكن من سبيل حملتهم بحملتهم وتفريق جماعتهم وتفريج الغمه
منهم واحس العدو بالضعف وانه متورط في الحتف فسار موليه
واحدوه لدعره ملبيه ومضى على مضض ومر باشد مرض على مر والنهر
عن يمينه والبحر عن يساره وقد ايقن ان صح منه الثبات بانكساره وعسكرنا
يزاحمهم بالصفاح ويكفهم بالكفاح ويشغلهم بحمرات السهام ويلهبهم
بجمرات الضرام ويخرقهم ويشوبهم ويفيض على عدوان الشوايع منهم
جداول القواضب ويخوض في دامها الدامل منهم شواح السلاهب
ويغيض في ماء الوريد منهم ملك الفرند ويغطني الكفر في الجمع بين
الاختين ابني العمد والرند وادبروا موليين وارخصوا من مهجهم

ما كانوا مغلبين وعسكرنا يتبعهم ويعلق بهم ويقلعهم وهم مجتمعون
في مسيرهم مجتمعون في تقدمهم وتأخيرهم يتحركون في سكون
وينتظمون في حصون ويحتطون في غروب ويسلون بعد دب
ويرتدون من جمود ويلتهبون في خمود وكلما صرع منهم قتيل
ستروه وحملوا الدابه وطمروه حتى يخفى امرهم ولا يصح لدينا
كسرهم ونزلوا ليلة الخميس على جسر دعوق وقطعوا الجسر حتى يمنع
عنا المهم دعوق وابلى المسلمون في ذلك اليوم في الجهاد بلاء
حسنا واتوا كلما كان فيه مستطاعا ممكنا وقام ابناس الطويل في
ذلك اليوم مقاما اقعد فيه من الكفر كل قائم وانبه من العزائم كل
نائم وكان مقداما هماما اسدا ضرغاما تطير وحده الى الروع اذا ابدى
اه ناجده ويجيب المستصرخ ولا يبالي عما يدعوه اليه وهو في كل يوم
يصبح في سلاحه شاكيا وبنار عزمه ذاكيا ويقف بين الصفين ويدعو
الى المبارزة والحين فما يبرز اليه الا من يصرع ولا يصل اليه الا من يقطع
فعرفه الفرنج وتحاموه فما اموه بعد ذلك ولا راموه وبذل
هذا اليوم جهده وفل في حدهم حده فاصابته جراحات واصابتهم
اثخانات وكذلك سيف الدين بازكوج ابلى في الجهاد ذلك اليوم
ووقم بيمانه ونصل له القوم وخرج وبه خرج وفي قلب العدو وعينه
من مهابه انتقامه واصابه سهامه قرح واصبحوا بكره الخميس وقد
بكر الخميس وحمي الوطيس وسار في اسد العريس فاسرنا عليهم

واذا هم داخلون الى مخيمهم سايرون الى مخيمهم فجاذ السلطان الى
سرادقه حامدا خلائق خلائقه مسفرا في ليل العجاج ولق قبالقه
واستعاد الانتقال الى معسكره واستراح من الله له الاقبال في مورده
ومصدره وتحجير بتفرده عن ملوك الارض بعون ملاذي السما وتفرد
بمفخره وكان مع الفرنج الخارجين المركيس والكندهري واقام
الملك الالماني على عكا يفري ويبري ٥ ٥ ٥

فصل من كتاب في المعنى ٥

خرج الفرنج يوم الاثنين حادي عشر الشهر واثقين من ملوكهم الحاضرين
بالظهور وقوة الظهر وفي مرج عكا عين عزيزه الملاحم منه لثم الى
البحر فخرجوا الى شرقي النهر ونزلوا بالقرب من مخيمهم على البلد وقد
تخلف لحفظ حصره الوف من اهل الجلد ثم اصبحوا يوم الثلثا والنهر
يمينهم والاسد سايره بالاساطيل في غربهم والحمية مشتعلة في عيونهم
وعرانينهم ونزلوا راس العين وتطرق منها اليهم من عساكرنا المنصوره
طارق الحين ولما اصبحوا وجدوها بهم محرقه ونيران المناصل والنصال
لهم محرقه وكنا نقول انهم يتحركون للمصاف والامر بالخلاف
فانهم لسهام المنون من الاهداف وما دارت بهم الا الحا للسنه
تحول وتنوب وتصيب وتصوب وكانت الاجلات واقفة تنتظر
حملاتها وتستعد لوثباتها ونثباتها فلما ابصر الفرنج ما حل
بهم من العذاب عدوا الغنيمة في الاياب وشرعوا في الذهاب فعادوا

من غير النهر راجعين وساروا واصبحوا خيامهم مستبشرين واصبحنا
وراهم من يومهم وسووتهم ديمومهم فقتل منهم خلق وسرى في عجب
حيايهم خرق ونزلوا تلك الليله على الجسر دقطعوه وباتوا خايفين
لما يتوقعون رحلوا سحرا خاسرين هايبين وخيولهم الناجيه مجرحه
حملوا بهم الراجفه مقرحه واشلاوهم من كسوه الحيوه عاريه
في البحر مطرحه وعرفوا ان حركتهم للهلكه وان هلكهم في
الحركه واقاموا على الضر والزاد معوز وم والبلا لكل منهم
مفرد وعليهم مقسوم ولاطمع لهم الا من الحيل وهم يدعون بالثبور
والويل ومع كثرتهم قلوا عندنا وصلوا رحلا وذلوا ابلا واعتلوا
جدبا وغلا ولما عاد الفرنج الى خيامهم خاسين من ربهم
محققين من مرامهم وابصر المقيمون بها اصحابنا وراهم يطلبون
اردآهم وثبوا على جيادهم وثاروا المراد من مرادهم ولاقوا جمعنا
باجمعهم وقاموا القنطره من منعهم فاندفع الاصحاب حتى
بردوا ثم ردوا عليهم الكره واثخنوا واجهزوا وقتل في تلك
المعركه كندكمر وشيطان لنار شره من سعيره مستعير
وطلبوا بعد انفصال الحرب جثته فاعطوها والتمسوا هامته
فلم يجدوها وكان رجلا يعد برجال وسلبه قوم باموال ولولا
ما اتفق من الثبات من راح السلطان ما سلم من سلم من حرب الشيطان
ولله في كل قضيه سر وفي كل بليه بر

٧٥

ذكر وقعة الكمين

وما زال السلطان موفقا في ارايه مشرقا بلالا الايه ومن ارايه الراجحه
ومساعيه الناجحه ومتاجره الرابحه انه راى ان يرتب على العدو كمينا
وعلم ان الله يكون نجحه ضمينا فجمع يوم الجمعه الثاني والعشرين من شوال من
منتخبي رجاله ومنتجبي ابطاله وخواص اتراكه وعوام فتاكه فانتخب منهم من
عرفت سابقته وسبقت معرفته وحمدت في الجلاد جلادته وفي اقتناص
العداه عادته وعلت في الفتك جهالته وامرهم بان يكمنوا على ساحل البحر
بقرب المنزله العادليه القديمه فمضوا واكمنوا الليله السبت منتبهي الهمه
متيقظي العزمه وخرجت منهم عده يسيره بعد الصباح مناديه بحي على
الفلاح ودنوا من خندق القوم وما خرجوا الا بعد بعد اليوم ومطروهم
سهاما واشعروهم ضرامها بطمع الفرنج فيهم وظنت انهم بلا فيهم
وخالتهم صيدا قد سنح وشربا قد شرح فقطعت خنادقها وثبت
علايقها وجنت سوابقها واخاضت بحر الحرب سوابحها وقد افاضت سوابغها
وشامت صفايحها وتجردت عن رحالها وتفردت بضلالها وحملت
بحمالتها واقبلت بادلالها لا بدلالها وتطارد اصحابنا امامها وانهزموا
قدامها حتى وقفوا على الكمين واوقعوها في الهلاك المبين فخرج الكمين
عليها وبادر اليها فلم يستطع فارس منها فرارا ولم يطق من عزته ان يمضي
غرارا فكانت في مائتي قنطاري من كل مقدم باروني وبطل داوي واسبتاري
فقتل معظمهم ووقع في الاسر خازن الملك وعده من الافرنسيسيه

ومكنهم وملكوا وسلبوا دماك سلبهم ونقطع بهم سببهم وما وصلهم
ارتسمم وجا الخبر ليتنا فركب السلطان وركبنا وسار ووقف على تل البستان
تشاهد هنالك من الله الاحسان وجاء مماليكه يقودون اوليك الاعزه
خزام الذل ويجودون بما استخلصوه من ذلك الفل ويقدمون المقدمين
من سراة الاسارى وتلونا لما شاهدناهم وترى الناس سكارى وما هم
بسكارى فقد رضتهم الحتوف وقصفتهم الليوث وبعثتهم الى مصارعهم
الظاهره من مكامن الاجال البعوث وترك السلطان الاسلاب والخيول
لآخذيها وكانت باموال عظيمه فما اعارها نظره ولا تردد امره فيها
خضر كانها حصون وزرد موضون وخود منها مذهب ومدهون
وسيوف ذكور يتولد منها المنون وملابس رابغات يحار فيها العيون
وابنا الملوك مصفدين فحمدنا الله الذي بارشاده هدينا وجلس السلطان في
خيمه على دست ملكه وقد انتظم له عقد النصر في سلكه فمن دار عنده
اسيرا احضره فانعم عليه وشكره ولبث عند السلطان جالسا
والجسر الجسور لابسا وقد جمع عنده ذلك الاسرا وما اسعد الله الا في تلك
الساعه اوليك الاشقيا ودامت محاورته لهم مشافهة واطعمهم بعد
ان سقاهم فاكهه ثم بسطهم ببسط الخوان واشبعهم وارواهم ثم احضر لهم
كسوة وكساهم والبس المقدم الكبير فروته الخاصه فقد كان الزمان برد
وفصل الشتا قد ورد واذن لهم في ان يستمروا غلمانهم لاحضار ما يريدون
احضاره ولاعلام من يوثرون يعرف معارفه اخباره ثم نقلهم الى دمشق

١٧٦

للاعتقال وحفظهم بالقيود الثقال ٥ هـ

فصل من كتاب بشرح الحال
ووصف المقام بعد الاعتدال

ولما كانت ليلة السبت ثالث عشرين شوال كانت نوبة اليزك للاجنا الملكية
العادل فاشار بعده انه يكونون في الكمين ويقيم في المسلمين اقامة حاجر ان
الاسود في العرين فانهض اليه من مماليكه سريه شرفت به سرايا الشهب
وشرف ودفن في مكمنها الى ان طابت الانفس بصفعها وقرت ولما اصبح
الفرنج يوم السبت خرجوا على العاده غادين وللمنايا الى ناديهم
منادين فاستطرد من حضر من العرب والبركيه قدامهم واظهروا انهم
قد ظهروا عليهم وهربوا ورهبوا قدامهم ومال الواثقون وهم وراهم
ويقعون فيهم رجالهم حتى ابعدوهم من المامن وعبروا بهم عن المكمن فخرج
عليهم الكمين من خلفهم وفتح عليهم ابواب حتفهم وازوهم وجوه المنايا
في مزايا عرى الجهاد ونزعوا عنهم لباس الجلد بماس الجلاد ولقوا البيض
بالبيض ومحوا الحديد بالحديد واشعلوا نار الظبي في ماء الوريد ونضوهم بالفضا
وعروهم بالعرا ولثموهم باللثوب ونثوا اعناقهم من حبل الوتين المسنوب
فلم ينج منهم ناج ولم يبق منهم للنقا راج واسرت عدة من مقدميهم
ومعروفيهم ومحتشميهم وكانت هذه بحمد الله نوبة بغير نبوه
وكرة بغير كره وغزوه ادنت باوفر حظوه وفعه ادنت بل
احنت كل ثمره عذبة حلوة والحمد لله الذي تركوا نعمه نسقينا الحمد

وترشح عوارضه لنشا كربها حدد الحد ولولا مرضنا في النوبة الاولى
الى خرجوا فيها باجمعهم لما كوحشا شاتهم بل نقحل مصيرهم الى
مصرعهم ولكنا ما قدرنا في ذلك اليوم على الركوب وجلسنا على البعد قريبه
ننتظر ما يكون من العسكر المندوب والان نحمد الله فقد توفرت حصه
الجمعه والرمت منه المنحه وكذلك مرضنا عام اول سهرين والحمد لله على المهله
في المشتيين فما اقمنا مع السقام وسقمنا في المقام وصبرنا وصابرنا وجهدنا
وجاهدنا وجاهرنا ومقامنا في هذه المدة المديدة في البلد الغور
الوخم فيه يقضي على ما الصحه بالعور وما منه الامن الثبات فاعانه
الله بغيث فضله المدهه دمه الابيات والحمد لله الذي اعان واغاث

ذكر هجوم الشتاء ومقام السلطان على الجهاد وعود من سار من العساكر الى البلاد على رسم الاستراحة والاستعداد

ولما تشتت شمل الصيف الربيع بشمل الشتاء العنيف وانحرف حريف الخريف كانحراف
مصيف الصيف واشتعلت رؤوس الجبال شيبا للثلج وحل الوحل المخيم حبسته
المحر المرح والتحفت كل هضبة ببرد البرد واكتست الغدران من الجلد
بالزرد المسرد ولبست بنود الدرى بيض بيض الغرا وجر الشمال الذيل
وجرى وطمى المطر هوادي الوهاد وقبض انامل الانام عن البسط
للجهاد وجمد الجمر وخمد الجمر وارتعدت الفرايص وارتعشت
الاخامص وقرست الايدي وامسى الجو بالحوى المسى يعدو ويعدي

وحل الهوايا الوهم عقود القوى وعقد المترفون على حب الاصطلا
الحبى واشتغل الملوك بملازمة المثاني ومنادمة الموالي ومنافسة
المناقل ومعاقلة العقايل ومعاقرة العقار ومسامرة السمار ومداراة
الدنان واجتناء الجنان ومناغاة الغواني ومناجاة المثالث والمثاني
وملابسة البيوالف والبيلاف وملامسة اللطايف واللحاف
نار عزم السلطان حر السنة العاني ووقف مع عزايمه الماضيه
مشى الى المثاني ومناصرة الردعن مقصده ولا رده عن مورده ولم يحتفل
باحتفاله ولم يبال ببلاله ولم يكترث بكارثه ولم يحدث امرا لحادثه
فاعتاض الاصطلاء بحر الحرب عن الاصطلاء بناره وجرى على عادته في مبادرة
الاعداء والجري لهذه في مضماره ونال الهدا عن الله ولازرقه فرصد وسما الى سما
الالاء وارصاده لما طهر بدم الجاس اعدائه ارضه واستمر على بذل جهده
في الجهاد ووفي بعقده ولم يعبه حفا العهاد وقال انما اربا بهذا الارب
واري راحتي في هذا التعب ونفسي بقيني في ثلج صدري بلطف الله عن
الثلج وما برد قلبي مع تقلب الحر والبرد الا ببرد النصر والفلج لكنه
ان مقام العساكر جمعها وصرفها عن العود الى البلاد ومنعها
يورث ملالها واختلال امورها واخلالها فالفرج قد امنت غايلتها
ويكفي في ملازمة قتالها في نوبة مقابلتها فاذن لجماعه في الانصراف
على المواعدة في المعاودة في الربيع والرجوع الى مراد الروع المريع وليجددوا
اسباب الاستعداد لاوقات الاستدعاء وليستكثروا من المحققين

في نصرة الحق للذب من اهل البغي والعناد والمضارب والمكايد فسار
صاحب سنجار عماد الدين زنكي خامس عشر شوال يوم الاثنين وبلاه صاحب
الجزيره ابن اخيه سنجر شاه لبكره مصطحبين وسار بعدهما ابن صاحب الموصل
علا الدين بغره ذي القعده وما انصرفوا الا بالتشريفات والخلع المعدّه
وشيّعهم السلطان بكل مكرمة سابقة سابغة وخلعة رايقة رايعة
ومستعملات مصر ومصوغات سر وخيل عتاق وخيم واطلاق ٥

فصل من كتاب الى صاحب

الموصل عند عود ولده اليه وينعت بالملك السعيد علا الدين
ما كان اسعدنا بقرب الولد السعيد وما اجدر جدنا بانارة نوره وادوم حبورنا
بحضوره واشهد شهود صدق دلايه على شهوده وما ابهج الاسلام بنصره
ناصره ونجده وليه وودوده ولقد يمنت بايامه ايامه وبركات مقامه في العدو
نكايات وظهرت لاوليا الله من الطاف هداياته ايات ووقعت بالمشركين
روعات وراعت وقعات وقد اردنا ان نستظهر بمرافقته ونبني على موافقته
تمام شعده وما اسعدنا بمنه وما اوفر وريه وما اعز بزيه لكنا عرفنا
شوق المجلس الى احتلا سناه بمقتضى ادابه التي استكمل بها ادوات
الارتقا في مطالع علاه فتدفا وتسد ادرايه الكهول وما ازكى الفروع
الطيبه اذا اشبهت الاصول وما اسعد الملك بالملك السعيد علا الدين
ادام الله علاه ونشر بفضايله اوليا وقد توجه والقلوب معه متوجهه
والنفوس لغيبته متكرهه والعيون لترقب ورود البشاير عنه منتبهه

والايام لطلعة الاستيحاش له بالليالي متشبهه والموارد الى ان يمن
الله بعود الانس بعودته متشبهه والالسن بذكر اخلاقه الطاهره
والافامه في شكر محاسنه الزاهره متفوهه والخواطر فيما تمليه ايام
الاستعداد به في صحايف الاثنيه متنزهه ولاشك انه يصف للمجلس
الفسيحه ما اقتناه من المناجح الربحه وقدم من المساعي النجيحه الفسيحه
في الغزاه من مغازيه الفصيحه واداه في الباس من بسالته المشيحه وطلعه في طلب
النجاح من صبحه بهجته الصبيحه وله في كل نصر وهبها الله للاسلام اوفى
نصيب فقد اصمى مقتل الكفر بكل سهم مصيب وهو بمستمنح الهدى
اسمع ملبي واسرع مجيب وان الله له بسفور صبح سعادته ووفور نجح ارادته

ذكر ما تجدد بعد ذلك في هذه السنه

بما هاج البحر وماج واظهر الارتجاج والانزعاج نقل الفرنج سفنهم خوفا عليها
الى صور فربطوها واخلوا ساحل عكا من ارعابها وارعاعها وخلا لنا وجه البحر
وغابت عن الساحل مراكب الكفر فاشتغل السلطان بانفاذ البدل الى البلد من
الناس في الجلاد على الجلد وانتقل الملك العادل بمخيمه الى الرمل ونزل
بالطبع نهر حيفا في شغل الحل لتسهل لهم نوبه من يسيروه من البدل فان المقيمين في عكا
شكوا امراضا معترضه واعراضا ممرضه وكثره السواد مع قله النفقه
والزاد وكان في البلد زها عشرين الف رجل من امير ومقدم وجندي واسطول
وحري ومتعيش وتاجر ونواب وعمال وقد تعذر عليهم الخروج فسكنوا واذا
غابوا خوفا على الموضع ووهنا عادوا وما وهنوا فراى السلطان ان يفسح لهم

في الخروج رفقا ورأفة وما افتكروا في ذلك مخافة وآفة فقد كان قبله امرا امروا
للامر والقوا الصبر وما نعوا الحصر واجتروا وكاسروا وصبروا وصابروا وحاربوا
وجربوا وحاروا وجربوا وزاولوا وازالوا وحاولوا واحالوا وعرفوا مكامن المكايد
واستفرغوا كل امر الغصايد وأخذ كل موضعه في الحرص على الحراسة وشاعوا السماحة
والحماسة وكان فيهم من يطمع وينفق ويجمع الرجال وقلوبهم بما عليهم بعرق وحسام الدين
ابن ... التميمي فانه انفق ما ادخره من الالوف والمايين مستمرا على الفاقة ولا يعيره
نفسه ... املاق وهناك ستون مقدما واميرا كلهم بر العزم في سبيل الله مغما
وكانوا يستعينون بالعوام وكثرة الناس في جذب المجانيق والاعانة على ما سوى الحجر
من التمنيق فلما خرج الحول خرج معظم العوام وانبدد بتبدد مطمع الطعام والزم السلطان
جماعة من الامرا تحرموا على ان بعضهم بالدول فلم يقبل منهم بدلا والزم بنقل الازواد
لبعض سنتهم كلا فلم يدخلوا الا بعد لأي وقد بلغوا في عي الراي اقصى غاية والزمهم
صرف رجاله المعروفين المخلصين واقنع من استنجد انتجد امده من المستنجد حصن
واذهبوا الايام بالمدافعة وابطاوا عن نص المنجدين عند الملك العادل هنالك تحنقهم
وتحضهم وتحرضهم وبعثهم على تحصيل المراكب لهم وينهضهم حتى لم يبلغ من دخل
عشرين اميرا مقدمهم الاجل الامير سيف الدين المشطوب علي بن احمد وامر
السلطان في المناداه في الابطال البطالين ليحضروا القبض النفقات وكان
يحضر الجاوش في كل يوم مبين ونجح نواب الديوان في امرهم من بين لحرصهم على توفير
الدرهم وكلهم بالنفقة ويبعد بها من المغرم ومعظمهم من نصارى مصر
ومن هو مصر في نصرة النصارى وفي تعيين ما يجب تسهيله وتعقيد ما يجب

تحليلة لا تجارى ولا يبارى وكل واحد منهم للقبلة قطب وفي الجيش حطب
وللشر شرك وفي الجسر حسك وللمشرك مشارك وللدين بانا تارك ولهم
اخلاق وطباع بالطبع اعلاق يادي الى البخل والتخيل الى التاويل وتقلل لكبير الشر
في الخير سوى التقليل وهم جالبون للبغي طالبون للبغي كاسبون للذم منا يسمون البغيض المسلم
فيهم سوى الخزانة يرى الشح مما يجود السلطان من الامانة واصبعهم الى المصالح
عندهم امنعهم للاطلاق واعرفهم بالحذق اقدمهم واعتقدهم للحق ابعدهم واخوم
ارداهم واملهم اهداهم وهم متفقون فيما بينهم على الخيانة مختلفون في الظاهر لاظهار
الصيانة فكان يحضر هولاء البطالين واستخدامهم ويوحشونهم بخطابهم وينفرونهم
بكلامهم ويعاملونهم بالجبه ويعاملونهم بالبجه ويواجهونهم بالسوء ويسوؤهم
في الوجه ويشترطون في طلب الضمان ويشترطون ما ليس في الامكان ويطردونهم
لقبح الزجر ويكشرونهم في صحيح الاجرة والسلطان يجود جود السحاب ويامر
بالقطع الحساب وحث النواب ونجد في بعث الاصحاب ويقول انفقوا ولا
تخشوا اقلالا وانهضوا الرجال خفافا وثقالا ولا تؤخروا واشغلوا اليوم الى
غد امهالا واهمالا ولا يقدموا على هذا الفرض فرضا ولا نفلا ولا تعتقدوا ان
لنا اهم من هذا الشغل شغلا ونواب الديوان على عادة جهالتهم وعادية ضلالتهم
تماقل العطا غير مضطر فقير وما دخل الثغر الا قليل من كثير وما صح من البدل الا
بعضه وما قضي حق الواجب المتعين فرضه وكان هذا من اقوى اسباب الضعف واوفق
ذرائع الخلف وسيأتي ذكر ذلك في موضعه في سنة سبع وانه عاد كل ما دبر لضرر
على الثغر لا بنفع واقام الملك العادل على البحر لازاحة علل الداخلين وازاحة قلوب

سنة الى صليبهم حتى علا الفرنج مراكبهم وانقطع بوصولهم الطريق وامتنع البلد من
الذي يحول دعلى حفظه من الله بعصمته توكل ٥

وبتاريخ الاثنين ثاني ذي الحجة ٥

وصلت بالعشي من مصر بطس سبع فكان لها الحاجة وقع وقيل قدم بها الحاجب
سبع وانتقل اهل البلد الى البحر لمشاهدتها ومعاونة جماعتهم ومساعدتهم
منتقلين فيها من بضايع وحوائج وسلع رواج وماكول ومطعوم ومشروب ومشموم
وطال بذلك كله عهدهم وانتهى الى الغاية جهدهم فلما استاموا البطس
تسارعوا الى الملتمس فعلم الفرنج بانقلاب اهل الثغر الى جانب البحر فزحموا زحما
شديدا وحملوا حملة واحدة وانتوا سلاليم ليسندوها على الاسوار وصار
رهم حولها كالمعصم في السوار وبرقوا في سلم من احمر وللصعود متصادمين
فاندق بهم السلم المنصوب وسطا بعصابتهم المعصوب بهم النصب سوط
العذاب المصبوب وتدارك الناس وتلافوا وتلاقوا وتعاطوا كووس المنايا
وتساقوا ورادوا غمرات الموت فراودها ودايروا حول رحا الحرب وادارروها واستحلوا
شهد الشهادة فشاروه والفوا الاجل كاسيا فاثاروه وتواثبوا عليهم توائب
السباع على الضباع ورفعوا القوى العواسل الجياع نار القراع واطالوا اسنة
العوالي للعوالي باع الاشباع واسعوا عيون النجيع من عيون الجميع على جداول
الفيض وفاضوا فيوض الدم القاني بالصارم المقبض وقتلوا وسفكوا وفتكوا
وهتكوا وردوهم على اعقابهم ناكصين من حسابهم بالفص ولا استعجال الناس
بكشف ما عرى من الثمد والكلام للظلمة والنهايم بنقل الغلة عن نقل العلة

تركوا البطس كلها مملوة بغلالها حتى هاج البحر نهرين بها
بكسرها كلما فيها واتلف وغرق ما كان فيها واي العدو على الامتعة
التي حصوبها حتى قيل هلك بها زهاء ستين نفسا عدموا ولم يجد لهم خيرا
بامواج القدر منيتهم وذهلوا وحكم القضا البهم متوجه ٥

وفي ليلة السبت سابع ذي الحجة

وقعت قطعة عظيمة من سور عكا على فصيلها هدمته
وثلمته فبان بها الضو لاهل الظلمة فتبادروا اليها طمعا في هجم البلد
اهل البلد وسدوها بصدورهم وصدوا عنها بنحورهم وبنوها بابدانهم
الى ان بنوا ذلك البدن وعمروا ما خرب وقووا ما وهن وقتلوا وجرحوا
من العدو خلقا وسعوا بالمصالحة في كل ذي خرق خرقا فانجلت
الحرب عن طريح صريع وجريح الى الهزيمة سريع وطمح للعقود وسع وعاد الثغر
اقوى ما كان واحكم وكل ذلك بجد بهاء الدين قراقوش حيث كان المقدام
المقدم وهذا الامير قراقوش لما ضجر الامراء وضجوا وطلبوا الخروج اقام ولم
يرم ولم يخل عقد ثباته ولم ينخرم ٥

وفي ثاني عشر ذي الحجة ٥

هلك ابن ملك الالمان بمرض الجوف ولعله من مرض الخوف وادرك اباه في الدرك
الاسفل من النار وابصر في جهنم مصاير اشاله من الكفار وزاد بهلاكه الم
الالمانية واشتد بموته ترح الفرنجية وتبعه في السفر الى سقر لعنه الله كثير
تعالى لا كثر تسلط دافع القدر فما قدر وهلك منهم بالامراض المختلفة

ألقى بذلك الكثير واشتغلت بهم الجحيم واشتعلت عليهم السعير ٥

وفي يوم الاثنين ثاني عشرين ذي الحجة

جاءت المبشرون من الفرنج الذين بعثهم السلطان في براكيس ليغزوا في البحر وبكرتوا البيضا لنا من جواسيس قد رجعوا وقد غنموا وغلبوا وكسروا [illegible] واسروا وثروا وظفروا وذكروا انهم وقعوا [illegible] [illegible] من الكيس وفيها تجار معهم المال الجليل النفيس واسروا [illegible] اخذوا المال وجرت تلك المراكب وجريت الى الساحل فاذا هي مشحونة بالكرائم الجلائل من كل انية مطبوعة ذهبية وحلية مموهة نضارية وآلة فضية واباريق واكواب واقداح واطباق ومواعيد وشبابك وصحاف وكاسات وطاسات ومرافع وشربات فوفر السلطان عليهم هذه الاكتساب ولم يحرمهم حيث حرموا لكفرهم الثواب واظهروا بهذه المعصية انهم متمحون وليس الايمان مصاحبون فلما اكرموا بتلك المكرمة اثنوا على اليد المنعمة واسلم منهم شطرهم وحسن بيننا ذكرهم وببركات الكرم السلطاني كرموا واسروا واسلموا وكانوا قد احضروا برسم الهدية مائدة فضة عظيمة وعليها مكبة عالية ولها قيمة غالية ومعها طبق يماثلها في الوزن ويتعذر وجود ذلك في الخزن ولو وزنت تلك الفضيات قاربت قنطارا فما اعارها السلطان طرفه احتقارا وقال خذوها فانتم بها اولى وكان اول من اسدى هذا المعروف وادلى

وكنت عنده جالسا وبلفظه مستأنسا فقلت له ما اظن ان في الوجود ملكا يسمح بمثل هذا المال خصوصا وقد جمعه الله من الحلال فتبسم لقولي غير معجب به وما قضيت العجب مما اقتضاه كرمه من اريه ٥

وفي الرابع والعشرين من ذي الحجة

اخذ من الفرنج بركوشان فيها نيف وخمسين نفرا [illegible] بحا [illegible] في الخامس والعشرين منه اخذ ايضا بركوسة فيها من الفرنج مقدمون ورؤس وهم نيف وعشرون منهم اربعة جبابرة ممنهم من الاسر حيالة ومعهم ملوطة مكللة باللؤلؤ منوطة بازرار الجوهر مربوطة قيل انها من ثياب ملك الالمان وانه فيه رجل كبير قيل انه ابن اخيه وهو كبير الشان ٥

وفي هذا الشهر ٥

كان قدوم القاضي الاجل الفاضل رب الفضائل والفواضل من مصر فاشرقت المطالع واشرقت الصنائع وسترت المطالب بنجاحه وعرت المواهب بسماحه وغابت بحضوره مكارمه المكاره ونزع لبسه افضاله لباس الخمول ذو الفضل لنابه واعاد روح السلطان باعادة الروح الى سلطانه وسر بمكانه واقر احبابه باحسانه وظهرت في وجهه به الطلاقة وفي قلبه له العلاقة وقوي برايه قوى رايه وتلقى ايات النصر من نصر ايته وانتعش عن ارى مقدمه وانتقش خط خاري بكرمه وحلى عطلي وحيي املي وقوي عملي ووضح

حاسنائي وصح مزاج عنائي ونبه قدري ونوه بذكري ووسع
في رفع رتبتي وزيادة نباهتي ونشر عمري واسنى عارفي واقرني
... تأسست الحظوظ بالحظوظ لي كما كان استكتبني
فنشأت بعنايته وفرشت بساط الغنى فرشت ولولا انني
ربيته لأقويت ولولا أنه أولاني عارفته لما عرفت ولا أوليت
نائله شكر نعمه عمري وعامر كرمه بشكري

ذكر جماعة من المستشهدين في هذه السنة

استشهد في عكا سبعة من الأمراء كل منهم شبع ما في القرية للقرن طمع
ومن جملتهم سوار من المماليك الناصرية وهو من ذوي الإخلاص وكان هذا
سوار في كل حرب مشاورا ولكل هول مباشرا وبكل بؤس عبوس
معاشرا فجاءه سهم غائر فإذا هو إلى الجنة سائر وكذلك عدة
من الأكراد كانوا من الأسد ففازوا بحظ الاستشهاد وخرج
أسطولنا في هذه السنة بشوانيها المعجبة المحسنة لتكبيس شواني
الفرنج في مواضع الربط وإحراقها بقوارير النفط فخرجوا إلى
شوانينا بشوانيهم ولقوا عوادينا بعواديهم وظفرت أساطيلنا
وطالت وصلت النصل وصالت ونالت من الظفر ما نالت وأحرقت
للكفر شواني برجالها وعرفتها بإبطالها وكان عند العود
تأخر لنا شيني مقدمه أسير مشاور كالأسد الخادر لا يصحر إلا

للفريسة ولا يبرز وهو يعرف بجمال الدين محمد بن أركز شنين السمي وشارفه
أعانته أعوانه وامتلأت بالأعطاب أعطانه واضطرت للانكسار ...
واضطرمت بأهل النار نيرانه فتواقع من فيه إلى الماء واحترزوا من البلاء بالبلاء
ووقف الأمير على قدم جلده يجالد ويجاهد وقد أثقله لبس السلاح الحديد ...
العزم الشديد السديد وقد دعاه إلى أمنيته المنية الذكر الحميد والأجر ...
فما ارتاح للروح وما استطاع الانقياد بالطوع ولا مكن العدو من ...
مع الشانئ بشانئه لولا أن ما احبه خيبوا وقربوا فيما صحبه خذلوه وما نفروا
واجتنابه نفسه ثمر النجاة لكن الأجل قطع عليه سبل البصر والسمع وقال الواحد منا
الأمان واستأسر وهون الأمر عليك ولا تعسر ويسر فالعاقل يختار
البقاء على الفناء والوجود على العدم وأنت في عين الهلاك وإن لم يعطنا اليد
وتثبت على هذه القدم فقال ما أضع يدي إلا في يد مقدم منكم الكبير ولا أخاطر
لخطر الأمر الخطير فسموا له كندا ارتضاه وأراد أن ينشر له فيما به الله قضاه فلما
دنا ليأخذ بيده لزمه وعانقه وقوي عليه وما فارقه ووقعا في البحر وغرقا
وترافقا في الحمام واتفقا وعلى طريقي الجنة والنار افترقا فأرتوي الشهيد السعيد
بما النعيم وصلي الكند الكنود نار الجحيم واستشهد أيضا في ذلك اليوم الأمير
صبر الحميدي بجرح فمضى حميدا وشهد مقامه في الجنة شهيدا وسعى دهره حتى قضى
سعيدا ولم تخل وقائع هذه السنة من استشهاد جماعة من أمراء العسكر وسعداء
المعسكر مكرما المحشر وندما الكوثر وحلفا المفخر واستشهد يوم تاسع
جمادى الأول القاضي المرتضى بن قريش الكاتب وكان صدرا يحمل به المراتب

زرديا مباري القلم بلبغة بالغ الحكم مهيبا خشي من هو بالا يعنني وهو في اهيه من
الهابه وكسه من الكتابه صوبه في الصواب منتجع وخطابه في الخطب مستمع
ولرايه ري وريا بتدبيره للامور بتعمد الاوامر السلطانية دينا ودنيا ولم
يعن في الكتابه له كفو ولم يزل الحروق الخطوب بقلمه رفو وكان رجل دمشقي
اشتريه مليك بنه منشوق قد تركه ورغب في ابتياعه القاضي المرتضى ليملكه
فعاصى قاضي نابلس مرارا باحضاره فلما احضره حضر رغبة في البيع على ايثاره
بانعواق الثمن ونقد دنياره فانفصلا على التراضي وبخ شعي القاضي للقاضي وبكر
البايع الى سلام المشتري ووثب دنوب المجتري وطعنه بمدبته وهو امن في
خيمته وفتك به فتك اللعين ابي لولوه بالفاروق وخرج من الخيمه كالسهم في
المروق فلقي قاضي نابلس فقتله ومضى يسلك سبله فادركه الناس وقتلوه
وكاد يفلت ولم يعاجلوه فجع المنصب بمصابه وناب عنه اخوه مع نوابه

ودخلت سنة سبع وثمانين ٥

والسنة لم تشمله شملت شمله وعقد البرد لم تغرب محلله والغيث غيث
ولدور الربيع زيت والشحب شح وللضحى شح ولعين الشمس غض ولوجه الغيم دمم ولايدي
القارص بسط وقبض ولنواظر البرق تنبه وغمض ولنواجد البرد كشر وعض ولفض
الفصل ختم وفض وكل صاد في بحر كانون نون وكل ماء بالجليد كانه زرد
٢ مسنون والاوحال اوحال والاهو اهوال وللشمال شمول وما للقبول
قبول وللجنوب ذنوب وللدبور في اقبالها وادبارها هبوب وللصبا
صبابات وصبابات وللندى الندى خبابات وسرايات وللجو الجوى ابات

ونكايات وللغمايم غمايم وللعام الرئي من هامي الذباب تمايم وللتحيه ثبات
وللشبا سباط شبات وللرواعد رواعف وللهواتر هواتف وللارواح رواح
وغدو وحركه وهدو ومحنه وسلو ونزول وعلو ونصفة وعتو والرجعة التغابا
من الرياح الحماري ردايا اذانا دحايا المروج النابته في روابيا الثلوج انا ازاله
خفايا والعواصف القواصف عواصف غير قواصر والعارض عارض الحرب في البرلس
عارض في الفوارس فوارض والخوالس جوالس والبحر في هيجانه والغيم في هطلانه
١ والسلطان مقيم بمخيمه على شفرعم ولطف الله قد خص وعم والملك العادل
سيف الدين نازل على الساحل عند نهر حيفا لتجهيز البدل في المراكب الرعايا
والسفن تدخل اليها بالازواد وتعود وترجع اليها بالاجناد وتخرج وتخرص
وترسل الى السلطان وتستنهض والسلطان يفارض النواب في ذلك والدهم
تعوض وفي كل يوم تعرض الرجال وينفق فيهم المال والامر مستمر والقرار
مستقر والبركة زكية وتسنم في المناوبه نسيمه ولوايح عزمه
ذاكيه وبوارق مكرمانه ذكيه والمماليك الخواص ومن خصهم وعمهم
للاستخلاص يعادون القتال ويراوحونه ويكافون العدو ويكافحونه
ويحاربونه ويحارجونه ويبرحون به ولا يبارحونه والعدو على عكا حاشد
والضاله صلالا له ناشد يختمون ويكومون ويرامون ويرمون ويدنون
ويستون ويحبون الى الكفره سوط العذاب ويصبون وقد تسموا
الاسوار على الاجساد والابراح على الامراز واستقبلوا النعمه في
البلاد والسعادة في المشقه التي بعدها الاستقبال من الشقاء وحدوا

فأسلفوها واستوعروا كرة استسهلوها وصادفوا ملة صدفوها
أو لغوغمة كشفوها وصرفوا وجوههم الى نيابة صرفوها ٥ ٤ ٥

ذكر ما تجدد من الحوادث
وتيسر للعزائم من البواعث ٥

يوم الأربعاء تاسع المحرم سار الملك الظاهر لقصد بلده صافيا بالعزم
المصمم والرأي المحكم وفي ثالث صفر عزم من بقي من أصحاب الأطراف السفر
لأن السلطان رخص لهم في ذلك فاسمحوا في عودتهم الى بلادهم المسالك وأقام السلطان في
أبهته وخواصه وملازمي بابه وملابسي خدامه ورجال رجائه وخلصاء وليائه ومقربي
أمرائه وفي هذا اليوم رحل الملك المظفر تقي الدين لتسليم ما شرقي الفرات
من البلاد التي كانت مع مظفر الدين مضافة الى ميافارقين فصارت معه حمله
والبلاد منه والمعرة وسلمية والرها وحران وسميساط والموزر وميافارقين
وشرط معه أن يحافظ على عهد صاحبي آمد وماردين والبلاد المظفرية
كانت وقد تقيت الى هذه الغاية مع كثرة الطالبين لتلك الولاية مصونا
بها على الخطاب غير مسموح بشيء منها للطلاب فإنه ما رامها من الملوك
أخي السلطان ولا أولاده الأمير بشرط النصيحة له في استضافة ديار بكر
الى بلاده وبقال له لا سبيل الى قصد أحد ولا انتزاع بلد ولا إزالة يد فإن
أرباب البلاد أكثرهم لنا معاهد وعلى ودنا معاقد وفي شغلنا مساعد
فأما من هو عنا متقاعد ومنا متباعد فما هذا أوان مكافاته ولا زمان
كف آفاته وهو منا في حصر مخافاته وهذا العدو الكافر شغلنا به

مستغرق وعزمنا في قمعه محقق فلا يتبر علينا من المسلم الكريم
والجاسر الجاسة من يشغلنا عن هذا المهم الفرض والرأي الراشد في أن يسير
تقي الدين الى في ذلك الجانب ميافارقين فإذا أخذت حران وسميساط
والرها أدركت من تكثير العساكر بتقويتها المنتهى وبلغت المنتهى
وأنا أدخل على الشرط وعنه لا أخرج وأجمع العساكر والى ... أعرج
وأتيكم بعد أشهر بأوفى عسكر وأكرم معشر من لابسي سنور ...
مورد في الروع ومصدر ومازال يستسعف السلطان بهمة ويستبرهن في
تخصيصه بتلك الولاية عزمه ويبذل ويتوسل ويرسل ويتوسل حتى أخذ دستوره
واستصحب منشوره وسار على أنه يسرع إيابه ويحكم في العود أسبابه
وإنما مكث ريثما يقسم تلك البلاد على مقطعيها ويرسم ترتيب نوابه
فيها ثم يطلع علينا طلوع السحاب ويأتي بلاتي العباب ويعرض عساكر لا يدخل
في الحساب وسارع الى التهيؤ وسار بعد ما استشار ولله استخار ٥

وفي يوم السبت رابع صفر ٥

وصل كتاب الملك المجاهد الجواد المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه
وهو الحري الذي إذا جاري أترابه الملوك في حلبة المجد لم يدركوه ولا يشركوه
ومضمون الكتاب أنه خرج في آخر المحرم على جسر العدو بطبرية واستساقه
فلم يطق الكفار لحاقه فاقتطع لخاصته منه أربعمائة رأس تلف منها
في الطريق أربعون غير ما كان أصحابه منها يقتطعون وأنه غنم أيضا
أبقارا وأتى قارا وسار بالغنيمة بدارا وأهدى لي من تلك بغلة

زجية عالية فارهة فرنجية وقال رسوله لما ابصرها واستحسنها قال
هذه تصلح للعماد فانه اذا ركبها زينها وفي ليلة هذا اليوم وهو السبت
كسرت الريح سفينة للفرنج على ساحل الزيب وغالها الليث وكان من فيها
الفرنج نيفا وعشرون في جملة الاسر من لم يلم به في البحر غرق وفيهم امرأتان
... وما هذبنا بل اهديناه وشاهدت الاسارى قدام السلطان وقد
امر بردهم على الذين اسروا ٥

وفي اول ليلة من شهر ربيع الاول

خرج اصحابنا من البلد على العدو بالباب الاغلق وكبسوه في مخيمه
وهجموا عليه في مخيمه حتى اسروا من الفرنج وقتلوا جمعا واوسعوهم الى ان
ضويقوا قمعا وعادوا ونبيا لمين غانمين كاسرين كاسبين ومعهم اثنا عشرة
امراة في السبي وعرف الله تعالى لهم حق ذلك السعي ٥

وفي يوم الاحد ثالث هذا الشهر

شهر سلاح الحرب اهل الكفر وخرجوا على اليزك وكانت النوبة للحلقة
المنصوره خواص السلطان شاعير المعترك وعظمت الوقعه وحميت الروعة
وصدمة الفزعة واحتدمت على الفرنج نارها الصرعة وهلك عالم منهم
كثير وقتل منهم مقدم كبير ولم يفقد منا الا خادم ذو همة صغير عثر
به في الحلة فرسه ولم ينتعش واستشهد ليعيش في الاخرة من في الدنيا مات
في سبيل الله ولم يعش وهذا الخصي كان يخلو من الخول باهضا على
الكفر للاسلام حمل الدخول وانتهى الينا ان الفرنج على عزم الخروج

ليحتشوا ويحتطبوا مما حولهم من المروج ولا مرعى لدوابهم ولا علف الا في
بيت لا فوها بالاحتشاش حتى عليها التلف فامر السلطان اخاه الملك العادل
ان يذهب ويقصد الساحل ويكمن بعسكره وراء التل الذي كان فيه قديما
منزلته وهناك نصبت خيمته ووقعت بضربه ومضى السلطان بنفسه في
خواصه واجناده واقاربه واولاده فكمن وراء العياضية من التل
المنصوره الناصريه وذلك يوم السبت تاسع شهر ربيع الاول
بمخيمه ولده الملك الافضل ومعه ايضا اولاده الصغار ليشاهدوا الحرب
ويدمنوا على مباشرة الطعن والضرب ويعرف العدو الخبر فما اقدم على
الخروج ولا جسر فضربت للسلطان على التل خيمة حمراء فبات فيها
وحوله الملوك والامراء ووصل اليه من بيروت خمسة واربعون
اسيرا من الفرنج اخذوا في المراكب في البحر من اللج وفيهم شيخ هرم عمره في
الكفر منصرم قد طعن في السن وهو كالشن والحنى كالحنية وما امن
المنيه ونحا ماه الحمام وعامت في حولياتها واثامه الاعوام وهو ممسوح
الجلد ممسوح اللحيه قد بلي وقلي من طول ما لقي وشيم حياته وشيم
وعدم لذاته ولداته وما علم وكم جاور قرنا دعمره الى قرن ونازل
قرنا ونازله بعد قرن حتى لم يبق فيه الا اهابه ولم يرتقب منه الا ذهابه
فتعجب السلطان من مجيئه من البلاد الشاسعة واختياره الهيوم على
الارجاء الواسعة فسأله كم بينه وبين وطنه ولاي سبب حركته من سكنه
ومسكنه فقال اما بلدي فعلى مسافة شهور وانما خرجت لقصد

[illegible] الفداء ولا ظفر بالحج المبرور وفرق له ومن عليه بالاطلاق واخرجه
[illegible] الى حيز العتاق ورده الى الفرنج راكبا على فرس ولم يرض قتله ولا
[illegible] راي نفسه من نهنهة بنفيس وساله خدام اولاده الصغار
[illegible] في كريب سوفهم بحرج الاسارى الكفار فلم يبادر في ذلك
[illegible] نسهم بامثال الامراء فقيل له لاي شي سبب منعتهم
[illegible] الجهاد المغتنم فقال لئلا يكبروا من الصغر على سفك الدم
[illegible] هذا القول من الرافة والكرم ٥

ذكر جماعة وصلوا من عسكر الاسلام

اول من وصل من العساكر الاسلامية الامير علم الدين سليمان بن جندر وكان بحلب
المقدم المومن وهو شيخ له راي وتجربة ومنزلة كبيرة ومرتبة ومعه حصنا
عزاز وبغراس وللسلطان بقربه مجاورته الاسبتار تقدم في شهر ربيع الاول
في عسكر دو ابيضه واسمره وبيضه ومعفره وخناجره وسناسنوره وجلبه وجنده
وزمره وعصبه وسارقه وبلبه وبوارقه داسحه وقدم في ذلك التاريخ بعد وصوله الملك
الامجد مجد الدين بهرام شاه صاحب بعلبك وقد استصحب معه مماليكه الترك فدنوا
بالمشركين الفتك ولسومهم الهتك ولدمائهم السفك فوصل بقواطعه وقواضبه
وصواعقه وسلاهبه وطلايعه ومقانبه وحضر من المحاسن بكل ما يعرب عن مناقبه
وقد رسل القاطن من اسنه العوامل بكواكبه واظما جواده ليرد به دم اهل
الكفر فانه بعدها من مشاربه نعز له ذلك اليوم من القادمين والمستقبلين
بذلك الفضا جيش زرق الذي عليه حوبها وغطته من العجاج بالرداء

وجرى ذلك الوادي من الاجناد والامراء بسيل خيل تزيد دائما المزيد
وخرق ذلك الخرق وارعن في حافاته الخرق ومن عاداته بعد وابه الخرق
ومن افاته من موافاته من فرق الكفار الفرق ومن علا فيه عند الطعان
لا يرويه الا العلق ومن صبابته بالسير الى عناق الاعدا يسلو عند سيوفه [illegible]
والعنق ومن شيمته عوض العلف بالعبير النضح بالنجيع [illegible]
النبل من الاحداق للمواظر في نواضر حدائق الربيع ومن [illegible] الشماخن
الحنية بشفه واشماع ابن المنية كمصه وحلوانا في ذلك اليوم فوارس
لا عرائس وقوابس لا عوابس وقدم بدر الدين مودود الى دمشق بعد ذلك
في سابع عشر شهر ربيع الاخر وبشر بوصوله العساكر ووصول الجمع الوافر ٥

ذكر وصول ملك افرنسيس بجزيرة الفرنج على عكا واسمه فليبت

وفي ثاني عشر ربيع الاول يوم السبت وصل ملك افرنسيس وسار حلمهم وشملهم من البث
والشت وكان وصوله في بطس ست حملت من الفرنج كل ذي شوم ومقت وقد كانوا
يهددون بوصوله وصولة ويقولون لنا من بعد لده ووعيده ما يجري على قوله واه
اذا جاحكم والحكم ونقض وابرم وقدر ما قدم به من المال واقدم ونحن منه على مواعده
وهو يابينا بكل نجدة سماعده وجده عن العفر متباعده فقلنا لهم رب صلف
تحت راعده وما هذه الاراجيف منكم بواحده فلما وصل بالعدد القليل
والنظر الكليل اعجبنا قلته وتشابهت عندنا عزته وذلته وقلنا ما اتصل
صولته وبدوم دولته ٥

نادرة ٥

وكان مع هذا الملك بازي اشهب كانه عند ارساله نار تلتهب ففارقه
يوم وصوله بحيث عجز عن حصوله وافلت من يده وطار وجناحاه البارق
الى ديار الناس ووقع على سور عكا وحزن الملك يوم سروره بفراقه والى
واستجابه فما استجاب وابى ان ما آب ثبت وما تاب فبصر به اصحابنا
... زوده ... السلطان فقدوه فابدى السرور به الاعتزاز وحمل لتشريفه
... النار واظهر به احتيالا وعده للظفر والمنحة فالا وبذل فيه
الملك الف دينار فما اجيب ولا هيب وما سمع ولا غيب ٥

خبر نادرة في غنيمة وافرة ٥

كان المستأمنون البيت من الفرنج تسلموا اطراليس يغزون فيها ويجرون حوائبها
وينهضون بشوانيها ورواسيها وينهشون بعقاربها وافاعيها ووصلوا الى
ناحية من جزيرة قبرس يوم عيد لهم وقد جمع القس في كنيسته لهم شمل قريبهم
وبعيدهم فصلوا فيها صلاتهم ثم اغلقوا ابواب الكنيسة عليهم ليامنوا
اغتيالهم واسروهم باسرهم وسبوهم وبعوهم من البلاء بما انوهم به وبلوهم
وكنسوا ما في الكنيسة من الاعلاق النفيسة وقسوا على قسيسهم
وعادوا بها وبهم الى بر اللاذقية ولاذوا باللاذقية وباعوا ما اخذوه من البيعة
ومن الجملة سبع وعشرون نسوة سبايا وصبيان وصبايا فباعوها رخصا
واقتسموا حرصا وازدادوا بما نالوه حرصا واستغنوا بما استغنموه واثروا بما
اثلوه واثروه وفرحوا بما راحوا به من مغنم وقيل حصل لكل واحد منهم
على كثرتهم اربع مائة درهم ٥

ذكر سنة ٥

فهجم جماعة من العسكرية السرية فاقتطعوا قطعا من غنم الفرنج وبهمه
وخالطوهم في خيامهم واخرجوهم من ... وركبوا في اثرهم
خيلهم ورجلهم في اثرهم فلم يظفروا بطائل ولم يرجعوا بحاصل ٥

خبر وصول ملك انكلتير واسمه جبلرت الى قبرس واستيلائه عليها ٥

وصل الخبر ان ملك انكلتير وصل الى جزيرة قبرس في السادس من ...
ربيع الاخر في الجمع الوافر حاملا هموما كالسيل الجارف في البحر الزاخر ونفذ
الى الجزيرة مراكب وشواني على قصد الجزيرة فخرج صاحب قبرس اليها واستولى
عليها وغنم اموالها وصرم رجالها فلما وصل ازهف جد عزمه
واومى بيمين غيضه الى غيض حلمه وهو مغضب غير مغض من بين مرام الخفض
ماله سوى التشفي شاف من مرض ثلث مفكرا وسكت متحيرا فراى ان
قبرس في يده فاستمن من جده في جدده وناشب القتال وواصب النزال
وقارع بالنضال وحلت المنايا باحيائها الاخشن البيض بالاعناق واعتناق
الغلاظ مع الرقاق ونفذ يطلب من الفرنج على عكا نجدة بجد شدة
ويوجد شدة فنفذوا له جفري اخا الملك العتيق في جموع من رافقه
الرفيق وامتدت الحروب واشتدت الكروب فراى ان قرينه
تعول ان شغله يطول واتفق انه كان بصاروم الروم من الفرنج الفرنج
وخطب لكل واحد من ضيق الخطب المخرج المخرج ثم ارسلوا في الصلح وجرحوا
من ليل الحرب المظلم في سنا السلم الى اسفار الصبح واجتمع صاحب الجزيرة

بعد الانكلتير وانتقامه بما تم من التغريب والتغرير وحمله هدايا
وتحفه بسبايا ووسع له الازواد وبذل له الامداد واخذه من مأمنه
وابرز له مكره في مأمنه وغلّه ثم غلّه وشرّه وما حلّه وجاراه لما اغتره
بان اذل له وغادره بغدره في القدر والقيد وما بطشت يد عادية الايد
كيد الكيد واستولى بالاستيلاء عليه على ملك الجزيرة وعرق في حبال
امواله الغزيرة وسياتي ذكر وروده وما تم به لاحزاب الشيطان وجنوده

وفي تاريخ انسلاخ شهر ربيع الآخر يوم الأحد

وصل من ثغر بيروت كتب مبشرة بالنجح المتجدد وهو ان اصحابنا
اخذوا عند الثغر بمراكبهم الغازية في البحر من مراكب الانكلتير خمسة
وطراده ولم تكن لولا اباء رجالها للضيم معتادة ولخزام القهر منقادة
وكان فيها خلق كثير من نساء ورجال وذخاير من عدد ومال واثقال وانفال
واخشاب والات واحمال واحوال وفي الطراده اربعون راسا من الخيل
الجياد قد جلبوا البلاء بجلبها من البلاد فجيزت وحيزوا واجيزت الى
بيروت واجيزوا فاما النساء فقد اخرجوا عن السع بالنقود والنسيابها
واما الاسرى فقد عمت خصوص ضرايبهم الشرا

وفي يوم الخميس رابع جمدى الأولى

زحف العدو الى البلد بالحد والجد والعدد والعدد والمدد
والمدد والجمع المحتشد والجمر المتقد والسمر والنبل والبيض والقضب والسمر
السلب والنحب والجلب والصياح والضجيج والعجاج والعجيج والوشيج

بالوشيج والامر المرج والقصر بالقصد والزحف والزرق والحديد والحديد
والقريب والبعيد والاتباع والعبيد والاوباش والاوشاب والكلاب
والذباب والسباع والضباع والضواري الجياع والاساود والاسود
الزرق والحمر والسود وذنبوا ودبوا وشبوا وسبوا وصاروا وصبوا
ونابوا ونشبوا وعبوا وعبوا وجاروا وجثوا ورجموا وتموا وقدموا
وقدموا سبعة مجانيق وقربوها ونصبوا فيها ونصبوها لرعانها
قلاع دار تقعقعت على البلاع كانها تلاع فهي في الجو مترامية والجزوع
رامية وفي السماء سامية ولاهل النار الحامية حامية مرتفعة على
مرافعها مقتلعة بمقالعها مشققة لحجارها لانقضاض الجدار منقضة
اسوارها لانقضاض جارحة حاصبة عاملة ناصبة نامية قاعدة
بارقة راعدة صادمة صادعة صارمة صارعة حبالان الحبال
اجتنها وخبايا المحن على شبها مهما من الحجار زبيها ومراضع في
حجورها الاحجار ومرابع تشهد بروايرها الربوع والتيار رحوامل على
الطلوع صوالل بالعلو على الخلق مطايا للمنايا بل زوايا الخبايا البلايا في
كفاتها افاتها وفي حركاتها ادواتها وللتعذيب عذباتها
وللترهيب جرياتها وما اعظم جنايات جنادلها واظلم غوايات
غوايلها وهي الدوامي الدوامي والحوامي الحوامي والهوادم الهوادي
والصوادم الصوادي ودواعي العوادي ونواعي النوادي والنواعب
بالنوى والجوانب بالجوى والقواضب بالمصايب والنوايب بالشواذب

اذا انحرفت انحرفت واذا هدفت اقدمت واذا طرحت طرحت واذا
حلقت حلقت واذا طارت ابارت واذا القت التهمت فشق على اصحابنا
بالمدينة شقائقها وكادت تفتح اليه الطرق طوارقها وطرائقها فاستصرخوا
بنا واستنهضوا وحضوا على حفظنا وحظهم وحرضوا واستنفروا
واستنصروا واستعدوا واستدعوا فاصبح السلطان راكبا في العسكر
كالبحر الى مقاتلة العدو الكافر الحاضر الحاصر وسير من كشف هل العدو
كثير او كثير دفين ثم وقفت العساكر عنه وسار الى تل الفضول
وشاهد المجانيق وكيفية رفعها والنصب ونكاياتها في الكر والفر
وعرف اماكن القتال ومكامن الرجال وكلما شاهد الفرنج عسكرنا
قد اطل واظل ذل جمعهم وكل وبرك الزحف وانفل فاذا عاد عادوا
وعدوا وبادروا في الحرب واشتدوا ٥

قصة للرضيع ٥

كان لصوص من
الليل استلبوا طفلا من يد امه وفطموا رضيعا له ثلثة اشهر في غير
اوان فطامه واستحلوا احكم الجهاد في جنح الظلام جناح ظلمه وبحوها
تواجدها وساعدها وكدروا اصفى مواردها وقطعوا عنها فلذة ثديها
واسعروا عليها جمرة كمدها وحرموه در لبنها فقد ترد معها
وابعدوه عن مناغاتها ومناجاتها فروع عن كل حبيب سمعها وخرجت
والهة وللحياة كارهة وللخد خادشة وللوجه خامشة معولة
مولولة مدهلة مشعلة قد تشدهت وتدهشت وتاهت واستوحشت

وقد سلب عقلها من سلب طفلها وغاب ذهنها من ذهاب بنيها
وتكرر بالانين والحنين ترجيعها وتردد للقلوب بما لحماه وجيعها
من الكروب تجميعها وهي باكية في كل ناحية نادبة في كل نادي
نادبة لكل فؤاد عادية في كل واد فلم تشعر السلطان الا بامرأة
بالباب واقفة وبالنحيب هاتفة وللدموع حادرة تتساقط اثناء انشهاقها
ومن الخلق مستوحشة لذهاب انيسها نشيجها قارصة تحت انيابها
تقطيعها ضارعة لتفقد رضيعها معولة على الطفل معولة
على اللطف متنكرة من النكر متعرفة الى العرف فاحضرها
السلطان وهي باكية وناره كبيرها ذاكية تحدر عبراتها وتصعد
زفراتها وتلهب حسراتها تبكي بكائها وتشتكي من دائها
وتنشد ضالتها وتطلب مهجتها وتسأل عن حشاشتها وتشعل نار
قلبها على فراشتها فلما شاهدها السلطان حرس حزينا مستكينا
مستكينة متحيرة متحيرة مولعة موالهة وحمه متوهمة تسمع
شكواها ورفعها ورثا لبلواها ورحمها ورق بلطفه للطفل
الرفيق وسال بلطفه طريق التوفيق وطلب الرضيع فقيل انه بيع
واضيع فان اخذه باعوه بثمن بخس ولم يعرضوه في سوق بر ولا سوق
نخس فما زال يبعث ويبحث عنه ويلوم باذله كيف لم ينصفه حتى جيء به
في قماطه وقد كاد يلقى في عباه اغتباطه فلما ابصرته والدها ضمت
عليه ساعدها ودعت وعدت وشدت يدها به وشدت واعادها

ونسبوا الى افادها وبرد حرها برد روحها واساها ما اساه الاسى من
جروحها وقروحها وزوحها بروحها ونزع روحها واغناها
بنعمتها للشكر عن نوحها وظهر سر سرورها عليها بنوحها
ونشع شعثها من اوصلها الى موضعها وقد اجتمع شمل المرضعة
بمرضعها وما رد الطفل الا بعد ما اشتراه من مشتريه بثمن يرضيه
وهذه نادرة من جملة اياديه

ذكر انتقال السلطان الى تل العياضية

لما اصر الفرنج على مضايقة عكا في كل يوم وخطبوا امتناع مناعتها في ابتياعها
بكل شوم واطبوا الكوب بحجر الحرب بكل خوض وعوم وداروا حول حمى
دارها بكل حوم ولم يجد بدا من ركوب السلطان بالعساكر اليهم في كل بكرة
وعشي وارعاب القوم بكل حين من هوب بحد معشي وكانت المسافة نائية
والآفة دانية انتقل السلطان الى تل العياضية بعساكره واثقاله بالكلية
بالعزائم والصرائم الماضية المضية الراضية المرضية ولم يكن انتقاله دفعة
واحدة بل مهد واله قاعدة فانه يوم الثلثا تاسع جمدى الاولى بلغه ان القوم عازما
العوادي ورفعوا من صلاتهم للعوادي وضايقوا البلد اشد مضايقة وعلا القوم
احر معالقة فامر الجاووش حتى نادى وباكر العدو بالعساكر وغادى وواصل
بالفارس والراجل الى الخروبة فوق البرك والزم المقدمين والامرا حفظ
نوبهم البرك وقدم جماعة من الخيل لعل العدو اذا عاين قلتها خرج بالكثرة
وتورط بالعثرة فلم يشغل بها بالا ولم يلتفت اليها جنانا بل انصرف على غلاده

ولم يبر فجوها عنانا واشتد على البلد زحفه واشتد عسفه فسار السلطان
بالعساكر وهجم فترك العدو الحصار ونجم فلما جا الظهر رجع العدو الى خيمه
والسلطان على قصد العدو الى مخيمه ولما وصل الى تل الخروبة في خيمة لطيفة
لا جله مضروبة وصل من اليزك من اخبر ان العدو لما علم انه من ان ثم سيجلد
الى اشد ما كان فيه من زحف وانه قد ارعد وارعف وارهق وا... والحق والصد
والهف وارهب وارهج واعجز وازعج واثار لهجم الملحمة ناره واثار فبعث السلطان
هذا الخبر على ان بعث الى العساكر بالخيم فاعادها واستنهض الى الفريسة
اسادها واجرى في حلبة الحمية جيادها ودعاها الى طعن يبرح بالدروالزبرج
بريح اعطاف المناصل وامرها من الحرب بامرها وادرها من ري احلاف الدم بادرها
ثم سار آخر ليلة الاربعا عاشر جمدى الاولى الى تل العياضية فبالله العدو وضرب
خيمته باعلاه فظاهر العلو العدو بالحمر والزحف بمصر مصر وعلى عبابه
دعادة مستمر والسلطان في كل يوم مصابح القوم بالقتال وممسيهم
ويغاديهم ويغاويهم بضرب كما اشترطه حدود الظبى وطعن كما اقترحته الكعوب
القنا وقتل كما اشتهته المنية ورمي كما احبت اليه الحنية هذا ومجانيق الكفر
على الغي مقيمة وللرمي مديمة وبالانجاز متقاطرة وعلى الاقطار حاجرة وللجلاميد
بالجلاميد قارعة وللصخور بالصخور قالعة وتمكن الفرنج بها من الخندق ودنوا
منه دنو المحنق وشرعوا في ردمه واسرعوا الى طمه وداموا ابراموا فيه جثث
الاموات وجيف الخنازير والدواب النافقات حتى صاروا يلقون فيه قتلاهم
ويحملون اليه موتاهم واصحابنا في مقابلتهم دمغا لهم فقد اقتسموا فريقين

الفئة فيه واقتسمتين فرقتين فرقة تلقي في الخندق ما ألقي فيه وفريق يقارع العدو ويلاقيه

ذكر وصول ملك الانكلتير

وفي يوم السبت ثالث عشر الشهر المذكور أشاع أشياع الكفر سرور وعقيرة حبور بوصول ملك الانكلتير وأظهروا أنه في الجمع الكثير والجم الغفير ووصل معه من الشواني خمس وعشرون قطعة كل واحدة تحاكي قلعة وتواري قلعة رأينا لها في القلوب روعة وزادت في النفوس لوعة وطلعت لنا من خيامهم تلك الليلة نيران زائدة وأنفاس للشرار متصاعدة وألسنة للشعل متناصبة وأشعة على الجو متقاصدة فكأنما أوردت الجحيم لقدوم وارد نارها وأوقدت لوصول أولئك الشرار شرارها وورث لهم أوارها وشاهدنا تلك البسيطة قد بسطت على أهل الديار الأضواء وعكست منها الهلك حلا أضا لهم الظلام فعرفنا كثرتهم بكثرة نيرانهم ولما كانوا من أهل النار قامت النار بعرفانهم وأشهرتهم بأعيانهم وأصافتهم في مكانهم وملك الملك بأمره أمرهم وأراهم أن بيده نفعهم وضرهم ومالا عين الملاعين والحال لتطاولهم أسطار الشياطين وحقد للمكايد آبارا وأثر في المكر آثارا وأرث للشر نارا وأثار لنصرة النصرانية ثارا وتحدث الناس بحادثته وحديثه وبما تأثرت له القلوب من تأثيره وتأريثه وارتابوا وارتاعوا والتاحوا والتاعوا وعدت الألسنة ترجف والقلوب تجف وكاد الباسل يجبن والباطل يخشن والحق يلين والدين يدين والسلطان قوي الجنان ذي الإيمان صافي نيته وافي دينه شاف نصحه كاف نجحه مسفر لعين الإسلام صبحه مشرق

في قلب الكفر جرحه ماض عزمه فاض جده ثابت جنانه يقظان جأشه عامر المعاد بعمر الحق في معاشه متأزر في تفكيره بالتأني في تدبيره متوكل على ربه في نصرة دينه متوسل إليه في يأسه ويقينه لا يروعه المخاوف ولا تخيفه الرواجف ولا تزعزع الخطوب طود وقاره ولا تمحو النوائب حتم دماره ولا تلين الشدائد ولا تستكين الروائع المروعة شكيمته الإسلام حركاته وحصنت الأيام ببركاته ونام الأنام لنفاذ حكمه في مصر والشام بسهمانه فما راعه ما عراه ولا دراه عزمه ما دراه ولا رد وجهه عما قصد ولا صرف رأيه عما عليه اعتمد بل ازداد قوة بصيرة وازداد تشميره للكشف أسرار الغيب مستنيرة ويده إلى السماء واستعار لجمعها أسنة الذبل ودلف في الأرض فوهب بربها للقسطل وأعلم ملك الانكلتير أن جمع كفره للتتبير وأن بساط شره للتقتير وأن أمنيته أهل التوحيد مولعة من حوز أهل الإشراك بهتك الستير وزلت في مواكب جلت المنايا الحمر في كتائبها لتجني أعناق العدى وطلائعها وتشمل بقواطعها وتواصيها خيل تأبى الضيم مثل أبائه وتحرم ثار النقع يبوء عن لوائه وجه كلمع البرق في ضيائه وقلب كجمر الغضى في مضائه وأقام السلطان على هذه الحالة بينما ميا في مطالع الجلالة لم ينقص سلاحه ولم يخفض جناحه ولم يزل كر رماحه ولم يردع للروع مراحه

ذكر غرق البطسة

كان السلطان قد عمر في بيروت بطسة وزادها في العدد والآلات بسطة وأودعها

في الروع مبيرة وما لها غيلة وذخيرة ذرت فيها أزهار سعادة رجالها مقاتلة
له بأمر كل طهر وتزكى وتشكره للإسلام إذ الكفر منه تشكى فلما توسطت نجم اللجة
تمرطت في لجج اللجة صادفها ملك الانكلتير بحكم قضاء الله والتقدير
واحترقت بها أشوانيه وغدرها غواديه وقابلتها نصف نهاره وهي لاهية عن الاقتسار
ناكبة عن العدو ومراكب وجيبت لها غوارب واعرقت واغرقت وهتكت
ونزفت وأزعجت وما رفقت وتمكن من الفرنج خلق عليها وما امتدت يد غدر والهم
ابنها فلما يئست من سلامتها ودلت عن استنقاذها والخلاص غرق وتأفها
والحط ذي اعتلائها واعتلاقها ومالت إلى الاستسلام وحالت على الاصطلام
قال مقدمها علام تسلمها والموت بالعز خير لنا من الحيوه بالذل والشح بالدين
أحب إلينا من البذل فنزل إلى البطسة فخرقها وما نفع عنها حتى أغرقها
وسعد أهلها وسيجمع في دار النعيم شملها ووصل إلينا خبرها اليوم السادس
عشر من جمادى الأول فعلمنا الدهر يومان نعمى وبؤسى وما زال الأمر على ذلك حتى يزول
وكانت هذه الوقعة أول حادثة للوهن محدثة وللهم مورثة وللنار الأسى مورية

ذكر حريق الدبابة للفرنج ٥

وكان الفرنج قد اتخذوا دبابة عظيمة هائلة قد اطمعت لها في الشر غائلة ولها
أربع طبقات شدها على الارتباط باق ولها من الاحكام باس ولباس وهي خشب ورصاص
وحديد ونحاس وقربوها إلى أن بقيت بينها وبين البلد أدرع خمس وفي طبقاتها
شجعان ضوار ودبابيب طلس وبلي البلد منها بكل بلية وكانت هذه الدبابة
على العمل ليقربوا بتقربها أسباب الأجل فباتت القلوب وكاد أصحابنا

يطلبون الأمان وخضع كل آبي واستكان فما رعوا عندها إلا بتراع
وما صغوا إلا لمصاع وتوالت عليها من مساعير النفط قوارير النفط
وهي تضرب في حديد بارد وتفر عن كل شيطان مارد بسواحر وتنبي
عن الاحتراق حتى يذرت قارورة وانقضت على شيطانها كالشهاب فأحرقت
الدبابة وتلونهم مثل حشوهم في الالتهاب نعوذ بالله من سوره والهم
إذ أهوى ما ضل صاحبكم وما غوى نجا من انقلاب القارورة قرار القلوب
ومن برد انقلابها برد القلوب وكشف شعاعها ظلم الكروب ومن تحت
بشاشتها عن الوجود لبوس العبوس وأنارت نارها لنا بكل نور ولهم بوار
قوم بور ودبت شعلها في أضلاع الدبابة وجنوبها فلم تحرقها إلا الله
احراق أهلها بذنوبها وكما أضاءت الآفاق بنيرانها أظلمت بدخانها
فخلت لما بيض النصر في السواد فكأنه سواد الناظر أو سويداء الفؤاد
بل سواد المداد باتي من أنواره بالامداد فجلا خبر هذه الدبابة قلوبنا
المفجعة بالبطسة الغريقة وأحمت نارها في حماية الحق حمية
الحقيقة فإنما احترقت الدبابة يوم وصول خبر غرق البطسة وكان
تسميتنا لتلك العظيمة ٥ ٥ ٥

ذكر وقعات في الشهر ٥

كانت العلامة بيننا وبين أصحابنا في عكا عند زحف العدو دق الكوس حتى
إذا سمعنا حركنا في الزحف إلى العدو بالقابس والنفوس ولما أصبحنا يوم الجمعة

التاسع عشر من الشهر سمعنا من كوس البلد نعراته ونظرنا من جانب العدو
انتشار نعراته فعلمنا بزحفه وعلمنا في حقه وضرب الكوس السلطاني
اضرابا لصراخ ذلك الكوس فما لبث اعطاف ذوي الحمية عن حمياها العرام
لان حمية الكوس وركب السلطان في كل مشمر البرد معصم الجرد
مسفر البشر تتقاضى كالاسد الورد من الترك والاكراد ليث والحرب
والبكر لا تنتهي الى الاقران هرى المصلتات الى الرقاب ويطمح الى ارواح
الاسل الظماء فيطيل صدى الجدل العراب وكل نصل كانه من نعت
الجمر بعد السماء من الارض بركض شاحبه المحيا وكل ضرب يكاد
بعض مضارب فضله من خفة الطرب لولا وقاره وكل طلاع مع النور
لا ينام ثاره ولا يثبت في الجفن غراره وكل مقلت ينبري في ظلام العجاج
نجوم الاسنة وكل مطرد نعم السواح السوابق في بحر الاعنة وكل
رام تروح المارق حتى تقر ايادي المداني وكل شاك في السلاح مستور
في اشكل الحق للشاني وكل مصمم مصم درعه غير محققة وسهامه غير
محققة وسيوفه غير مفرقة وقبابه لمداواه اجرابه غير مضروبة
وسار السلطان وقد اسودت لوقع السنابك جوانب جحفله وابيضت بلمع
الترائك مذاهب قسطله واشتبهت في النقع الوان خيله وامتدت
الى قرار اللقاء اعناق سبله فكانما غارت الشمس من شموس شمسه فتوارت
بالحجاب دعد النقع من وبل النبل من حساب السحاب ووجبت العساكر
عليهم في خيامهم وحملت ليالي القتام على ايامهم وغلت الصدور

مانيها حتى وصلوا الى القدور على اثافيها وشكروا وتنكبوا وادركوا
وتيقنوا ان تراجع الفرنج عن البلد واصطفوا على خنادقهم ورفعوا
بقنطاريا بهم وطوارقهم واجتمع عسكرنا لعلهم يحتمون ويحملون
ويعلون من دمائهم وينهلون ودخل الظهر وحمي الحر فافترق الفريقان
وتراجع الى خيامهم الجمعان ٥

وقعة اخرى ٥

وفي يوم الاثنين الثالث والعشرين من الشهر ضايق الكفار البلد على الحصر وكانت الوقعة بالوقعة
السابقة شبيهة وكانت من اسرها واحرها كريهة غير ان في هذه النوبة عن
نبوه وكادت تتم كبوه فان الفرنج لما تراجعوا عن البلد وجدوا فيه من عساكرنا
داخل خنادقهم فحملوا عليها باستباق رجلهم وراكبي شوانقهم فانتشبت
الحرب وانتشر الطعن والضرب وكثرت الجراحات وكثرت الاجراحات
واستشهد من عرف من المسلمين اثنان يسلمهما رضوان الى الجنان وقتل من المشركين
جماعة اسرع بهم مالك الى النيران ومن عجائب هذه الوقعة ان رجلا من مازندران
من ذوي الرفعة وصل في تلك الساعة وافدا واستاذن وقت السلام على السلطان
ان يقدم مجاهدا فحين شهد الوقعة استشهد فلقي الله بعقده كما عهده ٥

وقعة اخرى ٥

وفي اليوم الثامن والعشرين خرج العدو فارسا وراجلا وانحازوا بالملا وامتدوا من جانب البحر الا اذا وجر بواني ذلك
الفضاء اخرابا وركب السلطان من مجالس عاداته ومجال سعاداته موفقا لارادة
عبادته في ابادة العدو وابادته وتقدمت المقدمة واقدمت وحمت نار

ابدا منهم بما اجمت وما زالت نجوم النصول تنقض ورجوم النحور تنقص
وعيون العيون ترقص ودون الرحول تقتنص وابكار الدروع بحرود الذكور
تفتض في شعث احصرها النبال الغايب وتحتا لها من الذوابل
ذوايب وبحر تسبح فيه السوابح وتشرب كاس المنيه منها المهج عوايق
هوايح وبحر اشاود سالها نوايب عقارب القسي وثعالب لها ذم
بعادها سلاعب في ارقم السمهري وذياب ظباها تطرب في مسامع الذباب
وعقبان راياتها تحلق الى مطالع السحاب وغدران سوابغها تغيض عليها
جداول القواضب وعران سوابقها تعبقر عطامط العناهب واروح
اغمادها البادية عن الاجسام وقلوب اساودها الضاريه على الردى حربه
حتى دخل على ليل النقع الليل وجرى من ديه الدم السيل والتقت
الخيل بالخيل وافرج المارق عن قتلى جر علتها من اسوافي الذيل واستشهد
من المسلمين بدوي وكردي ولكم وقع من المشركين ردي ردي له في
الهاويه هوي وعليه من زفير جهنم دوي واسر من العدو فارس بفرسه
ولامته وقوسه وتفرق الفريقان عن المعترك عند معتكر الدجى وقد
تم من النجح ما نجا ○

وقعة اخرى ○

واصبح العدو يوم الاحد التاسع والعشرين وقد اخرج من جانب البحر راجلا وعدد الرمل
من دون قواضب يعرين وطوالع عروب في الطلى يغربن ربا الردى يغرين وانتشروا
ممتدين وامتدوا منتشرين فلقيهم اليزك بكل من تركيه عند شهوده
مصاكا لقضاء وموافقه القضاء في المضاء وكل معتقل للردى ينى اخفائي

الوغا من سنانه وكل مشتمل للمشتري في حصيب العرار زبانه وكل ملتثم نعمير
حمايه معتنق لعطف سرايه وكل صبح كالصباح نضارة وجهه في سحوبه
مدفونه وكل فارح على فارح شراره عزمه في سكونه واقتدر راجلنا امامهم
وانبتوا قدامهم اقدامهم وطال القتال وطارت النبال وخلفت الذكور
وفاض التامور واعمى العثير وعم العثور واسروا منا واحدا فاحرقوه
نعيمه نورة من بدنه الى القرار واسرنا منهم واحدا او احرقناه شيب
به تلك النار الى النار وشاهدنا النارين في حالة واحدة يشتعلان والصفان
واقفان يقتتلان ○

وفي يوم السبت الماضي ○

هرب خادمان ذكرا انهما لاخت ملك الانكلتر وانهما دايما يكتمان ايمانهما في سر
الضمير فاخبرا انهما لها زوجة صاحب صقليه فلما هلك صادفت في الاجتياز بها
اخاها هذا الملك فالزمها بان تتبعه واستصحبهما معه وقدرا ما النجاة من تلك
الفاجره لنجاة الاخره فاكرم السلطان وفادتهما واجزل افادتهما ○

ذكر المركيس ومفارقته القوم وسبب ذلك ○

وفي يوم الاثنين انسلاخ الشهر ذكر عن المركيس انه هرب الى صور وانه شق
الجماعة المشئوم ونفذوا وراه قسوسا والقوا عليه من الصلاة له دروسا فما قبلو
انقطع وصوله وكان سبب نفاره وموجب استشعاره ان هنفري كانت زوجته
ابنة الملك الذي هلك والقدس في يده وعادتهم انهم اذا مات ملك ينتقل
ملكه الى ولده ويتساوى في هذا الميراث الذكور والاناث فيكون الملك
بعد الاب اذا لم يخلف ابنا للبنت الكبرى فاذا توفيت عن غير عقب

قبرص هنفري وكان الملك العتيق في اخذ الملك بسبب زوجته الملكة
تغير اوه عن الملك لما احتوت عليهما يد الهلكة وبقيت هذه زوجة هنفري
واصبح المركيس عليه يجترى ويقول لست من اهل الملك ليكون الملكة لك
تزوجة ولا بد لي ان يقوم هذا الامر حتى لا ابغي فيه عوجة وغصبها منه وصرفها عنه
واغتر بها الملك عزونسا واحضرها لنكاحها قسوسا وقيل انها كانت حبلى
ثم اخرج عن حاله الحبل فما سعليهم حرمه الرحم المشتغل وادعى المركيس ان
الملك انتقل بها اليه وان امر الفرج يشرعهم في يديه فلما جا الانكلتير نظر
اليه هنفري والملك العتيق فانفتح له ان مواخذة المركيس الطريق فاستشعر
المركيس منه وما فر واخذ معه الملكة وفر ٥

ذكر من وصل من العساكر الاسلامية
في هذا التاريخ ٥

وفي يوم الاثنين انسلاخ جمادى الاولى قدم عسكر سنجار وقد سد بسواد عدده النهار
وافاض بياض جدده الانوار ومقدمه مجاهد الدين يرنقش الشهم الشديد والشهم السديد
والالمعي اللوذعي والكميش الكمي والنقاب النقي والعف التقي وهو ذو همة في الغزو عالية
وعزمة بالمضا الممضي حالية وهمة في شوم السلطان لقربه عالية وسريرة خالصة
صافية من الكدر خالية واكرمه السلطان في استقباله بنفسه واقباله عليه بالبشر
وسار بعسكره الى ان وقف تجاه العدو من جانب البحر مما يلي الزيب وقد احسن في
عرضه التدبير والترتيب ثم عاد في خدمة السلطان مكرما الى خيمه مقدما
على صحبه فانزله في خيمة وخصه بمواكلته وتقدم اليه بالنزول في ميسرته ٥

وفي يوم الاربعاء ثاني جمادى الآخرة

وصل جماعة من عسكر مصر والقاهرة بالعدة الوافرة والقوة الظاهرة منهم [illegible]
[illegible] الذي يشرع الى لقا اقرانه ولا يرجى وسيف الدين سنقر الدوادار [illegible]
والسيف الروى وامثالهما من المماليك الناصرية والمباحين الاسدية [illegible]
الشم العرانين الغر المياميين وفي عصر هذا اليوم وصل علاء الدين [illegible]
الى الحروبة ونزل بها ليصل بكره الى المعسكر بالعساكر في [illegible]
السلطان اليه ولقيه وعاد وكمل لكرامته وضيافته الاستعداد [illegible]
في خيمته سايرا باسادة في عرايسه مقبلا بكل فارس من جيشه فارس من [illegible]
في غلب كانهم اجادل والجياد مراقبهم وحلل كانها الظلما والترايك كواكبها
ونقع كانه الليالي والمقربات فوارسه وبحر تصادم مناكب الاكام مناكبه
ونملا الوهاد طوالعه وغواربه عاريات عروبه عاليات غواربه تعالى مذاكيه
باعبا عواليه كانما نهضت لاذكا نار الهياج حواطبه وعبرت علينا كتائبه
واعربت عن مناقبه مقانبه وتلقاه من اولاد السلطان الملك المعز فتح الدين
اسحق وهو من جملتهم البحر العيداق والملك المويد نجم الدين مسعود وهو باسمه
مسعود محمود وتلقاه الامرا والعظما والخواص والاوليا وساق على نفسه
اجابة دعوة الاسلام وتلبيته الى البحر ليرعب اهل الكفر وعرض ويعرض
وعلم العدو بانه اليه نهض واستنهض ولما انفصل السلطان اخذه معه
الى خيمته واحضر له اسباب تكرمته وانسه بانبساطه وبطه مع اصحابه
في سمط سماطه واجلسه الى جنبه وعقد له حين خيمته وخصه بخلع وثياب

من حصن جرائد وما يليق به من كل باب وانصرف عنه ونزل في ميمنته نزول عالم
اول في منزلته

وفي يوم الجمعة رابع جمدي الآخره

وردت من مصر كتيبة نائبة صارفة اعنة خيلها الى الجهاد نائبة ساطية على الكفر
سائسة بجانبه حماة الى ان حين عرضت على هذا العدو مغافيها وابرزت لعينه ماها وقواضبها
[illegible] قسيها والفت مضاربها عصيها وكانت العساكر تتوارد والجموع تتوافد

ذكر ضعف البلد

والفرنج قد ضايقوا البلد مضايقة
اثبتت منه واسلبت عنه والمجانيق قد رمت شرافاته وسمت اليها باطاقه واعادت
جوانبه مهدومة مهتومة والخطت بمقدار قامة فلم يمكن احدا عليه من اقام
وضعف البلد والجلد وحلا بالهم عليه الجلد وقد حفظ القوم من جانبنا احيادهم
ووكلوا بها فيالقهم ونحن لا نالوا في الجهاد جهدا ولا نترك حدا ولا نجد
من مضايقتهم بكل نوع بدا وجا الخبر ان ملك الانكلتير قد اشفى من المرض
واشرف من المرض حتى حلق راسه حلو حبينه واشتملى لانتظار منيته فشد
الفرنج ونشنوا وشكوا الى ان برا فبركوا وبثوا فيتوا
وكان في هذه الفترة للبلد بقا رمق وزوال فرق وانتعاش عثره وانجبار
كسره وانطفا جمره وانسداد ثغره

فصل من كتاب الى صاحب الموصل

في شكر وصول ولده ووصف الحال في ضعف البلد

قدم علا الدين دام علاه في مقدم الجنود الانجاد ووقف اجتهاده على موقف الجهاد
وما كرمه قائما في المقام الكريم وعظيما خاطبا دفاع الخطب العظيم ووصل

فوصل جناح النجاح والنشر الصدور بما صدر به اهلا من نشر الانشراح وصدا
الكريمة ذاهبة والارواح والحرب شائقة طلا الطلى في صحاف الصفاح وقد
برزت بنات الاغماد الذكور على اكف ابنا الكفاح لنكاح الهام بالسفاح
وشارك في الجهاد وشد الازر وسدد الامر وآزر وعضد وظاهر واسعد
ولا خفا عن العلم بحال الفرنج في هذه السنة واجتماع ملوكهم [illegible]
وتوافد امدادهم وحشودهم وقد استشرى شرهم واستفرى ضرهم [illegible]
واستفحل امرهم واستغلوا امدادهم وصلوا بنصب منجنيقات وتركيب [illegible]
ودبابات وزحفوا الى البلد عن كل جمعهم ووقدوا جمرهم واخذوا فيه نقوبهم
وحلموا في الاسوار من الاسوار بضرب المجانيق ضروبا والثغر الان قد اشرف
والعدو قد اشرف وكلما زحف الى الثغر زحفت العساكر الاسلامية
اليه وهجمت عليه والعدو بخندقه متحجر ولفرصة الغفلة عنه منتهز
ومن هجوم الموت عليه في مجثمه محترز ولم يبق الا ان يتدارك الله الثغر
بلطفه وكريه على المعروف من عادة نصره وعرفه والمجاهدون فيه قد هانت
عليهم المهج ووضح لهم في ثبات جنانهم المنهج وفي كل يوم يستدرون باثنلا
الهاجس عليهم الثلم ويحلون بما يشبونه من نيران الظبى الظلم والعدو قد لحق بالحديد
من نزع الحديد قد ضج والبلد مشفق والبلا عليه مشرف والمامول من الله ان ياتي
من نصره بما ليس في الحساب وان يعيد ما جمع من امر الاحزاب الى الاعقاب
ويلحق هذه النبوة القعقعة فهو كافي النوب المعضلات

فصل في وصف عماد الدين

عسكر

وتملت العساكر من وقت بعد نها المناجزه ووافت بعد بها المناجزه واقبلت
أبدا الانشاد في عرس الوشح وماجت موج البحار في غدير الدرع النسيج واستهلت
استهلال الرواعد البوارق وألمت بالعدى المام العوادي الطوارق لفرجات في
تدبيرها تحمد من جرة موحده للانتقام من الكفر بكل موحد واستظهر الاسلام
بظهورها [illegible] عرف ردوه النصر سفورها فاتح الكفر باقدامها واستجم
أحداق المشركين في عقود سهامها وحمت مضارب الملقا المضارب حمامها
وقص بالقضا حتام قيامها وما اسر الدين والاسلام لعزاء عماده وعيانه
وانبعث امداد الظفر لاهتزاز نصل نصره وانبعاثه

فصل في الاستنفاره

قد عرف ان العدو قد اخذت جميع ملوكه وعصت مسالكه وطرقه بطوارق سلوكه
وهو حديد الشوكه شديد السكه وقد لج في حصر الثغر ونصب الاته وركز على خنادقه
ودوالي الحروب من الحرب واحدث مواضع في النقب وقد اشفى على خطر عظيم وخطب
جسيم واذا لم يتصل في هذا الوقت فمتى ومن الى في غير الوقت المحتاج اليه فاني
هذا اوان رفض التواني ونهوض المسلمين من الاقاصي والاداني والوصول بكل
ما يقدر عليه من العسكر والنهوض لمظاهرة المسلمين بالعزم الاظهر والحد الاظهر
وهذا يوم الحاجه واوان الضروره والنهوض بعسكره الى نصرة عساكرنا المنصوره
فلا يجنح الى عذر ولا يعتذر باوقات ولا يلتفت الى غير هذا المهم الذي لعل
المسلمين اليه هواه الثقات وكيف يتاخر عن هذا الوقت الاهم وهو كريم
ويتقاعد عن هذا المقدم وهو عظيم

ذكر خروج رسل الفرنج

كان قد خرج منه ايام رسول وسال ان يكون له الى السلطان رسول واجتمع بالملك
العادل والافضل وقال انه لا يمكن لقاء السلطان لكل من يرسل وبادرهم بمحو عليه
بعض ليعلم في الاول هل هو مما يقبل وعنه يعرض باعلمها بالحال من مقاصد
الارسال فاحضره بالنادي السلطاني فمثل بين يديه وأوصل حينه [illegible] امره
اليه وقال هو يؤثر بك الاجتماع ومخاطبك الاستماع فان اجابه امانا
خرج اليك واورد مقصوده عليك او شئت كان الاجتماع به في المرج جانب
من مقتضيات المرج وكلاهما عن عسكره منفرد ولحديثه في الخلوه مسورد
فاجابه السلطان وقال اذا اجتمعنا فهو لا يفهم بلساني وانا لا افهم بلسانه
وعيل بالبين عن ترجماني وترجمانه فيكون ذلك الترجمان رسولا فلعله
برد رسوله ويتهدد رسولا فلما لج في الطلب ولج في الارب استقر الحوض في
الحديث مع الملك العادل وان يخرج من عنده وسابل الرسايل ودخل وقد اخذ
امانا وانقطع بعد ذلك زمانا ثم شاع عندنا ان ملوكهم منعوه وحذروه
الخطر فزعوه فانفذ ملك الانكلتير رسوله بعد ايام ينكر ما شاع من
[illegible] الفرنج عليه واحكام وقال الامور مفوضه الى وانا الحاكم ولا حاكم علي
وانما تاخرت بسبب مرض عرض فافات الغرض ثم قال للرسول من عادات
الملوك المهاداه وان دامت بينهم الحرب والمعاداه وعندي ما يصلح للسلطان
فهل يأذن في حمله وقبوله واخذه من يد رسوله فقال الملك العادل يقبل
الهديه بشرط المجازاه واستدامه المكافاه فقال عندنا بزاه وجوارح

ومن النفس هالع في سفر البحر خوائح وقد صففت ذهي طائر روائح ونريد طيرا
ونريد دجاجا بصلح لطبخها فاذا اشتوت حملناها للهدية على رسمها فقال
العادل لا شك ان الملك مريض وقد احتاج الى دجاج وفراريج ونحن نحمل له منها
ما يختاره اليه احتيج ولا نجعل حاجته طعمة البراة في طلبها حجة واسلك غير هذا
المحجة محجة وانفصل حديث الرسالة على قول الرسول هل لكم حديث فقلنا انتم
تسمعون ينكر طلب السلام وما لنا معكم حديث ثم انقطع حديث الرسالة
الى يوم الاثنين سادس جمادى الاخرة فخرج من عند الملك في الرسالة مقدم
ومعه اسير له معزى مسلم فاحضره على سبيل الهدية واوصل الى السلطان
ما حمل من التحية فشرفه بخلعته واعتد له بهديته ثم خرج يوم الخميس تاسع
الشهر برسل لشته ما كانت رسالتهم بسفير عن مقصود بل فيها رياسة
وعنانه وهو لا طلبوا للملك فاكهة وثلجا ولم يسلكوا في غير هذه الحاجة
نهجا فاكرمهم السلطان بما سالوه ووفر لهم منه ما حملوا وسالوا ان يتفرجوا
في الاسواق ففسح لهم في الاطلاق ٥

ذكر ضعف الثغر من قوة الحصر ٥

وكان غرض الفرنج من تكرير الرسالات تفتير العزمات وهم مشتغلون بمواظبة
الرمي بالمنجنيقات وتسوية المصوبات وتهيئة الالات في تعديل العرادات وسفل
الحجارات حتى تخلخل السور وحان انهدامه وتحلحل وبان انثلامه وتزعزعت اركانه
وتضعضعت ابدانه وكاد يهوى ليهوى ولا يبقى ولا يقوى واهل البلد قد
كثر تعبهم لكثرة النوب وقلة العدد والحرمان والسهر ناهك

والعمل دائم والخلل لازم والقلوب قلقة والظنون محققة والمتاعب
والمشاق متعبة والاحوال متصعبة والاهوال مرهبة وكان في البلد
منجنيقات تنصب ويعصر لها قوى الرجال وتنصب فلما اشتد الرهج وزاد
الضعف احتاجوا الى رجال المنجنيق للمقابلة والتناوب على المنازلة
ظهران العدو لا يبقي ولا يذر وان القليل لا يكف ولا يبقى من خروج
من كان في البلد لاجل دخول البدل لم يكن صوابا وان
انما في الاعطاء جلب في الانتهاء عطابا ولما علم السلطان
الاخرة يوم الثلثاء بما عليه البلد من غلبة البلاء زحف بعسكره ٥
ولج حتى ولج خنادقهم وطرق اليهم بوائقهم وعشى من حربها مضمرها
نطرق واسرق في ارها قهم بما اسرف وحمل الملك العادل بنفسه
مرارا واجرى من الدم انهارا واراهم بالنقع النهار ليلا وبالبيض الليل
نهارا وامسى السلطان تلك الليلة ساهرا ولم يذق طعاما ولم يستطب
مناما ثم اسرع في الكوس سحرا حتى عادت العساكر الى الركوب
والعسكر والى الوثوب والفوارس الى الفرس والابطال الى الندوب
وعادت الى الطلوع عودها بعد الغروب بكل من يلقى الجيوش على الجيوش
ويرمي الوحوش على الوحوش ويرعف الصدور بصدور الزواعف ويسفر
الامر عن مواقف المخاوف وكل من للضرب في جبينه شامة وللطعن في
جنبه علامة على خيل كاشلاء القنا وضمر كالحنايا تهوى هوي
السهام الى الوغى في غداة صباحها في حداد تنسجها ايدي المطهمة

العتب الا من يجلوه بريق اليمانية القضب جرى ذلك اليوم من القتال
اشد مما كان امس واتصل من طلوع الفجر الى غروب الشمس وفي هذا
اليوم وصلت مطالعة من البلد مضمونها ان العجز بهم بلغ الى غايته
وانتهى الضعف بهم الى نهايته ولم يبق الا تسليم البلد ان لم تعملوا
شيئا ولم تجدوا في الذب عنه سعيا فضعفنا بهذا الكتاب [illegible]
وتلقينا لا حول ولا قوة الا بالله لا نملك لانفسنا ضرا ولا نفعا والسلطان
من هذا في امر عظيم وهم متعد منقسم وهو مجتهد في بذل وسعه
سائل من الله لطف صنعه مداوم الى الحرب في كل صباح طائر الى
اللقاء بجناح كل نجاح وفي هذا اليوم الاربعا بعث العسكر على
اللقاء ودخل راجلهم الى خنادقهم وخالطوهم وتقاتلوا على
بسيطة واحدة ربما ساطوهم وذكروا انه وقف في ثغره من تلك الثغر
افرنجي كانه جني مستشيطا للشيطان يجي رهو يدافع ويمانع ويدافع
على تلك الثغره ويقارع وقد اخذ طارقه لجسمه صدفا ولسهام المنية
هدفا وهو كانه مما نشب فيه النشاب القنفذ فتلك السهام من
لبس الحديد لا تنفذ فلم يزل واقفا الى ان احرقه بقارورة النفط
زراق وامس وهو حراق وقد وقفت ايضا امراة بقوس من الخشب
ترمي وتدم اصحابها وتدمي فلم تزل تقاتل حتى قتلت والى سقر انتقلت ثم

ذكر خروج سيف الدين
المشطوب الى ملك الافرنسيس ه

ولما تمكن الفرنج وتكاثروا على عكا من جانب وغزوه بطول نايب
وقل اصحابنا بكثرة من استشهد وخرج وقله البدل الذي كان افرج ونقب
العدو الباشورة حتى وقعت منها بدنة وزادت المخافة فلم يبق معها
امنه خرج المشطوب الى ملك الافرنسيس بامان وحمل عيلة برجال
وقال له قد علمتم ما عاملناكم به عند اخذ بلادكم من البدول عند
طلب اهلها الامان على مرادكم وانا كنا نوصلهم الى
مامنهم مكرمين ونحن نسلم اليك البلد على ان تعطينا الامان ونسلم
واذا فعلت هذا فقد حزت المغنم فقال ان اوليك الملوك فقال
عبيدي وانتم اليوم مماليكي وعبيدي فارى فيكم رايي من وعدي ووعيدي
فقام المشطوب من عنده مغتاظا ولم يلبث بحطه واغلظ له في القول
جملة يقول الله تعالى وليجدوا فيكم غلظة وقال لا نسلم البلد حتى نقتل
باجمعنا ولا نكون مصارعكم قبل مصرعنا ولا يقتل منا واحد حتى يقتل
خمسين ومتى عرف ان الاسد تسلم العرين ه

ذكر هرب جماعة من الامراء
والاجناد من البلد ه

ولما عرف رجوع المشطوب ولم يظفر بالغرض المطلوب قال جماعة من الامرا
قد تضجروا مما هم فيه من التعب والعنا هذا الامير الكبير المستشار والمشير
قد استقبل باله بسواه ما باله وعمرو ابن كوشا ورا في من منهم رايا
منكوسا وركبا في دار البقا منحوسا وذلك ليلة الخميس التاسع من

السلطنة وقرأوا عليهم الامر الشريف وجاوا الى العسكر مجتمعين ومن
رفقائهم في نسب الوفا والوفاق مستقيمين ومضى الى السلطان الخبر بمن
الجماعة وانه جرحوا الله وله عن الطاعة وانهم حبسوا عن بذل الاستطاعة
وحفظوا عنهم صيت الشجاعة وابدلوا الاضاعة بالطاعة والحفظ بالاضاعة
وكان فيهم من الامرا المعروفين وذوي الشهامة الموصوفين عز الدين
ارسلان وهو الذي كان المثل بشهامته يرسل وحسام الدين بن باش
ابن الجاولي وهو شاب اول ما توفي والده وجاولي وسنقر الوشاقي
من الاسدية الاكابر ومقدمي العساكر فكل منهم محظوظ بالاتباع
الوافر فقطع السلطان اقطاعهم واقطعها وحبس عنهم جند الرضا
بعد مدة مديدة بشاشة وجهه ومنعها واستعاد ارسلان بالاسدية
ثم بالملك الافضل المفضل المؤمل وتوسل ابن جاولي بالملك العادل
وكلهم توسل بفضل الاجل الفاضل فلم تعد معيشتهم ولم تعد
عيشتهم وعادوا مفوتين وكدروا الشرب الدم مخوبين وتصعد القلب
دقوه الخبر معو... وكان من جملة الهارس عبد القاهر الحلبي نقيب
الجندارية الناصرية ومقدمها فتشفع فيه على انه يضمن على نفسه
العودة ويلزمها فعاد في ليلته واسقط عنه المذمة بالاوبة
ووقع بعد ذلك في الاسار واستفكه السلطان بعد سنة بثمان
مائة دينار

فصل من كتاب الى مظفر الدين صاحب اربل في المعنى ووصف الحال

قد سبقت مكاتبتنا له بشرح الاحوال وما جرى عليه من رجا السير الذي
هو متعلق الامال وان ملوك الفرنج وجموعهم قد وصلوا ونازلوا البلد
واحتفلوا والان فان منجنيقاتهم هدمته بكثرة الضرب وكثرت ثلم
السور في مواضع النقب وعظم الخطب واشتدت الحرب واشتفى
واشرف واشتفى العدو بما فيه اشرف ولما لح العدو في الزحف
واستسهل الى البلد في التطرق طريق الحتف ركبنا في عسكرنا
الله وهممنا عليه لكنه بسوره وخندقه محتم والى ... التعبد
من امره مرتم ولما عاين اصحابنا بالبلد ما عليه ما جلبه من الخطر باديه
قد اشفقوا على الغرر فر من جماعة الامراء من قل الله به ونوفه
واعمى قلبه فجوره وفسوقه ولقد خانوا المسلمين في ثغرهم وباؤوا
بوبال غدرهم وما قوي طمع العدو في البلد الا هزيمتهم وما ارهب قلوب
الباقين من مقاتلتهم الا رهبتهم والمقيمون من اصحابنا الكرام قد استحلوا
مر الحمام واجمعوا انهم لا يسلمون حتى يقتلوا من الاعداء اضعاف
اعدادهم وانهم يبذلون في صون ثغرهم غاية اجتهادهم وكانوا
قد حدثوا مع الفرنج في التسليم فاشتطوا واشترطوا فصبروا
بعد ذلك وصابروا ومدوا ايديهم في القوم وبسطوا فتارة يخرجون
من الباشورة وتارة من النقوب والله تعالى يسهل بتنفيس ما هم فيه
من الكروب ونحن وان كنا للقوم مضايقين وبهم محدقين وعلى جموعهم
من الجوانب متفرقين فانهم يقاتلونا من وراء جدار ويعلمون انهم ان

ثم رجعوا الى البلد بنار والهجوم على جمعهم مستصعب ممتنع والعساكر على
امرا عزمهم متالف مجتمع ولله قدر لا يرد وقضا لا يصد وسر يشارك في
علمه وامر لا يغالب في حكمه وعلى الله قصد السبيل ومنح التاميل وترفيق
الطلبه في دفع الخطب الجليل وما توفيقنا الا بالله وعليه نتوكل
ونعم الوكيل

ذكر ما جرى من الحال

وفي ذلك اليوم وهو الخميس زحف الخميس وحمي الوطيس وتحرك بالضراغم
الخيس واسود الجو وانسد الضو وانقضت القضب انقضاض الشهب
واشتبهت الدهم والكمت بالشقر والشهب واختضبت البيض بالعلق من بوارقها
الوسيعه ورفعت قدود السمر على غنا الصواهل وحركت رياح السوابق ذوايب
الذوابل وللدروع من الضرب قعاقع وللعواصف الالويه زعازع ولعذبات الرماح
نعيب ولغربان المقربات لتقريب النصر البعيد تقريب ولحرق الظبى همهمه
ولرحى الحرب الزبون جعجعه وللاحقيات سابقه ولاحقه وللمسرجات
راعده وبارقه وشموس الترايك على بدور الاتراك شارقه ونبال النبل
من عيون اعيان الكفر مارقه وايد الاسنه هاتكه سارقه وثعالب
الاسل في لبة الاسد صايحه وتساوى اللدان لتجميع الاقران عانقه صالحه
في رايات تجاذبها ذراع الفلك فيعود عقبانها العقبان وصفاح تصافحها
شعاع الشمس فيكسو لجينها العقيان وتقدم السلطان الى الامرا
فترجلوا ونازلوا حين نزلوا وهجموا على الضراغم في اجامها واحرجوها

بحد الاقدام الى احجامها ونصب صارم الدين قايماز النجمي علمه على سور البرج
بيده ووقف عنده بجلادته وجلده ووصل في ذلك اليوم عز الدين جرديك
النوري ومع النوريه المماليك فترجل وقاتل وابلى واضرم نار الوغى واصلى
ترك من جهده شيا ما خلاه وبات العسكر تلك الليله على الخيل تحت الحديد مستطرا لنجح
الامل البعيد وقد كنا تواعدنا مع اهل البلد انهم يخرجون تحت الليل رجاله
وعلى الخيل ويسيرون باجمعهم على جانب البحر سرى النسيم ويدبون
عن انفسهم ليسبوهم ويحوزون بانفسهم وعزابوهم واصبح هذا
الموعد لنجح المقصد لكن الفرنج اطلعوا بالسر فاحتاطوا بالستر وحرسوا
الجوانب والابواب وارتابوا بما ارتاب وكان سبب علمهم ان اثنان من غلمان
الهاربين خرجا الى الملاعين واخبراهم بجليه الحال وعزيمه الرجال واصبح العسكر
يوم الجمعه العاشر وقد جمع من الخيل والرجل المعاشر واقفه على ترتيبه صفوفه
مرهفه على اسنته وسيوفه ودام ذلك اليوم على التعبيه وقوفه ولم
يتحرك من القوم ساكن ولم يظهر من العدو كامن وخرج ثلثه من الرسل
واجتمعوا بالملك العادل فعادوا بعد ساعات ولم يفصلوا قسما من اقسام الرسايل
وانقضى النهار والعسكر بالعدو المحيط بالبلد محيط ولاذى مقامه بمقامه
منبسط وبتنا على تلك الحاله واهل الهدى مراصدون لاهل الضلال لدوا صبحا
يوم السبت وقد ركبت الافرنجيه وتدرعت وتحزبت وتجمعت حتى ظننا انهم
على عزم اللقا فهاجت العرام منا الى الهيجا وخرج من بابهم اربعون فارسا ووقفوا
واستوقفوا واستدعوا بعض المماليك الناصريه فلما عطف اليهم عطفوا واخبروه

ان الفارس صاحب صيدا في اصحابه وهو يستندعي نجيب الدين ابا محمد العدل الحطابه
وهذا العدل من امنا السلطان وقد انس الفرنج به لتردده في الرساله نحوهم في سالف
الازمان فلما حضر ارسله الى السلطان ليتحدث في خروج من بعكا بانفسهم
بحكم الامان وطلبوا في مقابله ذلك ما لا يدخل تحت الامكان وزادوا في
الاشتطاط وتناهوا في الاشتراط فانفذ السلطان الملكين الملك العادل
والافضل ليفصلا المجمل ويحلا المقفل اذ احس المفصل فتردد العدل
مرارا ووجد منهم على الاصرار اصرارا فلم تتحرر قاعده ولم تظهر فايده
وانفصلوا على غير قرار وعادوا والامر بغير امرار ۝

ذكر جماعه من العسكريه وصلوا

وفي يوم الثلثا رابع عشر الشهر وصل سابق الدين صاحب شيزر وفي يوم الاربعا بدر
الدين ايرب بن كنان وقد حشد وحشر وفي يوم الخميس اسد الدين شيركوه وقد ابتهج
بقدومه العسكر وفي هذا التاريخ ضعف البلد وعجز من فيه ضعفا لا يمكن تلافيه
ووقف كرام اصحابنا وسدوا الثغر بصدورهم وباشروا الاسنه بنفوسهم
ونحورهم وشرعوا في بنا سور يقطع جانبا حتى يتقلوا الله اذا شاهده
العدو غالبا ۝

ذكر ما طلبه الفرنج في المصالحه على البلد

وكانوا اشترطوا اعاده جميع البلاد واطلاق اسراهم من الاقياد فبذل لهم
عكا بما فيها فلم يفعلوا وبذل في مقابله كل شخص اسيرا فلم يقبلوا وسمح
لهم بصليب الصلبوت اليهم فانفصلوا على الامر ولم يفصلوا ۝ ۝ ۝

ذكر استيلا الفرنج على عكا وكيفية اخذها

وفي يوم الجمعه السابع عشر من جمادى الاخره ماجت الفرنج بحور جموعها الزاخره
وسالت الى ثغر البلد سيول الاتي الى القرار وطلعت في السور المهدوم طلوع الاوعال
في فروج الاوعار وانحدر عليهم اصحابنا انحدار الصخور المدهدهه وفرسوهم فرس
الاساد المحرجه المكرهه وردوهم افتح رد وصدوهم افظع صد وما زالت الكرات
تتناوب والحملات تتعاقب حتى كلت الرجال وفلت النصال وعرفوا ان الفرنج يحصلون
على احد منهم لا يبقون ولا يخلون فخرج سيف الدين علي بن احمد المشطوب
وحسام الدين حسين بن باريك واخذا امان الفرنج على ان يخرجوا باموالهم وانفسهم
على تسليم البلد وماتي الف دينار والف وخمس مايه اسير من المجهولين ومايه اسير
المعروفين وصليب الصلبوت وعشره الف دينار للمركيس واربعه الف لحجابه
فلم نشعر الا بالرايات الفرنجيه على عكا مركوزه واعلاقها واعلامها
مهزوزه وما عندنا خبر بما جرت عليه الحال وما اخذنا الا الوبال فدعاه
عم البلا وتم القضا وعز العزا وقنط الرجا ولولا اعناق المسلمين للاسار وسبب
السلطان بعد قضا الله وقدره الى تقي الدين وما عزله في سفره فانه مضى على ان
يعود بامثاف عسكره فاشتغل بقصد خلاط واثار في ديار بكر الاخلاط والاختلال
والاخلاط وتاخرت عساكرها عن القدوم فتم باحرسف العساكر فوات
العرض المروم ولذلك لم يكن في البلد عدد يقومونه وما كان يضبطه السلطان
الى هذه الغايه لولم يكن الله في عونه ونقل الثقل تلك الليله الى منزله
الاول بشفرعم واقام في خيمه لطيفه متلهفا متلهبا على ما تم ثم انتقل سحره

لزلنا بالاجد اشع عشر البشعر الى المخيم مابرا على حكم القضاء المبرم وحضرنا عنده وهو متعب وبالتدبير للمستقبل مهتم فعزيناه وسليناه وقلنا هو بلده يد تم فتحها الله وقدر استعادها عداه وقلت له ان ذهبت مدينه فما ذهب الدين ولا ضعف ذو نصر الله اليقين وما رعت تعلما القلوب الا والله بها يوم النصر على الاعدا تسعيس ثم الوجيه هانعي بهده الحادثه الموحشه تاسيس ولهذا الدين دار يد اعتب قواعد توقعه من يامه بالعز لقاعدة تاسيس وخرج في هذا اليوم امير رسولا لانه يما الدين قراقوش بما قرروه من القطيعه ونصف كيفيه المال الفضيعه وقال ما ذكونا نصف المال وجميع الاسارى وصليب الصلبوت قبل خروج الشهر وان تاخر بقينا تحت الاسر ونصف المال يصبرون به الى شهر اخر فاحضر السلطان الاكابر وفاوضهم في ذلك وشاور فقالوا اخواننا المومنين رفقاوتا المسلمون وهل لنا عذر ونحن لهم مسلمون فتقبل السلطان بتحصيله وتعجيله وحمله وتعجيله

وانشات في استيلا الفرنج على عكا

هذه الرساله وسيرت بها كتبا

قد عرف امر عكا وان العدو قصدها ورصدها ودار لها ونازلها وقابلها وقاتلها ونزل عليها بكلكله وحمل عليها بجحفله وتواصلت اليها جموعه افواجا وجلب البحر كوهها على اسلحه مثل امواجه امواجا وجات رايضة امامها ضاربه خيامها ملهبه بها عرامها ملجيه ضرامها فانتهت المده الى عامين كل عام يحمل مدود البحر من امدادهم كارا دود المد باهل النار مستنجين من ما الحديد الجامد نارا وتصل منا اليهم كانما الاعلام السود والامواج ناشره سعر اغلامهم ما لهه حيالها باكابهم مارجه اصباحها باطلالها

وشاهقين ملوكهم الباغيه وطواغيهم الطاغيه في الورود متشوقين الى الوصول بما انفقت فيه لها اسر كنايسهم مستخرجة مما برز اسهم مستفرغة ذخاير مكامنهم موصعه طعان صغانهم مستصعبة متاع مباعيهم مستريحة الى معاطن معاطبهم وترد بقناطر اموالهم وجماهير رجالهم ومساعير مصاليهم ومشاهير ابطالهم ومار الوايقا انون براجعها بالابراج وتسومون جدتها بالالتياج وترومون اخراجها برامات الاعلاج ويقارعونها ليلا ونهارا ويلعمون اهواه حيا حيهم احتيارا وينا حونها بالسنه المجانيق الطوال ويطيرون اليها على حمام الحمام كتب الاجال ويذكون لها نزاعا ويدبون اليها للمضايقه خطا وشاعا ويناطحونها بالكباش ويعاقرونها من حراسهم بكلاب الهراش وحيات النعاش ويرامونها بكل منجنيق عظيم الخلق دايه حامل الطلق لا يلد الا امانات الدواهي ولا يدع الراسخ الراسي عن الواهن الواهي وتعلل الله منهم العدد الدهم والجمع الجم ويمد الوفا حتى يعود نافرهم للمنون الوفا وقد تجاوزت عده القتلى منهم في هذه المده سوى من هلك بالمضايقه والشده خمسين الفا لا يتسع فيه للمحصر البيان بل يصفحه المحرر بالعيان الى هذه السنه والحاله في حقيق قمعهم وتفريق جمعهم جاريه على الوتيره الحسنه فاستعلت في قلوب اهل النار نارا لبواعث وتحركت الحملات وثار والمثارون وزادوا النار وانبرى ملكا افرنسيس وانكلتر وملوك اخرون دبروا الحملات منهم في مراكب حربيه وبطس حماله مرتجبه واجروا في البحر منها السيول وجوامر ذات الشراع عليها الذيول وحملوا فيها مراكب الحباله والخيول ووصلت كل قطعه كانها قلعه وكل بطسه كانها بلعه وكل سفينة فيها مدينه وكل مجره على سما البحر بنجوم الرجوم مرتبه واحدقت بالثغر من البر والبحر واحاطت بمركز الاسلام

[illegible] الثغر واطافت منها الاسوار بالاسوار والظلما بالانوار ومنعت الداخل والخارج
[illegible] باثقل المدد وكامل السلاح المراح والمناح وزاحفوه بكل منجنيق كبير ودبابة
[illegible] وذلك كانها دابة الارض التي تقوم عندها القيامة وكل سليم لا يرجى معه السلامة
[illegible] ان انتجى منها بالحتف واقسمت انها مقسمة سهام سهامها الردى الحفر بالزحف
[illegible] وجانبنا دعموا بسور وخندق وتدرع باسواره وخنادقه ويسر عن مسالكه
[illegible] البلاد [illegible] وطوارقه فلا يخرج منه الا الى معاركه ولا يدخل اليه لضيق
[illegible] بحرس متشمر متدرس على حرص الهم عاس على البخم لا الغيم [illegible] ولا يسلم
[illegible] ولم تزل الحالة تتمادى والواقعة وليدها لا يبادى والمدى يتطاول والمدد
يتواصل والقضية تتراخى والرمية تتقاضى ومقاتلة الثغر صابرون مصابرون مكابرون
مصابرون فمن مستشهد عدله الجرح ومن مستنجد عطله القرح ومن دام بالجرح دامع
عينه ومن بارع في الفوس بارع فيه ومن متعرض للموت نحو عارض عارض ومن باه عن السلم
امر بالحرب بالمحض ومن يدب فيه بدوت ومن ضرب فيه من اثر الضرب ضرب
الحديد من قرع الحديد ومحت الشفار الطاميه ورد الوريد هدرا وعدد المقاتلة في
كل يوم ينقص وظل المصابرة تقلص والعدم يتمكن من الوجود والقيام للاخلاد في
الى القعود وكاد البقية تودع الباقين والمنون تلاقي الملاقين فلم يشعروا الا
بعض المقدمين المشهورين قد تاخر وتستروا واستشعر الذعر فتعذر وتحير
واستبدل الجبن من الشجاعة واستملا العجز من الاستطاعة وقدم العصيان
على الطاعة وظن انه لا نجاح في العزيمة والانجاد الا في الهزيمة وحسن امثاله من
الجبنا وجمع الى امره جماعة من الامراء فخرج بهم من الثغر فارا وذهب على وجهه

معهم مارا وارهب فهرب وجنب فتجنب فاضعف قلوب البقية استشعارا
واعدمهم عدم قراره قرارا لكنهم ثابوا الى صبرهم وثبتوا على امرهم وردوا مكر
العدو بمكرهم وما برحوا على مصابرة ومكابرة ومقارعة ومعافرة ومكافحة
وملاحمة ومواقعة ومواثبة ومطاحنة ومناطحة وحملوا على الخنادق التي طمت
ورمي في جرفها التراب ورمت وطرقها العدو بالسور الى البيوت وطرق الظلمة
الى النور وهجم على البشنا بالدبابات ليشف نقاب عروس البلد بالنقب واشعل عبره في معظم
حر الحرب حتى ثلم حمى الثغر وكلم حاميه مرامه وكثرت ندوب نقوبه وكثرت
خطاب خطوبه ودخل العدو في النقب فلم يجد لكونه محلا ولا مخرجا وتوغل الباب
فوجد باب الخلاص المرتجى مرتجا وكل من اصحابنا قد سد الثغرة بنفسه وتلقى
الوحشة بانسه وفارق لوصال اهل الجنة اهله واثبت في مستنقع الموت رجله
ولم يزل النقابون يوسعون ويمشون ويعلقون ويحشون ويحرقون ويحرقون
ويفرقون حتى تساقطت الابدان تعادت تلولا وتعانقت الاسياف فرادى
فلولا وتكشف الوجوه لقبل الطعان وبردت بحرارة الدم قوائم القائمة في الاعمال
وبرت بحالة اجلاد المشركين بمان انجاد الايمان واصحابنا لا يهولهم الهائل ولا يميلهم
الى الحذار الجدار المائل ولا يرعهم الخطب الرائع ولا يروعهم الرعب الرادع يواصلون
بالقواطع ويتوافقون على الوقائع ويردون بعزمهم الطالع ويقدون بحدهم الدارع
اذا التطموا مع العدو نثروه واذا غمصوا له وجدوه وعثروه واذا صعد اليهم
حدروه واذا بادر اليهم بدروه وبددوه حتى اقاموا منه عوض ابدان السور ابدانا
ولم يركوا على تلك المصارع مرجا يمشيها جثمانا وما زالوا يقتلون ويقتلون

ويهلكون ويزرون بالنجيع ويسهلون ويصلون ويقطعون ويشعبون ويصدعون
ويكيلون بصاع المصاع ويحيون للعمر الراحل داعي الوداع ويتناجون بالسنة
المناصل ويتنابلون بوجوه الصواهل ويتشاكون بكلام الكلام ويتلاقون بسلام
السلام ويسيلون بجحاف الصفاح ويتماشون بمراح الرماح ويسحلون صرب
الرؤوس ويسلون صفحات الصفائح من قراب الرقاب الى ان اشغل القتال من
السور الى الدور ومن السنابر الى الستور ومن الحوارق الى الطرق والسطوح ومن
المسابق الى الفساح ومن المراقب الى المسوح حتى لم يبق من المجاهدين الا
شملك زحوف ورايك حتوف ونقايا طراح وردايا طلاح ومسوفوا
جراح ومشوهوا صراح قد فصلتهم المشرفيات وخاطتهم ورشقتهم الظبى الحامية
لا يشفى فوتهم من الكلول ولا يغري برقيهم وقد شغلوا بسد تلك المضايق
ورد اوليك الخلايق فما شعروا الا وقد دخلت في اقطارها وتوغلت من اساس
ورها وازدحم العدو في مسالكها وسبلها ودخل المدينة على حين غفلة من
اهلها ولما عرف العدو الداخل والعادي الواغل ان القوم مستبسلون
وللموت مستقبلون وانهم لا طاقة لهم بمعارضتهم ولا قوام لهم بطاقتهم
وانهم لا يسلمون ولا يبقون وهم يبقون اعطاهم امانة اخطر من المخافة
[illegible] على الاعارة باسم الضيافة وعن اصحابنا من بذلوه من الربيع وما هانوا
وما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما استكانوا ولا مرد لما به
الله المراد ولا مدفع لحكمه في العباد والبلاد وان ذهبت مدينة
فلم يذهب الدين وان غاض معين فما غاض المعين وان ارتاب المبطلون

فما فارق الحق اليقين وان فتح المرج فما فات المرجي وان اذن لهم الديجور بلايه
ان يسفر عن الصبح الدجي ولا يشمت عدو الاسلام بما جرى فعند الصباح
يحمد القوم السرى

فصل من كتاب الى قطب الدين بن نور الدين بن قرا ارسلان

قد احاط علم المجلس بما جشمه الكفر في هذه السنة من مكروه [illegible] على
ثمار الاسلام باظلام ليل الكفر وحلوكه وان الاسلام ينتظر ظهيرة وبدر الدين
لتكشف غمته من ابن نوره نوره وهذه عكا التي كنا عنها ندافع وعن ثغرها
نمانع ونجري دما الواردين في البحر لقصدها في بحرها ونرد المردة عنها مكائد
العداة في بحرها وقد تمكن منها الكفر على كره من الاسلام واجتاح من ان
اسلامها بعد ان صبر وصابر الاسلام وكانت مودة تعادي مودة وصارت
مغصوبة بعد ان كانت عارية مردودة واذا افكر من حضرها وما اخر اهلها
وغاب عنها وما حضرها علم انها اسيرة اهمالها واخيذة اغفاله وحاشى ان
يكون المجلس بالغيبة عنها راضيا وعن النجدة عند تحقق الحاجة اليها متغاضيا
وما نقي للفرج مع استيلائها على الموضع الا ان يدفوه في المطمح والمطمع وقد عزمنا
على المصاف وصدق صدمة الكافر بالجد الكافي الكاف والله كافل دسه
بالنصر والمردي بمكره اهل المكر وما هذا اوان التواني بل هو زمان استنجاح
المنى فان العدو الخاذل قد ان يصحو وليل الهدى قد قرب ان يسفر

ومن رسالة اخرى في اسمه عاد طعم

الذي من انشائه ويشتمل على حادثة عكا ووصف الحال الجارية فيها ٥٥

وقد علم [illegible] من العدو الكافر والطاغية الحاشد الحاشر وانه ورد في البحر
بكل من الكفر في البلاد والجزائر وما قصده الا بيضة الاسلام وحوزته وان الله
[illegible] بجعل بوار اعدائه عزته ولا شك انه عرف ما تم منه على عكا بعد ذلك تنا
[illegible] في [illegible] سنين والمضايقة للفرج من عكا ومنا من الحصار من وانهم كلما
دبروا امراً [illegible] وكلما حققوا كيدا ابطلناه وكلما قدموا منجنيقا احرقناه
ربطناه وكلما ركبوا برجا احرقناه وكلما كبسوا بحاجا احرقناه وكلما اوقدوا نار الحرب
اطفاها الله حتى لم يبق لمكرهم مكر ولا لكيدهم مجال ولم يبق لهم في هذه المدة حال
وقتل منهم في عدة دفعات زهاء خمسين الف مقاتل من فارس وراجل ولا شك في
استبقائهم بالردى وان حزب الضلال قد افناه حزب الهدى وحسبنا انهم بادوا وزادوا
هم الذوق وظننا انهم ما لوا وانهم في نهج القتال سالكون وهم حطب نار الحرب وطعم
الطعن والضرب وكم بذلوا ارواحهم على حب المغفرة وحصلوا تحت التحمل لزعمهم [illegible]
يأتون بما فوق المقدرة ولما دخلت هذه السنة اشفقنا على من في عكا من الاصحاب
والاجناد وقلنا هولاء قد بذلوا في الجهاد ما كان في وسعهم من الاجتهاد ورأينا
ان نجدد للبلد البدل وان نسد [illegible] الخلة والخلل وكان فيه اكثر من
عشرة الف رجل من كل ذمر مشيح وكمي بطل فخرج هاولاء ولم يدخل البلد مثل
تلك العدة ولم يكن ايضا من دخل بذلك الجد والشدة فان البحر قبل استحاله
منع من مراكبه وحمى جانبه ووصل العدو وعجل مراكبه والتقى الملد من فيه

وما فيه كفاية والتكل على الله الذي عصمنه من كل واقعة وقايمه ودان ملوك
الفرنج خلاف كل عام في جد واعتزام وحد واهتمام وجمع لهام ونار يصليها العدو
من جهنم وضرام وعزم بالواقعة وغرام واحتدام للحادثة واحتدام وبادر بالاقدام
وحشد مالت به سفنها واخلت منه مدنها ووصل ملكا الافرنسيس
والانكلتير وقد احكما التدبير واخليا خيلهما ورجلهما واتيا [illegible]
وركبا [illegible] وزحفا بحدهما وجدهما ووافوا بكل برج وشوق [illegible] منجنيق
لبيق وكل الة هايلة ودبابة للبلايا حاملة ونصبوا للبلد عشرين منجنيقا على مواضع
واخذوا يهبطوا حجارات السور بكل حجر ماجد وباشروا الباشورة بالهدم
والخندق بالطم والسور بالنقب والثلم وخرج من نقابي البلد من ارتد عن الدين
واعان نقابي الملاعين حتى وقعت ابدان السور وابراجه وبادر الى الثلم اعلام الكفر
واعلاجه واصحابنا مع ذلك ثابتون [illegible] بالسور كابتون قد سدوا [illegible] الثغر
بنفوسهم وجعلوا حجارات الفرج [illegible] معاقل [illegible] وجوههم لقتل
السهام [illegible] وبيضها بحمر اللثام من سفك سفاه الشفار دماهم ويستكثر
ما [illegible] ساحهم بالمهج وسخاؤهم لما استطعم العدو واستشروا وكلما نصبوا [illegible]
عثر وكلما طلعوا اليهم ردوه بعزمهم وكلما اجتمع [illegible] فرقوه بطعنهم وضربهم وهم يتواقعون
والحون ويتكافحون ولا يخفقون ولا يخافون وكل قد وقف في موقف الكرام
[illegible] نصله واثبت في مستنقع الموت رجله وودع الحمية في لقا النار اهله [illegible]
[illegible] الامر الحسبة واخذ للحياة بترك الحياء وفر من البلاء الى البلاء [illegible] النجاة في
الفناء وهرب في [illegible] اعده لذلك اليوم واثر على جراح السيف جراح السيب والذم

ذا اليوم واستشعر امنا لهم واستبقع وانعدى قراره وانذعر واضعف بضعف
قلبه قلوب الباقين واطمع افاعي الكفر في نهش الراقين على ان الاصحاب ما ادنوا
بالاعجاب ولم تقابلوا الضرب بالاضراب وما زالوا يواصلون بالقواطع ولا يبرحون عن
الروائع ولا يرمون مقام المقامع ويطالبون من الارواح بالودائع حتى انتقل القتال من السور
الى الدور ومن القوارع الى الشوارع ودخل العدو المدينة على سلم الحرب [illegible] واسر
احرق واحتمل [illegible] وقطيعة فظيعة كل منه لها غير مستطيعة ولولا ما القى
بعد قسم الله من الاسباب الموهبة لم تكن عكا ممكنة للعدو ولا المدعوة الى
رهنه المدينة فالدين لم يذهب وان عطبت فالاسلام لم يعطب وان ملكت واحتلت
فما اختل الملك وان سلمت ووهبت فما وهى السلك وانما نبه الله بها العزائم الراقدة
واجرى مياه الهمم الراكدة وبعث الحميات الناعسة وحرك النخوات المتقاعسة
وكما اظهر عجزنا عن قدرته وقدره سيظهر عن انتصرته وظفره ونحن الى الان كما
كنا يحيفون [illegible] فهم احدون بخنادقهم توسعهم الردى في مصايبهم [illegible] في كل
يوم الى مصارعهم [illegible] صفو مشارعهم فما خرج منهم من دخل وبما
انقطع الامر وصل وما [illegible] الامر [illegible] وعرسه وما برز الامر واراه من
بطون الجوامع رمسه فهم مقيمون لا يرمون مخيمهم ولا يبرحون [illegible] ومخيمهم
وما انسوا من ابعد المضارب الا لتقريبهم من مضارب القواضب وهم مع ذلك يحفرون
تارة بالخروج الى المصاف وآونة بالنهوض الى بعض الاطراف وفي كلا القصدين
ان شاء الله دمارهم المعجل وبوارهم المرتقب فانا نعرفهم اين اوجهوا
ونواجههم ان اعترضوا ونعرفهم ان انهضوا ونبيرهم للموت اين [illegible]

عن بلدهم عكا وطمعوا وطمحوا واتفقوا على المصاف واجتمعوا [illegible] على
نار الحرب ووقوع الفوارس وتعرضوا لمصارع امثالهم والتوى لهم [illegible] الفوارس من
بين العدو ما المبون للمبارزة والعزائم له مناجزة والعساكر الاسلامية اليه [illegible]
زاحفة حافرة والمجلس اولى من سمى وحمى والى هذا المرام من قهر الكفر [illegible]
[illegible] الهمام الملتهم [illegible] الملتهب المضطرم [illegible] المجد المحتدم
ونصله الفالق [illegible] العدى السالك في نار الوغى [illegible]
[illegible] الشفار [illegible] الطلى [illegible]
يستدعي من اذا ناداه اجابه وجاه

ذكر لطف من الله خفي

كان السلطان قد قبل استيلاء الفرنج على عكا بسنة قد عمل ترجمة تفرد بها القاضي
ابن شداد لمكاتبة الاصحاب لتكتب بها اليهم وتعود بها الجواب فلم تنفق المكاتبة اسدا
وجوابا حظي وخرج حكم عكا في المكاتبة عن شرطي فقلت لا محالة ما صرف الله
قلبي عن عكا الا وفي علمه ان الكفر اليها تعود وان النحوس يحلها وترحل عنها
السعود واستعذت بالله من استعادتها وردها الى شقاوتها بعد سعادتها
وقد عصم الله قلبي وكلمي [illegible] من [illegible] وهذا من اعجب اسباب
العلوم مدة عمري وما اجراه الله الا باجري فالحمد لله الذي صانه وعظم شأنه وما صنع
احسانه وهو للفقه والفتيا ومصالح الدين والدنيا وما عرف الا بعرف وما صرف
الا عن صرف وما استعارته الا في حج وما استعاره الا عن صح وما اجازته الا لربح
فهو امين الدولة وامينها ومعين الملة ومعينها عدة سيد امدادها وسداده

الذي برسله ادهار دوا به دوا المعضلات ويعقد بحل المشكلات ويخطه خط
يعزا من الخطوب وبقطعه قط هوادي القطوب وبشربه برو الاعراض وبدرّاره در
الاعراض وبدره استدام عقود العقول وبدراريه ابتسام الاقبال في القبول وبجريه
جري الجياد للجهاد وبتشعبه تشعب الانجاد وبحركته سكون الدهما
وبتركيبه تركيب الرجا فما كان ليصعه في صور ما الاتصويه وعور ما الاتعيه
عمده ... لعكا من وقوف قلمي عنها وكان الهمي الله فانه ما اراده ولم يصبا
ونسربنا الله على هذه اللطيفة الفارقة الطريفة ٥ ٥ ٥

ذكر ما جرت الحال عليه بعد
استيلا الفرنج على عكا من الوقائع ٥

وفي يوم الخميس انسلاخ جمادى الاخرة خرج الفرنج من جانب البحر بالعدة الوافرة
وانتشروا بالمرج الى الابار التي كان حصرها العسكر فضرب الكوس السلطاني فثار
العسكر وقام المحشر فانهض السلطان اليهم اليزك من قواه واتبعه بمدد ملأه
وقد طار غراب الغبار ونعقت بالتراب غراب المضمار ونشبت الروع بذكر شبوب
ما لم يشوى فارسها وراجلها ونعبر الشمس من نسج حافرها بعانها وعلى كل القواضب
رووس القواضب وطوالع من العروب نعرز في العوارب عوارب وحمل
على ابطال الباطل حماة الحق وردوا الكفر بذلك الحق المتسع مسع الخرق
فخالت الفرنج دونهم وحالت بينهم وبين اسوارهم وادالت عليهم سوء
وصرعوا رها خمسين رجلا كل ذرت عليهم كاسات المنون نهلا
وعللا وردوهم الى مراكزهم ولم يبق لقادرهم فضل على عاجزهم ثم

الفرنج على المسلمين كرّة عظيمة كادت تحدث هزيمة فوقف ابطالها
وثبتوا وثبتوا واشعلوا نار الحرب والهبوا ونظموهم بالقنا ونثروهم بالقضب
وفرشوا منهم قتلى على الربى واحتنت سيوفهم بالاعناق الطلى وخلا من حموه
العدى الحمى ودخل القوم الى خنادقهم ووقفوا من اسوارهم باباه عنهم وبابار
غبارهم واستضعف الاسلام من الكفر في ذلك اليوم بعشر الاتصاف واخذ بيد
النصر على المصافات بصافحة المصاف ٥

وفي يوم الجمعة ثامن شهر رجب

جاءت الرسل في تقرير القطيعة المقررة لخلاص الجماعة المستاسرة واخبروا ان
ملك افرنسيس صار الى صور وربّب الدول وولاة الامور وانه قد عمل على العود الى
بلاده بعد ما اجرى الامر بعكا على ايراده ووكل المركيس في قبض نصيبه ومن تدبيره
وترتيبه فانهض اليه السلطان وراه رسولا بتحف تليق به وتستخرج ضمايره فيما هو
من اربه ونقل خيمته يوم السبت العاشر الى تل بازاء شفرعم ورا التل الذي كان
عليه نازلا وخلى الموضع للرحلة وخلى الذي اخلاه عاطلا ومازالت الرسل تتردد
والرسالات والآراء والارب تجتمع وتتبدد حتى احضر مايه الف دينار والاسارى
المطلوبين وصليب الصلبوت ليوصل ذلك الى الفرنج في الاجل المضروب والوقت الموقوت
ووقع الخلف في كيفية التسليم وكيف يحمل الوثوق بالكفار مع عهد هذا المغرم
فقال السلطان اسلمه اليكم على ان يطلقوا اصحابنا اجمعين وتاخذوا باقي المال على سبيل الرهاين ونعطيكم
معسر فابوا الا اخذ الجميع في الزمان السريع والوثوق بامانهم واما سهم والقوم تصر
في اصحابنا الي حبرتهم فقلنا لهم يسلم الراوية فما دخلوا في الضمان وشانهم

لجنب السلطان وقال اذا سلم المال اليهم من غير شرط الاحتياط عليهم دار
فيه على الاسلام عنت عظيم وعار على الابد مقيم ولو ابقينا خلاص اصحابنا وعرفنا
بيعانهم انتظام اسبابنا سمحنا لهم في الحال بصليب الصلبوت والاسارى والمال
وبقي الامر واقفا الى انقضا الاجل واستهل اليوم الاول وجا الرسل وابصروا
الاسارى حضورا والمال موزونا وظنوا ان صليب الصلبوت قد ارسل الى دار الخلافة
فكبير له وجود فسالوا احضاره وهم شهود فلما احضر خروا له ساجدين
وانزروا له شاهدين وعرفوا ان الشرط بالوفا مقرون وان الادا لخلاص اسارانا
مرهون وظهرت علامات مكرهم ولاحت امارات غدرهم وفي يوم الاربعا
الحادي والعشرين من شهر رجب اخرج الفرنج الى ظاهر عكا خياما ضربوها وقبابا
نصبوها وخرج ملك الانكلتير الى خيمته ومعه خلق من خياليته ورجالته

ذكر غدر ملك الانكلتير وقتل المسلمين الماخوذين بعكاه

وفي عصر يوم الثلثا سادس عشرين رجب ركبت الفرنجية باسرها وخرجت من خنادقها
وسارت بخيلها ورجلها وجحفلها وخيلها وجاءت الى المرج الذي من تل العياضية
تل كيسان ونفذ اليزك الى السلطان وركبت العساكر نحوها متسابقة
متلاحقة وشامة صوارم صادقة وكان الملاعين قد احضروا اسارى
المسلمين في الحبال وافتروا وحملوا عليهم وقتلوهم باجمعهم والقوم على مقرهم
فحمل عليهم العسكر وهاجهم وضرب ابو لجة بامواجهم وقتل منهم خلقا
واوسع فيهم خرقا واستشهد منا كردي حميدي وبدوي وكلاهما من

الموصوفين بالشجاعة وهو من ماء الرحمة على الكوثر روي فلما انصرف الحرب الى
الحجابه وركد الروع بمثار قتامه شوهد المستشهد وبالعرا عريانا واما عروا
ليكتسوا من حلل الجنان التي اكرمهم الله بها وشبابا ومضى الناس اليهم فعرفوا انهم
رفعوا في سبيل الله مواقعهم وما اكرمهم رجالا واحسنهم في الشهادة والسعادة
حالا ولما غدر الفرنج بسفك الدماء وهتك ستر الوفاء شرع السلطان في ذلك
وبسط فيه يد القول واعاد اسارى الفرنج الى دمشق ليقاد الى ازمانهم ويرجع الى
ايدي اصحابها فانهم كانوا جمعوا من اهل البلد لحاجته اليهم فلما استغني عنهم ردوا
عليهم واعيد الصليب الى الخزانة لا للاعتزاز بل للاهانة فان غيظ الكفار بحفظها
للصليب شديد والمصاب به عندهم على الجديد من جديد وقد بذل فيه الروم الكرج
اموالا وانفذوا بعد رسول رسولا فما وجدوا قبولا ولا صادفوا سولا ۞

وفي يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر رجب

قوضت الفرنج خيمها وعبرت النهر وقاربت البحر وضربت بينها الخيام وانبتت من
الرماح على سباعها وضباعها الاجام فقيل للسلطان ما حركه القوم الا لقصد
عسقلان فجاشت همومه وعبت عبابه واجتمع بناديه لاجالة قداح الراي اصحابه
وتم سحابه وصح حسابه وحكم فاحكم وبرى فابرم واستشار واستنار
واثار واستورى زناد الآرا وامتر امداد الامرا وقال هذا العدو طغى
واستكبر واضحى له الافق وقد تحرك بعد سكونه وظهر بعد كمونه
وعزته عكا بطمع في عسقلان واستنزر وجانبه الحشر الشديد علمي واسلان
وهذه جموعه بارزة ولعوته زاكرة وعوراته بادية ونوراته عادية
ونكراته معروفة وعدراته موصوفة

معكنا بقولنا اذا ابرز نبا بارزه واذا اخرج نبا خارجه واذا فارق مكانه تمكن من تفرقه
واذا ركب الطريق ركب الى طريقه واذا توجه الى موضع اوضعنا الى مواجهته
واغرينا الاسنة الاسنة بمشافهته ومسنا فمه ثم الا ان الامر لله لنا التدبير
وادنى علينا البعيد واخرج العدو من الضيق الى السعة وابرزه من وراء الاسوار
والخنادق والمنعة وان لم نلقه في طريق مسيره ونجدي المدبر لتدبيره وصل الى
عسقلان فصلو لها منها اشغل شغل واصعب وحيد شعث وصدعها بما لا يشعب
ثم قالوا هو يسير بالبحر مخيما وعن البحر متنائيا ويقصد الساحل الساحل ويقتص
المراحل والذي يلي الساحل في الطريق اما اجام وغياض علقة متناسبة واما
رمال وتلال ضيقة متكثبة وهناك مواضع يمكن فيها مضايقته على المضايق
وموافقته بالعوائق فقدم السلطان الى علم الدين سليمان بن جندر وامير من اهل
الخبرة اخرنا المسير الى تلك المناهج ومشاهدة ما لها من المخارج والمولج وكشف
المواضع التي نلقى فيها العدو ونومل مقابلته فيهما من الله النصر المرجو فسارا
يتعصبان تلك المسالك ويكشفان تلك الاماكن التي يكون فيها المعارك
ويتخذها ميادين المرام مبارك ولمداد المراد مدارك وعادا وقد ظهر البقاع
وبقاع وعثرا على اماكن ومكامن ومواطي ومواطن ووقع الاجماع على الاجماع
على اللقاء والقراع في مذاهب تعينت ومسارب تبينت وسهول عرفت
ومروج وصفت وصمم العزم على ان الفرنج اذا اسرنا عواصهم واستنفعنا
على شر الحرب اعزائهم واعتراضهم ٥٥٥

ذكر رحيل الفرنج صوب
عسقلان ورحيلنا لمقابلتهم ٥

وفي سحره الاحد غرة شعبان اضرم الفرنج في منازلهم النيران واصبحوا
على الرحيل والاصوات مختلطة بالتهليل والارض مضطربة والسماء مجلجلة والثبات
منقوض والكتائب تنقض والعجاج يثار والهضاب تنقل والرباب يحظل والرعب
يفاض والحتف خاض والخيل تسرج والسبيل ترج والذوائب الذوابل تنشر وانياب
النوائب تكشر ولواء اللواء تعقد وصرام الصرائم تجرد [illegible]
والبوارق تأتلق والرعود ترعد والجو حوق والبحر ترج والغيم [illegible]
الجو وفارق الجار وحنت الاصوات وزحفت ... وسال الوادي بعيثل
العوادي وثار الاعادي وعلم السلطان تدبيرهم وعرف مسيرهم وزعل
كوساته وعرفت بوقاته وصاحت طبوله وشاخت سيوله واستحثت خيوله
واصطحبت خيوله وبرقت لوامعه واشرقت طوالعه ومضت عزائمه ومضت
صوارمه وحلقت العقبان الى مكان مطارده وبالغت الخرصان في مقابلة معاقده
وسار وارضه جرد الصوامر وسماؤه سح الحوافر في بحار سوابح تموج على سواحلها
الاتعاب وغدران سوابغ كالزلال لمعه الحباب وبحر ملتهب الجوانب مشتعل
القواضب وقت معقوده الشبابيب مفوده الخباب معصوبه الهوادي هاديه
العصائب وعرب ملوية العمائم بالشهب ملوية البرود بالقضب وترك كالاقمار
في هالات البروك تماليك في حالات الملوك عتاق الوجوه على الوجيهات
العتاق قد خلقوا للشدائد مع ملق الاخلاق عاجم على العراب هضاب على هضاب
كرد كعمرن الروع بحمس وبعاب الليب مستعصمين في مسروده الحلق
مسروده الحرق تقعقع عنها اللهام ويعفعف اذا فلت بها الصوارم حسن
نصيب العدو لاتها

ذنيب الاقران ولانبعاث من كل ناصر للحق على ناشر للشرك خارق وللنقع رافع
وللخرق فاتق لدرنق راتق معنق الى الحروب ضارب للمعنق وفيلق همه فلق
الهام وجحفل ملتهم للجحفل اللهام يحوي كل اغلب عبل الذراع واشم رحب
الباع خواض المكنايب نياض الغواضب رواض الرعان نصناض السنان
نزال العشائر نزال الجبان قايد الخيل اذا بدا السيل رايد الليل وهاجت
العساكر وماجت الزواخر نزارت القساور وازهرت الزواهر وتناوحت
تعذبات الحديد وعذبات الحرير وامسى سهل البوادي يعبق العبير وكانت
نوبة اليزك في ذلك اليوم للملك الافضل وهو في نخبة الجحفل بدور لبسل
الفسطل وشموس يوم المحفل فوقف لهم وقفا اثرهم والهبهم بنيران النصال
واشعرهم وقطع طريقهم وقصد تفريقهم وسطا على اوساطهم وتلا بايراد
ايراطهم فانقطعت اواخرهم عن اوايلهم وسددت سهام المنون الى
مقاتلهم وارهق اليهم الاجل واحرق عليهم العجل وطرق نحوهم الوجل وانهزم
من تقدم ولحق الاول وتعكس من تاخر واتخذل واجرل وا وقد بنا نارا على
اهلها مشتعلة وتركت تلك الوقعة للمجاهدين مشتعلة ونفذ الى والده
يستنجده حتى يسرع اليه مدده ويقول ان امددت بالف ما ابقيت منهم
واحدا ومتى يتفق مثل هذه الفرصة لو ارى لي مساعدا وترددت الى السلطان
رسل استنجاده وهو محقق انه لو ساعده القدر بالقدرة لم يردد النصر
على مراده فسار من كان حاضرا من العسكر على عزم انجاده واسعاده ثم
قيل للسلطان ما كنا ركبنا بنية المصاف في هذه المرحلة والناس قد
المنزله وهنالك عند قيساريه

الحرب امكن والغلب الى انتهاز الفرصة اسكن وابطاوا عن الاصحار فبادر
روع الفرح بالافراج وعرف ملك الانكلتير بما تم على ساقته وان الذي وراه
في عاقبته فصرف عنانه وصرف عناده وعاد عاديا بحمايته فحمى بمدده امداده
والملك الافضل قد ملك وسعه واوضح في الجد شرعه ويقول من وصل
اليه يده ولقد كان يضعف اعداد الاعدا لو تضاعف عدده وبقي يلهف
على ما فاته من الفرصة واعوزه من حصة تلك الحصة فقد انهاض بانهاضه
جناح الكفر وكان يفتح لارتيابه رتاج النجاح في النصر ومن جملة من كان
مع الملك الافضل من خواص الامراء والمماليك سيف الدين يازكوج وعز الدين جرديك
واتفق قولهم على ان العدو كان قد انتكس وتبدد نظمه وانبتر وانه لو
اتصل بهم مدد لم يسلم من الاعدا احد ونزلنا تلك الليلة بالعيون في
الوقت الميمون وعلى الساقة المنصورة لحفظ الانتقال لمن عل ما تخلف من
العدو والمغارة علم الدين سليمان وحسام الدين بشارة ورحلنا يوم الاثنين ثاني
شعبان ونزلنا بقرية يقال لها العباعين وبتنا بمنزلة يقال لها عيون الاساود
وامر السلطان للمشورة بحضور اوليائه وامرائه والاماجد والاجاود والفرنج
لما وصلوا الى حيفا وقد وصل اليهم الحيف وساقهم السيف وخلصوا من
تراجم النصال وانياب النبال اقاموا بها حتى تندمل جراحهم وورد السلطان الى
الملاحة وهي بعد حيفا منزلة القوم وكشف ما حولها من الحوم وعرف هل
عليهم منها مدخل وهل يصاب منهم فيها مقتل ثم عاد الى منزلته واقام بها
يوم الثلاثا وسير الاثقال الى مجدل يابا ليلة الاربعاء واصبح راحلا فما حل

حماه بالصرايا احيانا ما حلا ونزل على النهر الذي يجري الى قيسارية دعسكره
في طرف البرية وكان العدو قد نزل الى الملاحة ومكث بها للاستراحة
واقام السلطان بتلك الناحية يتحول من رابية الى رابية ويرهف للقا العدو
نصله وحده كل عزمه نابيه واتى مرارا باسارى خطفوا من مواقفهم
وتخطفوا من مناتهم وطرق الانكار الى نوايب نوائبهم فامر باراقة دمهم
وازاحة رمقهم واخبره بعض الاسارى انهم يوم رحلوا وصلوا الى حيفا
حيارى وطرح منهم وجرح كثير سوى من اخذ فهو الان اسير وهلك منهم
عند حيفا اربعماية فرس ونجو منهم بانفسهم على اخر نفس ولو انهم
كبستم كبستهم واعريتموهم من الحيوة لو انكم بهم لتنتشم ۝

فصل من كتاب الى مظفر الدين

بذكر ما جرى بعد الرحيل من عكا الى هذه الاستدعاية

ولما فرغ الفرنج من شغل عكا حسب ان كل بيضا شحمه وان كل سودا فحمه
وعلى صوب حيفا واقعا في خفه باختيار بطلقه زاعما انه على قصد عسقلان
خذله الله وخيبه في قصده ورغمه وهو حاضر مثلا على صده ورغمه
مستهل شعبان وملك الانكلتير قايدهم الى البوار ووافد اهل النار الى النار
وقد لقيناهم من بوادرنا بوادر التيار وقد رحلنا في عراضهم لاعتراضهم
وتعثرهم في طرق انتهاضهم ولقوا يوم رحيلهم من البركة الركبة كل
نكاية فيهم شديدة وكل روعة لهم مبيدة فانهم قطعوا ساقة العدو
عن المصاف مقدمته وفلوا عن الجدة في الحركة حد عزمته وقتلوا خيلا

رجاله وفوارس ورجاله وقد رووا تمكنوا وجرحوا فاثخنوا ونهبوا
وسلبوا واخذوا رووسا فقطعوها ووردوا نفوسا فقلعوها وغنموا
اقمشة واسلحة وحصوا من الاحقين بهم قوادم واجنحة ونزلوا على
نهر حيفا وقد تم عليهم الحيف وحكم في قتلهم السيف واقام الى
هذه الغاية لمداواة جراحهم ومواراة طرحهم واراحة طليحهم وانما
ركوا من زحفهم وقد رحلنا وسبقناهم الى طريقهم عازمين على تبديدهم
وتشتيتهم ايدي سبا وتفريقهم فقد تمكنت بنا بايد الله ايدي الابلى
من سبيهم وقتلهم والله يجمع لتفريق شملهم وما جدد الله لنا بعد هذا
اليوم من غبطة ولا عدانا من غبطة الا وتبادر ببشارة الى المجلس
ليقوى في نصرتنا عزيمته ويبتهج بارق التوفيق في موافقتنا شيمته
وليروض مواصل الامال مع اوائل الديمة الربيعية ديمته ويعلو الى سوق رواجه
من الدين باطن انه رخصت قيمته وكيف لا ياخذ ذلك الكريم بثار
الاسلام وقد سمعت من عكا كريمته واذا تامل عرف ان الخطب عظيم
وما الدافعه الا العظيم والهم مقيم وما الدافعه الا باشه المقعد المقيم
وسيقضي دين هذا الدين العديم العدم ۝

وقعة قيسارية ۝

وفي غدوة الاحد تاسع شعبان جاءنا خبر رحيل الفرنج السلطان
سايرون ثايرون وعلى اجنحة الجرد طايرون وحول رجالتهم خيلهم دايرون
وهم في جمع لهام قد اقتسموا ثلاثة اقسام كل قسم راجله بخيله محفوظ

وما عين القتيل من الاخرين من خلفه وقدامه ملحوظ وكان السلطان قد تقدم
من الليل بركوب الخيل فركب في كل خواص للغمرات ماض بالعزمات رواعي
لتجاهات نهاض بالحاجات ملتثم من اللثم بالنقع والدجى ملتحف لولا الروع
ما حلم والحي مقيم في حومة الوغى مضطرم جمره الظبى على برابع سعلن الردى
على صهواتها وبارقت الصفاح بصفحاتها وتعاسل الرماح باعناقها وطلاتها
وبيضهم من رجال الحلقة المنصورة كل سابق الى المنون سابق وكل بابق الى
المارق مارق وكل طاير في الغبار على ساح وكل عابق بالنجيع صباح
في غرات مرطبه بالعراب ورفاق محطبه الى الرقاب وسار العدو وسنا
بمريد وتبارده وتجترى عليه وتجاريه والجاليشيه ترمي وتدمي وتصمم وتمي
والسهام تقصد من الاحراق اوكارها والاوتار تنشد بالارباب
اوتارها وهم في لباس حديد سد على السهام المنافذ واشتبك النشاب
بينهم فاشتبهوا قنافد وكانت هناك بركة كبيرة ومياهها
غزيرة وهم على عزم ورودها والاحاطة بحدودها فجلاناهم عنها
وابعدناهم منها وكان الحزم تركهم حتى يخرجوا الى القضا فيدخلوا من
جماجمهم تحت حكم القضا لكنهم ارتابوا وارتاعوا وطلبوا النزول
بها فما استطاعوا فانحرفوا الى الساحل وانصرفوا بالفارس والراجل
واجتمعوا سايرين وساروا مجتمعين ومالنا نلزمهم ونهزمهم ونجرهم
ونكرهم بمثل رحلتهم وعمت بمقتلتهم وشملت الصفاح وخطمت
الرماح واجرت للانهار الجراح وجرى بالارواح السماح وحظ السلطان

في الجاليشيه ناجح الارادة نافذ المشيه ونزلوا على نهر يقال له نهر القصب
وقد انصبوا الى النصب وما كانوا يرجون وما كادوا ينجون ولما نزلت
بهم في مسيرهم النوازل ونزلوا وحين ولبيتهم نصالنا ومناصلنا / نعراوهم

مقتل اياز الطويل

واستشهد في ذلك اليوم الهمام المقدم الاسد الضرغام الطاعن الضارب الباسل
الباسل الغضنفر الهرماس الفارس الفراس اياز الطويل وطالما عرض نفسه للشهادة في سوق
الشهادة وتقدم اقدام الساعي الى السعادة ودان الى الصرح اسمع بمضت للعطاس
المتواسع مسنمت والى ضيف الحمام اسبق سالف ولسيفه لاقدام ارشق مطلب لا يروعه
الروع اذا حفزته عزمته ولا يهوله الهول اذا همت به همته وهو اول من يركب
واخر من ينزل ويبدر بسواه وهو متنسل وساير الى المصادم ولا يمهل وهو ابدا يدعو الى
المبارزه ويعدوا على المناجزه ويقف بين الصفين على صافنه ويرحل على مطايا الحنايا
من سابق كنايته الى مقاتل المقابلين طعان صعابيه فما برز اليه الا من برزت منونه
وبانت بالدم من عيونه عيونه فكم كف للكفر كفها وبكر للنصر زفها
وانف للشرك جدعه وذي انف للنسك صرعه ولمه للغضنفر صبح لثعالب رماحه
وطلبه للمعتمر طبت فيها اذيه صفاحه واجفان للاقران بثت فيها اهداب
سهامه ووجوه للسعار تقلمت في حساب حسامه فلما جاه الاجل ما اجل ولكن
الى الجنة به عجل فان رحمانه حانه وما صانه فعثر به في حالة للاقدام وحلى
ثمره في هاله الحمام ولم يخف ثقل الحديد للقيام وطعن وضرب واتاه من الكوثر
سلسبيله فشرب ولما ادركه الاصحاب في القوه وقد فات ورافوه في عليش

الاحيا في سبيل الله الاموات ونزلنا بعد انقضا الحرب على البركة شرقي
الشوكة حذا السفينة ثم رحلنا ونزلنا على نهر القصب في اوله وهو الذي نزل
العدو على اسفله فتقاربت ما بيننا تلك الليلة المسافة وعدنا للامر وعد
المعد والمحافظة ولما اصبح السلطان يوم الثلثا مكث على النيات والهدو
ينتظر ما يكون من خبر العدو واقام الفرنج على حالهم لمتعبهم وكلالهم
ولاستيئاسهم (?) من جراحاتهم عدموا منها ممتاج راحاتهم وكذلك ما ملكهم
من رعب الهلاك والاشراك في الارتباك

وقعة لعز الدين بن المقدم

وكان عز الدين بن المقدم في سابقة مستشرفا للحفظ والادراك فبصر بجماعة من العدو مقبلين ركبوا بغير عدة مسترسلين ولاخبار عساكرنا مستشعرين وهم مما الحكم (?) عليهم غير متخوفين فعبر اليهم النهر من ورائهم واستظهر عليهم ولقيهم فقتل منهم عدة ولقوامه (?) شدة واسر بقية قبل ان يسالوا اغاثة ثم ركب الفرنج اليه وحملوا عليه وكانت وقعة عظيمة جلبت لنا غنيمة وعليهم هزيمة واحضر الاسارى عند السلطان بخزائم الذل والهوان فاخبروا انهم خرج منهم بالامس الف وسرى فيهم وهن وضعف وقد جرى عليهم امر عظيم وبلا مقعد مقيم ورحلنا وقت الظهر وعبرنا في شعرا ارسوف في طريق الوعر ونزلنا وقت غروب الشمس بعد الخروج من تلك المذاهب على قرية يقال لها دير الراهب ومضى السلطان جريدة الى قرب ارسوف واطال هناك الوقوف حتى راى ارضا في طريق العدو تصلح للقا بدو الاحراق (?)

بها من امامه وورائه واقام يوم الاربعا في ذلك المنزل والعدو في منزله الاول

ذكر اجتماع الملك العادل وملك الانكلتيرة

كان في اليزك علم الدين سليمان بن جندر وقد ظهر فيه واستظهر فراسله العدو على ان يتحدث مع الملك العادل ويجتمع به ويترك على اربه ويعرب عن مطلبه واجتمعا يوم الخميس على النائبين (?) ثم تحدث في الحوادث وعوادي الحرب العوائث وان السلم متعينة والسلامة فيها متبينة والمصالحة مصلحة والعائدة فيها مرجحة قال وما جئنا الا باصراخ اهل الساحل فرقنا في الشغل الشاغل فان اصلحتموهم واصلحتم استرحنا واسترحتم فقال له الملك العادل ما الذي به تحاور وتحاول فقال رد البلاد برد البلاد وسلوك مسالك الاسعاف والاسعاد فقال له العادل هذا امطمع فيه وغير رسم باطل حقيقا معقده ودون حدود البلاد حدود الجلاد وخلط الهام وخرط القتاد وصرف عنان صرف البلا الى المنصرفين بالعناد وادركته حكم الحمية والحفيظة وغلى مرجل غيرته في الكلمات الكاملات المغيظة وكان الترجمان بينهما همفري بن همفري فلما سمع ملك الانكلتير ما راعه ما استطاع سماعه وثار ثوره المحنق المحرق وآل اجتماعهما الى التفرق

وقعة ارسوف

لما علم السلطان من اخيه الملك العادل ما جرى بينه وبين ذلك الطاغية وانه مصر على المباغي الباغية جمع يوم الجمعة وقت الاصباح الاصحاب واستحضر من اسد غابه من غاب وامر برحيل الاثقال واقام في رعيل الرجال وركب في عجم انجاب وعرب على عراب وكرد على جرد وكل سابق وارد على خيل من

بيمانتها آثار الظفر وعلى جباهها أنوار اليمن بأكباد غلاظ على العدى
ورقاق حداد على الطلى ونبال مصمية لثار المصمم ورماح لدن لدنها ضغم
الضيغم المعلم فأقام العدو سواد قومه ببياض يومه وبات وقد فارق
جفنه غرار نصله ونومه فلما أسفر صباح يوم السبت رابع عشر شعبان
ركب العدو على صوب أرسوف وقد ضم الرجال والفرسان وهو ساير في
تيار حالك وسبيل سالك وحبل مالك وحزب الشيطان وحزب الإيمان
أصحاب الجحيم وأقطاب الضلال البهيم وخطاب الخطوب وأنداب الندوب
وكفاة الكفاح وصفاة الصفاح وأجناس الكفار وأجناس الداوية
وأجناس الإسبتار وكل عيار غير وان وأعوان معقل أعوان
وكل أرقم في جلد أرقم وكل أشقر أزرق على أدهم فأحدقت بهم أطواق
عساكرنا إحداق النار بالحلقة وتعلقت بسور صوامرها الأرض إلى السماء
وخاضت الغمرات وأفاضت الجمرات وأفاضت المهجات وشبت نار الهيجاءات
وهبت رياح الغربيات وألهبت شعل اليمانية وألهبت بها مقل الفرنجية
رجال عليهم في الجاليش للترك على الأكاديش وأحرقت سهامهم
كالأهداب بالأحداق وتربت بنصلها لمضايقة الأعناق ولمع شرر النصال
في دخان النجاح وحرقت بنات الجنائب الخرق بجناب الجناح وأفضى بعض
بنابيع النقع إلى الأعمال الإعلاج فإن الفرج أغدوا في سيرهم وجدوا
واحتدموا وامتدوا وقربت منهم الأبطال واختلط بهم الأصحاب
وتعانقت الرفاق والرقاب وأحرج القوم وتقطعت بهم الأسباب

وقربوا من أرسوف وقد لاقوا منها الحتوف والخسوف وضاق خناقهم
وحاق بهم ارتعاقهم ونشبت الجاليشية فيهم بالنشاب ونسلت سهام
المرهفة في أولئك الأوشاب فاحتملوا في جلودهم الجرح دم أجلادهم
الطرح ووجدوا الموت الغال مسترخصا وأيقنوا بالدمار ولم يجدوا مخلصا
وعرفوا أن البلايا عليهم متصلة غير منفصلة وأن فرارهم لما فوقها القوة
من النكاية غير محتملة فحملوا على الأطلاب المنصورة حملة واحدة
زحزحتها عن مواضعها وكادت تخليها شوارع القنطاريات عن مشارعها لحدتها
فحيرت إلى القلب المنصور وفاز من رجوه النصر بالسفور واستشهد في
تلك الفورة النائرة والثورة الفائرة سعيد استقبلوها بالسنة الأسنة
أجابوا داعي الله بأن لهم الجنة فما عرضوا حتى صرعوا ولما اشرعت اليهم
الرماح اشرعوا ثم كرت عليهم نجبة الرجال كرة أردتهم وردتهم
وصدتهم عن الاستبشار في حد تلك الحملة وصدتهم وفرست منهم
فوارس وانعكست معاطس وفرشت بالعراء منهم أشلاء والحمتهم طعانا ورميا ونزلوا
في أرسوف وقد كسروا وخسروا وقتل منهم قوم وأسروا وأدى ذلك اليوم
ثبت على صدمة القوم الملك العادل سيف الدين وحمل في أصحابه أسد العرين
وسد كالى بحورهم الشوارع وقلع منهم قلائع وثبت عسكر الموصل وكذلك فأعار
النجمي في موضعه الأول وكانت العساكر في ثغر أشد وتنجز أمنا نشبطه
فلما رأى العدو اندفاع المسلمين قدامهم لن يأمن زحفهم رأى اقدامهم فعاد
وعبر أرسوف ونزل قريبا من الماء وبات السلطان تلك الليلة على نهر العوجا

رافقة التدرو يوم الاحد في موضعه منكوبا بشعب نغبه ثم رحل يوم الثلثا
سايرا الى يافا ليستدرك بها فارطه ويتلافا ونازلتهم العساكر
بالنزال الى ان نزلوا وقطعوا طرفا نهر حتى وصلوا ٥ ٥ ٥

فصل من كتاب السلطان الى الديوان

العزيز يشتمل على ذكر الوقايع المذكوره بعد الرحيل من عكا
سار الينا الى مواضع ما التزك عليهم فيها سبيل ولا لقداح القراع في مجالها مجيل
وعساكرنا تضايقهم في كل مضيق وتطرقهم بالبلايا بل المنايا في كل طريق وهم
على البحر لا يفارقونه ومن المورد الى المورد في كل رحله لا يتجاوزونه فان المياه
قريب بعضها من بعض وسيرهم بمقدار ما بين المنهلين واذا الزموا بعدا
بين المنزلين وكانت لنا الى هذه الغايه معهم في كل بقعة وقعه وفي كل
مرحلة مقتله وفي كل منزله منازله واوردناهم الردى في كل مورد وقصدناهم
بالشدايد في كل مقصد وتسعلنا حماتهم للحمام في كل سبيل وشاصباحهم مثل
في كل معترك ومقيل وطريقهم على البحر كلها مضايق واجم ورمال ومواضع لا يتسع
فيها مجال ولا يتهيا قتال ولما وجدنا فسحه ضايقناهم وارهقنا حد العزايم
والصوارم وارهقناهم وجرت معهم عده وقعات كاد الكفر فيها يبور ودايره
السوء اهله بها يدور وما اهل النار يفيض باسنا عليهم يغور ولولا ان الله قد
اخر سوء عده في نصر اوليايه وقهر اعدايه لوقع الفراغ من شغلهم وشمل
نعمه لنا بتبديد شملهم ومنها يوم رحلهم من عكا الى قيساريه وبذالك
فيها منهم الرمية بل الجمة وكان الولد الافضل بوسيرة متولي الترك

تتولى اشعار لهب المعارك ووقف لهم في المضيق على الطريق ويا شرذمه تهم
بالتفريق وقطع اخرهم على اولهم وعاق الشاقه عن الوصول الى منزلهم
وبلي ونيل ونكل وهتك وقتل وسفك وطلب وادرك وعبر الفرنج
نهر جيفا لما دهمهم من الامر واحتموا بالمنزل الوعر ووصل عشيتها وقد
تمنعوا بالنزول وجمعوا في الوعور عن السهول واسبق اليهم نهج للوصول
واقام الفرنج في تلك المنزله اياما وقد بالت معاطشهم ارغاما حتى سنحوا
عددا واستحدوا امددا واستمدوا من وراهم عددا واحكموا التدبير
واستانفوا المسير ٥ ومنها يوم اتصالهم عن قيساريه ما زلتهم
الرماة ترشقهم بالمعرته وانفذت اليهم رسل المنيه وقتلت منهم مقتله جيدة
تبع نزل السهام الى مقاتلهم مصوبة مسدده الى ان احتموا بالنزول وحلوا
عقد تلك البليه عنهم بالحلول وقد قتل من خيالهم عدة الف راس لم ينفصل
راجلهم الا وهو في ترب النجيع داس ثم دانت المياه في طريقهم متقاربه
المناهل والمسافات غير متباعدة المنازل فاذا نزلوا بالمنزله ارسلوا الى
المنزله ولا دوهم اهل النار بالما وقادهم العجز عن الاحتمال الى الاحتماء لهن
استقلوا منتصف شعبان سايرين على البحر مادتهم وعادتهم شاكين في
سنعهم ممتعين بشوكتهم وشكتهم والخيل تجري بهم حربان الشيل والرواجل
يلتف عليهم في مثل سواد الليل والعساكر الاسلامية حايله في عراصهم
مايله الى اعراضهم موقعه في جرامها معوقه لشهامها محرقه اهل الجحيم
جرامها ولما نشب بهم الشراب واعجزهم وازعجهم واخرجهم بكثره

الركابية فيهم وان هجم فحملوا بجملتهم حملة واحدة وجاووا كالسحاب بارقة
وراعدة واندفعت الاطلاب الاسلامية امامها ولم تثبت قدامها حتى
ابعدوا بخيلهم في حملتهم وتفرقوا عن كتائبهم في معركتهم ولحقتها
الشيطانية هزيمة وبانت بالعاقبة انها كانت عزيمة فان القلب المنصور
ثبت لقيه المتخير وسويلا للمتعزز والمتحرز ووقف الاخ العادل ثابت
قلبه بانيا طلبه وكر عليهم في حربه ذوي الحمية والانف الابية
والهمم العلية كرة ردتهم وارتدتهم وصدتهم عن بلوغ الغاية وصدهم
واستدركت ما فرط في النوبة من النبوة واستمسكت بما استانفته في العربة
من القوة وقتلت منهم كثيرا كبيرا وعددا كثيرا وعاد دطهم هامهم بالعراء
ثم نزلوا بارسوف راغمي الانوف قد فل حدهم وقل كيدهم وكان هذا
داعونهم الهالك ليشيف سيف الدين مطاع اوليك الملاعين واللبس
والمعروف بسيرجال واستمر عليه قبل وصول ملك الانكلتير وتحت حكمه
عدة كبيرة من القوامصة والبارونية ونفذ امره الى الداوية والاسبتارية
وكان من عظم شانه وفخامة مكانه انه يوم صرع قاتل دونه جماعة
من المقدمين المحتشمين فما قتل حتى قتلوا ولا بذل روحه حتى بذلوا وجزع
ملك الانكلتير لمصرعه وفزع من ورود مشرعه ونزلت العساكر
الاسلامية على الماء وهو بعيد من مخيم الكفار وخيمت عليه خيم الاصطبار
ثم رحلوا وقصدهم العسكر فما دفعهم لقرب يافا وكل استدرك
لقصده اياهم تلقفه زللا في محال دونهم لقدح مسونهم مخيلة ومن جمعهم

يقمعهم منديلا وعلى قومهم يوقفهم محصلا حتى يا سطعهم في مبادئها
ونالهم في بساتينها ورابطهم بالاسود في عرينها واسرى الخنرير
سراحينها فما وصلوا المدينة الا وقد تحطموا من خولها واستولى الرعب
على قلوبهم من نيات الحرب وهولها وخافوا من قربهم مسيلة البحرية
رعولها وما صدقوا كيف نجوا وافلتوا وسكنوا فيها بنية الاستيطان
وتثبتوا اذ علموا انهم ان خرجوا اخرجوا وان سلكوا هلكوا ويزعموا
انهم اذا صبروا ملكوا ٥

ذكر ما اعتمده السلطان بعد دخول الفرنج مدينة يافا ٥

رحل السلطان يوم الثلثا تاسع عشر شعبان ونزل بالرملة واجتمعت الاثقال
كلها به في تلك المرحلة ورحل ليلا واصبح على يبنا وجاوزها الى تمر وامر
الخيام به فبنى وزرنا بيبنا قبر ابي هريرة رضوان الله عليه وبادر الناس
الى التمرية اليه ورحل ونزل بظاهر عسقلان بعد العصر وشرع فيما عزم عليه
من الامر ٥

ذكر خراب عسقلان ٥

لما نزل السلطان بالرملة احضر عنده اخاه الملك العادل واكابر الامرا
وشاور في امر عسقلان ذوي الآرا فاشار علم الدين سليمن بن جندر بخرابها
للعجز عن حفظها على ما بها ووافقه الجماعة وقالوا فرضا وعن حفوتها
الاستطاعة فان هذه يافا وقد نزلوا بها وسكنوا فيها مدينة بين
القدس وعسقلان متوسطة ولا سبيل الى حفظ المدينتين ولا الى حال

لكونه البلدين فان كل واحد منهما يحتاج في حفظه الى عشرين الف مقاتل
والى الاستكثار لاجل ذخايره الى كل حاصل فانظر الى اصوب الرايين
تقدمه وابصر اخطر الرايين فاحسمه واعتمد الى اشرف الموضعين
فحصنه واحكمه وسمعنا ان عسقلان اذا وصلوا اليها وهي سالمة يسلموها
واستظهروا بها واحكموها وسعوا بها الى سواها وبلغوا من بغيتهم
بعضهم الى منتهاها واقتضت الارا اقامة الملك العادل بقرب يافا
مع عشرة من الامرا حتى اذا تحرك العدو كانوا منه على علم ومن قصده
على عزم ووصل السلطان الى عسقلان وشرع في هدمها بكرة يوم الخميس
تاسع عشر شعبان ولو حفظت لكان حفظها متعينا وصونها ممكنا
ولكن وجد كل له متجنبا متحسبا وقد راعتهم نوبة عكا وحفظها تملت
سنين وعادت بعد ذلك بمضرة المسلمين وقال من تعلل واعتذر
عن دخولها وحل عقد عزمه عن حلولها تدخلها انت او احد اولادك
ندخلها اتباعا لمرادك فحينئذ لم نجد بدا من نقض اسوارها وغض
انوارها وفض سوارها وتعفية اثارها وتطفية نارها ولو كان دفع
الاعشار باثمانها منذ يوم فتحها واقتنائها لما تطرق الى ايديها
خلل والى يدها شلل ولا الى حدها فلل ولا الى ودها ملل ولقد ركبت
اليها وطفتها واستحسنتها واستلطفتها ورايت سورها قبل هدم
سواره ونورها قبل ذبول نواره فما رايت احسن منها ولا
احصن ولا احكم من مبانيها ولا امكن وسكانها كانوا في

218 رفاهية فانتقلوا منها على كراهية وباعوا انفس الاعلاق باخس
الاثمان وفجعوا بالاوطان في الاوطار وشان اسوارها وبان انوارها
وناحت لاواوها وناحت اضواوها وسمع عمل المعاول في معاقلها
المعوله ورايت دايرة الزلزال في دورها المتزلزله وناحت الحمايم
النواحي ومسحتها المساحي وحرقتها المحارق واحاقتها المحاق ودمرتها
المعارف وبهرجتها الصيارف ونعبتها النواعب ونعمة الابوا غث
ونابتها النوايب ونزلتها النوازل وغالتها الغوايل وسفتها
السوافي وعفتها العوافي وخلت مدارس اياتها من التلاوة وخلت
مجالس مكرماتها عن التلاوه وصوحت مجاني مبانيها وطوحت معاني
مغانيها وعادت مغاني مغاويها ووقفت على طلولها واستوقفت
واستبكيت خليلها واسفت وتلهبت وتلهفت وشاهدتها وقد حسرت
حسنت ومحي سنا محاسنها وحفيت وبكيت تلك الربوع وهدت
لسقياها الدموع ولقد اصيب الاسلام بعروسها وعبس الوجوه
لعبوسها حتى بار ربع بوسها فلما خلت مساكنها من سكانها
وتكلف بالبيوت رماد نيرانها رحل السلطان يوم الثلاثا ثاني
شهر رمضان ونزل على يبنا وقد نزل سور عسقلان وتعذر ان يبني ونزل
يوم الاربعا ثالث الشهر بالرمله وتفصيل جملته باد على التفصيل
الجمله وامر بتخريب حصنها وتخريب لد وبذل كل جد في ذلك
الجهد وركب جريده الى البيت المقدس واتاه يوم الخميس واعاد

الى ان رسم النابلسي وخرج منه يوم الاثنين ثامن شهر رمضان بعد الظهر وبات في
بيت نوبه وقد نال بمباشرته من مصالح القدس المتوبه وعاد الى المخيم يوم الثلثا
ضحوه وقد احكم من كل ما رامه حظوه وفي يوم الاثنين ثامن شهر رمضان وصل
صاحب ملطية معز الدين قيصرشاه بن قلج رسلان ملتجيا من اخيه وابيه الى السلطان
فتلقاه الملك العادل وجاءته منه الفواضل واقام في الخدمة السلطانية مدة
واستجد بها جده وقوة وشدة واستظهر بالمصاهرة وقوي منها بالمظاهرة
فانه تزوج ابنة العادل وعاد سارح ناجح الوسايل وفي هذا التاريخ وهو الاثنين
خرج ملك الانكلتير في خيالة منكر البلوى لحشاشته وحطابه فخفر الخرج عليه
الكمين فنشب به اللعين وجرى قتال عظيم وكان لاصحابنا موقف كريم وكاد الملك
يوخذ ويوقذ والطعن في لبته ينفذ ففداه فارس من اصحابه بنفسه وسعل
طاعنه بما عليه من حشر لبسه فاشتغل به واسره وافلت اللعين واخفى اثره وقتل
واسر من خيالته جماعة وانهزموا من تلك الكرة الخاسرة وقلوبهم من تابعه
وجرت ايضا يوم الجمعة ثاني عشر الشهر حرب بين اليزكية واهل العكو وسبعين
لنا فيها وجوه النصر وقتل مقدم لهم معروف بالشجاعة موصوف ورحل السلطان
يوم السبت ثالث عشره ونزل على تل عال عند النطرون وهي قلعة منيعة محصنة
للحصون والعيون فامر بهدمها وهدمه وقلع عرسها ورسمها واشاع بها الاقامة
واقام فيها على العسكر الكرم والكرامة وحمل الناس هناك على الاحتياط
على الاثقال وانفاد الجمال لنقل الازواد والغلال

فصل من كتاب الى الديوان العزيز

في وصف مطاولة الحرب والجراح وفناء الخيل والعدد والسلاح

قد انهك العسكر طول البيكار وانضاه قتال الكفار بالليل والنهار ولاسيما في هذه
السنين الاربع فانه لم يعرج فيها عن مباشرة الحروب ومعاقرة الكروب على
مصيف ولا مربع ولا مشتا ولا مصاف الا حيث صف العدو وصاف وقد تكررت
عليه الزحوف وتعثرت به الحتوف وتفللت فيه السيوف وتخللت به الصفوف
ونحصت بانجاده الالوف ومحضت كتائبه دسمه ورد الجريد الاحمر الطوف
حتى سئم وملّ وضجر وكلّ وكم عقد عزمه وحلّ وانهل نصاله من دم الكفر وعلّ
وامل النصر فقال عسى ولعل واما خيوله فقد اجهدها الجهاد وانضاها
الطراد ومزق جلودها الجلاد وعزت منها لكثرة الجراح الجياد وعادت شهبها
كمتا حدود البيض الحداد وحيث داخلها الرعب من جروح الجروح وتعرو
السهام منها بين الجسم والروح صارت تنفر من رنة الحنية ورايه المبرية كان عندها
للاوتار اوتارا ولخطيات النصال في لباتها اوكارا وكانها للمارات انها ثارها
في المطار وتجاريها في المضمار ثارت لادراك الثار وهذا سبب ما جرت من
النفار وما عادت الا ان تحل على راجل الكفار واما العدد واما العدد
فقد فقدت بالكلية وعدمت وتكسرت وتحطمت وتقصفت وتقصبت
وقلت قبل المقاتل بها وفي يد من استشهد استشهدت واما النشاب فانه
قد فني بعد ان اخذ من اخشابه جميع ما وجد واقنى وقد عدمت اشجاره في منابتها
واعوزت من منابتها وتقصفت الكناين وافضت منه ومن كل ما يدخر الخزائن
وما ينوح الصناع في الممالك بمصر والشام وما يجري معهما من بلاد الاسلام معمول وبرسول

ويفصلون ويعملون ويكملون ويحملون واجتمع في هذه السنين التي استمر فيها القتال
الى احمال كثيرة لا يفي بها الصناع ولا يرفعها العمال وحسبها ان يصولها عدمت من
جديد هذا المعادن واخليت من ذخايرها الاماكن هذا والحاكم قايم باداء هذا الفرض
وحده ومستفرغ في قطع دابر المشركين عزمه وجده وما استمر على مساعده
وموازرته ومعاونته الا صاحب الموصل وسنجار وكلاهما عن سنن الاسعاف
والاسعاد كان حاد فهو يحضر تارة بنفسه واونة بولده ويستمد من جد الموازرة
في اخذه ويواظب بعدده وعدده ومدده في مطاوله مدده ٥

ذكر ما تجدد للملك الانكلتير من
المراسلة والرغبة في المواصلة ٥

وصلت رسل ملك الانكلتير الى العادل بالمصانعة على المصافاة والموافاة في الموافاه
وموالاة الاستمرار على الموالاة والاخذ بالمهاداة والترك للمعاداة والمظاهرة بالمصاهرة
وترددت الرسل اياما وقصدت البنيانا وكادت تحدث انتظاما واستقر تزوج
الملك العادل باخت ملك الانكلتير وان يعول عليهما في الجلوس في التدبير
على ان يحكم العادل في البلاد ويجري الامر فيها على السداد وتكون الامراة في
القدس مقيمة مع زوجها وتستسهل من قبوله في اوجها ويرضى العادل
بقدمي الفرنج والداوية والاسبتارية ببعض القرى ولا يمكنهم من الحصون
التي في الذرى ولا يقيم معها في القدس الا قسيسون ورهبان ولهم منا
امان واحضر واستدعى العادل والقاضي بها الدين بن شداد
وجماعة من الامراء من اهل الراي والسداد وهم علم الدين سليمان وسابق

الدين عثمان وعز الدين بن المقدم وحسام الدين بشاره وقال لنا امضوا الى السلطان
وتخبروه عن هذا الشان وتسالوه ان يحكمني في هذه البلاد وانا ابذل فيها
ما في وسع الاجتهاد فلما جينا الى السلطان عرف الصواب وما اخر الجواب
وشهدنا عليه بالرضا وحسبنا الله كمل الغرض وانقضى وذلك في يوم الاحد
تاسع وعشرين شهر رمضان وعاد الرسول الى ملك الانكلتير بفصل امر الوصله
واراحه الجمله واراحه العله فاعتقدنا ان هذا امر قد تم ونشر النظم
عم وصلح ازم وحلم مضى واستحكم به الرضى وان الانثى تميل الى الذكر ويزول
وسواس الفكر وان يركب البخل الرفد عن الدخل وان الشكر يجلب السهر
ويبدل بالعرف النكر وان الوقايع تومن من الوقايع وان القراع يعفي بالقصار
القارح العارع وان الحرب بسلم الحار وحذف البا وسلم وان عزم العرس في
الغير يسر وغم وان هذا الاخ لتلك الاخت كفو وان هذا العقد للحق
المتسع رفو وان الكدر بعقبه صفو وان التزوج تروح وتقويم لما فيه تعوج
وشاع الذكر وضاع النشر وبلغ الخبر الى مقدميهم ورؤوسهم فقصوه
على قسوسهم وعتر واعلى نفوسهم عروسهم فجبهوها بالعذل واللدع
وجبهوها بالقذع والقدع وقالوا لها كيف كنت تناجينا بالجمع ملم وسلم
تفعلين لما صعه مسلم فان تنصر تنصر وان نستر ع فما نعتشر وان ابى
ابيناه وان ابى ابيناه وان خالف خالفناه واي وجه ها هنا للايتلاف مع
لاختلاف الدين بين الخلاف فهبت بعد ما رغبت وبطلت بعد ما طلبت
وسلت بعدما سالت وبرت بعدما نزلت وكرهت وكانت شرهت

وكانت اكملت وودت انها مرهنت فارسلت الى الرسول واقبلت عليه
بالقبول ثم تغلبت في التقسم واقسمت بالصليب انها مجيبة الى التقرير
والتقريب وانها مسارعة الى التمكين لكن بشرط الموافقة في الدين فانف
الملك العادل وعدل عن استيناف الحديث وابى الله ان يجمع بين الطيب والخبيث
واعتذر الملك بامتناع اخته وانه في معالجتها وتعرف رضاها في وقته
وكان قد استشعر مع تمام العهد وانتظام العقد مفاداة كل اسير باسير
كبير بكبير وصغير بصغير وبشر اوليا الطاغوت بصليب الصلبوت
فبطل التدبير وعطل المقدور وذلك ثاني يوم العيد

وفي يوم الثلثا وهو العيد

اعد من الليل خلع الاكابر حتى سارت اليهم بكرة واخذ في بحسن احسانه لكل
عين قرة ومسرة ثم استدعاهم الى سماطه ونشر لهم بساط نشاطه واجلس
الملك المعز قيصرشاه بن قلج ارسلان عن يمينه واعزه بتقريبه وتمكينه
ويليه حسام الدين خضر اخو صاحب الموصل ولسمو منزلته دنو المنزل وعلا الدين
اتابك الموصل على يساره وهو موثره باختصاصه وخصه بايثاره ومجاهد الدين
برنقش مقدم عسكر سنجار جالس والاكابر كلهم في منزلته منا ثم تفرق
الناس بانس جامع وعرف شائع وعرف ضائع

ذكر نزول السلطان جريدة

ليقرب من العدو ومواقعته في كل يوم

تواتر الخبر بان الفرنج على عزم الخروج وانهم على الاجتماع في تلك المروج بسار

يوم الاثنين سابع شوال وقد ركب العسكر للقتال فلما بلغ قبلي كنيسة الرملة
جميل الحال حالي الجملة خيم وبات ونوى البيات والثبات وجا الخبر في غد
بانه خرج العدو الى يازور في اوفر مدد وتسارع العسكر اليهم وتكاثروا
عليهم وقربوا من جنباتهم واخذوا عليهم من ورائهم وامامهم وناوشوهم
بالنشاب وكاثروهم بالاوباش والاشاب فركب الفرنج اليهم ركبة
اوجبت رهبة وحملوا على الناس حملة واحدة وجلب هماجة عادتهم
عاقدة فانه تعاوس ايديهم فادركوا ضعافا فطمعوا فيهم وتقدم من
المسلمين ثلثة بالشهادة وكانت شعارهم الى السعاده وكذلك في كل
يوم يركب السلطان ما تخلوا من وقعة ولابد للكفر فيها من صرعة

ذكر وقعة الكمين

وفي ليلة الاربعا سادس عشر شوال امر السلطان رجال الحلقة المنصورة بان يكمنوا
في جهة عينها في المواضع المشهورة فكمنوا وامنوا وصبروا وانتظروا وخرجت
الفرنج للاحتشاش وباشروا عثار الحمار هم في الاصحار بالانتعاش
ولقيهم اعراب على عراب بصوارم في ايمانها كانها بوارق في سحاب فوثبت
البهائم الجليلة ورجت في رحب صدورها بصدور الحمام فانه فعت العرب
امامها وحققت انهزامها وما قدرت على قصد موضع الكمين لانسداد
الطريق بالاساد الشم العرانين دون العرين فمزقها العرب في جانب
والكمين في جانب والخيل تركض بسالب من سالب وناهب من ناهب
ونجا العرب وقد انهم الطلب وحضروا باسارى ونهائب وافراس واسلاب

فأما أصحابنا في الكمين فانهم ابصروا الفرنج قد اقبلين وفي المعركة الخبر
خرجوا على ظن انهم على قصدهم فلما ابصروا انهم تشمروا ابرزتهم عن وردهم
وركضوا اليهم على بعيد فانبعث الخيل بما حضر وامده من احمار وشد وحملوا
الى الفرنج والجياد قد زحت والقوى قد نزحت فاضطروا الى القتال
ووقفوا على الاضطرار وقتلوا جماعة من كفاة الكفار واستشهد لله
من المماليك الخواص الكبار وهم ايار المهراني وجاولي العبيدي وصاروا واورثوا
جنات النعيم بما اليه صاروا واسر من الفرنج فارسان معروفان واحضرا
عند السلطان وانفصلت الحرب وقت الظهر وعاد حزب الاسلام عن
حزب الكفر وجلس السلطان والقلايع تعرض عليه والخيل تقاد اليه
والاسارى يحضرون بين يديه واخوه العادل عنده جالس وكلاهما لاخيه
مؤانس ○

ذكر اجتماع العادل ○ بملك الانكلتير ○

وفي يوم الخميس ثامن عشر شوال ضرب العادل بقرب اليزك لاجل ملك
الانكلتير ثلث خيام واعد فيها من كل ما يراد من فاكهة وحلاوة وطعام
وحضر ملك الانكلتير وطالت بينهما المحادثة ودامت المنافثة والمنافقة
ثم افترقا عن موافقة ظاهرها ومصادقة قررها ومضى الملك واستصحب معه
كاتب العادل المعروف بالصنيعة ليتفقد الاسارى الدرنيا فا ويتدارك امرهم
ويلافي وقد كان وصل صاحب صيدا من صور برسالة المركيس وانه [illegible] عن
في سلوك نهج التابعين وان يكون للسلطان مصالحا وله على الطاغية مصالحا

حتى يقوى يده على ملك الانكلتير ويتفرد هو بالملك والتدبير وعرف
ملك الانكلتير بالحال فوصل رسوله ايضا بالالحاح في السؤال ومضى
العدل مع صاحب صيدا الى المركيس على شرايط قررت وسيح ايمان
حررت واما مراسلة الملك فلم تستقر على المقصود ولم تجر
من يلونه الا على المعهود فكلما ابرم عهدا نقضه ونكثه وكلما
نوى امرا عكسه وعكسه وكلما قال قولا رجع عنه [illegible]
استودع سرا لم يصنه وكلما قلنا يفي خان واذا خلنا انه [illegible]
وعن كل خير ابان ○

وفي يوم الاحد سابع وعشرين شوال

عاد السلطان بالمخيم الى النطرون واقام على الثبات والسكون وفي يوم الخميس
مستهل ذي القعدة سار ابن قلج ارسلان صاحب ملطية مودعا وركب السلطان
وسار معه مشيعا وعقد له على ابنة العادل بصداق مائة الف دينار ومضى
وقد حصل على ذخاير من استبشار وافتخار واستبصار وتيسير ويسار ○
ورحل الفرنج يوم السبت ثالث ذي القعدة وتقدموا الى الرملة ونزلوا بها
وخيموا في اقطارها وسهولها ولم نشك انهم على قصد القدس باهل
الرجز والرجس فاقام السلطان وفي كل يوم سرايا للكفر منها زوايل
ولنا في كل يوم وقعة شديدة وقتلة بالكفر مبيدة وما خلوا يوما من
اسرى تقاد وغنايم تستفاد ثم توالت الامطار وتوعرت
السهول وتوحلت الاوعار فعزم على الرحيل وامر بالتحويل ○

ذكر الرحيل الى القدس يوم الجمعة
الثالث والعشرين من ذي القعدة ٥

ورحل السلطان يوم الجمعة والغيث نازل والنصر شامل وفضل الله متوا
صل ومعه سايرون من بركة الجهاد الى بركة القدس صابرون والقاضي بهاء الدين
ابن شداد تسايرني في مسائل من الخلاف يباحثني ويناظرني حتى وصلنا الى القدس
قبل العصر وقد نشر السلطان لوا النصر ونزل بدار الاقسا المجاورة لكنيسة
القمامة ونوى بها الاقامة وشرع في تحصين المدينة لتحصيل السكينة
وصلى يوم الجمعة مستهل ذي الحجة في قبة الصخرة وضجت الالسنة بالدعا
وفي يوم الاحد ثالث ذي الحجة وصل حسام الدين ابو الهيجا من مصر بعسكر مجر
وتبعه بعد ذلك العساكر المصرية ووصل الخبر بنزول الفرنج بالنطرون
واذن ذلك بتزاحم الافكار وتراجم الظنون وتزايل السكون وخرج يوم
الخميس سابع الشهر وقعة تم على العدو بها صرعه فان السلطان نفذ تلك
الليلة وبيت النوبة عدة من الفرسان بحردهم يستصحبوا الاحصنة
الجنوبية ووقعوا على سرية للفرنج فاستاصلوها واسروها وقتلوها
ووصلوا بها خمسين اسيرا الى القدس وعاد ذلك منا برد القلب وطيب
النفس وكانت بشرى عظيمة ونعمى كريمة وحسنى عميمة وكذلك سابق
صاحب شيزر ومن معه من العسكر واقعهم يوم العيد فقتل من مقدميهم
ستة واسر اربعة وترك بالمعرك سهم بصرعه ولسب منهم جملة
والسهم دليلا ٥

يوم عيد الاضحى بالقدس ٥

كانت الوقفة بمكة يوم الجمعة في هذه السنة وتضاعفت للحج الحسنة
على الحسنة غير ان العيد بالقدس كان يوم الاحد فلم ير ليلة الخميس الهلال احد
ونصب السلطان خارج قبة الصخرة الخركاه الخاص وصلى الناس في القبة
العيد وملاوا حواليها العراص ثم انصرف السلطان وقد بر عليه ورحى الله
ووفر اجره ٥

وقعة على طريق الفرنج بالرملة ٥

وفي يوم الجمعة خامس عشر ذي الحجة اغار سيف الدين يازكوج وعلم الدين
قيصر ولله ما جدهما في الجهاد ولا تقصر واخذا غنايم واموالا وساقا خيلا وبغالا
وكسبا وحملا واثقلا واسرى من كان مع القافلة بلمش ووقفوا اسرى بين يدي
السلطان على ركب الذل جاثين وتوالى على الفرنج النهوض والنهوب في كرب
منهم الكسوف واستعرت بينهم الحروب وترادفت الكروب وضاقت عليهم
الارض واستولى على عقود عزايمهم النقض وراوا انهم قهروا فقهقروا
واحاط بهم البلا من الجوانب فما صبروا ورحلوا الى الرملة عابدين
وبالسهول من الحزون عايذين فان التلوح دامت على اولئك العلوج بمدهم
عن الدخول والخروج ونزلت بهم النوازل في تلك المنازل فنفروا راحلين الى
السواحل وذلك يوم الخميس الثامن والعشرين من ذي الحجة فطابت القلوب
بما وضح من النصر من المحجة وثبت الحق على الباطل من الحجة ٥

ذكر ما اعتمده السلطان في عمارة
القدس من حفر خندقه وتجديد اسواره واعادة رونقه

وفي هذا اليوم وصل من الموصل جماعة من الحجارين في عدتهم حسن ورحله

اذا اجتمعوا قطعوا جبلاً وقد سيرهم صاحب الموصل الى القدس للعمل في الخندق
ويقوموا بالحفر والقطع في الصخر وقد سفرهم بنفقته وجعلهم من الاحسان على
ثقة واصحبهم بعض رؤس اصحابه وبداهم بندى سحابه وسير مع المندوب مالاً
يفرقه عليهم في راس كل راس شهر ويتعاهدهم في كل يوم ويتفقد بر
ذا اتاتو انصف سنة واتوا في صنعتهم بكل حسنة وضم السلطان على حفر
خندق جديد عميق وانشاء سور رصين واحضر من اسارى الفرنج قريب
الفين وشغلهم في العمارين وجددوا ابراجاً حربية من باب العمود الى باب
المحراب وانفق عليها من المال ما خرج عن الحساب وبناها بالاحجار الكبار
الثقال نحاتات ارسى وارسخ من الجبال وكان الحجر الذي يقطع من الخندق يستعمل في بنا
السور واذا انكملت العماره على ما رتبه للقدس المعمور كان امناً من قصد العدو
المدحور وفي عصمة الله من المخوف المحذور وقسم بنا السور في مواضعه على
اولاده واخيه الملك العادل وامرايه وصار يركب كل يوم ويحضر على بابه
ويخرج الناس لموافقته على حمل الحجر الى مواضع البناء ويتولى ذلك بنفسه
وجماعه خواصه والامراء ويجتمع لذلك العلما والفقها والصوفيه
وحواشي العسكر والاتباع والرعيه والسوقيه وكنت اركب في غلماني
واتباعي واحفظ قلب السلطان في نقل الحجر واراعي فبني في اقرب مده ما تعذر
بناوه في سنين وكان لجهده في التحصين ليامن المومن ٥

ذكر من توفي من الاكابر والمعروفين في هذه السنة

وفاة الملك المظفر تقي الدين ٥

توفي الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب ابن اخي السلطان يوم الجمعة تاسع
عشر شهر رمضان وهو على محاصره منازكرد من عمل ارمينيه وقد [illegible]
سيره الى الجزيره لاستمداد الامداد الكثيره واستنجاد الانجاد واستحشاد
الاحشاد والجمع من جميع الجهات والعود سريعاً بالعساكر الجامعه والجموع
الحاشده والجيوش المترادفه المترافده والجنود المتوافره المتوافده والقواضب
الفاصله والمواضب الهاطله والمصافحين بالصفاح والمجالدين في اعقاب
المراح باطراف الرماح والحاملين الجبال على الرماح والمتعطشين الى انجاع المنجنيع
لارواء الارواح ومكث السلطان على انتظاره متوحشاً لاخباره من ابطايه
متعطشاً الى انبايه منتظراً لوفايه فلما اخر الفرج عكس السبب ذلك اليه
واحتسب الله عليه   فاما تقي الدين فانه عن له ان يمضي الى ميافارقين
واستصحب اليه عسكر ماردين ونفذ الى السويدا وانتزعها من ايدي اصحابها
واستحوذ على جميع ما بها وحاصر مدينه حاني فملكها وكانت له مقاصد
في ديار بكر فادركها واقطع بلاد من ولايه بن قرا ارسلان واقطعها وارعب
القلوب بما ابداه وابتدعه وروعها وتاخرت عنه بسبب ذلك عساكر
ديار بكر وحصلت منه على ذعر وعذر وراعت هيبته وهبت روعته
ودبت الى الخواطر مخافه اخطاره وثبت في القلوب لوايح ناره ورجف
تلك الاجام من زاره وازورت من مزاره وبليت تلك البلاد ببلاياه وهابت
الاعدا همه اعدايه وزلت الاقدام لاقدامه وانخفضت الاعلام لاعلا

اعلامه ونفى عدله من حليه رجله الخور فاذهب بذهابه اليها فوران العنفد على
الفوز ودخل قلب ثلب وحل في عداتها الغلب الغضب وقصد عسكره عسكر بهمم
تكسره ثم شرح الاحسان واطلق من اسره نعار يكمن واشعل نار الانف انفه
واغتلق باذن الشنف شنفه واعب حميته وحميت نخوته وعبرته عبرته وعبره
رغبته واورت الهمم همته وحركته عزمته واجمعت جماعته واشتد امته
وما ارجاله النخ بعد يه رجاله وما ابطاله عن اعابه ابطاله واحماه ثم الطاعه
احداده وانحاز نجمه الاستطاعه انجاده وجر عسكرا مجرا وساق الى الحرب
مجرا واوفد بالجمع جمعا وحلب بيضا وسمرا وادهما وشقرا وصوارم بترا وصواهل
ضمرا وانهض كمته وحماته وحشد رعيته ورعاته وذوي حميته وحماته وسابي
ولايته وولاته وكشوره وبغاته وسماته وعتاته وهماته ورماته وسماعه وعراته
وجا في سواد اسود منه الجو واستر نطامه الضو وحلى نجومه ليل العجاج
وحلي بسفوره صبح الهياج وابرق وارعد وتحدر وتصعد وسار بين الاحام والاكام
وضاهى الاعلام بالاعلام وادنى مداعبه الجياد واجرى صوامره وهواديها
الوهاد وادنى الى الاساد الاساد واغرى بالجلاد الجلاد وحلب الجماح عرانه
وجلب الكفاح زعانه واشرع المراح رماحه واطلع في سنا الصباح صفاحه
وماجت غدران دروعه وهاجت عران جموعه ومالت المران وجالت الاقران
وسال الموت ومرت السيول وتسهلت الوعور وتوعرت السهول وانقض
القضا وانفصل القضا واستكت الارض من الحوافر وقعا فثارت لغوطنا المها
على سرط تطلمها الى السما نقعا وحتت في وجه الفلك ترابا وحتت

لاترابه الاتراب طعانا وضرابا وخاف على حماه واختلط من الحاده وتشمر الى الملك
المطمع طول المسافه ولما عرف اصحار حادره وانتشار بوادره وانتهاض بوادبه
وارتكاض صلادمه وانقضاض شهب قواضبه وانقضاض دهم سلاهبه
استعطف له من اصطفاه من الانجاد الانجاب وقص على الفضاء سحاب السحاب
وبسط على البسيطه زدا الردى واعدى بعلوه على العدى ورتب في كل
ضرب بعد الضرب ضربا من الضرب وكل بطل يحوي البطل يحوي الطلب كل
بالشل سالب من كماش الاقران القرون وكل عاسل يعاسل بمين بالمنى ويمور المنون
وكل نجاع اشاجعه وصابل القواطع وكل مقدام تقوادمه عوائق الوقائع
وكل طاير باجنحه السوابق زائر باسلحه البوائق يحلق بحوالي الخوافق مطوق
لطواري الطوارق وكل رمح مسنح بالدما سحيح وكل فارس قوسه عاطف
وكل رامح نصله راعف وكل صاد عزمه صادق وكل رام لحظ اسهمه الى
المقاتل رامق وايد رحال الرجال بابادبه وتوى عزايم اوليايه لاصعاف اعاديه
ورعب بالرغايب واملى صيوف الامال بغيوض امواه المراهب وحي المنجي وانجب
المتحيين واقدم في كل مقدام مقدام وصنعم ضرغام وهمام همام ومعتقل نمر
يرشف ظلم القلوب ومشتمل ابيض يكشف ظلم الحروب وكل من يكال الطعن
ضرب القداح والضرب كل السوام تكل من سال اعتزال الجد بجد الاعتزام وكل من
يعد اقاحي البيض شقايق ويصليها اذا فارقت اعمادها الموافق وكل من
عنانه في يمين الجماح وسنانه مردود الجراح وكل من ذبال سمهريه يلتف
وذباب مشرفيه يضطرب ووجوه صوارمه تبكي وتضحك وعيون لها ادمه

تسلمه وتملك وحاط بها ملوك من حواجب قسيه ترمي وسواعد سيوفه
من ايدي الابد مذ تدمى وكل اشعث الهامه ذي همه تستعب صدع كل ملمه
ركز الرماح ثم سمطى ابا جمي مجرب مقرب على مقرب مطهم على مطهم جار من رحم
بار المحدم صار بار فم جواد حليم عمد في الوغى جحفلاته على جواد كرم تدعو
الى الردى حملاته وكل كمي مسلم بعذبر وكل عدة انه اذا البس الحديد ابدى لابس
جنن ... انه من عسكر خلاط بعسكره اختلط وود لو استدرك الغلط
جاس وطاس ورام من عثرته الانتعاش وولى هزيما ولوى هيما واغمد العسد
النعوى سلاحه وحبله وجر على تراب الذل ذيله وظفر الملك المظفر
بالملك واسلم العدى الى المهلك وقيد اليه امرا اسروا واحجا كسروا
فاطلق سراحهم وامضى ببشر بقابة جناحهم ثم رحل من صحراء موش وسار
الى خلاط بالجيوش ثم بدا له في حصارها فاقرها بسلب قرارها وعرج على
قلعة شميران فتسلمها وفتح مقفلها وكان مجد الدين بن الموفق وزير خلاط
بها محبوسا من جنابة بوشا تخلصه واستخلصه وكثر حتى صار منه نقضه
وانه لمن اعجب القصص لو شرحت قصصه ثم راح الى منازكرد ونازلها بالنصير
وقابلها بالمحنق وحشد اليها الاشداد واورى بها من عزائمه الزناد وجاءته
عساكر ارزن الروم محدة من جده موجده لما الهام من موجده تقدمها
الملكه ماما خاتون بنت سلق كانها في الاهبه والابهه من ملوك سلجوق
ووفدت الى تقي الدين الجنود ووافقته السعود وخافه في غلبها الاسود
وعرت به العقول وعلقت به العقود وتوطدت له البلاد وتوطات

ونمت وتهيأت واستدنت الممالك القاصية واطاعته المقاصد المتعاصية
ونسقت له مسامع الاقطار باقراط السمع والطاعه ووعى الابحال بملئ المحال
فقضى بما افاضه من فواضله مجاعة الجماعه ورجى وحشي واغنى وعشي
وامتلات الطرق بالوفود والجنود فبينا هو في غفلة من القدر وعفوه
من الكدر وغره من الغدر وقد الهاه حدثت الدنيا عن الحادث الداني
وحمى الحيوه عن الموت الجاني وزيادة الامل عن زيارة الاجل وقرب اجل المنى من
نوازل المنون وسكر الاتراب عن التراب المسنون طرا له من الغيب المكتوم
وادركه القضا المحتوم ومرض اياما ثم قضى وانقرض عهده وانقضى وكتم
ولده الملك المنصور ناصر الدين محمد وفاته الى ان خرج من ذلك الاقليم وجاوزه
وفاته وقصد منازكرد باربابها وسلم الدرب اربابها وخرج ولد تقي الدين
بعسكره وماله سالما وجد في مقام والده باظهار سعاده قائما وجاءت
رسله الى السلطان يسال فيه ابقاء بلاد ابيه بيده حتى يبقى مستمرا على حدوده
وطلب من السلطان الميثاق له باغلظ الايمان فلم يقبل الشرط واشتط فسخط
وجلب له السخط السخط واقام على التباعد ولم يتدارك بالوصول ما منه فرط
ونسبوه الى العصيان وسعوا له في اسباب الحرمان حتى انتحى له الملك العادل
فمضى لاحضاره وجرى الامر على ايثاره وسيأتي ذكر ذلك في حوادث سنة ثمان وثمانين

وتوفي في هذه السنة حسام الدين

محمد بن عمر بن لاجين ابن اخت السلطان
توفي بدمشق ليلة الجمعة تاسع عشر شهر رمضان يوم وفاة تقي الدين صاحب

السلطان في ابن اخيه واخته في يوم واحد وكلاهما له اقوى ساعد واوفى
مساعد فبالله من حسام اغمد وهمام الحد وركن وهي وكثير دفن وبحر غاض
وزهر هاض وصبح كسف وبدر خسف لقد عاث من الايام لعمه وتكلته الدولة كل
امه فانه كان واحدها وعضدها ومعاضدها وهو الذي فتح نابلس وابقاها
السلطان معه وابقى فيها من سنن العدل ما شرعه وقد سبق في الكرما ذكره
ودبر في المكارم سبقه وورد حدقه ووصفت مقاماته وقمت بصفاته
وان له مواقف في الجهاد مشكوره ومقاطف مجنى النصر مشهوره فقطع الاجل
عليه طريق الامل واعاد حليه الزمان به الى العطل واذهب عقد شبابه للطرى وحله
وثلم حد شباة الطرير وفله ومازال في غمر وانه منيرا للترب الى ان سكن عليه
التراب وسكنه فطالبه الثرى بحق ما خلقه منه واسترهنه وعاب عليه الارض
بانطلاق سموه الى السما فاعتقلته ووجدته في اوج الفلك في النيرات فبعثته
وما كان اذكاه واصحه واصحاه وابحه وابهاه واضوعه واضواه واوعاه
للفضايل واحواه ولقد نحب به صديقا صدوقا وشقيقا شفيقا ورفيقا
رفيقا ولهفي عليه من شهم توطن التراب وسهم اصيب بعد ما اصاب وحوادث
حساب لم يخط بالبال من رزيه حساب لكل اجل كتاب ۝

وتوفي في هذه السنة ۝

علم الدين سليمان بن جندر رحمه الله ۝

وقد سبق ذكره في غزواته ومواقفه ومقاماته وكان في الخدمة مقيما بالسلطان
الى الاشرفيه مستشفيا فعرض له مرض استاذن لاجله في العود الى وطنه بحلب.

وسمح له السلطان بجميع ما طلب وتوجه من القدس سادس عشر ذي الحجه واستقام
على المحجه وقضى نحبه عند قربه من دمشق في قرية غباغب وستر التراب منه
المناقب ووصل الخبر بوفاته الينا يوم الخميس ثامن عشر الشهر ۝

وفي هذه السنة قتل ۝

الاتابك مظفر الدين قزل ارسلان بن ايلدكز في همدان ليلة الاحد مستهل شعبان كان تولى
الملك بعد وفاة اخيه المعروف ببهلوان في سنة اثنتين وثمانين وخمسمايه وتمت ارادته
ورجحت سعادته وصلحت عاداته وكان السلطان السلجقي طغرل بن ارسلان تحت حكمه
وهو ابن اخيه لامه وله اسم السلطنة ولقزل حكمها وله سموها ووسمها فانف
السلطان من كونه تحت حجره وتحكم نهيه وامره وانه لم يكن له من الامر ولا
تمام الامر عنده ولم يتفرد منه بتولي حله وعقده فهرب وحده تحت الليل
واتصل به ذلك من انضم اليه من الخيل ودام غايبا في نواحي دامغان مده
واشتد مصابه واصابت شدته واتصل به عده من مماليك بهلوان الخواص وسلكوا
معه نهج الاخلاص واعادوه الى سرير ملكه واستوى امره في سلكه وقرب
بعده وتايدت قوته واجتمعت كلمته وتكلمت في الامر والنهي جماعته
ورهبه قزل ارسلان ولازم ذعره واخذ منه حذره وتنافس الامرا ومماليك
بهلوان الذين تبعوه واعلوا شانه ورفعوه وسعى بعضهم ببعض وقالوا كل
ابرام من مكرهم بنقض وقالوا له هولاء البهلوانيه بغيا لونك وبالسوء
يالونك فابطش بهم قبل ان يبطشوا وعاجلهم قبل ان ينتعشوا فتتبع مغالهم
وتبع محالهم وقتلهم بحضرته وهم غارون وساهم باغتيالهم وهم بالمغالات

فيه سارون يتعزمه كل الشر وحفظ نفيسه كل منافس وزال بشره وبقي
بوجه عابس وفارقه بنو البهلوان بجنايته على مماليك ابيهم ولقوه بايديهم
وقصده قزل ارسلان فازعجه واخرجه من دار مملكته واخرجه واجلس
سلطانا آخر موضعه وكدر عليه بالشوائب مشرعه وخطب لمعز الدين
سنجر بن سليمان شاه فاطمعه واطمعه وارضاه بالاسم واجراه على الرسم وكانت
سلطانا وعقد له الصداقة بصدق الاعتقاد وانتظم بينهما اسباب الاتحاد
وكان السلطان طغرل اذا خلت همذان من قزل ارسلان يعود اليها ويستولي
عليها ثم اذا عرف قربه بعد واذا علم بعده تعد وشرع اصحابه بالبهم
ويستند في النهب لشده البهم فقتل فخر الدين رئيس همذان وبث العدوان
وقتل وزيره العز بن رضي الدين المستوفي لامر توهمه وخاطر لم يكشف
مبهمه والجاه الى الوصول الى الامير حسن بن قفجاق وشكا اليه من اهله
واصحابه الشقاق فخرج معه وازره وصافره وظاهره بعد ان صاهره
وزوج اخته منه وحمى جانبه وذب عنه وارسل سلطانا الى قزل ارسلان
حتى يصالحه ويصافحه على الوفا ويسامحه وكاد ان يتم الصلح ويسفر لعله
ليل الغشه الصبح فلما تقاربا للمصالحة تحاربا واتهم كل منهما الاخر فتواثبا
واوقع قزل ارسلان به وبالتركمان وعادت الغير ملتهبه النيران
وساق السلطان طغرل الى همذان فمضى وراه قزل ارسلان فخرج اليه ثقة
بما سبق من الايمان فصرف عنانه وقبضه واعرض عنه واعترضه
وحبسه في بعض القلاع وابعد عنه وانزه عن الابصار والاسماع

فاتسعت له المملكة واستقر منه السكون والحركة وكانت اصفهان منذ
توفي البهلوان قد اضطربت واحتربت وافترقت الشافعية والحنفية وقتل في
ثلث اربع سنين منها في محاربه العوام الوف وتعالت بها حتوف ورجوف
وكانت الشحنه من جانب قزل ارسلان على الشافعية وقووا ايدي الشافعيه في
تخريب المدرسه النظاميه فاحوجت الضروره الى ان اصحابنا دعوا بشعار
السلطان ووجدوا القوة به ايام قوته والامكان فلما اعتقل طغرل
واستمر امر قزل ارسلان مضى الى اصفهان فاخذ رؤسا الاصحاب في المحال
واجرى عليهم حكم القتال والاعتقال ثم عاد الى همذان وقد قوي وروي
ونال ما هوي ونشر من امره ما كان طوي وجلس على سرير الملك
وضرب النوب الخمس ووجد بعدم من كان يوحشه الانس ولها ولعب
وشرب وطرب وغفل عن القضاء المشتبه ونام عن القدر المنتبه واغتر
بالعيش المرفه وخلع عن الحظ السفه وبات في قصره وقد غاب في
سكره وهو بين حرمه وحشمه وعسسه وحرسه وعقابه وارقابه
ومستحفظيه ومستخلصيه فوجد على فراشه وهو قتيل ولم يدر كيف قتل
ولم يكن عليه سبيل فنسبت قتله الى الاسماعيلية تارة والى الخاتون الابخازية
اخرى والله اعلم بما حكم به واجرى ولما اصبحوا قتلوا اصحاب بابه
وحل العقاب به دون اربابه وجلس قتلغ اينانج بن البهلوان موضعه
وجمع له ملكه ومعه ومضى اخوه نصرة الدين ابو بكر الى اذربيجان
سابقا اليها واستولى عليها واما السلطان فانه انس منه

وسنا امر كان يتوالى عنه تعصبت له امراة متولى القلعة ودبرت في
خلاصه وهونت على زوجها استصعابه واعتياصه واستغاثت من
اغاثها واعلت باعلاء شانه شانها ولما ان دخل مدينة تبريز وكان بها
الكبير اخرج الابريزم جمع ومضى على سمتهم ان يلقى فبلغ اينانج
وعسكره بين ابهر وزنجان فكسره وهزمه وقتله وثلمه ومضى الى همذان
وجلس على سرير ملكه وذلك ثمان وستين [illegible] ذكر ذلك [illegible]

وتوفي في هذه السنة بدمشق

من اصحاب السلطان صفي الدين ابو الفتح بن القابض
وكانت وفاته في الثالث من شهر رجب لقد كان يسريا وبالحمد حريا ومن
الخيانة نقيا ومن العار عريا ولم يزل يزيد مصابه وزيرا وكانت له سياسة
ورياسة ونفس ونفاسة ورأي وفراسة وفطنة وكياسة وهمة
وفتوة وثبات جنان وقوة وكان قد خدم السلطان ايام عزمه وهو
في كفالة ابيه فلما ملك مصر امرجه في اموالها وحكمه في اعمالها حتى
نال المنى ووجد الغنى فقال له قد اكتفيت واستغنيت وان صرفت الان
ما بالبيت فاصرفني عن العمل فقد نلت غاية الامل فعاش غنيا ومات
حشريا وورث السلطان بعض ماله وذلك ما فضل عن افضاله فانه
ووقع على مماليكه املاكه وماله واخفى بعد وفاته ما بذله حاله

وفي هذه السنة في شهر ربيع الاول

توفي الحكيم الموفق بن المطران وكان بارعا طريفا لطيفا عفيفا ونفه

الله في بدايته لهداية الاسلام ونال اسباب الاحترام وتقدم عند السلطان
ونما شانه كبير وهو كبير الشان وكانت له دراية ودراسة وذكا
وفراسة ولم يزل متلطفا في طبه متعطفا بحبه متحببا الى القلوب متقلبا في المحبوب
صبيح البهجة فصيح اللهجة صحيح الحجة ولم يزل له عند السلطان وذوي الجاه
وجاه ولجده انتباه ولمداواته بالشفاء شفاه [illegible] اجله [illegible]
امله وبان عنه حلي حاله وبان عطله وكان له عندي يد اذكرها واشكرها
وعارفة اعرفها ولا انكرها وذلك اني في ذي القعدة سنة ثمانين
كنت متوجها في خدمة السلطان وفي صحبته متوليا للانشاء مصعدا الى [illegible]
فلما وصلنا الى بعلبك انقطعت عنه بها لمرض عرض وشدة جوهري العرض
وانتهى اليه بدمشق ما الم بي من الالم فتقدم بذكره من حسن السقم [illegible]
ووصل في يومه حتى ادركني ومرضني وما تركني ودار الى حين [illegible]
وازال الله انحراف مزاجي بطبه فاعتدلت وصحبني الى دمشق وشفق
الى اوليائي بالبشرى وشكرت الله على النعمى وكذلك كان يطلب من مالي
وجميع مرضائي فلما مرض الطبيب لم ينجع من مرضه الطب وتوفاه الرب

وفي اخر هذه السنة

توفي الفقيه العالم الزاهد نجم الدين الخبوشاني نعم وهو الذي بنى المدرسة
عند ضريح الشافعي رضوان الله عليه واحيا شعار التوحيد وبنى امره على التسديد
[illegible] التسديد وحفظ شمل الشافعية من التبديد وكان السلطان مجيبا له الى
كل ما يستدعيه ويقضي له من الحوائج ما يقتضيه ووقف على المدرسة

التي بناها وقوفا واعطاه في بنايها الوفا فلما توفي طلب المدرسة جماعة
من العلما فلقوا بالاباء ثم شفع الملك العادل في صدر الدين بن حمويه
وهو شيخ الشيوخ ويعرف في العلم والعمل بالرسوخ نكتب بها له ورتب
بوقفها وتدريسها له وذلك في اواخر سنة ثمان وثمانين ثم صرفه
بعد ذلك السلطان عن المدرسة وتبدلت الوحشة من الانسة ٥

فصل من كتاب الى بعض الاكابر
في الدخول الى القدس

اتفق دخول الشتا وتواتر الانداء وتوافر الانوا وشح الارض وسح السما
وانقطاع الجلب واتصال الغلا وبعد الراحة لقرب الاعدا وملل العساكر
لدوام الهيجا والمقارعة واللقاء وكانت مدينة القدس محتاجة الى توفر
الهمم على تحصينها بالرجال والميرة والقوة والعدة والذخيرة ورايناها
احسن المدن واحصنها واحكمها ووجدنا بها حجرتها بعد عدمها ورتبنا
بها سورها على اودية وسفوح ثم لم يبق فيها لطمع من طموح وهو امر الله
وفي طاعته وحفظ بيته ونصرة دينه واعلا كلمته وحماية امته
وما لنا فيه الا السمسرة وما رجاونا فيه الا الاجر والمغفرة ومنه
نصيب الانصبة واحد من المسلمين المجدين والمومنين المعدين لله
فما اسعد من ساعدنيه ووفى باسعاف عافيه هذا والكفر قد
اناخ بكلكله وحفل بحفله وبرز الى الاسلام بكليته وعراه
ببليته وقامت قيامته لقيامته وثار لثار لنا قمامته ورمى مهجته

على الموت بمقربة والبيت المقدس الذي شرفه الله وكرمه وعصمه
كما عصم وحرم حرمه مقام الانبياء المرسلين ومقر الاوليا
والصديقين وموضع معراج سيد المرسلين ورسول رب العالمين
وفيه نزل جبريل بالبراق وصعد المصطفى صلى الله عليه الى السبع
الطباق واهدى الله ليلة الاسرى بحلول السراج المنير فيه الاشراق
الى الافاق وهولاء الملاعين قد اعتدوا القصد واعدوا الورد
ورده وقد فرض في هذا الاوان رفض التواني واستدعا ذوي الحمية
من الاقاصي والدواني وان لم يسلم عدوا في الربع القابل على الناهض
الحافل لصعب الامر واشتد واخذ من الخطب واحتد ٥

فصل في شكر صاحب الموصل ٥
على انفاذ الحجارين لحفر الخندق ٥

قد اصبح البيت المقدس يتقدس ويتسع ويعرب عن فضله ومجده ويفصح
فقد وصل الرجال الواصلون بالنجح رجاه الحامين بحفر خنادقه ارجاه
وما فيهم الامريان عن جده وابان نجده والان الحديد لشدة
وبلم الحديد سلم الصخر وهذه وهذه لا شك مقدمة لما وراها
من نتائج النجاحات وحدى انقه للواحق في سهاح الحرات
وعادة معروفة في قمع العداه باجراء العادات في اجار الغارات
للعدو واستطار لنجحات تجربه وارتقاب وموهصات جمر تحت رماد
كيده يوشك ان يكون لها التهاب والهمة الشاهبة لا تقتصر

همة الباعث، إلى باعث وعيد عزائمه حديث كل حادث ٥

ودخلت سنة ثمان وثمانين وخمس مائة

والسلطان مقيم بالقدس في دار الأقساء جوار قمامة وأظهر بها النقوية
للبلد الإقامة وقد قسم سور البلد على أولاده وأخيه وأجناده فشرع في
إنشاء سور جديد محدق به مديد وكان يركب كل يوم سحر مشمس فينقل
الحجر على قربوس سرجه فيتبعه الأكابر والأمراء في نقل الحجارات
... ولو رأيت وهو يحمل حجرا في حجره لعرفت أن له قلبا حمل جبلا
في فكره ولقد جد في حماية الصخرة المقدسة حتى حلت لها الصخور وانشرح
صدره لانضمامها إلى صدره حتى باشر صدور بما ليكه بها الصدور وما نقلوا
دار سبيتها في الجنة بنقل حجارتها لتكون ملكا في دارها وقمرا في
دارتها وكل بنا قلت حجارته ووقفت عمارته ركب وبكر إليه وجمع
الحجر بنفسه وأجناده عليه فإذا اكتفى انتقل إلى موضع آخر ونقل
إليه الحجر ولقد تاه في عرفات الجنة الحجر وأثرو له سيرته الحسنة
منه الأثر وما أعمر إحسانه وأحسن ما عمره ودوام البكور بالركوب
وعرض وجهه الكريم للسحوب والتزم الأمر التزام الوجوب ولان له
الصخر لين الحديد لداود وجد في حفر خندقه وأفاض الجود وكان حجر
الخندق صلدا لا يتأتى قطعه ولا يتهيأ بكل آلة صدعه فأخذ من الفولاذ
قطاعات واخترع على الحدادين آلات فأمكن الصلد ووهن الجلد
وتيسر الصعب ولان الصلب وصرح الصخر لما خاف الجمر وضج الجديد

من تجلد الجلمود وصفا قلب الصفا لأصاخه الصخود والمعولات المعاول
وخذلت الجنادل وسمعت الصماصون السطور جرح جرح الأساوه
البهما عن الأسو وفلقت القطع وقطعت الفلق واتسع الضيق وعمق
الخندق وطاب العمل وطال الأمل وجد الحزم وحزن الحزن وركبت
القوة وقوي الركن وعلا السور ليعلو وخندقا ليسفل وبنا يسمو وحفر
ينزل وبرجا يشف وبدنا يشرف وحجارة تبني وعمارة تنبي وكلسا
يحرق وأبنيتا توثق وطاقا تعقد ودورا تمهد وطاقات تطلق ومرامي
تخرق وشناتر تجد وحفائر تفغر ومصاعد تهندس وقواعد توسس
ومعارج تسمح ومخارج تفسح ومراقب تسترب ومدارج ترقى حتى أحكم المكان
بكل ما في الإمكان واتصلت الأبراج بالأبدان مشيدة الأركان والسلطان
يشرف في كل يوم على عمل قوم فيمدحهم بإحسانه ويعرجهم الهوى من قوة جنانه
ويدركهم بما يشبئانه من عطائه ويحلي بالفضل ما يبدوا له من عطائه وكان ذلك دأبه
مدة إقامته وقد جد عزامه بعزائمه بل يرى أن كل مال ينفقه ذخر باق
وأنه واق كريم فبالإنفاق وما عنده خشية إملاق بل يده جارية بإطلاق
جوائز وأرزاق وأنه يجلي أعماله الصالحة يوم يكشف عن ساق وإن ذق الله واستمر
ما دئر في حفر الخندق وبنا السور يعني بيت الله المقدس مع الإسلام
على ممر الدهور ولا عليه لمسلم فزع ولا لكافر طمع ولو عاش تحت نصر
لعرف عجزه وسلب عز الإسلام عزه ورأى من المعجزات ما حيره وقهره
من الباس الذي أرهبت له فهره فسبحان الذي أقدر السلطان على ما أعجز عنه

الملوك وهداه من الفضل الى نهج سلكوا فيه السلوك ٥

ذكر الحوادث مع الفرنج في هذه السنة وتتمة ٥

رحل الفرنج يوم الثلثا ثالث المحرم من الرملة الى عسقلان ونزلوا يوم الاربعا بظاهرها وتشاوروا في اعادة عمايرها وكان سيف الدين يازكوج وعلم الدين قيصر والاسدية نازلين في بعض اعمالها مجدين في نقل غلالها وركب ملك الانكلتير عصر يوم الخميس ومعه حزبه من جند الليس فشاهد دخانا على البعد وما عرف ما عنده من العسكر المعد فساق متوجها الى تلك الجهة وجد وتبعه عسكره وامتد فما شعر اصحابنا الا بالكبسة وقد بغتت فما ارتاعت قلوبهم بل ثبتت وذلك وقت المغرب وهم مجتمعون على الافطار فارغو الافكار من شغل الكفار وكانوا نازلين في موضعين متقسمين في منزلتين فلم ير العدو الا احد القسمين فقصده بحزبه واطلق عنانه لحربه فعرف القسم الاخر هجوم العدو فهجروا مهاد الهدو وركبوا الى العدو فدفعوه حتى ركب رفاقهم المقصودون واجتمعوا وهم المسعودون وردوا العدو سوطا وصبوا عليه من عذاب القراع سوطا ثم تكاثر الفرنج عليهم وتواصلوا وساقوا اليهم فاندفعوا من بين ايديهم والفرنج تباريهم وساقوا اثقالهم قدامهم وقد ثبتت حفظها على الاقدام اقدامهم وما فقد من اصحابنا من عرف الا اربعة وجا الباقون وخواطرهم لاجل اوليك متوزعة وكانت نوبة عظيمة رفع الله خطرها وهون ضررها ٥

وبتاريخ الثلثا عاشر المحرم ٥

ركب السلطان على عادته في نقل الحجارة والجد في العمارة ومعه الملوك اولاده والامرا والقضاة والعلما والصوفية والزهاد والاوليا وخرج كل من بالبلد وجا المدد بعد المدد وهو قد حمل على سرجه واستوى على نهجه والناس ينقلون معه على خيولهم في قفافهم وذيولهم ولما دخل الظهر نزل في خيمة ضربها ولده الملك الظافر بالصحراء واحضر فيها السماط من بعده من الامراء فحضر على ذلك السماط واحضر طعام مطابخه وبسط على ذلك السماط ولبث قد نصبت فوق ذي وبتفريقه امتدت فلما فرغ وفرغ وبلغ مراده وبلغنا صلى هناك الظهر وركب عايدا الى داره ابتابا باثاره وحشر اثاره فابن بسره واسراره وخبر اخباره ٥

ذكر ثلاث سرايا سرت وسرت واثرت ٥

كان عز الدين جرديك مجرد في سرية سيرته باريه رقاب ذوي الغلول من الغل بريه فاغارت يوم الاربعا الحادي عشر من المحرم على يبنا وفيها الفرنج بنية السكنى فغنمت اثنا عشر اسيرا وخيلا ودوابا كثيرا ٥

وفي يوم الثلثا ثاني صفر ٥

اغارت السرية وفيها عز الدين جرديك وعسكر القدس وجماعة من المماليك على ظاهر عسقلان واوقفت بمناصرها على الكفرة الخذلان وغنمت بلبس اسيرا قيدت في الاغلال سوى ما كسبته من الخيل والبغال ٥

سرية فارس الدين ميمون القصري

بانت ليلة الاحد رابع عشر صفر بتل الجزر وسرت حتى اصبحت على يبنا

وكمنت وصبرت الى ان استرسلت الفرنج الى الطريق وامنت ثم ظهرت على
قافلة للفرنج فكبست وكسبت وكسرت واسرت واخذتها باسرها
مع رجالها وبغالها واحمالها واثقالها ثم اغارت على يافا فقتلت
وفتكت وسفكت دما وهتكت وعادت بالغنيمة والسبايا واستغنت
بفوزها عن النشابا وتخير جماعة من الاسارى عن المنّ فضربت اعناقهم
واوجب ذلك للباقين في الاسر اعتاقهم وعادت سالمة سالبة غانمة غالبة

ذكر خروج سيف الدين علي بن احمد المعروف بالمشطوب من الاسر

قرر على نفسه قطيعة خمسين الف دينار فادى منها بثلثين واعطى رهاين على
عشرين ووصل الى القدس واجتمع بالسلطان يوم الخميس مستهل شهر ربيع الاخر
فقام اليه واعتنقه وتلقاه بالوجه الباشر واقطعه نابلس واعمالها وجلى
بابابته لها اخوالها وعاش الى اخر شوال من هذه السنة وتوفي الى رحمة الله
باعماله الحسنة فعين السلطان ثلث نابلس واعمالها لمصالح البيت المقدس
ولتشييد ركن سوره الموسس وبقى باقيها على ولده وتركه في تصرفه وبلاده

نكتة

لما خرج المشطوب
من الاسر تلقاه ولده زوي الشعر فوق الاذن فوجده على زي اولاد
الاتراك مضفور الشعر فبدا منه الانكار والاكبار وقال ما
للاكراد في شعورهم هذا الشعار فقطع ظفيرته وقصر طرته فتطير
الناس من قطع شعره على ابيه وقالوا هذا دليل مصابه الذي يانيه

هلاك المركيس بصور

اصابه الاسقف بصور يوم الثلثاء ثالث عشر شهر ربيع الاخر فاستوفى رزقه
لموافاة اجله ووصل الى النار به قاطع امله وقدم على جهنمه ومالك على انتظار
مقدمه والجحيم في ترقبه والدرك الاسفل من النار في تلهبه والسعير في
تسعره ولظى في تلظيها لسطره وقد قرب ان يكون الهاوية له حاوية
والحامية عليه حامية والزبانية في ايقاع العذاب به بمنزل الرجز رابية
وقد فتحت النار له ابوابها السبعة وهي جايعة الى التهامه وهو ملقفه
بالاكل يشتوي الشبعة فاكل وتغدى وما درى انه يتردى واكل
وشرب وشبع وطرب وخرج وركب فوثب عليه رجلان بلا دبار
امعطان وسكنا حركته بالسكاكين ودكاه عند ذلك الدكاكين
وهرب احدهما ودخل الكنيسة وقد اخرج النفس الخسيسة فقال المركيس
وهو مجروح وفيه روح احملوني الى الكنيسة فحملوه وظنوا انهم حاطوه لما
نقلوه فلما ابصره احد الخارجين وثب اليه للحين وزاده جرحا على جرح وقرحا
على قرح فاخذ الفرنج الرفيقين فالفوهما من الفداوية الاسماعيلية مرتدين فسألوهما
من وضعكما على تدبير هذا التدبير فقالا ملك الانكلتير وذكرنا انهما
منذ ستة اشهر وقد دخلا في ترهب وتنصر ولزما البيع والتزما الورع وخدم
احدهما ابن بارزان والاخر صاحب صيدا لقربهما من المركيس واشتغلا بملازمتهما
اسباب التانيس ثم علقا بركابه وفتكا به فقتلا شر قتله وجعل عليها
اشد حمله فبالله من كافر سفك دم كافر وفاجر فتك بفاجر

فلما قتل المركيس مركسا في جهنم منتكسا تحكم ملك الانكلتير
في صور وولاها الكند هري واعلق به الامور ودخل بالملكة زوجة
المركيس في ليلته وادعى انه احق بزوجته وكانت حاملا فما منع الحمل
من نكاحها وذلك افحش سفاحها وقلت لبعض رسلهم الى من ينسب
الولد فقال يكون ولد الملكة فانظر الى استباحة هذه الطايفة المشركة
ولم نعجب من قتل المركيس في هذه الحالة وان كان من طواغيت الضلالة
لانه كان عدو ملك الانكلتير ومنازعه على الملك والسرير ومنافسه
على القليل والكثير وهو قد راسلنا حتى نساعده عليه وننتزع ما اخذه من
يديه وكلما سمع ملك الانكلتير ان رسول المركيس عند السلطان مال الى
المراسلة بالاستكانة والادهان واعادة الحديث في قرار الصلح وصح
في ليل ضلاله باسفار الصبح فلما قتل المركيس سكن روعه ورعد وذهب
صوته وصوعه وطاب قلبه وثاب لبه واستوى امره واستشرى شره وكان
قد تعصب للملك العتيق لمضادة المركيس فاظهر له ود الشفيق الشفيق
وولاه جزيرة قبرص واعمالها وشدد سداده احتلالها فلما هلك المركيس
عرف بدا خطاه في تقويته وخشي انه لا يسلم من عاديته ولا يامن من غايلته فلما
عدم عدوه وحده هدوه واب سكونه وثاب حنوه وغاض غيظه وخمد
حنقه وقاصر من مشيع الشرك قطعه ومع هذا لم ينقطع مكاتبته ولم تحد
مقاطعته ومسرى رسل مراسلته ورمى سهم مخادعته ومخاتلته ولم يزل
عن ادعاء صداقة الملك العادل وتصديق دعوته وراسل في طلب

المناصفة على البلاد سوى القدس فانه يبقى لنا مع بيعة وقلعة سوى كنيستهم
المعروفة بقمامة فانهم يعدونها الملتهم الدعامة فابى السلطان ان يقبل هذا القرار
وابدى اهم الانكار وسامهم ان ينزلوا عن يافا وعسقلان وياخذوا ما بقي في ايديهم بالامان ه

ذكر استيلاء الفرنج على قلعة داروم

وهذه قلعة الداروم على حد مصر وكانت منها مضرة كثيرة لما كانت مع الكفر فلما
فتحت حفظت وتركت واتقيت وبالميرة والذخاير والرجال ملئت وخربت عسقلان وغزة
دونها وسلمها علم الدين قيصر على ان يصونها فلما شرع الفرنج في اعادة عمارة
عسقلان ترددوا مرارا اليها وداروا حولها واشرفوا عليها وانفق السلطان
في جماعة وقواها بها رشيدا بالنجدة قلوب اربابها ثم نزل الفرنج عليها بقضهم
وقضيضهم وشرهم وشيصهم وفارسهم وراجلهم وصارمهم وذابلهم ورامحهم ونابلهم
واشتد زحفهم ونهوضهم اليها عشية السبت تاسع جمادى الاولى بعد ان اخذوا
فيها نقبا وخرقوه وحشوه واحرقوه وطلب اهلها الامان فلم يجدوا وطلبوا
من بيمن وجماعة النجدة فلم يجدوا ولما عرف الوالي انهم ماخوذين وانهم موثوقون
مرموقون عمد الى الخيل والجمال والدواب فعرقبها والى الذخاير فاضرمها
والهبها وفتحوها بالسيف وعرضوا اهلها على الحيف واسروا منها عدة يسيرة
وكانت هذه النوبة على الاسلام كبيرة ثم تلبثوا بها ولم يرعوا فيها ورحلوا
عنها وتنحوا عن نواحيها ونزلوا على ما يقال له الحسي وقد طارت بهم البغي
والبغي وذلك في يوم الخميس رابع عشر الشهر وقد اسسوا ما طغوه من اسباب
الغلبة والقهر ثم تركوا خيامهم وساروا على قصد قلعة يقال لها مجدل حابا

فخرجت عليهم اسد البزكية المكمنه من الغاب تقاتلهم قتالا شديدا دون لبسهم
بحد الحديد بديدا وغادرت حلل صدرهم الحديد جديدا وكرت عليهم فكررت
في ردهم عن جهتهم ترديدا وقتلت منهم في حملة من قبل كنه كسروا واتاهم
من مقاربتهم ما الهمهم وعادوا مفلولين مثلولين مخذولين مهزومين مشلولين
مقصوصين ثم رحل الفرنج من الحسي يوم الاحد سابع عشر الشهر وتفرقوا
فريقين فبعضهم عادوا الى عسقلان وبعضهم جا الى بيت جبريل وتقدم السلطان
الى العساكر والامرا ان يكونوا لهم مبارين وفي يوم السبت السابع والعشرين
نزلوا بتل الصافيه بجموعهم الوافرة المواقية ونزلوا يوم الثلثا السادس والعشرين
بالنطرون فارجفت الالسنة بانهم على قصد القدس على حسب تراجم الظنون
ثم ضربوا خيامهم يوم الاربعا على بيت نوبه واحتلبا بنيرانهم المشبونه
وسرت منا اليهم السرايا وتوالت عليهم البلايا واظهر السلطان مقامه
بالقدس لبعد وحسنه الغم فيه من قربه بالاس دون الابراج والابدال
على الامرا والاجلا وذوي القوة والاستعداد وامرهم بنقل ثم زال
الرعب وطاب القلب وخرج الناس الى خيامهم يتخطفونهم ويعسفونهم
ويتخيفونهم وجرت وقعة بعد وقعة وكبسناهم دفعة بعد دفعة ومن
ذلك ان بدر الدين دلدرم كان في اليزك ليلة الجمعة التاسع والعشرين فبعث
من اصحابه ذا العسكر الى طريقهم من يافا من لزم الكمين فجازت فرسان من
الفرنج مستقيمين على النهج فخرجوا عليهم فقتلوا واسروا وفازوا
ونصروا وفي يوم السبت نزل الناس اليهم وقاتلوهم في خيامهم

والهبوهم بصرامهم وركب العدو وساق الى قلونيه وهي صيغة من القدس
على فرسخين ثم عاد بايد الشان بادي الشين وعساكرنا قد ركبت اكتافهم
وهي تقطع اطرافه وتهز اعطاف البيض لتجز اعطافا وفي يوم الثلثا
ثالث جمادى الاخرة خرج كمين في طريق يافا على السابلة العابرة فظفروا
وفازوا وحووا وحازوا وكسروا واسروا

ذكر كبسة الفرنج عسكر مصر الواصل

كان السلطان يستحث عسكر مصر بكتبه ورسله ويدعوه نجدة لاهل القدس
على الكفر واهله فضرب العسكر خيامه على بلبيس مدة حتى اجتمع الرفاق
وتهيا ممن تاخر عن السابق اللحاق وانضم اليهم التجار وحصل لهم
بكثرتهم الاغترار والغرة لقدومهم الاستظهار وعده بجواسيسه
الاخبار فجا الخبر من البزكية الى السلطان ليلة الاثنين التاسع من جمادى
الاخرة ان العدو وملك الانكلتير ركب في سبع مائة فارس والف تركبولي
ومعه الف راجل وبيات وعصر يوم الاحد سبعة مخادع ولا ندري اي جانب
قصد ولاي نايب رصد فجرد السلطان امير اخر اسلم ونذب معه النور الله
وعده من العادلية وامرهم ان ياخذوا الناس في طريق البرية ويعبروا على
ماء الحسي قبل وصول العدو اليه وانضلوا بالقوم واخبروهم بانهم
كشفوا الما ولبس احد عليه وكان مقدم العسكر المصري فلك الدين
اخو العادل ولم يسل عن المنازل والمراحل وقصد اقرب الطرق وتغفل
عما بعد وامن الفرق والفرق ونزل اجمال على طريق اخرى تسايره

ورأى الأمنة ظاهرة وأوجه السلامة سافرة وجاء ونزل على ما يعرف
بالخويلفة والأماني تغره بالمواعد المخلفة ونادى تلك الليلة
أنا جزنا مظان المخافة وفزنا بالسلامة من الآفة فلا رحيل إلى الصباح
فاغتر الناس بالنداء الصراح وناموا مستنيمين سالمين وباتوا متغفلين
فصبحهم العدو عند انشقاق الصبح بالصدمة الشاقة والحرمة
الحاقة فما أمن نجاة والصبح لم يبد وما أضاءه ولا الخيط الأبيض من الخيط
الأسود لم يتبين وهبوب الأعين من هبوة الغفوة لم يستبن وكل غرار
في جفنه قار وكل قلب بأمنه بار وكل جنب على فراش وكل عاشر له
النعاس عاش فلما بغتوا دهشوا وطلبوا أن يفلتوا فما انتعشوا وركب كل
منهم على وجهه وربما كر بكرهه ومنهم من ركب بغير عدته حصانه
وأسلم إخوانه وغلمانه وانهزموا عن الأثقال فأوقعوا العدو دونهم وراءهم
في الجمال والأحمال فوقع العدو في سوابقها واشتغل بها عن لواحقها
فتفرقت في البرية وعاد معظمها إلى الديار المصرية ومنهم من عاج إلى
طريق الكرك فلم يقع في الشرك ولم يحصل في الدرك فأخذ الكفار
جمالا بعدد وأحمالا بلا عد وكانت هذه نكبة عظيمة ونائبة عميمة
ونوبة ذات نبوة وكبوة ذات كبوة ووقعة ذات روعة
وعولة ذات لوعة فظنت الظنون وأرجف المرجفون وقالوا قد
حصل للفرنج من الظهر ما يحملهم وينهضهم ومن المال ما يبطرهم
ويحرضهم ومن الآن من يقاتلهم وبأي عسكر وعدة نقاتلهم ووصل

الجند مسلوبين منكوبين فسلاهم السلطان عن أموالهم بما قوى من آمالهم
وحضهم على الحفظ من الأخذ بثأرهم والجد في دمار القوم وبوارهم ولها
الأعين بما ملأ العين من المال عن القيل والقال وجلا لهم ما حاولوه
من الحال. وجرى هذا كله والملك الأفضل والعادل غائبان
وعساكر سنجار وديار بكر متباطئة في الإتيان [illegible]

ذكر سبب غيبة العادل والأفضل
وما جرى لهما في الأول

كان الملك الأفضل طلب من والده البلاد وراء الفرات وترك عن
جميع ما له من الولايات وأنه إذا عبر النهر وحران ملك تلك البلاد
وعنا له ملوك الأطراف ودان ورحل من القدس في سابع صفر
وقدم مع السفر ووجه عزمه الماضي إلى السفر وأقام في دمشق
حتى استعد واستخرج من أبيه ما كمل آلاته واستمد وأطلق له
السلطان عشرين ألف دينار سوى ما أصحبه برسم الخلع والتشريفات
من مستعملات ثياب ومصنوعات نصارى تسار في بحر سيل
خيله جار ذيل نقعه على المجرة شاغل بالبشر والبشرى أسرار ذوي
الأسرة بادية صفحات صفاحه بطرة النظرة ووصل إلى حلب [illegible]
فأوفق التوفيق بحلب واحتفل أخوه الملك الظاهر لقدومه وأقام له
لشرف المكارم ورسومه ورحب للترحيب به صدره وجنانه وسحب
على روضه سحابه وأصحبه ذيل فضله سحابه ووقف بخدمته ممتثلا وهز

عطف الابتهاج اليه مايلا واحضر له مفاتيح بلده وقدم له كل ما في يده
ولم يبق من الجميل شيئا الا عمله ولا نوعا من الفضيلة الا احمله وعرض عليه
الحصن العراب والتحف والثياب وخلع على خواص اصحابه وعوام اجناده
وخصهم وعمهم من الجود بامداده وعول على ان يسير معه الى الجهة التي يقصدها
ويساعده على الحالة التي يستشرها وسمع ناصر الدين بن تقي الدين بما
اقلقه ودفع منه الى ما ازعجه وارهقه ووصل رسوله الى الملك العادل
وهو بالقدس لاجيا الى ظله راجيا لفضله لايذا بجنابه عايذا بابوابه مستجيرا
بارعايه مستجيبا لدعايه مفوضا ما حل به الى انوار رايه مروضا ما حل
امره بانوار الايه فاحتمى له واحتمله وقوى في تقويته امله وخاطب
السلطان في حقه واستعطفه وشفع في امره واستشفعه وقال انه
امضى اليه واستخبره وادمنه مما يحذره وبقى عليه هذه السنة حران
والرها ويشد من رجايه بذلك ما وهى وتعطيه في السنة الاخرى
حماه والمعرة وتنحى المضرة والمعرة ثم قرر السلطان مع اخيه العادل
ان ياخذ تلك البلاد ويحميها ويكف عنها ويكفيها واستقر
ان ينزل عن اقطاعه بمصر ونصف خاصه واذا اخذ تلك البلاد علكاوره
جند في استخلاصه فابدى على الرضى بذلك وجه كراهيته واعتاصه
واسترداد قلعة جعبر فمنع الملك الظاهر من تسليمها حتى استطعم
من ابيه باضعافها واستظهر وتقرر مسير الملك العادل في العشر
الاول من جمادى الاولى وكتب السلطان بعود الملك الافضل

كما هذا راجعا وذهب ذلك مسارعا ووصل الى حران والرها فقرر من
تدبيره ما نجح المنتهى وبلغ من مراده الى امد الامل المنتهى وعاد في اخر
جمادى الاخرة وقد استصحب ابن تقي الدين ووصل في هذا الشهر الى دمشق
ابن صاحب الموصل علاء الدين وصاحب امد ابن قرا ارسلان وقطب الدين
وعسكر صاحب سنجار ومقدمه مجاهد الدين يرنقش واجتمعت بدمشق
عساكر بها الاسلام يانس والكفر يستوحش واقامت تنتظر
مسير الملك العادل لتسير في خدمته وتتحلى راياتها في مطالع راياته

ذكر رحيل ملك الانكلتير

صوب عكا مظهرا انه على قصد ثغر بيروت

لما تعذر عليه الفتح قصد القدس وعلموا ان من عليهم في النكس وزرا وان ثغر بيروت
بدراهم دعاهم من القوه ما فيه عزاهم وانه قد قطع عليهم طريق بحرية
وقد جمعوا اصحابه ونوابه فقالوا اخذ هذا البلد نفيس وقصده متعين
واذا حاصرناه جذبنا السلطان وعساكره الى جانبه وخلا القدس
من جهة كتايبه وحمى مضاربه فبادر اليه من يافا وعسقلان من يجد
في تملكه الامكان فلما عرف السلطان ما عزموا عليه من القصد ودبروه
من المكيدة امر الملك الافضل بمباراة القوم في الرحيل وقطعهم
بكل سبيل عن تلك السبيل وسبقهم الى مرج عيون حتى اذا تيقن
من قصدهم المظنون سبقت العساكر الى بيروت ودخلها وكتب
... وحولها وكتب السلطان الى العساكر الواصلة الى دمشق وان

يكونوا مع ولده وان يعموا امدادهم الى مده فترك مرج عيون والفرج
بعكا بعد لم تجاوز ولم تعد

ذكر نزول السلطان على مدينة يافا

ولما رحل ملك الانكلتير وسار دخلا وراه الديار وترك في مرسى يافا
وعسقلان من محبي الرجال والفرسان من وصاهم بالجلد في حماية البلد
فانتهز السلطان فرصة الغيبة واوفد الى مساغ رجايهم غصة الخيبة
ونهض بعسكره الخاص ولم يمهل لانتظار العساكر ووافى يافا فقابلها
ووفاها بحيل المنجنيق احجارا واراق دما وساق دمارا وزحف الناس
وحفر النقاب وفرعت المدينه ورفعت السكينه وفتح من نهار وصبح
واخذ ما بها ونهب ووجدت الاحمال الماخوذه من قافله مصر فاخذت
وحملت وعلت الايدي والسيوف من الدماء والاموال وهلكت ونفضت
كناين واستخرجت دفاين ووجدت مكامن وحصل استمتاعنا بكل
سعد وانتفاعنا بكل منفعه واستلا البلد الكافر بالمسلمين وبقيت
القلعه وطلب حماتها الامان ليكونوا لها مسلمين وكان الناس قد سبقوا
اليها وقرب ان يستولوا عليها وذلك يوم الجمعه العشرين من شهر رجب
وقد شارف من فيها العطب فلما طلبوا الامان ردوا الناس وكفوا
وظن ان الغنيمة تفوتوا فانه خرج البطرك الكبير ومعه جماعه
من المقدمين الاكابر على ان يدخلوا تحت حكم الاسار ويسلموا جميع
الالات والعده والذخاير على ان يطلق كل واحد منهم باسير ويفدى

صغير بصغير وكبير بكبير وشرعوا في الخروج احادا وعشرات وعصبا
متفرقات في ساعات حتى دخل الليل فاستمهلوا الى الصباح وطلبوا
من يتقيد بحفظهم فبذلنا لهم ما عينوا من الاقتراح وما زال الحرج منهم من
بسبب في زياده التوقف وتنفيس خناقهم بالمضايقات المرتقبه حتى وصل
ملك الانكلتير في البحر في مراكب في سواد بل ظلمه الكفر ودخل من
القلعه من الجانب البحري ونادوا بشعار الغدر فاخرجنا منهم من حصل
في الاسر وندمنا كيف خرجت اللقمه من الفم ولا نفع بعد فوات الفرصه
الندم ولو ان السلطان توقف في امنهم واستمر على ترهيبهم لقلع
اساس القلعه ونقضت رقعة تلك البقعه ولقد كان ذلك فتحا عظيما
وفضلا من الله عميما وقد امتلات الايدي بغنايم المدينه ووهنت اسباب
قواهم المتينه واستعيد ما نهبوه من القافله المصريه وقد نامر الغنايم
الشنيعه وقتل من اقام بالبلد واسر ونشط جلد تلك المدره وبسر وحمل
في البر من مقدمي القلعه نيف وسبعون وبركوهم بالثبور يدعون
وكان القصد في الاول رجوعهم عن قصد بيروت وحثهم على ترميم
حفظها ان يعوق فمن الله بحصول المقصود وقد تاتى الجهاد
بغير بذل المجهود وجرى الامر على الوجه المحمود وانما وقع التندم
حيث لم يقع في اخذ القلعه التسرع فقامت بعد الاذعان بالعدوان
بعد الامكان وجمحت بعد الاصحاب وصحت بعد الاسباب
وافلتت بعد ان وقعت في الحباله واستقلت بعد العثره والاستقاله

وضعف الفرنج من تلك الكره واذن بنشاطهم بالفتره وما انتعشوا
ولا انجبروا من تلك العثره والكسره وعاد السلطان وخيم على
النطرون والعسكر قار القلوب قرير العيون وجا اليه الملك الافضل
ولده والملك العادل اخوه واسفرت بالمسار الوجوه وكان ولده
الملك الظاهر ايضا قد وصل وفي هذه الغزاه حضر وبيمنها حصل
وكذلك كان قطب الدين سكمان بن محمد بن قرا ارسلان حاضرا واخذ من السعاده
حظا وافرا وحصل بيده جرح ييس ان يوسى وظن تلك النعمى بوسام اندمل
جرحه وفازت قداحه وحاز السنا قدحه واقام السلطان حتى اجتمعت
العساكر ولحقت اوايلها الاواخر ووصل الملك المنصور ناصر
الدين بن تقي الدين في بيضه وسمره ومشرفيه وسمهريه هذا والملك العادل استاخر
في الخيم بسبب عارض البشم وملم الالم ورحل السلطان ونزل بالرمله
والعساكر في عدد الرمل والاسلام قرير العين من اهله بجمع الشمل
والفضا قد امتلا والقضا قد احسن والقدر قد اسعد والسعد قد قدر
والنصر قد ابدى الصفو واذهب الكدر وتلك البريه قد حوت البريه
وجمعت العسكر والكمت الجاريه والكماة الجريه والاعراب في العراب
والمحارب والحراب والاجاود والجياد والاساود والاساد والبياض
والسواد والعدد والاعداد ه

فصل في وصف الحال في
كتاب الى الديوان العزيز ه

الخادم حاله على ما انهاه غير مره في مرابطه اهل الكفر مستمره واواني
النصر على حجولها تاره وبكتها اخرى مستدره والحرب سجال وللاسلام في
مضمار الكفر مجال وقد تجاوزت القضيه عن حد الانتهاء ولما شارفت
القضيه الانتهاء عادت الى الابتداء والحادثه متصله والواقعه مستقبله
والنعمه من الله في اجرا الاوليا على اجمل عاداته بالخيار عداته في قمع عداته
مومله وما ينقضي يوم من الاعن نصر يتجدد ونعمه تشهد وجمع للعدو يتبدد
وجمر للنكايه فيه يتوقد وحد السيف من جره بدم الشرك يتورد وفتح
بكر من الحرب العوان بلقاح الذكور البيض يتولد واخر ما تم في هذه
الايام من مرهجات الكفر ومبهجات الاسلام خطره حلوه ونوبه ما لها
نبوه وهي ان الفرنج لما اعجزهم قصد بيت المقدس وما استتم ما سولوه
في الانفس عكسوا عزمهم ونكسوا عزمهم وعادوا خايبين ونكصوا
هاربين واستانفوا مكيده اخرى وشرعوا في شر حلف الشرك
تدمري واجمعوا على قصد مدينه بيروت وتوامروا على انجا محوها
اعدا الله اوليا الطاغوت فسيرت العساكر الاسلاميه على سبيل الهم
لما نقتهم في مصايد وطرقاتهم وتجرد الخادم في خواصه ووافا بافاقه
موقنا من الله ان يمد نصره اليه متوافرا وحمل اليها من معتقلي باب الاجل
ومستملي باب الخلد الاسد والعرب فاذا نزل ساحتهم فسا صباح المنذرين
فاخذها بالسيف عنوه واعاد صرام النيران بها حيح الليل صحوه وولي
القتل والنهب من وجد فيها من الكفار واستخرج بها من الاموال

والعدد والادخار وخلص من المسلمين من كان بها في الابيار واصبحت الفرنج
نهاشاري بالتبار وطلب من بالقلعة الامان على ان يسلموا من القتل ويسلموا الاسرى
ونزل البطرك والقسطلان والمرشان وجماعة من المقدمين جرحوا ودخلوا
تحت القهر فبينا هم مشتغلون بالنزول ومنقطعون الى الوصول جاءهم
الغوث في البحر وظهرت منهم امارة الغدر ورجع العدو عن مقصده ورده
الله وحده لنصر الاسلام واخذله وبشر الاسلام بما يسره له واجراه
ونال سيف الدمار من سب دمائهم عله ونهله وكان المقصود ردهم عن
موردهم وصدهم عن مقصدهم فجرى ما يسره الله من الفتح الهني وخفف
العبء على الارب واهتزت اعطاف البيض والسمر المتشبه من كاس عجمها
للطرب والقوم الان قد اشتغلوا بمصابهم واجتمع الصم ما انتشر من
اسبابهم وراسلوا الفرنج في الصلح على ان تخلى لهم عسقلان فما اجيبوا
وعلموا بحالهم انهم ما اصابوا فيما دبروه لادبارهم فاصيبوا والعساكر
الاسلامية اليوم عليه مجتمعة ومسالك المهالك لمضايقتهم ومضايقهم
متسعة وقد آن تحل معاقل معاقلهم التي هي ممتنعة وكل ما يجدده الله من
علو نظم وعدو يقهر ونصر يبرهن ونصل بالظفر يشهر فهو ببركات
الاستمساك بطاعة المواقف الشريفة الامامية الناصرية وحمد الله
وتمم ايامها وكمل انعامها دلائل النصر ظاهرة واسباب الظهور
متناصرة ووجوه الامال بتيسر نجاحها وتيسر ما في افراحها سافرة ٥

ذكر الهزيمة العامة ٥

لما عرف ملك الانكلتير ان العسكر قد اجتمع والخرق قد اتسع وان القدس قد
امتنع وان العذاب به وقع خضع وخشع وقصر الطمع وعلم انه لا قبل له من
اقبل ولا ثبات مع الجحفل وقد حفل فاظهر انه ان لم يهادن اقام واستقل
وللشر استقبل وانه عازم على العودة الى بلاده لامور من دينها بعوده
الى مراده والبحر قد آن ان يمنع راكبه ويسم بالاضطراب عوازبه فان هادنتم
وطاوعتم بلغت هواي وان حاربتم وعصيتم القيت ها هنا عصاي والقيت
نواي وقد كل الفريقان وملّ الرفيقان وقد تزلزلت عن قدس وعسقلان ولا
تغتروا بالعساكر المجتمعة فان جمعها في الشتاء الى الشتات وكم اذا اقمنا
على الشقاق والشقاق رمينا انفسنا على البلاء فاجيبوا رغبتي واصيبوا محبتي
واو دعولي العهد ودعوني واودعولي ووودعوني فاحضر السلطان امراء
المأمورين وشاورهم في الامر واطلعهم على السر واستطلع ما عندهم من
الراي وسرد لهم الحديث من المبادي الى الغاي وقال لهم بحمد الله
في قوة وفي ترقب نصرة مرجوة وانصارنا المهاجرون الينا دون دين وكرم
مشروقة وقد الفنا الجهاد والعبادة المراد والفطام عن المألوف صعب وما
نصدع لنا بتأييد الله الى اليوم شعب وما لنا شغل ولا معنى الا الغزو وما
نحن ممن يشوقه اللعب ويسوقه اللهو واذا تركنا هذا العمل فما العمل واذا
صرفنا عنهم الامل فقد ثم الامل ولخشى ان يأتي في حال بطالتي الاجل ومن الف
الحلية تكيف بالف العطل ورأى ان اخلف راي الهدنة وراي وافدم
سعدم الجهاد اعتراري واعتزاري وما انا بطالب الطالة بل غبت استحالة

وقد ورد من هذا الشي فانا الزمه ولي بتاييد الله من الامر احزمه واحرمه
فقال الوالد الامير على ما ذكره والتدبير ما تراه والراي ما تديره ولا تتم
الا مرة من الامور ولا يستقر الا ما تقرره وان التوفيق معك في كل ما تعقده
وتحله وتورده وتصدره غير انك نظرت في حق نفسك من عادة
السعادة وارادة العبادة واقسام الفضلة الراجحة والاعتلال بوسيلة
الناجحة في الازدياد من الطاعة والعزوف للعزلة وانك تجد من نفسك القوة
والاستمساك وتقيك بعزمك الامان الادراك فانظر في احوال البلاد
خربت وتشعثت والرعايا انعكست وتفرقت والاجناد فانها نصبت
ووصبت والجياد فانها عطلت وعطبت واعوزت العلوفات وعزت
الاقوات وبعدت عنا العمارات وغلت الغلات ولا جلب الا من الديار المصرية
مع ركوب الاخطار المهلكة في التربة وهذا الاجتماع مختلفة التفرق
ولا بد من هذا الاتساع مع هذا الضيق فان المواد منقطعة والخواص ممتنعة
والمرتب قد ترتب والمعدم قد عطب والتبر اعز من التبر والشعير بالمينة
يوجد وكان على السعر وهولاء الفرنج اذا يئسوا من الهدنة بذلوا وسعهم
في استفراغ المكنة واستنفاذ المنة وصبروا على المنية في طريق الامنية
وابوا الاقبال على دينهم قبول الدنية والصواب ان نتقبل من الاية
التي انزلها وهي قوله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها وحينئذ تعود
الى البلاد سكانها وعمارها وتتكثر في مدة الهدنة غلاتها واثمارها
وتستجد الاجناد عدتها وتتخير ازمان السلم مدتها فاذا عادت

ايام الحرب عدتنا وقد استظهرنا وردنا ووجدنا القوت والعلف
وعدمنا المشاق والكلف ففي ايام السلم نستعد للحرب ونستجد ادوات
الطعن والضرب فليس ذلك تركا للعبادة وانما الاستجمام والاستجداد
والاستجادة على ان الفرنج لا يقفون على عهدهم لا يفون فاعقد الهدنة
لجماعتهم ليحلوا ويتفرقوا وقد يئسوا انما القوا وما بقي لهم بالساحل من
يقدر على المقاومة ويستقل بالملازمة وما زال الجماعة اشتدادا حتى رضي
واجاب الى ما اقتضى وكان قد تقيت بين العسكرين منزلة واحدة والمقانب
على الطلايع متعاقدة فلو رحلنا رحلناهم وعلى الهلاك احللناهم لكن مراد
الله غلب واجيب ملك الانكلتير من الصلح الى ما طلب وحضر رسله
عقد الهدنة وكتبت نسختها وعينت مدتها وبينت قضيتها وذلك
في يوم الثلثا الحادي والعشرين من شوال سنة ثمان وثمانين وخمسمائة الموافق
لاول ايلول لمدة ثلث سنين وثمانية اشهر وحسبوا ان وقت الانفصال
توافق وصولهم من البحر وتتصل امدادهم على الجند والحشر وعقدت هدنة عامة
في البر والبحر والسهل والوعر والبدو والحضر وجعل لهم من يافا الى قيسارية
الى صور الى عكا وابدوا انما بذلوه من البلاد التي كانت معهم العطه والترور
وادخلوا في الصلح طرابلس وانطاكية والاعمال الداخلة والتابعة ٥

فصل من كتاب الى الديوان العزيز

قد سبقت مطالعة الخادم بما يتها حاله وما هو لا يزال مستمرا عليه من
جهاد العدو وقتاله وما كان عليه العدو من جمع الملتهم والحشد

والحشد المضطرب المصطدم وانهم اجتمعوا على قصد بيت المقدس وعزموا على
بذل المصونين من النفائس والانفس وسلكوا في القصد على طريق وتوافقوا
وتواعدوا من كل فج عميق ودنوا على ان رحلوا الفتح لهم دان وان شبا الحتف
عنهم وان قربوا عرفوا ان المرمى بعيد المرام وانهم لا يستطيعون مقاومة
عساكر الاسلام فنكصوا على اعقابهم ونكثوا ما صوبوه من ارائهم واراءهم
وعلموا انهم ما جهلوه وقطعوا من اسباب العزم ما وصلوه ونكثوا من عقد
القصد ما ابرموه وشرعوا في امر اخر توهموه ومضوا اليه وانفوا الاستعداد
واستنهضوا الامداد وحصنوا بلادهم وجمعوا فيها اطرافهم وبلادهم وشحنوا
عسقلان ويافا بالقوة الجامعة والعدة النافعة والشوكة الرادعة والشكة
القاطعة واسطروا فيها بكل ما قدروا عليه من المنعة الحامية ورجال الضلال
الممدودة وضلال الضلام المقودة مستمطرين شآبيب الارابيب مستمرين
سراحين السراحيب وتوجهوا على سمت تغربدون بنية وغفلوا عما اجراه الله
لاوليائه على اعدائه من عدة النصر ولما نمى خبرهم وطار شررهم وخيف ضررهم
انهض الحاكم العساكر المنصورة الى مقاتلتهم ومباراتهم ومقاتلتهم ونزل في
ثم البكة وحوامه ورجال الاقدام ذوي استحكام [illegible] على [illegible] يافا فاخذها
بالسيف عنوة وهب بها من نسائم الكفر ذروة وحل منه بغزوته النهار عروة
واستكمل الاسلام بملكها حظوة وقتل كل من حوته وسبى وبان المشركين
مما بنى مجده ومضى حده فيه ومما بنى وغنم من اموالها المسلمون ما خف ونقل
واسر من وجدوه وقتل ونهب من الات الحرب ما خرج عن الحصر وانبذل.

كل ما صين من الغلات والعدد والمال الدثر الدخر وطلب اهل القلعة
الامان خاصة دون الاسرى وشرطوا انهم لا يمكنون من الدخول اليهم من
جاءهم من البحر واخرجوا على سبيل الرهينة ما به رجل من محتشميهم
وكبرائهم ومقدميهم مثل البطريرك المقدم والقسطلان والمرشان
ومن يجري مجراهم من الفرسان فلما اصبحوا اتاهم مراكبهم في البحر فغدروا
واشتغلوا بعد انقيادهم للعجز حتى قدروا وخيم العدو هنالك في جموعه
ونزل الى عسكره من ناصره بجموعه ووافت في البر جحافله حافلة
وتواردت في الاسراع الى الفرج طلما باجافلة واجرى الحاكم على الرهائن
حكم الاسترقاق وسيرهم الى دمشق في قيود الوثاق ورجع الى القوم
فهزمهم وردهم الى عكا بعد ان نكا فيهم واصاب من دمائهم [illegible]
وعاد الى العدو ونزل عليه وكدر الموارد لديه حين حف الله واجتمعت
من اهل الاسلام العساكر واشتعلت على المشركين في المضايقة الدوائر
ورجا المؤمن وخاف الكافر وحالت باوحالهم الضمائر لما جالت عليهم
الضوامر وعاينوا العذاب الواقع وعدموا الدافع وشاهدوا المصارع
فما زالت رسلهم تتردد بالضراعة وبذل الطاعة والنزول عن الاشتطاط
والدخول تحت الاشتراط والعطف بما هو له الاسلام عطف الاغتباط
واحتوى عليه سد الاحتياط وكانوا لا يجابون الا بالاباء ولا يلقى
رسلهم الا بتجهم عظم اللقاء حتى حضر اكابر الدولة وامراؤها
واولياء الطاعة والباؤها واشاروا بعقد الهدنة والانتهاز فيها للفرصة الممكنة

واستعرت المهادنة على الاسلام الانوف واذل الله من المشركين الرقاب
وربح وانجح من اهل الايمان الآراء والآراب بعد ان نزلوا عن البلاد والمعاقل
التي يملكوها وبعدوا عن الطرق التي سلكوها وسألوا الامان على الاماكن
التي استدركوها وما ادركوها وسلموا عسقلان وغزة والداروم
وبينا ولد ونتر القنا في غير ذلك من الاعمال والاماكن الوافرة الوافية
واقنعوا اسيافا وغضوا صورا واستبدلوا من بطاولهم وقدرتهم الجحر
والقصور وراوا عزهم بذلهم وصونهم في بذلهم وسلامتهم في سلمهم وغنائمهم
في عدمهم ولانوا بعد الاشتداد ودانوا للانقياد وهانوا بعد الاعتزاز
وهابوا بعد الاعتدا واقروا بعد الانكار لتعود جموعهم الى عرار
واموالهم الى القرار وخلوا ديارهم واخلوها وما سالوا عن حب الاوطان
والاوطار وسلوها ومدة الهدنة التي اخذوا بها اليد واعطوا ثلث
سنين وثمانية اشهر اولها ايلول يوم الثلثا الحادي والعشرين من
شعبان سنة ثمان وثمانين ووضعت الحرب اوزارها ورجعت بها السلم
اوصارها واخمدت من اهل النار نارها وقصدت الفرنج من وراء البحر
ديارها ولا شك انهم يستعدون في هذه المدة ويستمدون بما
يستطيعونه من القوة والعدة ويستجدون عزمة العودة وقد شرع الحاكم
في تحصين الثغور واقرار الامور وابرام معاقد المعاقل واحكام قواعد
الحق بتعفية آثار الباطل واتمام اسوار القدس وخنادقه حتى بقي على
الدهر امنا من طروق العدو وطوارقه واعادة الاعمال والاحوال الى

عادة عمارتها وخلية نضارتها واجمام العساكر واراحتها لفوز تعبها
الذي هو غنى راحتها ولقد كان الخادم للسلم ستكرها ولا يرى ان يكون
كسيبه ملوك العصر عن الغزو متربعها لكنه اجمع عنده من الامرا وذوي
الآراء على ان المصلحة في المصالحة راجحة وان صفقة الكفر فيها خاسرة
وصفقة الاسلام رابحة وان في اطفاء هذه الجمرة وقطع وقودها سكونا عاما وامنا
تاما وتفريقا لجمع الكفار ولشمل النصر عليهم ضاما فهي سلم ابكا من
الحرب فيهم وانها تقضيهم من هذه الديار بل تفنيهم ولو متى تجمع مدة الاعدا
الهائلة لهولاء الاعداء وسقوط هذه الامداد المتواصلة من اهل النار في البحر
وما صح لهم هذا الجمع على التكسير الا في خمس سنين وما وافا اليهم مددهم
من الوفد سوى مئين وكل من في بلادهم نقلوه وانفقوه واتفقوا الى
من امامهم ضعفت دعقوه فمتى انقضوا انقضوا وقد ان يرفضوا ويرفضوا الى
ان يتفق مثل هذه الجموع والعزم دأبهم على الرجوع فيكون الاسلام قد
استظهر بقوته واستكثر من نجدته وجدته فرأى موافقة الاجماع وهل
ما صحه الاستباع وتفرق جمع الكفر وباح جمره وامن مكره ونكيره
وانشرح صدر الاسلام وتضوع نشره وتوضح نحره ٥

ذكر ما جرى بعد الصلح ٥

عاد السلطان الى القدس وعاده عادة سعادته واشتغل باحكام السور
والخندق وتكميل عمارته وفسح للفرنج كافة في زيارة قمامة فجاؤا ووجدوا الامن
والسلامة وزاروا وازدروا ولما عزموا ان يحاروا وسالوا ان يختاروا فسح لفريق

بعد فريق وتوافقوا في طريق ورا طريق وقالوا انما كنا نقاتل على هذا
الذي وجدناه مع الصلح وصار لنا سائرين في ليل القصد حتى وصلنا الى
الصبح وكان ملك الانكلتير راسل السلطان وسال منع الفرنج من الزياره
الا من وصل معه كتابه او رسوله ورغب في ان يجاب سواله في ذلك
ويعاب سواله فتقبل مقصوده على انهم يرجعون الى بلادهم على حسرة
الزياره فيتوفروا على الاستنفار والاستنثار ومن زار برد قلبه وشفى
كربه ولم يبق له في مشقة العود ارب ولم يتصل له بهذه الزيارة سبب
فكان الامر كما حسب فاعتذر اليه في الجواب الذي كتب وقيل
له انت اولى بمنعهم وردهم وردعهم فانهم يصلون الينا وافدين
ولزيارة الكنيسة قاصدين وما يقتضي كرمنا ان نرد الوفود ولا نسلم
من يقصد بالمقصود ومرض ملك الانكلتير مرضا الهاه عما اشتهاه
ولم يبلغ في هذا الغرض الى منتهاه وركب البحر واقلع وعجل في مفارقته
واسرع وسلم الامر الى من يليه وهو الكندهري ابن اخته من امه وهو
ابن اخت ملك افرنسيس من ابيه وتبعه فرنج الجزاير ولم يبق الاول
منهم على الاخر ه

ذكر ما عزم عليه السلطان ه

عزم على الحج وصمم وكتب الى مصر واليمن بما عليه عزم بان يحمل له في
المراكب كل ما يحتاج اليه من الازواد والنفقات والثياب والكسوات وقيل
له لو كتبت الى امير المومنين واعلمته بحجك وعرفته سبيل حجك حتى لا يظن

244 بك امرا انت منه بري ويعلم ان قصدك في المضي مضى والوقت قد
ضاق وبلغ الخبر الافاق ثم هذه البلاد اذا تركتها على ما بها من الشعث
ولم نرم مرمة حالها المتشعث وهذه المعاقل التي في الثغور حفظها من اهم
الامور ولا نغتر بعقد الهدنة فان القوم على ترقب المكنة والغدر
دابهم وملي البغي اهابهم فما زال الجماعة بالسلطان حتى حلوا من العزم
ما عقده واطفوا من نار رحلته ما اوقده فشرع في ترتيب قاعدة
القدس في ولايته وعمارته وتهذيب عمله ومعاملته وكان الوالي بالقدس
حسام الدين سيا روح وهو تركي يقتدي به في زهادته وحسن سيرته الشيوخ
وكان فيه دين ولين وحيلة في الخير متين ولم يزل مستعفيا عن الامانة
مستعفيا من الولاية بطلب الصيانة فانصرف حميدا اثره كريما مورده
ومصدره وفوض السلطان ولاية القدس الى عز الدين جرديك وقال
له تهذيبك في الامور يغنيك عن ان نهذبك وانما اعتمدنا عليك
لاجتماع خلال الكفاية والشهامة والديانة فيك فتول احتياط الحرم
في تثبتك ديوان نايبك وترويك ونايبك وولى علم الدين قيصر اعمال
الخليل وعسقلان وغزه والداروم وما والاها مخرج اليها وتولاها
وامر بنقل الغلات من البلقا لتقوية الفلاحين واعانة المقطعين وكذلك
امر بنقل الغلات من مصر الى اعمال عسقلان ليعيد اليها الزراعه
والعمران وسال الصوفية عن احوالهم واذن سواله عنها باجابة سوالهم
وسوالهم فانه كان وقف دار البطرك مجاوره قمامه لهم رباطا وجعل

أنعم فيه كل يوم سماطا وزاد في الوقوف وحكمهم في الانفاق بالمعروف
وكان قد جعل كنيسة صندحنة عند باب الاسباط للفقهاء الشافعية مدرسة
وردها بنية على التقوى مؤسسة وزاد في اوقافها ووفر مواد ارتفاقها
وطرافها وامر ان تجعل الكنيسة المجاورة لدار الاسبتار بقرب قمامة
بيمارستانا للمرضى واتخذ منها بيوتا فيها حاجات اصحاب الامراض
على اختلافها بتهيي ووقف مواضع عليها وسير ادوية وعقاقير عزيزة
الوجود اليها وفوض القصد والنظر في هذه الوقوف الى القاضي بهاء الدين
يوسف بن رافع بن تميم وعول منه على امين كريم ٥

ذكر خروج السلطان
من القدس وعبوره على الحصون

خرج السلطان من القدس ضحوة الخميس خامس شوال وقد دبر الاحوال واقام بعدله
الاعتدال وافاض الفضل والافضال وجاوز ناحية البيرة وقد جلاه جلاله
سنا ايالته المنيرة وبات على بركة الداوية بالهمة الروية والعزمة القوية
ونزل على نابلس ضحوة يوم الجمعة وجمع شتات مصالحها المتوزعة
وكثرت الاستغاثات على سيف الدين علي المشطوب صاحبها وانه
قد طرق المرتق الى مشاربها وزاد في رسومها ونوائبها فاقام بها الى الظهر
السبت حتى كشف مظالمها واحكم بالعدل والاحسان مبانيها واسقط
رسومها الجائرة واماتت سنتها الصائرة واضحى بها شرعة الشريعة
واضفى ظلال الرعاية للرعية في مراتعها المربعة ورحلنا بعد الظهر

وبتنا ليلة الاحد عند عقبة ظهر حمار عند موضع يعرف بالفريديسية
ورتعنا في مروج الابنية واصبحنا راحلين ونزلنا ضحوة على جنين ٢٤٥
وهناك ودعنا المشطوب وداع الابد فانه انتقل بعد ايام الى رحمة الواحد
الصمد وكانت وفاته يوم الخميس السادس والعشرين من شوال ورحلنا
يوم الاثنين وجئنا الى بيسان وازال السلطان عنها البوس واتاح الاحسان
وصعد الى قلعتها المهجورة الخالية فابصر قللها العالية وزال هذه اذا
كرت دامت في حصانة الحصانة وكان اهلها لو توقفوا مستودع الامانة
والصواب بناها وتخريب قلعة كوكب ولم يزل حتى تبين كيفية بنائها
ورتب ووعد باحكامها واعلاء عمائرها ثم رحل ظهرا وبات على
قلعة كوكب وشاهدها وصعد بنظر رايه فيها وصوب ورحل عنها
ضحوة الثلاثاء ونزل بطبرية وقت العشاء وهناك لقينا بها الدين
قراقوش وقد خرج من الاسر فتلقيناه بالبشر والبر واقمنا بها يوم
الاربعاء لتوافر الانداء وتواتر الانواء ورحلنا بكرة الخميس ونزلنا
بقرب قلعة صفد تحت الجبل وصعد السلطان اليها وامر بتسديد
ما فيها من الخلل ثم سار يوم الجمعة على طريق جبل عاملة ونزل ضحوة بضيعة
يقال لها الحشر وهي عامرة مشحونة على سكانها كانها العش
وسرنا منها وخيمنا على مرج تبنين وتشاغل باحوال قلعتها معتنيا
واصبح السلطان بكرة الى حيطانها باحوالها محيطا متمطيا فرافعتها
ولاسباب اختلالها مميطا ووصى الوالي بعمارتها وجعل مصالحها

براهيم

بكفا بنه متوطه ونبذا دها بسداده سوطا ثم رحلنا بكره السبت .
وجزنا على قلعه هونين ونزلنا من الجبل وبتنا على عين الذهب واحتمينا
بالنقل ورحلنا يوم الاحد وخيمنا بمرج عيون وجلس السلطان
على عادته معملا في تدبير الممالك تلك الليله وسهرت العيون
ورحلنا عصر يوم الاثنين ووصلنا السير بالسرى وقطعنا في الطرق
الوعر الوهاد والربى وعبرنا من عمل صيدا ابسره وعمل وادي التيم
بعد على الصباح والعرى وعرسنا على مرج تل قبابنا مقابل مرج القلعه
ودفعنا الى سلوك المسالك الصعبه ثم اصبحنا يوم الثلثا على الرحيل
الى البقاع من تل بنات فخيمنا على جسر كامد والسلطان مشغول
في طريقه من تعمير العمارات وتكثير الحسنات باقتنا المحامد ثم عدونا
يوم الاربعا وخيمنا بناحية قب الياس وقد اصحبنا الى الفضا واقمنا
ذلك النهار لتعين في الفواصل السلطانيه في النعما ولما جن الليل
جمعتنا بالحضره السلطانيه الانوار وتشرفت باسماعنا منه اسمار رجال
الفضل والكرم وستنم لا الاسمار ودخل السلطان يوم الخميس
بيروت دا الخر بالوصول اليها وعده الموقوف ونزلت الاثقال على
مرج البطيه بالبقاع واقامت خمسه ايام على الاستراحه والادعاع

ذكر وصول السلطان الى بيروت
ودخول بيمند الابرنس صاحب انطاكيه عليه والاستجاره به

ولما وصل السلطان الى بيروت تلقاه واليها عز الدين اسامه بكل ما
توفر به

الكرامه واستقبل الاصحاب بصدر رحيب وظل خصيب وساحه اريبه ورحابه
لبيب وفتحت الاهرا على علا الغلات بالتعمر ورفع اغلاقها وسبلها
ربما قيد اطلاقها وفرق واضاف وادلى القطاف واصفى الالطاف
وبالطف في الهدايا واهدى الالطاف وفرق على الصغير والكبير
التحف واحضر للسلطان ولكل من معه الطرف واغنى واقنى
واعدم في الجود الموجود وافنى واعطى الخيل والمماليك والجواري
والملابس وبذل النفايس ورفع على اهل الحامد من ابكار اماثل
العرايس واظهر في مكان الشده الرخا وفي مظنه الضر التحا
واهب في اعصار الاعسار لرجال الرجا من سما السماح الرخا
واحضر كلما عنده مما كسبه من الغنيمه جريا على كريم الشيمه
من الجوخ الفرنجيه والثياب البندقيه والهنابات الفضيه
والاكواب اللجينيه والسروج واللجم والاكسيه والحرم والمهاميز
والملاليط والعقاقير ورفع الى كل منه ما اسمى قدره ورفعه ومن
انفصل عنه الاكل مواصل بشكره ممتثل امتثاله بذكره مصوع
على نادي الكرام بنشره واقام بالسلطان وبكل من صحبه مده مقامه
العجب واعجز بما صدق من اهتمامه ٥

ذكر وصول الابرنس بيمند
ودخوله على السلطان ٥

ولما اراد السلطان عن بيروت الانفصال وذلك في يوم السبت الحادي
والعشرين من شوال

بيّن ان الابرنس الارناطي قد وصل الى الخدمة مستمسكا بحبل
العصمة داخلا في حكم الذمة فثنى عنانه ونزل وما ارحل واذن
للابرنس في الدخول وشرّفه في حضرته بالمثول وقربه وآنسه ورفع مجلسه
واظهر له البشاشة والهشاشة وسكّن من روعه الحشاشة
وكان معه من مقدمي فرسانه اربعة عشر بارونا ووهب كل
منهم تشريفا سريا واجزل لهم وله العطا وابدى بهم الاعتنا وكتب
له من مناصفات انطاكية معيشته بمبلغ عشرين الف دينار وخص
اصحابه بمبار واعجبه استرساله اليه ودخوله عليه بغير امان ولا
حرم بلقاه بكل احسان وودعه يوم الاحد وفارقه ووافق
مراد السلطان انه بمراده وافقه وانصرف المذكور مسرورا
بمباسرته مذكورا محبورا بالمنح والمنن مجبورا ده

ذكر وصول السلطان الى دمشق ٥

لما خرج السلطان من بيروت يوم الاحد بات بالمخيم على البقاع واحضر
تلك الليلة في نادي فضله للمؤانسة والامتاع وتجاذبنا اطراف الاراء
وهززنا منه اعطاف الآلاء واستدنينا قطاف النعما وقد قرب الدخول
الى البلد والوصول الى الاهل والولد وكل يفرح مقصودا ويقصد
اقتراحا ونطهر الى سكنه ومسكنه ارتياحا فرحلنا يوم الاثنين
وعبرنا عين الجر وبتنا على مرج بوش وقد شرح الله الصدور
واطاب النفوس ووصل الينا من اعيان دمشق من يسمو للقا

والاستقبال واظهروا بقدومنا اسباب الاحتفال والاحتفال وحابانا
فواكهها واطايبها واعتصت بالسالكين الينا مسالكها ومذاهبها
ورحلنا يوم الثلثا بالغداة وجرى الملقون بالطرف والتحف على العادة
واصبحنا يوم الاربعا ودخلنا الى دمشق وقد اخرجت اثقالها وبرزت
نساها ورجالها فكان يوم الزينة وخرج كل من بالمدينة وحشر
الناس ضحى واشاعوا استبشارا وفرحا وكانت غيبة السلطان
عن دمشق اربع سنين في الجهاد طالت فاهتزت بقدومه واحيا لت
وقرت بفضايله الاعين واقرت بفواضله الالسن وذاعت اسرار
السرور ورافقت حرات الحبور وطابت النفوس وغابت الابوس
وانجلت المكاره وتجلت المكارم وافترت المباسم وهبت بموسمه
المراسم وتموجت التهاني وهدرت الاماني وعنت المعاني ولذت
المجاني وشرفت المحالي وظرفت المعالي وتجلت الاحوال وتمكنت
الامال وراح الرجا وارجت الارجا وفاض الجود واستفاض السعود
وعم العدل وتم الفضل واشرقت الافاق وافاق الاشراق
وكرم الفضلا ونبل الكرما وحل في القلعة حلول الشمس في برجها
وقد جلت اوجه السعود باوجها واخذت كل ساحة في موجها
وسلكت المناجح في نهجها وجانت المناجح في نجحها لفرجها
وصفت شرعة الشرع لواردها وصفت حلة الكرامة على
وافدها وفتحت مرتجات ابواب الآلاء لمرتجيها واستجلت

عَادَاتُ انجاز عداتِ الجوائز لمستحقيها وتبشر البشائر لاسعاف
العافي وبثت على السن الانام اوصاف النصافي وجلس السلطان
في دار العدل فاعدى المعتدى ولبى المستدعي واجاب واجار وانال
وانار وجاد واجاد وبدا وعاد وفي هذا الشهر خلص بها الدين
قراقوش من الاسر واجتمع بنا يوم وصولنا الى طبرية ولقي من السلطان
الالطاف الحسنة ووصل معه الى دمشق واقام الى ان خلص اصحابه من
الاسر وتوجه الى مصر وقد صان نفسه ببذل ماله واخرج ثروته
ودخل في املاله وخرجت السنة والسلطان في اسنى سنائه
واسمى جلاله واحلا نهايته والناس يتغوصون في رياض نعمائه ورسل
الممالك الغربية والشرقية يخطبونه ويطلبونه وينتظرون عزمه
ويرقبونه وهو يعدهم بانجاز السنا وانكساره وابتسام ثغر الربيع
وافتراره والدهاب زهر ازهاره واسهاب سرح اشجاره وانتباه
عيون نهاره وائتلاف عرار عراره وائتلاف انواره وانطباق نواظر
ثماره واصطفاف اوراق اشجاره وانفتاق كمامه واتساق
نظامه وانتشار منظومه وانتظام منثوره وانجاح صبح اسفاره
وانفراج وجه سفوره واجتماع لفيف اعشابه واتساع خفيف
اقصابه والتماع برق سحابه واتساع طريق صحابه وانشقاق شقائقه
وانعقاد عقائقه واشتمال شمائله واقتبال قابله وتارج ضياء
صباحه وتبلج صبح صباحه وتورد وجنات جنانه وتوقد جمرات

ثمراته وتبسم ثغور اقحوانه وتنسم ضمير ضمرانه وتنور خدود
تفاحه ونده وتمود دمانه واخضر راس عذاره واحمرار خد جلناره
ونشف اقطار الندى بافرار قطار الندى وتفجر زجاجات الوادي بالوشي
الوشيع من حلول الرباب بحلول الربا فاذا طاب النسيم وتنسم الطيب وداعا
البلبل ولبى العندليب ونعطه عين الربيع وتمر والشقيق كانه جمر من محمر
المجمع ووافق مراد المرعى من المراد المربع وحلا الحي ابن وحلي البصر النظاري
وبقل العذار البنفسجي واشتعل الخد الجلناري ونجم في الروض النجم السماوي الماوي
وابتسم النعم الاقاحي وتنسم الضو الصباحي وحرك العرف السحري السحري
وتارج النشر الروضي وتبلج البشر الوضي وانتشا النشو الشمالي السهولي
وانتعشت عاثرات اعشاب الشعاب وقابلت القبول خطبه الفصل بفصل
الخطاب وصبت الصبا في محل خطبة المحل بصوب الصواب بحبيب الاجماع
الاسماع الى الاصحاب وصرفت اشاجع الشجعان واشار اهل الايمان بكل
مواج لعنان رواح البنان ونزعت النزايع الى الحلاب ورشقت القواطع
بشفاه الشفار ضرب الضراب واجتمعت العساكر وعسكرت الجموع وبرزت
الطلايع وسن الطلوع ونهض اهل الجد وجد النهوض وفاضت المنايح وبعثت
الفيوض وضرب السرادق السلطاني حيث النصر بنزل والسعد يقبل واليمن يشمل
والنجح يسهل والطفر ممثل والامر ممتثل والجد يسمو والهزل يهزل والعزم
يولى والوفا يعزل ونجم العدل مع اعتدال الزمان كل مكان ولا سفر الا
حدث الطاعة من حدث نفسه بعصيان ؛ واقمنا على هذا العزم الى اخر

اليبسه والاحفان مغموضة على لهيب السنه وطل البرد الشديد مديد
والجلد واه والهوى جامد وجمر الشتا في التشتيت حديد والجبال قد اشتعلت
رؤسها شيبا والثلوج قد زررت على اعناق اطوادها جيبا والجو في نظم
ونثر والبرى من التراب منثر والهتون باكيه ثالث والهتوف شاكر ساكت
والمزن مزبر والخزر حرين والسماء ثماط وللتناص نشاط وللسحاب تحسات
وللبرق والرعد انبعا وانبعاث وللبرد من ثلجه برد وللمطر في نهجه طرد وللغيث
غيث وللوحل ريث وكانون قد اكثر الرنا وشباط قد رشت الشتا
والنار محبوبه مشبوبه وحدود النكت مدروبه وحدود الرب مضروبه
والسلطان مشغول بالصيد والقنص مشتهر في الغمر الفرص متبرا بالبراه
والصقور حشا شاه الوحوش والطيور بكل جار جارح وطاير طارح بدني
اجل الخل وحمام الحمام كانه غريم لها لاهي الغرام وكل شهم مقتص
اقتناص الشهم ويبط بطر البط بالحرم واكثر الجلوس في دمشق بدار
العدل واعز المستجيبه درر الفضل وطم وفقى واسخط بالحق وارضى ووقف
وامضى وما منع بل اعطى واصاب وما اخطى وجاد واجاد وابدى واعاد
واوفد وافاد واحسن وزاد واغنى واقنى واجدى واسدى واولى ووالى
واجار واجاز وفار وقرب للعلما واكرم الفضلا وفصل الكرما
وتكلموا عنده في المسايل الشرعيه وظفروا من جوده بالوسايل
المرعيه وما كان احسن الى الحق اصغاوه واشرع للباطل الغاه
ولكل فضل منه حظ ولكل ذي حفظ منه حفظ ولكل محروم منه

رزق ولكل مرزوق الى حمده شبق ولكل فهم عنده سوق ولكل شهم
عنده فوق ولكل اديب لديه دأب ولكل عاتب عليم من وجوده اعتاب
ولكل مكرمة عنده باب ولكل دعوة عاف من اسعافه جواب ولكل
مستجد اجدا ولكل مستشهد اهدا ولكل سايل نايل ولكل ماحل وابل
ولكل ظام ري ولكل حايم ورد هني فما اسمح مزنه واصح وزنه وما اسمح يده
وما اوضح جدده وما اعلا جده وما اجد علاه وما اجدى كفه وما
اعفى حداه وما اعز حباه واكثر جداه وارجح رباه والمح محياه ٥

وممن توفي في هذه السنة

من الملوك سلطان الروم قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان

وكانت وفاته يوم الخميس نصف شعبان وكان له عشره من البنين قد ولى كلا منهم
اقليما وقصد به لما دلك الجانب تقويما فقوى كل منهم في ثغره واستقل بامره
ودب في طبعه حب الاستبدا والاستبداد ومد عينه الى ما في يد صاحبه وكان
اكبر بنيه قطب الدين ملك شاه وقد استحكمت قواه واستطال هواه وهو
بسيواس في الملك على ابيه ملكه الوسواس وسمى
الى ان ابعد من عند والده اختيار الدين حسن بن عفراس وتصور له انه يريد ان
يستولى على الملك وينفرد باستهاح السلك وانتظام السلك وساعده
صاحب ارزنجان واوقع عليه في الطريق التركمان فقتلوه شر قتله
ومثلوا به وبوا لهم اقبح مثله فلما عرف ملك شاه ان زوجه والده كان
حسن بن عفراس بسلا شاق اليه واخنى عليه ودخل قونيه دار مملكته

واستبد بحوزته وقوي بعزته وعز بقوته وقال لوالده انا بريدك
اشفق عليك وانفذ امرك واوفر مالك وقتل امراء كانوا لابيه والزم
خدمته من لا يستحقه فبقي معه كالمعتقل مطرحا جانبا وهو في العطل
واستكتبه انه ولي عهده والقائم بالسلطنة معه ومن بعده وتصرف في
خزائنه وملك قسرا وهرع وفرا وهرع وقرا وقد مضى حديث ملك
الالمان في ذلك المكان وكيف وصل وعبر الى الشام وكيف قوي بهم وهن
الاسلام واستصحب معه والده الى قيسارية ليقسر اخيه نور الدين سلطان
شاه وحصره واظهر انه بحكم والده وانه شاد ظهره وخرج عسكر البلد
ووصف ووقف وكف وراى قلج ارسلان ان ولده عنه مشغول وان عقد
حراسته له محلول فخرج من الصف له مفارقا للولد وسار ودخل الى البلد
فاضافه الولد الاخر واكرمه وبره واحترمه وانفصل ملكشاه الى قونية
وملك تلك الامكنة وقد استبد بالسلطنة وبقي قلج ارسلان يردد في بلاده
في ضيافة اولاده ينتقل من بلد الى بلد ومن ولد الى ولد وكلهم يضجر منه
ويعرض عنه حتى حصل عند ولده غياث الدين كيخسرو صاحب برغلو
فقواه وآزره وظاهره وجمع وحشد له واجد له وماجد له وجاء
به الى قونية ودخلها وحلى به عطلها وخرج ليأخذ اقسرا فتعذرت
عليه وتمنعت وتعسرت فاستدعى الاوحد وجمع العسكر به فمرض
فجاء به وقد نمي الى قونية في محفة ونزل يمشي قدامها واظهر انه من
المرض المتقبل في حقه حتى دخل المدينة وقلعتها واختارها واختار

مملكتها واستبد على الاغيار واستخلفهم واستمالهم ثم اظهر لهم وفاة ابيه
وانه وارث ملكه ومتوليه وقوي على ملكشاه اخيه ۵

وتوفي في هذه السنة ۵

القاضي شمس الدين محمد بن موسى المعروف بابن الفراش

وكان من اهل الفضل والرياسة والنبل وهو قاضي العسكر الجامع الحكم والكرم
المكرم والسلطان يعول عليه في الامور المهام لاسيما العظام ويؤهله للرسائل
واخذ المواثيق والعهود ويتولى الولايات والعقود ولما اخذ شهرزور
سلمها اليه وعول فيها عليه وما برح بها حتى انعم بها على صاحب اربل
مظفر الدين فعاد شمس الدين فارسله السلطان الى قلج ارسلان واولاده
ليصلح عليهم امره ويؤلف بينهم فتردد بينهم سنة ولم يزل مساعيه
منجحة مستحسنة وعاد ووصل الى ملطية وقد استكمل من عمره
الله العطية وتوفي بها في شهر ربيع الاخر من السنة وانتقل الى الله سبحانه

ودخلت سنة تسع وثمانين وخمسمائة ۵

والسلطان مقيم بدمشق في داره ومالك الافاق في انتظاره والايام
مشرقة بمطالع انواره والليالي مشرقة صباحها لاسفاره ورسل الامصار
مجتمعون على بابه منتظرون لجوابه والوافدون قاطعوا احبابه
والضيوف في فيوض انعامه عائمون ولفروض حقوقه قائمون
والفقراء في رياض صدقاته راتعون وفي كلاء كلاءته راعون وادعون
ودار العدل بالفضل دائرة واسرار المنى بالمنائح سائرة والسلطان يجلس

في كل يوم وليلة لا سيما الجود وابداء السعود وبث المكارم وكشف
المظالم وتنفيذ المراسم وامضاء العزائم وتشييد الدعائم وتقرير العظائم
والاهتمام بمصالح الاسلام ومناجح الانام والاعتماد للمسلمين بما يسر في
بلادهم من الخطوب وتنجيم من الكروب ومجالسة العلماء ومساجلة
الفضلاء وموالات الاولياء ومصافاة الاصفياء واعدا الملهوف واسدا
المعروف ونقل ملازمة البلدان وخرج عن حيز الجلد وبرز الى الصيد
شرقي دمشق برا دخمسة عشر يوما واوسع من لم يوافقه على الخروج
لوما واستصحب معه اخاه الملك العادل وانعدوا في البرية واظهروا
عن ضمير صميم الى الجهة الشرقية وطابت له الفرص ووافق مراده القنص
ثم عاد يوم الاثنين حادي عشر صفر ووجه يسره قد سفر ووافق ذلك
عود الحاج الشامي فخرج للتلقي وسعادته في الترقي ولما التقى
الحجاج استعبرت عيناه كيف فاته من الحج ما تمناه وسألهم عن احوال مكة
واميرها واهلها وخصبها ومحلها وكم وصلهم من غلات مصر وصدقاتها
وعن الفقراء والمجاورين وزواياها وادراراتها وسر بسلامة الحاج ووضوح
ذلك المنهاج ووصل من اليمن ولد اخيه سيف الاسلام فلقاه بالاكرام
وانزله في كنف الاهتمام ۞

ذكر وفاة السلطان ۞

جلس ليلة السبت سادس عشر صفر في مجلس عادته ومحل سعادته وحضر عنده
في اتم اغتباط واتم نشاط حتى مضى من الليل ثلثه وهو يحدثنا ونحدثه

ثم صلى بنا وبه امامه وكان قيامه وانفصلنا باحسانه مغتبطين وبامتنانه
مرتبطين واصبحنا يوم السبت وجلسنا في الايوان ننتظر خروجه لموضع
الخوان فخرج بعض الخدام وامر ولده الملك الافضل ان يجلس موضعه
على الطعام فجا وتربع في دسته وجلس بسمته وسمته وتطيرنا من تلك
الحال وتعللنا بجذل ذلك الفال ودخلنا اليه ليلة الاحد للعيادة ومرضه
في الزيادة وتوفي في بكرة الاربعاء السابع والعشرين ونقله الله تعالى دسته
العالي الى اعلا عليين واني لما تحققت فقده واظلمت على الافاق بعده ۞

قلت لضوء الصبح لما بدا ونوره منكسر حائر
ما لك لا تسفر عن بهجة فقال مات الملك الناصر

وما مات بموته رجا الرجال واظلم بغروب شمسه فضا الافضال وغاضت الايادي
وفاضت الاعادي وانقطعت الارزاق وادلهمت الافاق وخاب
الراجون وغاب اللاجون وخاف الامن وخاب الامل وقنط السائل
وسخط النائل وطردت الضيوف ونكر المعروف ودفن في القلعة
في داره وفجع الزمان بانواره وعدمت الايام صباحها والامال
نجاحها ودفن معه الكرم وغلب بعد وجوده وجود العدم والعدم
وبقيت تلك الايام لا فرق بين الدجى والضحى ولا احد فيها من سقم الهم
وسكره صحا ولا صحا وحالت حالي وزال ادلالي وزاد بلبالي وبطل
حلي واتسع خرقي وتنازل جاهي وتشارف اشباهي واعضلت ادوا
الدواهي وتغيبت المعارف متنكرة والمطالع مكفهرة والعيون

شامخة والظلال قالصة والايدي يابسة والوجوه عابسة وعادت
ابكار خواطري عانسة ونجوم قرائحي وشواردها الانسة خانسة
وبقي باب كل فرج مرتجا ومنهج كل معروف منهجا وضن الغني
واخلف في ظن الاخلاف به ظني حتى تولى الملك الافضل
بدمشق مقام ابيه وقام بالامر بعزم نابية وحزم ثابته فعرف
افتقاره الى تحرير فقري واني عطل الملك وحليه من عراره حلب
دري فكتبت له وحليت من الملك عطله ووشيت الكتب ووشعتها
بحلية الدين ووسعتها واهتزت البراعة وهجرت الجماعة
ولزمت القناعة ۝

ذكر الملوك من اولاد السلطان ودونه بعده ۝

خلف السلطان صلاح الدين رحمه الله سبعة عشر ولدا وابنة صغيرة
وابقى له ما اثرا اثيره ومحاسن كثيرة ولم يخلف في خزانته سوى
دينار واحد وستة وثلثين درهما فانه باخراج ما يدخل من
الاموال في المكرمات والغرامات مغرما وكان يجود بالمال قبل
الحصول ويقطعه عن خزانته بالحوالات عن الحصول واذا عرف
بوصول حمل وقع عليه باضعافه وخص الاجناد من ذوي العنا في
الجهاد بالالافه ولا يجيبه احدا بالرد اذا ساله بل يلطف له كانه
استمهله فانه يقول ما عندنا شي الساعة ويفهم منه انه

يعطي وان كان يبطي وانه يصيبه بالنوال ولا يخطي وكان ولي
عهده بالشام الملك الافضل نور الدين علي وانه كاسمه
سام وعلي ونور فضله كشمسه جلي وهو الذي حضر وفاته
وفاز بملكه بما نال ما حضر وفاته وقام بسنة العزاء وفرض
الاقتدا بابيه في ابلا الالاء وادنى الاولياء وخلع على
الاماثل والامراء والافاضل والعلما وكان ببابه رسل ووفود
وملوك ورجال لهم في مسالك الرجال سلوك تجابروا وعابوا
وذهبوا وما ابوا ۝

ذكر من تولى ممالكه من اهله بعده

تولى ولده الملك العزيز عماد الدين ابو الفتح مصر وجميع اعمالها
وابقاها على اعتدالها ونقاها من شوايب اختلالها واعلالها
واحيا سنن الجود والباس واطلق كل ما كان يوخذ من التجار وغيرهم
باسم المكوس وضاعف ما كان يطلق برسم العيله وجاد واجاد
وابدى الكرم واعاد وبسط وقبض وابرم ونقض وحل وعقد ونزل واصعد
ووضع ورفع ومنح ومنع وابصر وسمع وضر ونفع وقطع واقطع واتصل
وفرع ووعد واخبر واوعز بغنى من اعوز ونزر وابرز وجاهد
وجهز وعرض الكتايب وفرض المواهب واجرى الصدقات
وتصدق بالجرايات وادر وادار واخاف واجار واغنى واسعد
وادنى وابعد وقدم امر بيت الله المقدس واعتمد فيه اعتماد

الانوس الاسوس وتحمل له بعشرة الف دينار مصرية لتصرف
في وجوه ضروريه ثم امده بالحمل وافاض عليه من الفضل وقرر
واليه عز الدين جرديك على ولايته وقوى يده برعايته ووالى
حمل الغلات من مصر الى القدس وابدل وحشته بوفاة السلطان من
وقايه بالانس وجلس في دار العدل فوصل وفصل واحسن وعدل
وقضى وحكم وامضى واحكم واحضر نواب ديوانه في ايوانه
واستعرض منهم قوانين سلطانه واستقرا الضياع والاقطاع
وعم الاصطفا والاصطناع وحل اقطاع من اقام بالشام
واكرم جند مصر بالحرمة والمقام وما ابقى الامانى بيدى
وصان حقوقى من الضياع وامر بتجليده واحدى تجديده
نجانى كتابه الكريم بكل كرم مكتوب ومحبوبه من الرفد
محبوب ورعى في جهد الداله واضاف الطارف عندى من العرف
الى التالد وهذا اوانا غايب وبدا زايب ولسواه كانت
ونايبه وما احوجنى في النوال الى السوال واعنانى اشعر بانه فى
اعنانى عن الارسال ولم يفتقر مقاصدى ووسايلى الى السعى
المقاصد والقصايد والرسايل وما اعرب بدار فواصله للحلول
من بدار الافاضل ثم اشفق من عدو الفرح من فسخ الهدنة
فاتى بجهير العساكر الى البيت المقدس بكل ما فى المكنة
ثم شرع فى حركة المواصلة ومن تابعهم وبايعهم وشايعهم

قد جرحوا فى ايمانهم خاسر ولعقدا ايمانهم ناكثين فحنيهم معركة
الحب واستشار امراءه اهل الراى واللب وجهز جيشا جاش به
ولعنا ان الدولة نا عشنا فى كل مقدم مقدام وهمام همام من صميم
من غام وقدم فتقدم فوصل الى دمشق وقد فرغ العادل
من حرب القوم وسلمهم وهزمهم اعطاف الاشكال له بعد
هزمهم فراى ان الحمد اعود والعود احمد وسياتى ذكر ذلك فى مكانه

ذكر دمشق وما جرى معها
ومن تولاها

وتولى الملك الافضل نور الدين ابو الحسن على ولد السلطان دمشق
والساحل وما جرى مع ذلك من البلاد ونفذت فى الاعمال اوامره
ونفذت فى الرجال ذخايره ورتب الامور احمد ترتيب وهذب
الشوون اكمل تهذيب وحلى السرير السلطانى سوره واستقر
صباح الاقبال باقبال سفوره وهدى وهدى وملا بالبشر المبلج
والبشرا لمنازح الملا وهذب واذهب ورغب وارغب ورتب
ورتب واصل واملت واثر واثر والم الشعث وابهى وابهج
واخذ المنهج المنهج وربح وربح ومن ومنح وارسى وارسخ ومدح
ووعد واوعد وجدد الجدد واذاع جميعه ستر حمايته واعاد
ووجد منه الملاذ من وجدته الملاذ وامر فامتثل ونصر
ونظر وعز واعز وحاز وحمى وساس وراس وملك الناس

وآل الباس واشاع البشر واعاش واشبع الجياع وروى العطاش
واستخلص ذوي الاختصاص واختص اهل الاخلاص ونهض واستنهض
وعرض واستعرض وعزم عزمه الرباط واحاط عليه وحاط وحفظ
اولي الحفايظ ولاحظ العرق وعرف انه لاحظ لغير اللاحظ وصنع
واصطنع وابرى وابدع ومد الظل واشبع وسوى الفضل وسوغ
واهمى العوارف وابهى الرواعف وحقق الحقوق ورتق الفتوق
وضم الملك ونظم السلك وجلس في دار العدل واتى بالحلم الفصل
وحرم وجزم وعزم والتزم وزاد وزان واغاث واعان
وبرى ارباب الهوى وامر ارباب التقوى القوى وحمى النابه
ومحى المكاره وفاض بغزار العطايا واستفاض بطهارة السجايا
واوى اليه اخوته وضم جماعته وجهز اخاه الملك الظافر
مظفر الدين خضرا واصحبه عسكرا مجرا وانهضه لانجاد عمه
الملك العادل فانار في فضا الفضايل وسار بجحفله الى الجحفل
الحافل فالتزم الشروع وهزم الجموع وقارع القروم وكاز الهارم
والعدو المهزوم وكانت حمص والمناظر والرحبة وبعلبك
وما يجري معها في المملكة الافضلية داخله وامداد طاعات
الولاة والاولياء بها متواصله وصاحب حمص والرحبة الملك
المجاهد اسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه ابن عم السلطان
وهو اثير الشان اثيل المكان فوصل الى دمشق مطيعا

وسر صدقه ونشر صداقه مدبغا منشبعا فاحلى له الملك الافضل
جنا شهيا واحله جنانا وشيعا وعقد له حبي الحب وحباه بكل
ما سفر عن سفور موده القلب ووفود مواد القرب وكذلك
وصلها جب بعلبك الملك الامجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه
ابن شاهنشاه بن ايوب طايعا وللامر الافضلي تابعا فادناهم واجناه
واحبه وحباه واسناه واسماه واواه واساه فتاكدت بسهم
القرابه المتشجه وتشبكت اللحمه المنتسجه ومهدت الاصره
الممرجه وتفتحت ابواب الالفه المرتجه وتوافقوا على التوافق
وتصادقوا على التصادق وتعاضدوا على الاخذ بالتساعد
وتعاقدوا على ترك التقاعد ۵

ذكر حلب وما يجري معها

وتولى حلب واعمالها وحصونها ومعاقلها وكرايم البلاد الملك
الظاهر غياث الدين ابو المظفر غازي وهو برجاحته وسماحته الطود
والجود المواري ومملك مملكه اقطارها واسعة
وامصارها شاسعه نجواها وحماها وبما العزل رواها
وفواها واعز رجال الرجا وهز اعطاف العطا ورحب
لوارده ورفاده رجاته وسحب سحبا الاحيا سحابه واثرت
مبراته واثرت ماثراته وضح وسح غيثه وغياثه ورعى
رعيته نشبعت وربت طماه وعزاته وزخرت امواجه

ونزهت بثواقب المناقب ابراجه وطابت بسماحه سماحه وطابت
صبا صباحه وغنت بتبشيره بشائر التواريخ وجرى قلمه
وسيفه الى عطارد والمريخ وسعدت وفوده ووفدت سعوده
واثر من امره النفاذ وكثر بظله الملاذ واذنى الابرار واقصى
الاشرار وخص الاخيرة الخواص بالاعزاز واوعز بما يعود به
الى نصاره الغنى العود الذي دوى لذوي الاعواز ومهد
لسلطانه الايناس واطرد لاحسانه القياس وجبر من عثر من ابدائه
الانتعاش وعشا الى جدواه المجتدي وعاش وفض الفرض ورفض
الرخص وادى الفروض وقضى القروض واسدى من المنائح شا حطها
واستدرك من المصالح فارطها وملك خلق التحفظ وسلك طرق
التيقظ وفرق وجمع وخرق ورفع وغلب وبلغ ودمر اهل الكفر
والنفاق ودمغ وشفى واستشفى وكفى واكتفى وراع وراق
وفات وفاق وطلب وادرك واخذ وترك وماض بالفضل
وراض بالعدل وقدم الحزم وصمم العزم واحيا السنن واولى
المنن ولها بالجد عن اللهو وانتهى بالعدو الى الباس المبتر:
وبالولي الى النايل الحلو وامر ونهى واوهن معاقد ذوي
المكايد واوهى ووفى للوفي وصفا للصفي واقر البيره
واعمالها على اخيه الملك الظاهر مجير الدين داود
ولم يزل مقبولا امره غير مردود ودخل في امره صاحب

حماه واعزه وحماه وهو الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك
المظفر تقي الدين واتسع الملك واتسق المسلك وكاتب الجوانب
وراسل وفارق من زاي وواصل وطال باعه واطاع اشياعه
وهمت همته الزياده وسمت لسمت السياده ۝

ذكر الملك العادل سيف الدين ابي بكر
ابن ايوب اخي السلطان وما جرى له بعد وفاة اخيه

كان الملك العادل مع السلطان في الصيد قبل وفاته وكان موافقه ومرافقه
في متصيداته فلما عاد السلطان الى دمشق ودعه ومضى الى حصنه بالكرك
للاستراحة غير مطلع على سر الغيب في الاقضية المتاحه فاته الاياب ولم يحضر
وقت احتضار الاخ الغايب فلما عرف وصل الى دمشق بعد ايام ولم يقم
لتنفيس كرب الحادث ولم تحدث نفسه بمقام ولم يرم تلبثا ولم يرم لبانا
ووصل طالبا لبلاده بالجزيره حذرا عليها من اهل الجزيره وكان السلطان
جعل له كل ما شرقي الفرات من البلاد والولايات ومضى كما ومض البارق
وخوف ان يطرق بلده طارق فلما وصل الى الفرات وجد مما خافه دلايل
الفرات فاقام بقلعة جعبر ولم تحتشد ولم يستحضر العسكر رغبة في
السلم والسلامه ومحبة للدعه المستدامه وسير الى الولايات الولاة ووصى
برعاياه الرعاه واستناب في ميافارقين وحاني وسميساط وحران والرها
وشحنها بالشحن واستقام امرها وحسب ان الاعداء اذا سمعوا السمعه
وجمعوا الجمعه وتدافعوا الدفعه سكن وسكت وبين فتثبت علم العدى

انه في خف فخفوا وعرضوا وصفوا وما كفاهم ما هم فيه تهموا وما
كفوا وساقوا اسراب الطمع واستفوا فجرت حركتهم هلكتهم واذهب
الله عند مجيئهم بركتهم ۝

ذكر أهل الشمات وما قدّر الله
بحكمه ثم من الشمات ۝

كان الامير سيف الدين بكتمر صاحب خلاط هجر الاحتياط ووصل الشنآن يوم موت
الناصر لدين صلاح الدين وظهر في النوب الخمس شعار السلطان وتلقب بالملك
الناصر وحدثت امله بجر العساكر وراسل صاحبي الموصل وسنجار وطير اليهم
كتب الاستظهار وضم اليه من ماردين وطار وجاش واوباش واتباش
وخلط من الاوشاب والاوباش فبينما هو في اتم غرور واتم سرور واحب حبور
واشب شعور وارقد عين واركد عين واغفل قلب واذهل لب واطول امل
في اقصر امد واكثر مدد في اقل مدد وقد خرج من الحمام ولم يدر انه داخل
مغتسل الحمام واستشهد على ايدي الاسماعيلية ولعل الله غفر له ونقله
بشهادته الى جنته العلية وذلك بخلاط يوم الاثنين رابع عشر جمادى الاولى
من هذه السنة واول بادئ بالخروج متولي ماردين فانه مرد محتشد
المدد ونزل على حصن الموزر بالعزم الموزر واخذ الموزر وهذا الحصن كان
السلطان اقتطعه من اعمال ماردين حتى كان اهله عليه ماردين فلما احكم
استبقاه واستثناه واضافه الى نائبه بالرها واعطاه ثم خرج عز الدين
اتابك مسعود بن مودود بن زنكي صاحب الموصل خرج في الجحفل الحفل

واضافه اخوه عماد الدين زنكي بنصيبين وخرجوا لنداء اللقاء مجيبين
وقدموا الرسل الى الملك العادل سيف الدين وقالوا نخرج من بلادنا ونرحل
في مرادنا وكتب الى بني اخيه يستنجدهم ويستنفرهم ويستصرخهم
ويستنصرهم فانجدوه بالامداد وامدوه بالانجاد وجاءوه من كل فج
ووافوه فوجا بعد فوج وكان انجادهم لقربه ولدار السعادة
اجلب. ولما عرف الملك الافضل اغتم واهتم وجمع عسكره وضم وحصر
وعم وكتب الى صاحبي حمص وبعلبك واستدعى عسكرهما الى الرها فسار اخوه
الملك الظاهر حصر وروض عسكره بورق الحديد الاخضر نضر والملك العادل
لقدومه منتظر واما اهل المواصلة فانهم ما اسرعوا ابطاوا وما
اصابوا بل اخطاو وسمعوا ان الامداد العادلية الوافية متوافية وارفة
دانية كافية مكافية فخبوا وجبنوا وكانوا قد وصلوا الى راس العين فاقاموا
وسكنوا والملك العادل مخيم بظاهر حران في جموعه وجنوده واعلامه وبنوده
ومساعديه وسعوده وعزمه على اللقاء مصمم وقلبه بحب الظفر متيم وحده
غالب وحده ثاقب ولطي النصر حالب ولطيب الذكر جالب وسيف سيف
الدين باتر ولحظ الشمس من غبار جحفله الثائر فاتر وتقارب العسكران حتى
ان الطلائع تتواجه وتتجابه ورجال اليزك تتناجى وتتناجه فكان من قضاء الله
المحتوم وسر قدره المكتوم تقليل غروب القوم وتقليلهم وحال تاملهم
وحار تاميلهم وريع عليلهم وذلك بما قدره الله من مرض اتابك صاحب الموصل
ولم يطق الاقامة بالمنزل واشفى على الخطر واشرف صفو حياته على الكدر

فعاد الى الموصل في محفه وكان ينزل ما الم به من ثقل المرض ويقفر
عماد الدين راجعا ولم يثق باصحابه فاجعا وتضرع صاحب ماردين وتدرع وتشفع
بالامرا والاكابر وخضع حتى وقع عنه رضى وصفح له عما مضى وجرى على المواعد
البيلغانيه بعده وكان قد ضاق به الفضا الرحيب لولا العفو عنه بالطعن
والضرب دما وبعده ورأى عماد الدين ان القوم خانوا واستكانوا وما رعوا الّه
العهد كما كانوا مضطر الى الانكفاء وكف عن اللقاء فحلا الجو وخلا
الضو وعلا النو واتى الملك العادل الخبر بوصول ابن اخيه الملك المظفر الى
الفرات في عسكر دمشق اهل الشان فكاتبه بمنازلة سروج وهي من اعمال
عماد الدين وامده بابن تقي الدين وابن المقدم عز الدين ليث العرين فنزلوا على
سروج يوم السبت ثامن شهر رجب وفتحوها يوم الاحد تاسعه واستولى
على البلد واماكنه ومواضعه ورحل الملك منتصف رجب الى الرقه وتسلمها العادليه
في العشرين منه وكانت اليد البيضا فيها للملك الظافر على ما ذكر عنه
ثم رحل وملك بلد الخابور جميعه وعاد بكل من عصاه من مقطعيه
مطيعه وجا الى نصيبين ونزل بظاهرها وشرع في ضم دخايرها
وجات الرسل العماديه في طلب الصلح واسفر ليل الحرب بتبسم الثغر عن الصبح
ورحل ونزل دارا وان صاحبه دار مع القوم ومادارا فبسط عذره
وقبض عذره واتاه خبر وفاة صاحب الموصل وتسليم بلده
من بعده الى نور الدين ارسلان شاه ولده وجرى بينه وبينهم صلح وكان له
في كل سفرة تجارة وربح وكثب الينا ان اهل خلاط كاتبوه وعلى تاخره

عنهم عاتبوه وان كل صاحب حصن قد ضبط موضعه وانتظر مطلعه فانه
تولاهم بعد بكتمر المعروف بالهزار ديناري فلم يرضوا بالاه خلاط
ولم يروه كفوا لذلك الهدى ثم اشرف الملك العادل على خلاط فوجد
اهله قد كملوا الاحتياط ورأى ان البرد قد اشتد وامد الحصر قد بعد فعاد
الى حران والرها واعرض عن معارضة خلاط وتاخر الى الربيع امرها ○

فصل انشاته في المعنى

الى الديوان العزيز في اخر رجب عن الملك الافضل ○

لا شك في احاطة العلم الاشرف بكال الدين حالوا عن الانصاف بالانصاف ومردوا
ومرّوا اخلاف الخلاف وعادوا عن خلق الملاقي الى الاتلاف وبدوا
بالانتظام في سلك الغدر بشمل الايتلاف ونكثوا بعد ايمانهم حتى قيل
كفروا بعد ايمانهم وباوا في بغيهم ببغيهم وابدوا فوق نهم
وزعموا انهم اذا عزموا نالوا الفرصة ووجدوا اذا اخروا في الغرمه
رخصة وجاوا الى البلاد التي للخدم من انعام امير المومنين صلوات الله عليه
ليتملكوها واستسهلوا سبل الضلالة بعد الهدى فسلكوها واغتروا باغترارهم
واغتروا باغترارهم واصبحوا اذ لم يبصروا ببصايرهم وابصارهم دخلوا
في داير السو وخرجوا من ديارهم واجتمع صاحب الموصل واخوه صاحب
سنجار وصاحب ماردين وحشدوا وحشروا وما الظن بشر
الحاسدين الحاشدين ووعدهم الشيطان واحزابه فصدقوا كذب الواعدين
وكان الغم الملك العادل سيف الدين قد توجه الى تلك البلاد لاتفاق

امورها على السداد واتقى منهم بالمواثيق محتفلا بالوفاء الحافل
الاوايق وهو في خواصه وذوي استخلاصه لم ينتظم عسكره ولم ينضم
اليه معشره ولم ينصف لدفع لدفع الشوايب وردع النوايب مورده ومصدره
فلما عرف نكرهم وعلم في مكرهم مكرهم تولت اليه الجموع وحنت على
قلبه الضلوع وحنت الى اصله الفروع وتوافدت اليه بنواحيه في الجنود وتوافدوا
عدد ساعدت بالسعود وامده الاخ الملك الظاهر بحلب بالامداد المتظاهره
والانصار المتناصره وقدم الحاكم اخاه الظافر خضرا فانهضه وسار
معه عسكره الذي بدمشق عرضه وسمع الاخ الملك العزيز خبر القوم
وانهم من حول ورد الردى على الحوم فاخرج المضارب وابرزها وانفق في
العساكر وجهزها وذكر عدة النجدة فانجزها واهتبل فرصة الفريضة
وانتهزها واقبل على ذخيرة الفضيلة فاحرزها وتحركت السواكن وثارت
الكوامن وهاجت الاقطار وماجت البحار وتشابت الاكدار واضافت
الاقدار واظهر الله قبل الاجتماع معجز اياته في اهل الشمات وخص
بعضهم بالشتات وحلهم بالبيات وشغل كل منهم بوباله ووباله وحطه
من يفاع اعتلائه الى حضيض اعتلاله واعادهم على اعقابهم ناكصين
وبعقابهم ناكبين في ارائهم وارايهم ناقصين واظهر الله لكل واحد من
اعداء الاعداء اية للعادة خارقة وقدرة لاقدار الاولياء للسعادة
خالقة وقاتلهم وما قاتلوه وقابلهم وما قابلوه وعادت العادة
عبرة للمعتبرين وعظة للمتفكرين وعلم صاحب ماردين انه اخطا

وما اصاب فابان عن ندمه واناب وتعرض للعفو عنه وتضرع وتشفع
بالامراء في امره وتذرع فابدت له صفحة الصفح وعادت له بعد عادته
للخير عادة الربح اجرى على القاعدة المستقرة له في عهد الوالد
رحمه الله فرضوا بما ترضوه من الطاعة وتابوا اليه وكان الاخ الملك
الظافر خضر قد وصل الى الفرات حين علم الله بجموع اولياء
بالشمات فعبر الى سروج يوم السبت تاسع رجب وقلب العدو
من الفتح الذي وجب وجب وفتحها يوم الاحد ضحوة وكانت هذه
المنحة من الله حظوة ورحل العادل العساكر الى الرقة لاسترجاع
وديعتها المستحقة وهو ببركة استمرار العيش على طاعة
المواقف المقدسة ويمن الانتهار لاوامرها وسفور الوجوه [illegible] جهة
سوافرها وما السعادة الا لمن شملته سعودها وما الجد الا لمن
وصله جودها وما الكرامة الا لمن كرمت عنده بالوفاء عهودها
وما العصمة الا لمن لزمت في خدمة النعماء عقودها ٥

ذكر سيف الاسلام باليمن ٥

واقليم اليمن مستقيم للملك ظهير الدين سيف الاسلام طغتكين
ابن ايوب اخي السلطان وهو هناك سلطان عظيم الشان مستول على
جميع البلدان مختص في مكانه بالامكان وكان قد وصل ولده مع الحاج
قبل وفاة السلطان بايام يعلم بظفر مرام ووصل كتابه الى اخيه
وهو غير عالم بتوفيه فلما استقر الملك الافضل على سرير ابيه

كاتب عمه سيف الاسلام بنعمه وهمه في كتابه بما كتب
اليه من همته ٥ وهو عندي

ذكر ما قرره الملك الافضل ٥

من خدمه دار الخلافه المعظمه
وانفاذ رسوله بعد والده مع هدايا
وتحف سنايا ٥

لما استقر الملك الافضل بدمشق في مقام والده وشفع طارف ملكه
بتالده واضاف موروث الفضيله الى مكتسبه واكرم نسبه بكرم حسبه
بدا بالاهم الافرض والاتم الاخص تقدم الى الديوان العزيز بحاملين
الكتب وانهى الحال فيما الم من الخطب ثم ندب ضياء الدين القسم
الشهرزوري في الرساله الى منزل الرساله وموقف الجلاله فاصحبه
عدة والده في الغزاه وان لقا العداه وسيفه ودرعه وحصانه
واضاف الى ذلك من الهدايا والتحف والخيل العراب ما استقل
وسعه وامكانه فما نهيتا مسير الرسول الاتي واخر حمى الاخره
حتى حصل ما كان اراده من الهدايا الفاخره وحتى كانت مصر وحلب
واعلم بمسير رسوله حتى لا يظن انه انفرد برسوله وقصد مداراه
اخوته وفصل بفضل خوته وذلك بعد ان جدد نقش الدينار
والدرهم بسمي امير المومنين وولي عهده عدة الدين وامر
بانشاء الكتب وتحريرها وتقريب المقاصد فيها وتقريرها ٥

فصل من الكتاب الى الديوان
العزيز بعد الدعا ٥ ٥ ٥

انفذ العبد هذه الخدمه وصدره مشروح بالولا وقلبه مبتهج بالصفا
ويده مرفوعه الى السماء للابتهال بالدعاء ولسانه ناطق بشكر النعما
وجنانه ثابت من المهابه والمحبه على الخوف والرجا وطرفه منغض
من الحيا ووجهه مقبل نحو قبله الاستجدا وهمته في العبوديه فارعه
ذروه العلاء وهو للارض مقبل وللفرض متقبل وبالطاعه ماثل
للاستطاعه باذل وللحمد والاخلاص عارض ضارع وبحر بحره من النصح
والمناصحه صادق صادع وهو يمت بما قدمه من المواتاة واسلفه من
الخدمات وذخره ذخر الاقران لهذه الاوقات ولجده عصمه
من النائبات وعوذه من الطارقات وعده عند الملمات وعمده
لذوي الخطوب الكارثات ومصرفا للصروف الحادثات ومالفا
للشمل عند شمول الشتات وعروه عند الاعتصام بها في ازمن
الازمات وسلوه من الاسى واسوا الجراح المصيبات والاخطا الخافه
وفاض له من بحر البرح وما فه واعاض بطافه وعاق ادار رحل
جنا النجاح قطافه لولا ان الله تداركه بفضله واولاه الطافه فانه
دهمه ما هدمه وفجاه ما فجعه وبغته من الرزء ما صدعه العيش
وصدعه ونابه ما رابه وجرعه مصابه ووافاه من وفاه والده
رحمه الله ما كدر صفو الحياه ومحا عن صفحه صحابه الايام

بالم الأمل واحال الحلي الى العطل وخلا عن النهل والعلل فاذهب
بهجه الايام واشمت الكفر بالاسلام وسر الشرك منه بما سكن
التوحيد وقرب من اشفاق القلوب واشغل الكروب المعد
وعطل الجهاد واراح الحديد وشب خفود العداة على انهاما
شبمت الا بمعير. وهذا الحادث ارجف المرجفون بحرسه
واثاروا كوامن النار وحركوا شواكن ادبار بتايثره وتاريثه
واخرج اهل النفاق رووسهم من كل فتق وعادنات تيابهم
الى نفار وقلق ومن كان مستمسكا من ولا الدار العزيزه بالعروة
الوثقى مستلئما من عدد ايامها ومداثعه مهلا بالدرع الاقوى
الاوفى فانه لا يحفل بحفول احلاف اهل الخلاف ولا يحلحل طود
حجاه الراسي وحصاه الراسخ لعواصف ذوي الاحجاف وقد احاطت
العلوم الشريفه مجدها الله بان الوالد السعيد الشهيد السديد
المبير للشرك المبيد لم يزل ايام حياته والى ساعه وفاته مستغرقا
على جدد الجد مستهما في صون فريضه الجهاد الى بذل الجهد مستنفدا
في كل ما يحوز به المراضي الشريفه وسعه مستفرغا طاقته في
الشغل الديني الذي يهدي بصره وسمعه فلم يقصر يدا بسطها بالفتنة
البغيه العاديه وكم من سنة اعلت سناها للمخلصين واحلت جناها
للمجتدين للدعوة الهاديه وكم اخرس دعاة الادعيا وحرس
ولايات الاوليا وكاتب بكتايبه وكتبه سيوفه واقلامه

للاقاليم اقاليد ولم تزل جنود الشيطان وجموع الطغيان في الممالك
مماليك الدار العزيزه وعبيدها عما رشد وامطر بلاد الكفر من دما
اهلها شآبيب واقام بها منار الاسلام ومنابره لما ان اب عن
اعوادها انابيب واشعرها من كماة الوغى وحماه الورى بمساعير
واخذها بضوامره صوامر الظفر عضامير وهذه فتوحه
تفوح بنشر النصر وتضوع وعقوده تروق في سلك الملك وتروع
وتمر بالامصار في اجتهاده في الجهاد شاهده والانجاد
والاغوار في نظر عزمه واحده والبيت المقدس من فتوحاته
والملك العقيم من نتايج عزماته وتوفره على العبوديه لمالك
رقه سيدنا امير المومنين من اوفر حسناته وكل ذلك في طاعته
وسامي همته وبركاته ومازال ظاهرا على العدى ناصرا للهدى
معليا معالم الهدى محييا مواسم التقى مستنيما سنن الشرع
وفروضه ملزما بالطاعه بقدر الطاقه نهوضه وهو الذي
ملك ملوك الشرك وغل اعناقها واسر طواغيت الكفر
وشد وثاقها وقمع عبده الصلبان وفصم اصلابها وجمع كلمه
الايمان وعصم جنابها ونظم اسبابها وسدد الثغور وسد
الامور واذل للدار العزيزه كل عدو واخذ لها على يد كل
ذي عتو واستمرت على الايام مساعيه في الخدمه ناجحة
ومعاليه على موازين الموازين راجحة وسيرته حسنة وحسناته

مآثره ومحاسنه ظاهره وسريرته طاهره وختم الله له بالسعاده
وتوفاه على الوفاء بالعبوديه وقضى وقد قضى من آرابه اربه
وقدم بين يديه اعماله الصالحه ووفى حسناته وقبض وعدله مبسوط
وامره محفوظ ووزره محطوط وعمله بالصلاح منوط وامله
بالنجاح مشروط وملكه بحفظ الله وكلايته مضبوط والمذاهب
مهذبه والمراتب مرتبه والاسباب محكمه والاحكام مسببه
والاحوال حاليه والاعمال راضيه والمصالح مصونه والمناجح مضمونه
والرعيه مرعيه والعوايد مرضيه والقواعد متاثله والمقاصد
محصله والثغور مسدوده والخطوب مصدوده واصول الدوله
ثابته وفروع الدوحه نابته وما ترك امرا بعده غير مستقيم
ولا نهجا قويم ولا خلف لمن خلفه ما يحتاج الى تقريبه وتقريره
ولا ابقى لمن بقي ما يفتقر الى تدبيره وترتيبه وما خرج من الدنيا الا
وهو في حكم الطاعه الاماميه داخل وبمتجرها الرابح الى دار المقامه
راحل ولم يكن له وصيه الا بالاستمرار على جادتها والاستكثار
من مادتها والاستسعاد بسعادتها والاستعداد لعبادتها
والاستجاره بظلالها والاستناره بجلالها والاستعاده بفضلها
والاستزاده من افضالها وما بنيت القواعد الا على اساس
وصاياه ولا امضت الا قياس سجاياه ولا ابرم الا ما عقده ولا احكم
الا ما اكده واقتفيت اثاره واجتليت انواره واتبع ايثاره

وانبرت في ايثار الامور الشريفه اوامره ومن كان في نصر الدوله
الناصريه فان الله ناصره وما تفتخر العبد الا بما ورثه في ولايه من
المجد وبعثه من الابتهال العزار ونعشه برفعه من العثار وعرفه
بعرفه المبرا المبار ولا يدوم بالملك الامريتاما بانه لها مملوك
ولا يوصل الى السعاده الابديه الا سبيل انها مسلوك
وان مضى الوالد على طاعه امامه فالمماليك اولاده واخوه في مقامه
والامر في كل مكان بالامر والسكون جار على نظامه والكفر
مفلول الغرب مخذول الحزب مجبول على الرعب مغلول بقيد السلم
عن الحرب وان الله اجرى المشركين مع كثرتهم على حكم القله وحملهم
لا بقا غره الثغور الاسلاميه بالذله وقد استمرت الحال الى الان
على الهدنه وهم لا يومنون اذا احسوا بالمكنه فان الغدر في
طباعهم مركون والسوء في عرايدهم مخزون والعبد
اخذ بالحزم عايد بتاييد الله في العزم متيقظ لمخوف غدرهم
متحفظ لمكر مكرهم مستعد بكل امكان مستجد كل ما يفتقر
اليه من عده وقوه بكل مكان مستظهر بما يا كدله من مظاهره
المواقف المقدسه في اموره مستبشر وجد وجاهته منها لشعوره
ظاهر لقوته من ايدها وايا ديها قوي بظهوره مدرك بما له من
المواتب الاكبره والسوابق الحميده والشوافع المقبوله والدرايع
المسوله موقن ان الرعايه تدركه وان العنايه تملكه

وان اختصاصه بفضيلة المائة القدسية تجدد له فضل الاختصاص
وان فاتحة الحمد لله والاخلاص تفتح له باب الانجاد والاستخلاص
ولما تصور جلاده على طوله بذلك الطول وانه يزداد بها يزدان به من
الاصطفاء والاصطناع حسن الحلية وقوة النصرة والحول
عول على القاضي ضياء الدين في المثول بالخدمة الشريفة وانها
حاله والانتقال الى مناجح اماله والسفارة فيما يسفر عن صبح المراشد
ونجح المقاصد ونجح العقائد وشرح الاحوال في الصادر والوارد
وان يلا عنه وفيه بالابلاغ مليه باسباغ القول في اعتقاد
الطول الملي بالاسباغ وقد فاوضه فيما فوضه اليه واعتمد استخارة
واستنجاحه عليه لا زالت ايادي الدار العزيزة دارة غزيرة
سارة اولياها وباخيار موات مواتيها جديرة ان شاء الله

ذكر بعض مناقب السلطان رحمه الله
وهو خاتمة الكتاب

كان مسعوفا في سبيل الله بالانفاق موفوقا عزمه في الاعدا
بادراء الاجال في الاولياء باجراء الارزاق وما عقر في سبيل الله
فرس او جرح الا عوض مالكه مثله وزاده من فضله نفله
وحسب ما وهبه من الخيل العراب والاكاديش الجياد
للحاضرين معه في صف الجهاد مدة ثلث سنين وشهر منذ
نزل الفرنج على عكا في رجب سنة خمس وثمانين الى يوم

انفصالهم بالسلم في شعبان سنة ثمان وثمانين فكان ٦٢٠٠
تقدير عدته اثنا عشر الف فرس من حصان وحجر واكديش
خمر وذلك غير ما اطلقه من المال في اثمان الخيل المصابة
في القتال ولم يكن له فرس يركبه الا وهو موهوب او موعود
به وصاحبه ملازم في طلبه وما حضر اللقاء الا استعار فرسا
فركبه وهجر جياده فاذا نزل جا صاحبه فاستعاده وتعلهم
يركب خيله ويطلب خيره وهو يستعير جوادا ويستغزي في
الجهاد اجتهادا وكان لا يلبس الا ما يحل لبسه ويطيب به
نفسه كالكتان والقطن والصوف وكسوته يخرجها في اسدا
المعروف وكانت محاضره مصونة من الخطر وخلوا مفرشه
بالطهر ومجالسه منزهة من الهجر والهزل ومحافله اهلة
باهل الفضل وما سمعت له قط كلمة تسقط ولا لفظة
فظة تسخط ويغلظ على الكافرين الفاجرين ويلين للمومنين
المتقين ويوثر سماع الاحاديث بالاسانيد ويكلم العلماء عنده
في العلم الشرعي المفيد وكان لمداومة الكلام مع الفقهاء ومشاركة
القضاة في القضاء اعلم منهم بالاحكام الشرعية
والاسباب الموجبة والادلة المرعية وكان من جالسه لا يعلم
انه جليس السلطان بل يعتقد انه جليس اخ من الاخوان وكان
حليما مقيلا للعثرات متجاوزا عن الهفوات تقيا نقيا

وفيًا صفيًا ويعفي ولا يغضب ويبشر ولا يقطب ما رد
سايلًا ولا صد نايلًا ولا اخجل قايلًا ولا خيب املًا ومن
جمله مناقبه انه تاخر في بعض سفراته الامير ابو ب
ابن كنان مشتغلًا بمهماته فلما وصل سأله عن سبب تخلفه
وما الذي وقفه عن موقفه فذكر ان غرماه الحوا ولحوا وطنبوا
بالملازمه ولججوا فاحضر غرماه وتقبل بالدين وتكفل بالعين وامرني
بان احيلهم على مصر بجملتها وهي اثنا عشر الف دينار مصريه
وكسر فقدم نوابه ووفاها على الحمل لما عرفوا انه من بعض
صون المال وجب البذل للفضل ه ولما كنا بالقدس
في سنه ثمان وثمانين كتب اليه سيف الدوله بن منقذ
وهو نايبه وقد صحب في الكتابه مداهنه ان واحدًا ضمن معامله
بمبلغ فاستنهض منها الفي دينار وتسحب وربما وصل الى الباب
فحيل وتحيل وحيل وكتب بها الى السلطان من اخبره ان الرجل
على الباب وحال انه اليه به تقرب فقال له قل له ان ابن منقذ
يطلبك فاجتهد ان لا تقع في عينه فحسبنا من حلمه وكرمه
بعد ان قلنا قدم الرجل الى حينه بمقدمه وما ادكره له في اول
سفري معه الى مصر سنه اثنين وسبعين وورد بها من قبله
العرب العين انه حوسب صاحب ديوانه عما تولاه في زمانه
فكانت سياقه الحساب باقيه عليه فما طلبها ولا ذكرها

داراه انه ما عرفها على ان صاحب الديوان ما انكرها وكان
يرضى من الاعمال لما يحمل عفوًا صفوًا ويحصل عذبًا حلوًا وكله
خرج في الجود والجهاد ورعايه الوفاد والقصاد ثم لم يرض لصاحب
ديوانه المذكور بالعطله ولم يؤثر ثواه في بيت العزل والعزله
فولاه ديوان جيشه واولاه ما دنت له به مجاني جاهه وعيشه
ولما كان بظاهر حران سنه احدى وثمانين عم بصدقاته الفقرا
والمساكين وكتب الى نوابه في الولايات باخراج الصدقات
وقال لي اكتب الى القاضي بدمشق ان يتصدق بخمسه الف دينار صوريه
فقلت الذهب الذي عنده مصري فقال يتصدق بخمسه الف دينار
مصريه واشفق من صرف الصوري بالمصري فيكون حرامًا ويرتكب في
كسب الاجر اثامًا فسمح ومنح وتاجر الله واربح وسمعت بعد ذلك الصفي
وكان في الخير يجلي كل مضمار يقول احصيت فقها المدارس بدمشق
فكانوا ستمايه فاطلقت لهم ستمايه دينار ولما عزم على الرحيل
من حران افاض بها الفضل وبث الاحسان وقال لي يوم الرحيل
انظر كم بقي بالباب من الوافدين من ابنا السبيل وهذه ثلثمايه دينار
فقسمها عليهم بالقلم وفضل على اقدارهم بالقسم وكانوا عده
يسيره لم تبلغ عشره ولم تجد ميسره فعينت لكل اسم قسمًا
وعينت لهم حلقًا سمى ورسما فبلغ اربع مايه دينار ثم وقفت انكر
واردد النظر اليه واكرر فسالني ما الذي علت وهل قسمت المبلغ وحملت

فقلت جرى قلمي بقسمه اربع مايه دينار فهل النقص من كل اثم ربعا
فقال اجر ما جرى به القلم واحسن صنعاه وكان رحمه الله
اذا اطلق لعارف عارفة ربما له قيده ما تكفيه ردها مضاعفة
وكان اصحاب المطالب وارباب المطالب والراغبون في الرغايب
والداهبون في الحاجات في المذاهب يحضرون عندي ويعولون
في انكار امرهم وانجاح قصدهم بذل جهدي فاكتب لهم
توقيعات بتوقيعاتهم واتهي في الاملا بتغاية ما مولاهم
فيحمد بها ويمضيها ويضع علامته فيها ويرتضيها واذا القي
توقيعا بخطي علم فيه ولم يقف بنشره على سر مطاويه انسا
بما الفه من صحتي وما صحبني وكفا للمللان وكفاية للمهمات
بكفايتي وكان يامرني باجابه كتب الملوك واصحاب الاطراف
عن كتبهم في حالتي سلمهم وحربهم وهي تشتمل على اسباب
متنوعه وارباب متفرعه بحسب الحوادث المتجدده والبواعث
المتمهده فاذا قلت له بماذا اكتب وما الذي اخاطب فيقول انت
اعرف وحسب ما تعلم من حالنا تتصرف فاكتب من عندي
الاجابه وتوافق منه الاصابه فقد كنت مطلعا على سره مصطلعا
بامره وما يخفى عني مراده وانا اسعى بمراده ووراده فاني سدادا
الاغراض ومداواه الامراض وموازنه الجواهر والاعراض والتمييز
بين اهل القبول والاعراض فلم اصلح قلمي بينه وبين من عاداه

وركض الجامح من سخطه وقاده الى مدا رضاه وكان يغضب للكباير
ولا يغضي عن الصغاير ويرشد اهل الهدى ويهدي الى الرشاد
ويشدد بالامر ويامر بالسداد وكان مماليكه وخواصه
بل امراوه واجناده اعف من الزهاد والعباد وراى يوما
لي دواه بالفضه محلاه فانكر حل الحليه وادعى حظر الفتنه
فقلت على سبيل المدافعه وطريق المناظره والممانعه اولبس
تحل حليه السلاح واستحبابه في الكفاح فدواتي
انجع ومدد مدادي انفع ويراع يراعتي القصر اطول وسلاح قلمي
احد واجد وامك واقتل وما احتمعت هذه العساكر الاسلاميه
الا بقلمي ولا افترقت جموع الكفر الا بكلمها من جوامع كلمي
فقال ما هذا بدليل ولا بعيد تحريما الى تحليل حتى قلت له ان الشيخ
ابا محمد والد الامام ابو المعالي قد ذكر وجها في جوازه وبحز تبعه
ولا وجه مع هذا الوجه المحلل لمن يحظره ويمنعه ثم لم اكتب
بعدها عنده الامر الشبه وكنت طرق الشبه وتركت المحلا
تحلا وعادت الشبهه مجتباه مجتباه ه وكان محافظا
على الصلوات الخمس في اوايل اوقاتها مواظبا على ادا مفترضاتها
ومسنوناتها فما رايته صلى الا في جماعة ولم يوخر له صلاه
من ساعة الى ساعة وكان له امام راتب ملازم مواظب
وان غاب يوما صلى به من حضره من اهل العلم اذا عرفه متهيا

هنيئا للاذن وكنت لملازمته اياه تقدمني اماما في الصلوات ومستشارا
في المشورات وكان ياخذ بالشرع ويعطي به وينفق من حل المال وطيبه
ويجود بالموجود وبالمعدوم في الحال رجاء الوجود فما اتخذ جده
الا وهو يستوعبها انجاز الموعود ولم يكن الى المنجم مصغيا ولم يزل
لقوله ملغيا فما عنده منجى لمن جاء من المنجمين ولا قبول لمنطق المتطفلين
ولا يفضل يوما على يوم ولا زمانا على زمان الا بتفضيل الشرع واستقصا
الدين في كل قاص ودان ولا يتعيف ولا يتطير ولا يعتز وقيلا ولا
يحتز بل اذا عزم توكل على الله واقبل على محكم امره واعرض
عن الاشتباه وكم فل سفه ذي الفلسفه ودل المعروف على المعرفة
وما زال ناصرا للتوحيد قاهرا جمع اهل البدع بالتبديد مستجليا
سنا السنة مستحليا جنا الجنة شافعي المذهب اصولا وفروعا
معتقده معقولا ومسموعا بذي اهل التنزيه ويقضي اهل
التشبيه ودايم استفاده فقه الفقيه واستزاده نباهة النبيه
ووجاهة الوجيه فالعاملون في عدله والعاملون في فضله والبلاد
في امنه والعباد في منه والبرية في بر سعيه والاسلام في حماية
حميته والدين في اداله دولته وشرعة الشريعة صافية بصفائه
ومادة المودة له وافية بوفائه وقامت بعده طرزه طريقته
من العار عرية وبد البرية من السيئات والشائبات بريه
وبالحرية حرية وسرور السر سرية فقد عزت وفضلت وطهرت

تعز بها دار فضلها وطاهرها وتفخرت بمفاخرها وروت بروايم
اثار ماثرها وتبلجت الافاق وتارجت حسن بشاشرها وطيب
نشا نشرها وتزينت الارض في ازهارها والسماء في زواهرها ٥
والحمد لله مجري الاقدار ومصفي الاكدار ومدبر الليل والنهار
ومدبر الابرار والاشرار ٥ ٥ ٥

وهذا اخر كتاب الفتح القدسي في
السيرة السلطانية والحمد لله حق حمده
وصلاته على سيدنا محمد واله وصحبه وسلامه

وكان الفراغ من نسخه يوم الثلثا تاسع ربيع
الاول سنه ثمانيه عشر وستمائه
بحلب المحروسه عمرها الله لنا ولجماعه المسلمين

وحسبنا الله ونعم الوكيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين واله الطاهرين وصحبه الكرام
اجمعين

